


BOBST LIBRARY



3 1142 02824 2983



mes
ary

rk
ersity

New York University
Bobst, Circulation Department
70 Washington Square South
New York, NY 10012-1091

Web Renewals:
<http://library.nyu.edu>
Circulation policies
<http://library.nyu.edu/about>

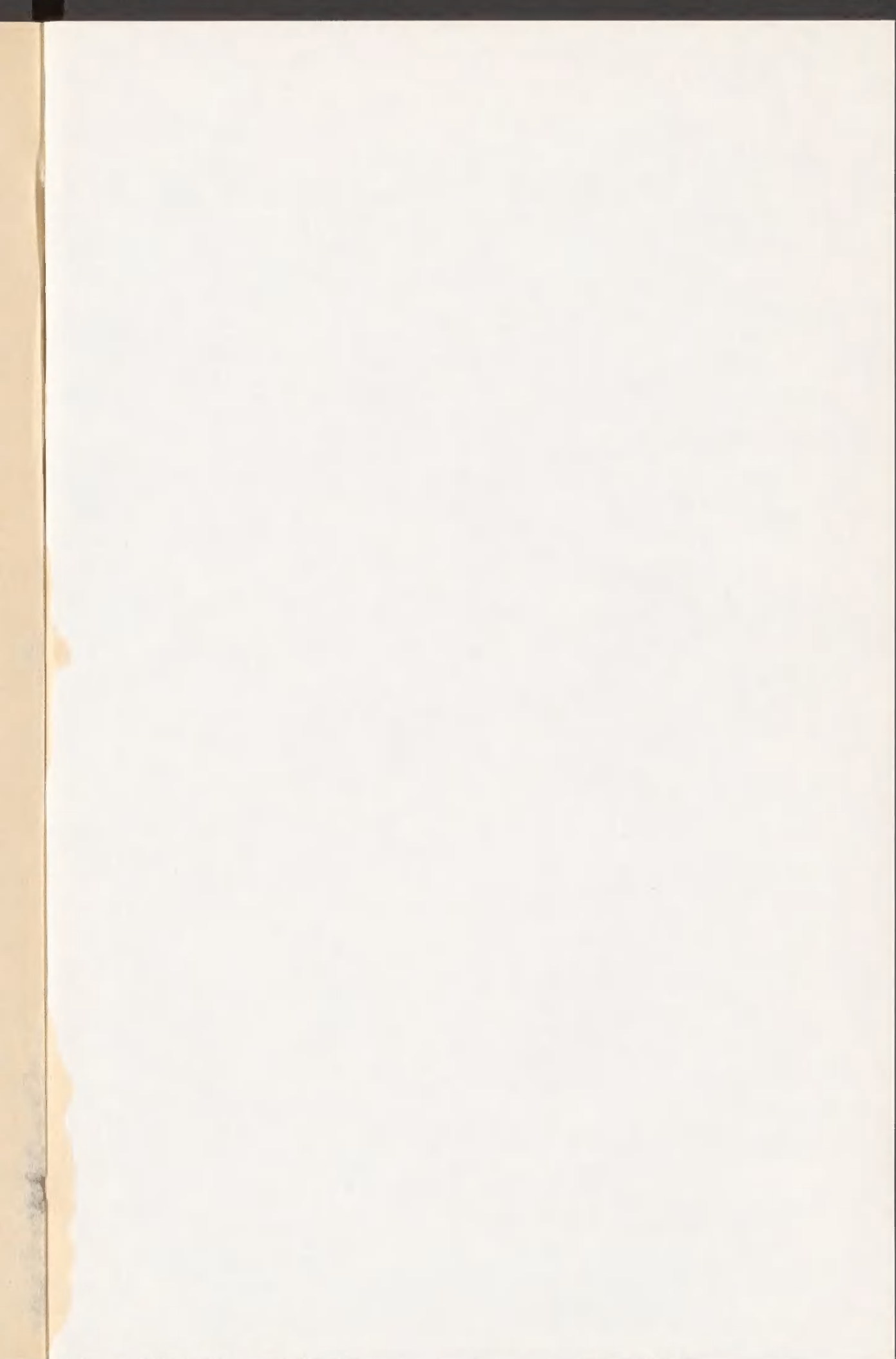
THIS ITEM IS SUBJECT TO RECALL AT ANY TIME

Due 06/22/2010
10:45 PM
Kitab 102BBuyun al-
-akhbar /
31142028242983
Bobst Library

NOTE NEW DUE DATE WHEN RENEWING BOOKS ONLINE







Ibn Qutaybah, 'Abd Allāh ibn Muslim

/ 'Uyūn al-akhbār /

دَارُ الْكِتَابِ الْمَصْرِيَّةِ

القِسْمُ الْأَدَبِيُّ

كِتَابُ

عَبْوَنُ الْأَخْبَارِ

تَأَلَّفَ

أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمَ بْنِ قُتَيْبَةَ الدِّينَوْرِيِّ

الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٢٧٦ هـ

المجلد الثالث

كتاب الإخوان — كتاب الحوائج — كتاب الطعام

[الطبعة الأولى]

مَطْبَعَةُ دَارِ الْكِتَابِ الْمَصْرِيَّةِ بِالْقَاهِرَةِ

١٣٤٨ هـ - ١٩٣٠ م

1873

1874

1875

AE
2
126

1925

r.3

c.1

1876

1877

NOV 29 1984

فهرست

المجلد الثالث من كتاب عيون الأخبار

لابن قتيبة

كتاب الإخوان

صفحة	صفحة
الهدايا ٣٤	الحث على اتخاذ الإخوان واختيارهم ١
العيادة ٤٣	المودة بالتشاكل ٧
التعاضد وما يمثل به فيها ... ٥٢	باب المحبة ٩
التهاني ٦٨	ما يجب للصديق على صديقه ... ١٤
باب شرار الإخوان ٧٣	الإنصاف في المودة ١٨
باب القرابات والولد ٨٤	مداراة الناس وحسن الخلق والحوار ٢١
الاعتذار ٩٩	التلاقي والزيارة ٢٤
عقب الإخوان والتباغض والعداوة ١٠٧	المعاقبة والتجني ٢٨
شماتة الأعداء ١١٤	باب الوداع ٣١

كتاب الخواص

١٥٢ ... حال المسئول عند السؤال	١١٩ ... استنجاح الخواص
١٥٦ ... العادة من المعروف تُقَطَّع	١٢٢ ... الاستنجاح بالرشوة والهدية
١٥٨ ... الشكر والثناء	١٢٤ ... الاستنجاح بلطيف الكلام
الترغيب في قضاء الحاجة	من يعتمد في الحاجة ويستسعى فيها ١٣٣
١٧٤ ... وأصطناع المعروف	الإجابة الى الحاجة والرد عنها ١٣٦
١٨٢ ... القناعة والاستعفاف	المواعيد وتجزؤها ١٤٤
١٩١ ... الحرص والإلحاح	

كتاب الطعام

صفحة	صفحة
٢٧٨ باب المياه والأشربة	١٩٧ صنوف الأطعمة...
٢٨٠ باب الثمن وما شاكلها	أخبار من أخبار العرب في ماكلهم
٢٨١ مضار الأطعمة ومنافعها	٢٠٩ ومشاربهم
٢٨٣ البصل والثوم	٢١٤ آداب الأكل والطعام
٢٨٦ الكزات	٢٢٢ الجوع والصوم...
٢٨٦ الكرب والقنيط	٢٢٤ أخبار من أخبار الأكلة
٢٨٧ السليم والفجل	باب الضيافة وأخبار البخلاء على
٢٨٨ الباذنجان	٢٣٣ الطعام
٢٨٨ الخيار والقثاء	٢٦٥ باب القدور والجفان
٢٨٨ السلق	سياسة الأبدان بما يصلحها من
٢٨٩ الهليون	٢٧٠ الطعام وغيره
٢٨٩ القرع	٢٧٢ باب الحمية
٢٨٩ البقول	٢٧٣ باب شرب الدواء
٢٩٢ باب الحبوب والبرور	٢٧٥ الحداث والحقنة والتخممة
٢٩٤ باب الفاكهة	٢٧٧ باب القيء
٢٩٦ باب مصالح الطعام	٢٧٧ النكحة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتاب الاخوان

الحث على اتخاذ الإخوان واختيارهم

حدثنا سهل بن محمد قال حدثنا الأصمعي قال أخبرنا العجلي قال بعض الأدباء لابنه : يا بني ، إذا دخلت المصر فاستكثر من الصديق فأما العدو فلا يهمنك ؛ وإياك والخطب فإنها مشوار كثير العثار .

قال : وبلغني عن الأوزاعي عن يحيى بن كثير : أن داود النبي عليه السلام قال لابنه سليمان عليه السلام : " يا بني ، لا تستبدلن بأخ لك قديم أخا مستفاداً ما استقام لك ، ولا تستقلن أن يكون لك عدو واحد ، ولا تستكثرن أن يكون لك ألف صديق " .

وكان يقال : أعجز الناس من فرط في طلب الإخوان ، وأعجز منه من صبيح من ظفر به منهم .

وفي الحديث المرفوع : " المرء كثير بأخيه " . وأنشد ابن الأعرابي :
لعمرك ما مال الفتى بذخيرة ■ ولكن إخوان الثقات الذخائر

(١) هكذا في لسان العرب مادة « شور » والمشوار : الشوط . وفي الأصل : « مشوا » .

قال أبو الجراح العقيلي : وجدتُ أعراضَ الدنيا وذخائرَها بعرضِ المتالفِ
إلا ذخيرةَ الأدبِ وعقيلةَ الخلَّةِ ، فاستكثروا من الإخوان واستعصموا بعراً الأدبِ .

وكان يقال : الرجلُ بلا إخوانٍ كاليمين بلا شمالٍ . وقال الشاعر :

إذا لم يكن للقوم عزٌّ ولم يكن * لهم رجلٌ عند الإمامِ مكيُّنٌ

فكانوا كأيدٍ أو هنَّ اللهُ بطشها * ترى أشملاً ليستَ لمن يمينُ

قال أيوبُ السخيتاني : إذا بلغني موتُ أخٍ لي فكأنما سقطَ عضوٌ مني .

وقال القطامي :^(٢)

وإذا يصيبُك - والحوادثُ جمَّةٌ - * حَدَثٌ حَدَاكَ إلى أخيك الأوثقِ

وقال آخر :^(٣)

أخاك أخاك إنَّ مَنْ لا أخا له * كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاح

وإنَّ ابنَ عمِّ المرءِ فأعلمُ جناحه * وهل ينهضُ البازي بغير جناح

وقال النقي :^(٤)

من كان ذا عَضِدٍ يُدْرِكُ ظِلَامَتَهُ * إنَّ الذليلَ الذي ليستَ له عَضِدُ

تنبو يدهُ إذا ما قَلَّ ناصِرُهُ * ويأنفُ الضَّيمَ إنَّ أثرى له عَدَدُ

وقال آخر :

وبغضاءِ التقيِّ أَقلُّ ضَميراً * وأسلمُ من مودةِ ذي الفُسُوقِ

ولن تنفكُ لُحْسُدُ أو تُعَادَى * فأكثرُ ما أَسْتَطَعْتَ من الصَّدِيقِ

(١) في الأصل : « إذ كأنما ... » (٢) بفتح القاف وضمة و هو عمير

ابن شَيْمٍ التُّغْلِيّ من بني جشم بن بكر بن الأرقم ، وقد ورد البيت في ديوانه المطبوع بليدن هكذا : وإذا
أصابك الخ . وهذا البيت من قصيدة له مطلعها :

طرفت جنوب رحالنا من مطرق ■ ما كنت أحسبها قريب المعرق

(٣) هو مسكين الدارمي واسمه ربيعة بن عامر (أنظر خزانة الأدب للبغدادى طبع بولاق ج ١ ص ٦٦) .

وكتب الفضل بن سيار الى الفضل بن سهل :

يا أبا العباس إني ناصح * لك والنصح لذي الود كبير^(١)
لا تُعِدَّتْ ليوم صالح * إن إخوانك في الخير كثير
وليكن للشر ما أعددتهم * إن يوم الشر صعب قطير
هذه السوق التي أملها * يا أبا العباس والعمر قصير

قال المأمون : الإخوان ثلاث طبقات : طبقة كالغذاء لا يُستغنى عنه، وطبقة كالدواء لا يُحتاج إليه إلا أحياناً، وطبقة كالداء لا يحتاج إليه أبداً .

قال حدثني سعيد بن سليمان قال حدثنا إسماعيل بن زكريا عن سعيد بن طريف عن عمير بن المأمون قال : سمعت الحسن بن علي يقول : من أدام الاختلاف الى المسجد أصاب ثمانى خصال : آية محكمة، وأخا مستفاداً، وعلماً مستطرفاً، ورحمة متظرة، وكلمة تدل على هدى أو تردعه عن ردى، وترك الذنوب حياءً أو خشية .
قال وحدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن أبيه قال : كان يقال : صاحب رُقعة في قميص الرجل، فليَنظُرْ أحدكم مِمَّ يَرَقَعُ قميصه .

وحدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن أبيه أنه قال : كان يقال : ما وجدنا شيئاً أبلغ في خير أو شر من صاحب .

وحدثني الرياشي عن الأصمعي قال حدثنا سليمان بن المغيرة قال : قال يونس : آثنان ما في الأرض أقل منهما ولا يزدادان إلا قلة : درهم يوضع في حق ، وأخ يسكن اليه في الله .

(١) في الأصل : «... لذي الود كثير» بالثاء المتلثة وفي الذي بعده : «إن إخوانك في الخير كبير»

بالباء الموحدة فوضعنا كلا من الكلمتين مكان الأخرى لاستقامة الكلام .

وحدثني شيخ لنا عن محمد بن مُنَازِر عن سفيان بن عُيينة قال : قال علقمة
ابن لبيد العُطَارِدِيُّ لابنه : يا بني ، إذا زَرَعْتَكَ إلى صحبة الرجال حاجةً ، فاصحب
منهم مَنْ إن حَبَبَهُ زانك ، وإن خَدَمْتَهُ صانك ، وإن أَصَابَتْكَ خِصَاصَةٌ مانك ،
وإن قَلْتَ صَدَقَ قولك ، وإن صُلْتَ شَدَّ صَوْلَكَ ، وإن مَدَدْتَ يَدَكَ بِفَضِيلٍ مَدَّهَا ،
وإن رَأَى مِنْكَ حَسَنَةً عَدَّهَا ، وإن سَأَلْتَهُ أَعْطَاكَ ، وإن سَكَتَ عَنْهُ أَبْتَدَاكَ ،
وإن نَزَلَتْ بِكَ إِحْدَى الْمِلَمَاتِ آسَاكَ ، مَنْ لَا يَأْتِيكَ مِنْهُ الْبَوَائِقُ ، وَلَا تَحْتَلِفُ عَلَيْكَ
مِنْهُ الطَّرَائِقُ ، وَلَا يَخْذُلُكَ عِنْدَ الْحَقَائِقِ ، وإن حَاوَلَ حَوِيلًا أَمَرَكَ ^(١) ، وإن تَنَازَعْتَا
مِنْهُ ^(٢) آثَرَكَ .

قال محمد بن كعب القُرْطُبِيُّ لعمر بن عبد العزيز : إن فيك عقلا وإن فيك
جهلا ، فَدَاوِ بَعْضَ مَا فِيكَ بِبَعْضٍ ، وآخِ مِنَ الْإِخْوَانِ مَنْ كَانَ ذَا مَعْلَةٍ ^(٤) فِي الدِّينِ
وَنِيَّةٍ فِي الْحَقِّ ، وَلَا تُؤَاخِ مِنْهُمْ مَنْ تَكُونُ مِثْلُكَ عِنْدَهُ عَلَى قَدَرِ حَاجَتِهِ إِلَيْكَ ، فإذا
قَضَى حَاجَتَهُ مِنْكَ ذَهَبَ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ . وإذا غَرَسْتَ غِرَاسًا مِنَ الْمَعْرُوفِ
فَلَا تَبْغِينَ أَنْ تُحْسِنَ تَرْبِيَتُهُ ^(٥) .

وقال الأحنف بن قيس : خَيْرُ الْإِخْوَانِ مَنْ إِنْ اسْتَغْنَيْتَ عَنْهُ لَمْ يَزِدْكَ
فِي الْمَوَدَّةِ ، وَإِنْ احْتَجَجْتَ إِلَيْهِ لَمْ يَنْقُصْكَ مِنْهَا ، وَإِنْ عَثَرْتَ عَصْدَكَ ، وَإِنْ احْتَجَجْتَ
إِلَى مُؤَوَّنَتِهِ رَفَدَكَ . وقال الشاعر :

إِنْ أَخَاكَ الصَّدَقَ مَنْ لَنْ يَخْدَعَكَ * وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكَ
وَمَنْ إِذَا رَيْبُ زَمَانٍ صَدَعَكَ * شَتَّتَ شَمْلَ نَفْسِهِ لِيَجْمَعَكَ
* وَإِنْ رَأَاكَ ظَالِمًا سَعَى مَعَكَ *

٢٠ (١) حاول الشيء : أرادته ، والحويل : الاسم منه ، وأمر : شاور . (٢) النفس :
النفس . (٣) في الأصل « القرصى » وهو تحريف . (٤) المعلاة : العلو والشرف .
(٥) في الأصل : « فلا تبقيين » .

وقال حُجَّة بن المضرب :

أخوك الذي إن تدَّعه للملَّة * يُجَبِّكَ وإن تَغَضَّبَ إلى السَّيْفِ يَغْضِبُ

وكتب رجلٌ إلى صديق له : أنت كما قال أَعشى باهلة :

مَنْ لَيْسَ فِي خَيْرِهِ مَنْ يُفْسِدُهُ * عَلَى الصَّدِيقِ وَلَا فِي صَفْوِهِ كَدْرُ

وَلَيْسَ فِيهِ إِذَا اسْتَنْظَرْتَهُ عَجَلٌ * وَلَيْسَ فِيهِ إِذَا يَاسَرْتَهُ عُسْرُ

وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه :

أخوك الذي إن أَحْوَجَكَ مُلَّةٌ * مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَبْرَحْ لَهَا الدَّهْرُ وَاجِمًا

وَلَيْسَ أَخُوكَ الْحَقُّ مَنْ إِنْ تَشَعَّبَتْ * عَلَيْكَ أُمُورٌ ظَلَّ يُلْحَاكَ لَائِمًا

وقال آخر :

إِذَا كَانَ إِخْوَانُ الرِّجَالِ حَرَارَةً * فَانْتَ الْحَلَالُ الْخُلُوُّ وَالْبَارِدُ الْعَذْبُ

لَنَا جَانِبٌ مِنْهُ دَمِيئٌ وَجَانِبٌ * إِذَا رَامَهُ الْأَعْدَاءُ مَرَكِبُهُ صَغْبُ

وَتَأْخُذُهُ عِنْدَ الْمَكَارِمِ هَزَّةٌ * كَمَا اهْتَزَّتْ تَحْتَ الْبَارِجِ الْغُصْنُ الرُّطْبُ

وقال آخر :

أَبْصَى أَخَا يَتَلَقَّانِي بِنَائِلِهِ * قَبْلَ السَّوَالِ وَيُلْقِي السَّيْفَ مِنْ دُونِي

إِنَّ الْمُنَايَا أَصَابَتْني مَصَائِبُهَا * فَاسْتَعْجَلْتُ بِأَخٍ قَدْ كَانَ يَكْفِينِي

وقرأت في كتاب للهند : رأس المودَّة الاسترسال .

وقال أكرم بن صيفي : مَنْ تَرَانَحَى تَأَلَّفَ ، وَمَنْ تَشَدَّدَ نَفَرَ ، وَالشَّرْفُ التَّغَافُلُ .

وقال حاتم : الْعَاقِلُ قِطْنٌ مُتَغَافِلٌ .

وقرأتُ في كتاب للهند : مِنْ علامة الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقاً
(١)
ولعدو صديقه عدواً . قال العنابي في ذلك :

تَوَدُّ عَدُوِّي ثُمَّ تَزْعُمُ أَنِّي * صَدِيقُكَ ، إِن الرأى عِنْدَكَ لَعَايِبُ
وَلَيْسَ أَخِي مَنْ وَدَّيَ رَأَى عَيْنِهِ * وَلَكِنْ أَخِي مَنْ صَدَّقْتَهُ الْمَغَايِبُ

٥ قيل لُبُّزْ جِهْرُ : أَخُوكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ صَدِيقُكَ ؟ قال : إِنَّمَا أَحَبُّ أَخِي
إِذَا كَانَ صَدِيقًا .

وقال بعضهم : إِن أَحَبَّ إِخْوَانِي إِلَى ، مَنْ كَثُرَتْ أَيْدِيهِ عَلَى .
وقال رجل في أخ له .

وَكُنْتُ إِذَا الشَّدَائِدُ أَرْهَقْتَنِي * يَقُومُ لَهَا وَأَقْعُدُ لَا أَقُومُ

وقال آخر :

أَخٌ طَالَمَا سَرَّني ذِكْرُهُ * فَأَصْبَحْتُ أَشْجَى لَدَى ذِكْرِهِ
وَقَدْ كُنْتُ أَغْدُو إِلَى قَصْرِهِ * فَأَصْبَحْتُ أَغْدُو إِلَى قَبْرِهِ
وَكُنْتُ أَرَانِي غَنِيًّا بِهِ * عَنِ النَّاسِ لَوْ مَدَّ فِي عَمْرِهِ
إِذَا جِئْتُهُ طَالِبًا حَاجَةً * فَأَمْرِي يَجُوزُ عَلَى أَمْرِهِ

١٥ وصف أعرابي رجلاً قال : كَانَ وَاللَّهِ يَتَحَنَّنِي مَرَارَ الْإِخْوَانِ وَيَسْقِيهِمْ عَذْبُهُ .
(٣)

وقال أعرابي :

أَخٌ لَكَ مَا تَرَاهُ الدَّهْرَ إِلَّا * عَلَى الْعِلَالِ بَسَامًا جَوَادًا
(٥)

(١) كذا في العقد الفريد ج ١ ص ٢٥٧ وهو الصواب ، وفي الأصل : « ولعدو عدوه عدوا » .
(٢) في الأصل « إِن أَحَبَّ إِخْوَانِي إِلَى مَنْ كَثُرَتْ أَيْدِيهِ إِلَى » . (٣) كذا بالأصل ، ولم نجد هذه
الصفة في كتب اللغة التي بين أيدينا ، ولعله يحذف عن « مر » المقابل للعذب ، وهو ما يقتضيه السياق .
(٤) هذه الأبيات نسبت في الأغاني لزياد الأعمى (ج ١٤ ص ١٠٢ طبع بولاق) . (٥) هو من
قولهم : على علاته ، أى على كل حال .

سألناه الجزيل فما تَلَكَّا * وأعطى فوق مُنِينَا وزادَا
فأحسنَ ثم أحسنَ ثم عُدْنَا * فأحسنَ ثم عُدْتُ له فعادَا
مِرَارًا لا أعودُ إليه إلَّا * تبسمَ ضاحكًا وثنيَ الوسادَا

المودة بالتشاكل

٥ بلغني عن ابن عيينة أنه قال : قال ابن عباس : القرابة تُقَطَّعُ والمعروفُ يُكْفَرُ،
ولم يُرَ كَتَقَارِبِ القلوب .

قال رجل للعرجي : جئتكَ أخطبُ إليك مودتك ، فقال : لا حاجة بك إلى
الخطبة ، قد جاءتك زنا فهو الله وأحلى . وقال الكُميتُ بن معروف :

١٠ ما أنا بالنكيس الدنيء ولا الذي * إذا صد عنه ذو المودة يُقْرُبُ
ولكنه إن دام دمتُ وإن يكن * له مذهبٌ عني فلي عنه مذهبُ
ألا إن خيرَ الودِّ ودٌّ تطوَّعت * به النفس لا ودٌّ أتى وهو مُتَعِبُ

وقال الطائي :

١٥ ذو الودِّ مَنَى وذو القُرْبى بمنزلة * وإخوتي أسوةٌ عندي وإخواني
عِصَابَةٌ جاورَتْ آدابُهُم أدبي * فهم وإن فُرِّقُوا في الأرض جيرانِي
أرواحنا في مكانٍ واحدٍ وغَدْتُ * أبدانُنَا بِشَامٍ^(٢) أو خُرَاسَانِ

وقال عبد الله بن عبد الله بن عتبة لعمر بن عبد العزيز :

أين لي فكُنْ مثلي أو آتِني صاحبًا * كمثلِكَ إني مُبتَغٍ صاحبًا مثلي

(١) في الأصل : « جاورت » بالزاي ، والتصويب من ديوان أبي تمام . (٢) في الأصل :

« لشام » والتصويب من ديوان أبي تمام .

عزيزٌ إخائي، لا يَنَالُ مودتي ■ من القوم إلا مسلمٌ كاملُ العقلِ
وما يَلْبَثُ الإخوانُ أن يتفَرَّقوا * إذا لم يُؤَلَّفْ رُوحُ شَكلٍ إلى شَكلٍ

وقال الطائي :

وَلَنْ تَنْظِمَ الْعَقْدَ الْكَعَابُ لَزِينَةٍ * كَمَا يَنْظِمُ الشَّمْلَ الشَّيْتِ الشَّمَائِلُ
كتب بعضُ الكُتَّابِ إلى صديق له : إني صادفتُ منك جوهرَ نفسي ، فأنا
غيرُ محمودٍ على الاتِّقياد لك بغيرِ زِمَامٍ ، لأنَّ النفسَ يَتَّبِعُ بعضها بعضاً .

قال حدثني محمد بن داود قال حدثنا يزيد بن خَلْفٍ عن يعقوب بن كعب عن
يَقِيَّةَ عن صَفْوَانَ بنِ عمرو عن شُرَيْحٍ عن أَبِي عُبَيْدٍ قال : كتب أبو الدَّرْدَاءِ إلى
سَلْمَانَ : إن تكن الدَّارُ من الدَّارِ بَعِيدَةً فَإِنَّ الرُّوحَ من الرُّوحِ قَرِيبٌ ، وطيرُ السَّمَاءِ
على إلفِهِ من الأرضِ يَقَعُ . ١٠

وقال أبو العتاهية :

يُقَاسُ المرءُ بالمرءِ * إذا ما هو ماشاً
ولِلْقَلْبِ على القلبِ * دَلِيلٌ حينَ يَلْقَاهُ
ولِلشَّكْلِ على الشَّكْلِ * مَقَائِدِسُ وَأَشْبَاهُ
وفي العينِ غِنًى لِلْعَيْنِ * أن تَنطِقَ أَفْوَاهُ ١٥

وقال المُسَاحِقُ :

يُزْهَدُنِي فِي وَدَّكَ أَبْنُ مُسَاحِقٍ * مَوَدَّتُكَ الْأَرْدَالَ دُونَ ذَوِي الْفَضْلِ
وَأَنْ شَرَّارَ النَّاسِ سَادُوا خِيَارَهُمْ * زَمَانُكَ ، إِنَّ الرَّذْلَ لِلزَّمَنِ الرَّذْلُ

باب المحبة

قال حدثني أحمد بن الحليل عن محمد بن بشار عن يحيى بن سعيد عن ثور بن يزيد عن حبيب بن عبيد عن المقدم بن معد بكرب، وكان أدرك النبي صلى الله عليه وسلم، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : "إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه أنه يحبه" .

- وحدثني محمد بن داود عن أبي الربيع عن حماد بن زيد عن ليث عن مجاهد قال : ثلاث يصفين لك ود أخيك : أن تبدأ بالسلام إذا لقيته ، وتوسع له في المجلس ، وتدعوه بأحب أسمائه إليه . وثلاث من العي : أن تعيب على الناس ما تأتي ، وأن ترى من الناس ما يخفى عليك من نفسك ، وأن تؤذى جلسك فيما لا يعينك .

- ١٠ • وكان يقال : لا يكن حبك كلفاً ولا بغضك تلفاً . أى لا تسرف في حبك وبغضك . ونحوه قول الحسن : أحبوا هوناً فإن أقواماً أفرطوا في حب قوم فهلكوا . وكان يقال : من وجد دون أخيه سترًا فلا يهتكنه .

وقال عمر بن أبي ربيعة :

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى * فصادف قلباً فارغاً فتمكننا

- ١٥ • قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لطيفة الأسدى : قتلت عكاشة بن محصن ! لا يحبك قلبى ! قال : معاشره جميلة يا أمير المؤمنين ، فإن الناس يتعاضون على البغضاء .

وكتب رجل إلى صديق له : الشوق إليك وإلى عهد أيامك — التى حسنت بك كأنها أعيادٌ ، وقصرت بك حتى كأنها ساعات — يفوت الصفات ؛ ومما جدد الشوق

وكثر دواعيه تصاقب الدار، وقرب الجوار، ثم الله لنا النعمة المتجددة فيك بالنظر الى القرة المباركة التي لا وحشة معها ولا أنس بعدها .

قال الحسن : المؤمن لا يحيف على من يغض ولا يأثم فيمن يحب .

وقرأت في بعض الكتب : إنه ليبلغ من حسن شفاعة المحبة أن الحبيب يسئ فيظن به الغلط ويذنب فيحتج له بالدالة ، وذنبه لا يحتمل التأويل ولا يخرج له في جواز العقول .

وفيه : كل ذنب إذا شئت أن تنساه نسيته وإن شئت أن تذكره ذكرته ، فليس بخوف . وليس الصغير من الذنب ما صغره الحب ، وإنما الصغير ما صغره العدل . وليس الذنب إلا ما [لا] يصلح معه القلب ولا يزال حاضرا الدهر ، وإلا ما كان من نتاج اللؤم ومن نصيب المعاندة ، فأما ما كان من غير ذلك فإن الغفران يتغمده والحرمة تشفع فيه .

وكتب رجل الى صديق له في فصل من كتاب : لسانى رطب بذكرك، ومكانك من قلبي معمور بحبك . ونحوه قول معقل أخى أبى دلف لمخاريق :
لعمري لئن قررت بقربك أعين * لقد تخننت بالبين منك عيون
فيسروا قم، وقف عليك مودتي * مكانك من قلبي عليك مضمون

وقال رجل لشبيب بن شيبسة : والله أحبك ، قال : وما يمنعك من ذلك وما أنت لى بجار ولا أخ ولا قرابة ! يريد أن الحسد موكل بالأدنى فالأدنى .

(١) زيادة يقتضها المقام . (٢) في الأصل : « والله ما أحبك » بزيادة « ما » وفي العقد الفريد (ج ١ ص ٢٣٤) : « انى أحبك » بدون قسم ، ونسب هذا القول فيه لخالد بن صفوان . (٣) ولا قرابة : أى ولا ذى قرابة ، وقد أنكر صاحب القاموس استعمال قرابة في مثل هذا الموضع بدون اضافة . وتعقبه شارحه بأن استعماله بدون الإضافة جائز وورد في فصيح الكلام من أثر وشعر .

قال رجل لشهر بن حوشب : إني لأحبك قال : ولم لا تحبني وأنا أخوك
في كتاب الله ووزيرك على دين الله وموثقى على غيرك ! قال بشار :
هل تعلمين وراء الحب منزلة * تدني اليك فإن الحب أقصاني
وقال غيره :

أحبك حبيب لي واحد * وحب لأنك أهل لذاكا
فأما الذي أنت أهل له * حسن فضلت به من سواكا
وأما الذي في ضمير الحشا * فاست أرى الحسن حتى أراكا
وليس لي المثل في واحد * ولكن لك المن في ذا وذاكا
وقال المسيب بن عابس :

وعين السخط تبصر كل عيب * وعين أنحى الرضا عن ذاك تعمى
ونحوه لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

فلست براء عيب ذى الود كلة * ولا بعض ما فيه إذا كنت راضيا
وعين الرضا عن كل عيب كيلة * ولكن عين السخط تبدي المساويا
وقال بعض الخلفاء لرجل : إني لأبغضك ، قال : يا أمير المؤمنين ، إنما يجزع
من فقد الحب المرأة ، ولكن عدل وإنصاف . وقال شريح :

خذي العفو متى تستدمين مودتي * ولا تنطقي في سورتى حين أغضب
فإني رأيت الحب في الصدر والأذى * إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب
وقال أعرابي : إذا ثبتت الأصول في القلوب نطق الألسن بالفروع ،
ولا يظهر الود السليم إلا من القلب المستقيم .

وقال آخر : من جمع لك مع المودة الصادقة رأيا حازما ، فأجمع له مع المحبة
الخالصة طاعة لازمة .

قال اليزيدي : رأيتُ الخليل بن أحمد فوجدته قاعداً على طُنْفَسَةٍ^(١) ، فأوسع لي فكرهتُ التضيقَ عليه ، فقال : إنه لا يضيقُ سَمُّ الحياطِ على متحايينٍ ولا تَسعُ الدنيا^(٢) متباغِضينَ . وقال أبو زبيدٍ للوليد بن عقبة :

مَنْ يَخُنْكَ الصَّفَاءُ أَوْ يَتَبَدَّلَ * أَوْ يَزُلْ مِثْلَمَا تَزُولُ الظَّلَالُ
فَاعْلَمْ أَنَّ أَخِي أَخَوَكَ أَخُو الْعَهْدِ * بِدِ حَيَاتِي حَتَّى تَزُولَ الْجِبَالُ
لَيْسَ بِحُلٍّ عَلَيْكَ مَنِّي بِمَالٍ * أَبَدًا مَا أَسْتَقِلَّ سَيْفًا حِمَالُ^(٣)
فَلَكَ النَّصْرُ بِاللَّسَاتِ وَبِالْكَفِّ إِذَا كَانَ لِلْيَدَيْنِ مَصَالُ
كُلُّ شَيْءٍ يَحْتَالُ فِيهِ الرَّجَالُ * غَيْرَ أَنَّ لَيْسَ لِلنَّايَا أَحْتِيَالُ

وقال المُنْخَلُّ الشُّكْرَى :

وَأَحْبَبُّهَا وَتُحِبُّنِي * وَيُحِبُّ نَاقَتَهَا بَعِيرِي

وذكر أعرابيُّ رجلاً فقال : واللهِ لَكَأَتِ القلوبَ والألسنَ رِيضَتُ له ، فما تُعْقَدُ إلا على وُدِّه ، ولا تَنطِقُ إلا بحمده .

قال عبدُ الله بن الزُّبير ذاتَ يومَ : واللهِ لو دِدْتُ أَتَى لي بكلِّ عشرةٍ من أهلِ العراقِ رجلاً من أهلِ الشَّامِ صَرَفَ الدِّينارَ بالدرهمِ ، فقال أبو حَاضِرٍ : مِثْلُنَا وَمِثْلَكَ كما قال الأعشى :

عُلَّقَتْهَا عَرَضًا وَعُلِّقَتْ رَجُلًا * غَيْرِي وَعُلِّقَ أُخْرَى غَيْرَهَا الرَّجُلُ

(١) الطُنْفَسَةُ (مثلثة الطاء والفاء) : البساط الذي له نخل رقيق . (٢) في الأصل : « للوليد بن عتبة » بالناء ، ودون تحريف . وأبو زبيد هو المنذر بن حرملة الطائي كان جاهلياً قديماً وأدرك الإسلام إلا أنه لم يسلم ومات نصرانياً ، وكان من المعمرين وكان نديم الوليد بن عقبة (أنظر كتاب الشعر والشعراء للزُّلف) طبع ليدن ص ١٦٧ (٣) في حاشية البحترى (طبع مدينة ليدن سنة ١٩٠٩) : « ما أقل فعلاً قبال » .

أحبك أهل العراق وأحبت أهل الشام وأحب أهل الشام عبد الملك
آبن مروان .

وقال عمر لأبي مريم السلولي : والله لا أحبك حتى تحب الأرض الدم ، قال :
فتمنني لذلك حقاً ؟ قال : لا ، قال : فلا ضير . وقال عمر أيضاً لرجل هم بطلاق
أمرأته : لِمَ تَطْلُقُهَا ؟ قال : لا أحبها ، قال : أو كل البيوت بُنيت على الحب !
وأين الرعاية والتدبُّم^(١) !

قال أعرابي :

أُحِبُّكَ حُبًّا لَوْ بُلِّيتَ بِبَعْضِهِ * أَصَابَكَ مِنْ وَجَدٍ عَلَى جُنُونٍ^(٢)
لَطِيفٌ مَعَ الْأَحْشَاءِ أَفَانَاهُ * فَسَبَّتُ وَأَمَّا لَيْلُهُ فَأَنِينُ

وكتب رجل إلى صديق له : الله يعلم أنني أحبك لنفسك فوق محبتي إياك
لنفسى ، ولو أنى خُيرت بين أمرين : أحدهما لى وعليك والآخرك وعلى ، لآثرت
المروءة وحسن الأحذوثة بإيثار حظك على حظى ، وإنى أحب وأبغض لك ، وأوالى
وأعادى فيك .

وقال بعضهم : هَوْنٌ فَقْدُ يُقْرِطُ الْحُبَّ فَيَقْتُلُ وَيُقْرِطُ الْغَمَّ فَيَقْتُلُ وَيُقْرِطُ السُّرُورَ^(٣)
فَيَقْتُلُ ، ويفتح القلب للسرور ، ويضيق وينضم للحن والحب .

وقالوا : العشق آسم لما فضّل عن المحبة . وقال بعضهم : العشق مرض
قلب ضَعَفَ^(٤) . وقال بعض الشعراء :

قَمَّ عَلَى مَعْشُوقَةٍ لَا يَزِيدُهَا * إِلَيْهِ بَلَاءُ السَّوِّ الْأَتْحَبِّ

(١) التذم للصاحب : أن يحفظ ذمامه ويطرح عن نفسه ذم الناس له إن لم يحفظه .

(٢) السبت : السكون والراحة . (٣) هَوْنٌ : خفف وأرق ، وفى الأصل : « أهون » .

(٤) هو الأعشى كما فى اللسان مادة « تم » ، ومعنى « تم » أكل وأجهز .

ما يجب للصديق على صديقه

حدَّثنا أحمد بن الحليل قال حدَّثنا عبدُ الله بن موسى عن إسرائيل عن
 ابن إسحاق عن الحارث عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال : قال النبي صلى
 الله عليه وسلم : ^(١) «للمسلم على المسلم خصالٌ ستٌ : يُسَلِّمُ عليه إذا لقيه ، ويُحييه
 إذا دعاه ، ويُسَمِّئُهُ إذا عطس ، ويعودُه إذا مرض ، ويحضرُ جنازته إذا مات ،
 ويُحبُّ له ما يُحبُّ لنفسه» .

قال حدثني شبَّابة قال حدَّثنا القاسم بن الحكم عن إسماعيل بن عياش عن هشام
 ابن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 «أَعِنْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا ، إِنْ كَانَ مَظْلُومًا نَحْنُ لَهُ بِحَقِّهِ وَإِنْ كَانَ ظَالِمًا نَحْنُ لَهُ
 مِنْ نَفْسِهِ» .

وحدثني القومسي ^(٢) قال حدَّثنا أبو بكر الطبري عن عبد الله بن صالح عن معاوية
 ابن صالح عن أبي الزاهرية عن جبير بن بكير قال قال معاذ بن جبل : إذا آخيتَ
 أَخًا فَلَا تَمَارِهِ وَلَا تُشَارِهِ وَلَا تَسْأَلْ عَنْهُ ، فَعَسَى أَنْ تُوَافِقَ عَدُوًّا فَيُخْرِكَ بِمَا لَيْسَ فِيهِ
 فَيُفَرِّقَ بَيْنَكَا .

وقال التَّمِيمُ بْنُ تَوَلِّبٍ فِي هَذَا الْمَعْنَى :

جَرَى اللَّهُ عَنَا حِمْزَةً بَنَةً ^(٤) نَوْفِلٍ * جَزَاءً ^(٥) مُغِلٍّ بِالْأَمَانَةِ كَاذِبٍ
 بِمَا سَأَلَتْ عَنِّي الْوَشَاةَ لِيَكْذِبُوا * عَلَيَّ وَقَدْ وَالَيْتُهَا فِي النَّوَائِبِ

(١) في الجامع الصغير : «للمسلم على المسلم ست بالمعروف : يسلم عليه ...» : (٢) نسبة إلى
 قومس (بضم القاف وفتح الميم) وضبطه الصاغاني بكسر الميم وهو المشهور على الستهم) صقع كبير بين خراسان
 وبلاد الجبل . (٣) لا تماره : لا تتجادله . ولا تشاره : لا تلاحه وتفاضبه . (٤) في الأصل :
 «حمزة ابني نوفل» والتصويب عن اللسان مادة «غل» . (٥) المغل : من الإغلال
 وهو الخيالة .

قال حدثني محمد بن داود [قال] حدثني سعد بن منصور عن جرير عن عبد الحميد عن عنبسة قال قال ابن سيرين : لا تُكْرِمَ أخاك بما يكره ، ولا تحملن كتابا الى أمير حتى تعلم ما فيه .

وكان يقال : يُستحسن الصبر عن كل أحد إلا عن الصديق .

وقال بعض الشعراء :

إذا ضيّقتُ أمرا ضاق جدا * وإن هَوَّنتَ ما قد عزَّ هانا
فلا تهلك بشيءٍ فاتٍ يأسا * فكم أمرٍ تصعب ثم لانا
سأصبر عن رفيقٍ إن جفاني * على كل الأذى إلا الهوانا

وقال ابن المقفع : أبذل لصديقك دَمَكَ ومالك ، ولمعرفتك رِفْدَكَ ومحضرك ،

وللعامةِ بشرٍك وتحتك ، ولعدوك عدلك ، وضمن يديك وعرضك عن كل أحد .

قال أبو اليقظان : ولي خالد بن عبد الله بن أبي بكره قضاء البصرة فجعل يحابي ،

ف قيل له في ذلك ؛ فقال : وما خير رجلٍ لا يقطع لأخيه قطعة من دينه ! .

قالوا : وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على عجوز ، فقال : " إنها كانت

تأتينا أيام خديجة ، وإن حسن العهد من الإيمان " .

قال إبراهيم النخعي : إن المعرفة لتتفع عند الأسد المصور والكلب العقور

فكيف عند الكريم الحبيب ! . وقال الخليل بن أحمد :

وفيت كل صديقٍ ودني ثمتا * إلا المؤمل دُولاتي وأيامي

وقال عمر بن أبي ربيعة في مساعدة الصديق :

وخِلْ كنتُ عين النصح منه * إذا نظرتُ ومُسْتَمِعاً سميعاً

(١) في الكامل للبرد طبع أوروبا ص ١٩٢ ج ١ « سأصبر من ... الخ »

أطاف يَغِيَّةً فَنَهَيْتُ عَنْهَا * وَقُلْتُ لَهُ أَرَى أَمْرًا شَدِيدًا
أَرَدْتُ رِشَادَهُ جُهْدِي فَلَمَّا * أَبَى وَعَصَى أَتَيْنَاهَا جَمِيعًا

وقال بعض الكوفيين :

فَإِنْ يَشْرَبْ أَبُو فَرْوَخَ أَشْرَبْ * وَإِنْ كَانَتْ مُعْتَقَّةً عَقَارًا
وَإِنْ يَأْكُلْ أَبُو فَرْوَخَ آكَلْ * وَإِنْ كَانَتْ خَنَانِيصًا صِغَارًا^(١)

وقال رجل من الأعراب لأخيه له : أما والله رَبُّ يَوْمِ كَتَنُورِ الطَّاهِي رَقَائِصِ
بَشَرَارِهِ ، قَدْ رَمَيْتُ بِنَفْسِي فِي أَحْيَاجِ لَهْبِهِ فَاحْتَمِلْ مِنْهُ مَا أَكْرَهُ لِمَا تُحِبُّ^(٢) .

وأنشد ابن الأعرابي :

أَغْمَضُ لِلصَّدِيقِ عَنِ الْمَسَاوِي * مَخَافَةَ أَنْ أَعِيشَ بِلا صَدِيقٍ

وقال كُثَيْبٌ :

وَمَنْ لَا يَغْمِضُ عَيْنَهُ عَنْ صَدِيقِهِ * وَعَنْ بَعْضِ مَا فِيهِ يَمُتُ وَهُوَ عَاتِبٌ
وَمَنْ يَتَّبِعْ جَاهِدًا كُلَّ عَثْرَةٍ * يَجِدْهَا وَلَا يَسْلَمْ لَهُ الدَّهْرُ صَاحِبٌ

وقال آخر :

إِذَا مَا صَدِيقِي رَأَيْتُ سُوءَ فِعْلِهِ * وَلَمْ يَكْ عَمَّا سَاءَنِي بِمُقِيقٍ
صَبَرْتُ عَلَى أَشْيَاءَ مِنْهُ تَرِيئُنِي * مَخَافَةَ أَنْ أَبْقَى بغير صَدِيقٍ

ومن المشهور في هذا قول النابغة :

وَلَسْتُ بِمُسْتَبْقٍ أَحَا لَا تُلْهُ * عَلَى شَعَثِ أَى الرِّجَالِ الْمَهْدَبُ

(١) الخنايص : جمع خنوص وهو ولد الخنزير . (٢) في الأصل : « لما يحب » بالياء .

وكان يقال : مَنْ لَكَ بِإِخِيكَ كُلِّهِ . وأنشدني الرياشي :

إِقْبَلْ أَخَاكَ بِبَعْضِهِ * قَدْ يُقْبَلُ الْمَعْرُوفُ نَزْرًا
وَأَقْبَلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ ^(١) * إِنْ سَاءَ عَصْرًا سَرَّ عَصْرًا

ونحوه قول الآخر :

أَخٌ لِي كَأَيَّامِ الْحَيَاةِ إِخَاؤُهُ * تَلَوَّنَ أَلْوَانًا عَلَى خُطُوبِهَا
إِذَا عِبْتُ مِنْهُ خَلَّةً فَهَجَرْتُهُ * دَعَتْنِي إِلَيْهِ خَلَّةٌ لَا أَعِيبُهَا

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

إَصْبِرْ إِذَا عَصَبَكَ الزَّمَانُ ، وَمَنْ * أَصْبِرْ عِنْدَ الزَّمَانِ مِنْ رَجُلِهِ
وَلَا تُثْنِ لِلصَّدِيقِ تَكْرِمُهُ ^(٢) * نَفْسَكَ حَتَّى تُعَدَّ مِنْ خَوَلِهِ
يَحْمِلُ أَثْقَالَهِ عَلَيْكَ كَمَا * يَحْمِلُ أَثْقَالَهِ عَلَى جَمَلِهِ
وَلَسْتَ مُسْتَبْقِيًا أَخَاكَ لَا ^(٣) * تَصْفَحْ عَمَّا يَكُونُ مِنْ زَلَلِهِ
لَيْسَ الْفَقِي بِالَّذِي يَحُولُ عَنْ ^(٤) * مَهْدٍ وَيُؤْتِي الصَّدِيقُ مِنْ قِبَلِهِ

وقيل لخالد بن صفوان : أَيَّ إِخْوَانِكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قال : الَّذِي يَغْفِرُ زَلَلِي ،
وَيَقْبَلُ عَلَيَّ وَيَسُدُّ خَلِّي ^(٥) .

وقال بشار :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مَرَارًا عَلَى الْقَدَى * ظَمِئْتَ وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهُ
وقال الحرثي لأبي دلف :

تَمْلِكُ إِنْ كُنْتَ ذَا إِرَابَةٍ * مِنَ الْعَالَمِينَ لَشَيْخٍ وَصِيفٍ ^(٦)

(١) كذا بالأصل ، ولعله : « وأقل أخاك » من إقالته العثرة والصفح عنه . (٢) في حاشية

البعثري : « ولا تثن للصديق تكريمه » . (٣) في الأصل : « فاصفح » . (٤) في الأصل : « الذي » .

(٥) العلل : الأعذار . (٦) كذا ورد بالأصل ، ولم نوفق إليه في مصدر آخر .

الإنصاف في المودة

كان يقال : لا خير لك في صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له .

وقال جرير :

وإني لأستحي أن أرى له ^(١) على من الحق الذي لا يرى لي

وله أيضا ^(٢) :

إذا أنت لم تُصِف أخاك وجدته * على طَرَفِ الهجرانِ إن كان يعقلُ
ويركب حدَّ السيفِ من أن تَضمِّمه * إذا لم يكن عن شفرة السيفِ معدُّ ^(٣)
سَتَقَطُّعُ في الدنيا إذا ما قطعني * يمينك ، فأنظر أيَّ كف تَبَدُّلُ
وقال آخر ^(٤) :

يا ضمير أخبرني ولست بخبري * وأخوك نافِعُك الذي لا يكذبُ
هل في القضية أن إذا استغنيتُ * وأمنيتُ فأنا البعيدُ الأجنبُ
وإذا الشدائدُ بالشدائدِ مرَّة * أشجيتُكم فأنا المحبُّ الأقربُ
عجباً لتلك قضية وإقامتي * فيكم على تلك القضية أعجبُ
ولمَّا لَمْ طيبُ البلادِ ورعيها ^(٥) * ولي الثمادُ ورعيهنَّ المجذبُ

(١) أستحي : آنف . (٢) نسب المؤلف هذا الشعر لجرير ، وفي الحاشية طبع أوربا ص ٥٠٣ .
ومعاهد التنصيص على شواهد التلخيص (طبع بولاق ص ٦٩٤) أنه لمن بن أوس المزني . (٣) في الأصل :
« يعدل » والتصويب عن حماسة البحرى ، وفي حماسة أبي تمام : « مزحل » . (٤) قال في اللسان
مادة « حبس » : « هو طئي بن أحمز الكأني وقيل : هو لزاقة الباهلي » . (٥) ورد هذا البيت
في اللسان مادة « حبس » وشواهد العيني هكذا :

ولجندب سهل البلاد وعنديها * ولي الملاح وخزنته المجذب

ثم قال العيني : « ويروى (ولمَّا لَمْ أنف البلاد ورعيها) ، والمراد بالمال هنا الإبل ، وبالأنف :
ما لم يرع من الثبت ، والرعى : المرعى . وفي الأصل : « ألمالك » وهو تحريف . (٦) الثماد :
جمع تمند (بالفتح) وبالتحريك وهو الماء القليل الذي لا مادة له ، وفي الأصل : « ولي الثمار » بالراء
وهو تحريف .

وإذا تكونُ كريهةً أَدْعَى لها * وإذا يُحاس الحيسُ يُدْعَى جُنْدَبُ
هذا لَعَمْرُكُمْ الصَّغَارُ بَعِينِهِ * لا أُمُّ لِي إِنْ كَانَ ذَاكَ وَلَا أَبُ
وقال ابنُ عُيَيْنَةَ : سئل على كرم الله وجهه عن قول الله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ
بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ) ، فقال : العدلُ : الإنصافُ ، والإحسانُ : التفضلُ .

وقال الشاعر :

صَبَغَتْ أُمِّيَّةٌ فِي الدَّمَاءِ رِمَاحَنَا * وَطَوَتْ أُمِّيَّةٌ دُونَنَا دُنْيَاهَا
ويقال : مَنْ سَنَّ سُنَّةً فَلْيَرَضْ أَنْ يُحَكَّمَ عَلَيْهِ بِهَا ، وَمَنْ سَأَلَ مَسْئَلَةً فَلْيَرَضْ
بِأَنْ يُعْطَى بِقَدْرِ بَذْلِهِ .

وقال أبو العتاهية :

إذا ما لم يكنْ لَكَ حُسْنُ فَهِيْمٍ * أَسَأْتَ إِجَابَةً وَأَسَأْتَ سَمْعًا
وَلَسْتَ الدَّهْرَ مُتَسِعًا بِفَضْلٍ * إذا ما ضِيقَتْ بِالْإِنْصَافِ ذُرْعًا
وقال حمادُ عَجْرَدٍ :

لَيْتَ شَعْرِي أَىَّ حَكَمٍ * قَدْ أَرَأَيْتُمْ تَحْكُمُونَا
أَنْ تَكُونُوا غَيْرَ مُعْطٍ * يَنْ وَأَنْتُمْ تَأْخُذُونَا

وقال آخر :

إِذَا كُنْتَ تَأْتِي الْمَرْءَ تَعْرِفُ حَقَّهُ * وَيَجْهَلُ مِنْكَ الْحَقُّ فَالْتَرِكُ أَجْمَلُ
وَفِي الْعَيْشِ مَنَاجَاةٌ وَفِي الْهَجْرِ رَاحَةٌ * وَفِي الْأَرْضِ عَمَّنْ لَا يُؤَاتِيكَ مَرْحَلُ^(٢)

(١) الحيس : التمر والأفط يدقان ويعجان بجنا شديدا ثم يسوى ذلك كالتريد . وفي الأصل :

« وإذا يجاش الجيش » بالميم والشين ، وهو تحريف . (٢) المرحل : المكان

الذى يرتحل إليه ، ويحتمل أن يكون "مرحل" بالزاي بدل الراء ، والمزحل : المكان الذى ينتقل إليه .

وقال بشار :

إن كنت حاولت هواناً فما * هنت وما في الهون لي من مقام
في الناس أبدالاً ولي مرحل^(١) * عن منزلي ناء ومرمحي وخام^(٢)
لا نائل منك ولا موعد * ولا رسول، فعليك السلام

وقال آخر :

له حق وليس عليه حق * ومهما قال فالحسن الجميل^(٤)
وقد كان الرسول يرى حقوقاً * عليه لغيره وهو الرسول^(٤)
وقال أكم بن صيفي : أحق من يشركك في النعم شركاؤك في المسكاره .
أخذه دُعيل فقال :

وإن أولى البرايا أن تؤاسيه * عند السرور لمن آسالك في الحزن^(٥)
إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا * من كان يالفهم في المنزل الخشين
وأنشد ابن الأعرابي :

فإن آثرت بالود أهل بلادها * على نازح من أهلها لا ألومها
فلا يستوى من لا ترى غير لمة * ومن هو ثاوٍ عندها لا يريمها^(٦)
وقال رجل لبعض السطان : أحق الناس بالإحسان من أحسن الله إليه ،
وأولاهم بالإيناف من بسطت القدرة بين يديه ، فاستدِم ما أوتيت من النعم بتأدية
ما عليك من الحق .

قال المستهمل بن الكيثم لبني العباس :

إذا نحن خفنا في زمان عدوكم * وخفناكم إن البلاء لراكد

- (١) أنظر الحاشية رقم ٢ بالصفحة السابقة . (٢) المرعى الوخام : الذي لا ينتجع كلوه لسوته .
(٣) هو عبد الله بن مصعب الزبيري ويسمى عائذ الكلب - قاله في عبد الله بن حسن بن حسن (انظر
الكامل للبرد طبع أوروبا ص ٣١) . (٤) كذا في الكامل . وفي الأصل : «لأهلها» .
(٥) (انظر العقد الفريد ج ١ ص ٢٢٧) فقد ورد فيه هذا البيت ببعض مخالفة عما هنا .
(٦) الله : المرة من الإلمام ، والإلمام الزيارة غبا - ولا يريمها : لا يفارقها ولا يتحول عنها .

مداراة الناس وحسن الخلق والحوار

قال حدثنا الحسين بن الحسن [قال] حدثنا عبد الله بن المبارك عن وهيب^(١) قال : جاء رجل الى وهب بن منبه فقال : إن الناس قد وقعوا فيما وقعوا فيه ، وقد حدثت نفسي ألا أخاطبهم ، فقال له وهب : لا تفعل ، فإنه لا بد للناس منك ولا بد لك منهم ، لهم إليك حوائج ، ولك إليهم حوائج ، ولكن كن فيهم أصم سميعاً ، وأعمى بصيراً ، وسكوتاً تطوقاً .

قال وحدثنا حسين بن الحسن قال حدثنا عبد الله بن المبارك عن موسى بن علي^(٢) ابن رباح قال : سمعت أبي يحدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : أربع خلال^(٣) إن أعطيتن فلا يضرك ما عدل به عنك من الدنيا : حسن خليفة ، وعفاف طعمة^(٤) ، وصدق حديث ، وحفظ أمانة .

قال : وبلغني عن وكيع عن مسعر عن حبيب بن أبي ثابت عن عبد الله بن باباه قال : قال عبد الله بن مسعود : خالطوا الناس وزايلوهم^(٥) .

عن وكيع عن سفيان عن حبيب بن ميمون قال : قال صعصعة بن صوحان لابن أخيه : إذا لقيت المؤمن نخالطه ، وإذا لقيت الفاجر نخالفه ، وديك فلا تكلمته . قال المسيح صلى الله عليه : «وكن وسطاً وأمس جانباً» .

(١) في الأصل : « فقد » . (٢) كذا ضبطه في تهذيب التهذيب بالتصغير .

(٣) في الأصل : « رباح » بالياء المثناة ، والتصويب عن تهذيب التهذيب . (٤) الطعمة : وجه

الكسب طيباً أو خبيثاً . (٥) كذا في النهاية لابن الأثير . وزايلوهم : فارقوهم . وفي الأصل :

« وزايلوهم » . (٦) كذا في العقد الفريد ، وفي الأصل : « نخالسه » بالصاد ، وخالسه في العشرة :

صافاه . وهذا المعنى وإن صح على الجملة فالخاطلة في هذا المقام أنسب .

وروى أبو معاوية عن الأحموص بن حكيم عن أبي الزاهرية قال قال أبو الدرداء : إِنَّا لَنَكْثِرُ فِي وَجْهِهِ أَقْوَامٌ وَإِنَّا لَنَلْعَنُهُمْ^(١) .

ودخل لبيدة العجلي^(٢) على عمر رضي الله عنه ، فقال له عمر : أَقْتَلْتَ زَيْدًا ؟ فقال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَدْ قَتَلْتُ رَجُلًا يَسْمَى زَيْدًا ، فَإِنْ يَكُنْ أَخَاكَ فَهُوَ الَّذِي أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِيَدِي وَلَمْ يُهَيِّئْ بِهِ ، ثُمَّ لَمْ يَرَّ مِنْ عَمْرٍ بَعْدَ ذَلِكَ مَكْرُوهًا .

قال محمد بن أبي الفضل الهاشمي : قُلْتُ لِأَبِي : لِمَ تَجْلِسُ إِلَى فَلَانٍ وَقَدْ عَرَفْتَ عِدَاوَتَهُ ؟ فَقَالَ : أَخِي نَارًا وَأَقْدَحُ عَنْ وَدٍّ . وَقَالَ الْمَهَاجِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْكِلَابِيُّ : وَإِنِّي لَأَقْصِي الْمَرْءَ مِنْ غَيْرِ بَغْضَاءٍ * وَأَدْنِي أَخَا الْبَغْضَاءِ مِنِّي عَلَى عَمْدٍ لِيُحَدِّثَ وَدًّا بَعْدَ بَغْضَاءٍ أَوْ أَرَى * لَهُ مَضْرَمًا يُرِيدِي بِهِ اللَّهُ مَنْ يُرِيدِي

وقال عقاب بن شبة : كُنْتُ رَدِيفَ أَبِي ، فَلَقِيَهُ جَرِيرٌ عَلَى بَغْلِ خِيَاهُ أَبِي وَالْطَفَةِ ، فَلَمَّا مَضَى قُلْتُ : أَبْعَدَ مَا قَالَ لَنَا مَا قَالَ ! قَالَ : يَا بُنَيَّ ، أَفَأَوْسَعُ جَرْحِي ! .

قال ابن الحنفية : قَدْ يُدْفَعُ بِاحْتِمَالٍ مَكْرُوهٍ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ .

قال الحسن : حُسْنُ السُّؤَالِ نَصْفُ الْعِلْمِ ، وَمُدَارَاةُ النَّاسِ نَصْفُ الْعَقْلِ ، وَالْقَصْدُ فِي الْمَعِيشَةِ نَصْفُ الْمُؤُونَةِ .

مدح ابن شهاب شاعر فاعطاه ، وقال : مِنْ آبَتْنِي الْخَيْرَ اتَّقِ الشَّرَّ .

(١) الكثر : ظهور الأسنان للضحك يقال : كثره اذا ضحك في وجهه وبأسطه . وفي رواية

« وَإِنَّا قُلُوبُنَا لَنَلْعَنُهُمْ » بدل « نلعنهم » . (٢) لم نثر على هذا الاسم وقد راجعنا ترجمة زيد بن

الخطاب في كتاب الطبقات الكبير لابن سعد وفي تهذيب التهذيب لابن حجر ، وفيهما أن زيدا كان يحمل راية المسلمين يوم اليمامة وجعل يشتد بالراية ويتقدم بها في نحر العدو ثم ضارب بسيفه حتى قتل ، وقيل إن قاتله الرجال بن عوفة كما قيل إنه أبو مریم الحنفي .

وفي الحديث المرفوع : "أَوَّلُ مَا يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ الْخَلْقُ الْحَسَنُ" . وقال : إِنَّ
حَسَنَ الْخُلُقِ وَحُسْنَ الْجَوَارِ يُعَمَّرَانِ الدِّيارَ ، وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ . وقال : مَنْ حَسَنَ
اللَّهُ خَلْقَهُ وَخُلُقَهُ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ .

قال الشاعر :

فَتَى إِذَا نَبَّهَتْهُ لَمْ يَغْضَبِ * أبيضُ بَسَامٍ وَإِنْ لَمْ يَعْجَبِ
مُوكِّلُ النَّفْسِ بِحِفْظِ الْغَيْبِ * أَقْصَى رَفِيقِهِ لَهُ كَالْأَجْنِبِ^(١)
وقرأتُ في كتب العجم : حُسْنُ الْخُلُقِ خَيْرُ قَرِينٍ ، وَالْأَدَبُ خَيْرُ مِيرَاثٍ ،
والتَّوْفِيقُ خَيْرُ قَائِدٍ .

وقالت عائشة رضي الله عنها : مَا تُبَالِي الْمَرْأَةُ إِذَا نَزَلَتْ بَيْنَ بَيْتَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ
صَالِحِينَ إِلَّا تَنَزَّلَ مِنْ أَوْيَاهَا .

وقال جعفر بن محمد : حُسْنُ الْجَوَارِ عِمَارَةٌ لِلدَّارِ ، وَصَدَقَةُ السَّرِّ مَثْرَاءٌ لِلْمَالِ .
وقال عبد الله بن عمرو بن العاص : ثَلَاثَةٌ مِنْ قَرِيشٍ أَحْسَنُهَا أَخْلَاقًا وَأَصْبَحُهَا
وَجُوهَا وَأَشَدُّهَا حَيَاءً ، إِنْ حَدَّثُوكَ لَمْ يَكْذِبُوكَ ، وَإِنْ حَدَّثْتَهُمْ بِحَقٍّ أَوْ بَاطِلٍ لَمْ يُكْذِبُوكَ :
أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ ، وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .
وقال يزيد بن الطَّحْتِيَّةِ :

وَأَبْيَضَ مِثْلَ السَّيْفِ خَادِمٌ رُفْقِي * أَشْمُ تَرَى سِرْبَالَهُ قَدْ تَقَدَّدَا^(٢)
كَرِيمٍ عَلَى عِلَاتِهِ لَوْ تَسُبُّهُ * لَفَدَاكَ رِسَالًا لَا تَرَاهُ مُرَبَّدَا^(٣)
يُجِيبُ بِلَبِّهِ إِذَا مَا دَعَوْتَهُ * وَيَحْسِبُ مَا يُدْعَى لَهُ الدَّهْرُ أَرْشَدَا^(٤)

(١) لعله : « كالأقرب » ليستقيم المعنى . (٢) تقدد : تقطع وبلى . (٣) في الشعر والشعراء :

« غزاة » . (٤) مربد : متغير الوجه من الغضب . (٥) كذا بالأصل ، والأصل في هذه
الكلمة أن تصاف إلى ضمير المخاطب (انظر شرح الأشئوبى على الألفية في باب الإضافة) .

وقرأت في كتاب للهند : مَنْ تَزَوَّدَ نَحْسًا بَلَغَتْهُ وَأَنْتَسَتْهُ : كَفَّ الْأَذَى ، وَحَسُنُ
الْخُلُقِ ، وَجَانِبَةُ الرَّيْبِ ، وَالتَّبَلُّ فِي الْعَمَلِ ، وَحَسُنُ الْأَدَبِ .
وقال المزار في مداراة القرابة :

أَلَا إِنَّمَا الْمَوْلَى كَعِظَمِ جَبَرَّتِهِ * فَلَا يَحْرِقُ الْمَوْلَى وَلَا جَابِرُ الْعَظِيمِ
وقال آخر في مداراة الناس :

وَأَنْزَلَنِي طَوْلُ النَّوَى دَارَ غُرْبَةٍ * إِذَا شِئْتُ لَا قِيَتْ أَمْرًا لَا أَشَاكُهُ
خَافَقَتُهُ حَتَّى يُقَالَ سَجِيَّةٌ * وَلَوْ كَانَ ذَا عَقْلٍ لَكُنْتُ أَعَاقِلُهُ
وقال بشار :

خَالِي - إِنْ الْعَسْرُ سَوْفَ يُفِيقُ * وَإِنْ يَسَارًا فِي غَيْدٍ نَخْلِقُ
وَمَا أَنَا إِلَّا كَالزَّمَانِ إِذَا صَحَا * صَحَّوتُ وَإِنْ مَاتَ الزَّمَانُ أَمُوقُ

التلاقي والزيارة

حدثنا محمد بن عبيد قال حدثنا الفضل بن دكين عن طلحة بن عمر عن عطاء
عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « زُرْ غَيًّا تَزِدُّ حُبًّا » .
وقال الأصمعي : دخل حبيب بن سويد على جعفر بن سليمان بالمدينة ؛ فقال
جعفر : حبيب بن سويد وأد الصديق ، حَسَنُ الثَّنَاءِ ، يَكْرَهُ الزِّيَارَةَ الْمُعْلَمَةَ ، وَالْقَعْدَةَ
الْمُنْسِيَةَ .

وقرأت في كتاب للهند : ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ تَزِيدُ فِي الْأَنْسِ وَالثَّقَةِ : الزِّيَارَةُ فِي الرَّحْلِ ،
وَالْمُؤَاكَلَةُ ، وَمَعْرِفَةُ الْأَهْلِ وَالْحَشَمِ .

وقال الطائي :

وَحَظُّكَ لَيْقِيَّةٌ فِي كُلِّ عَامٍ ■ مُوَافَقَةٌ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ

(١) الرجل : منزل الرجل ومسكنه وبيته ، يقال : دخلت على الرجل رحله أى منزله .

قال أخبرنا إسحاق بن إبراهيم الصواف عن موسى بن يعقوب السدوسي عن أبي السنان عن عثمان بن أبي سودة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخَاهُ نَادَاهُ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ : أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مِمَّا لَكَ تَبَوَّاتٌ مِنَ الْجَنَّةِ مِثْلًا".

كتب رجل الى صديق له : مَثَلْنَا ، أَعَزَّكَ اللَّهُ ، فِي قُرْبِ تَجَاوُرِنَا وَبُعْدِ تَزَاوُرِنَا .
ما قال الأول :

ما أَقْرَبَ الدَّارَ وَالْجَوَارِ وَمَا * أَبْعَدَ مَعَ قُرْبِنَا تَلَاقِنَا
وَكُلَّ غَفْلَةٍ مِنْكَ عَمَلَةٌ ، وَكُلَّ جَفْوَةٍ مَغْفُورَةٌ ، لِلشَّغْفِ بِكَ ، وَالشَّقَةِ بِحَسَنِ نَيْتِكَ ، وَسَاخِذُ بِقَوْلِ أَبِي قَيْسٍ :

وَيُكْرِمُهَا جَارَاتُهَا فَيُزَرِّنَهَا * وَتَعْتَلُّ عَنْ إِتْيَانِهِنَّ فَتَعْذُرُ

وقالت أعرابية :

فَلَا تَحْمَدُونِي فِي الزِّيَارَةِ إِنِّي * أَزُورُكُمْ إِذْ لَمْ أَجِدْ مَتَعَلًّا

وكتب رجل الى صديق له يستريه : طَالَ الْعَهْدُ بِالْاجْتِمَاعِ حَتَّى كِدْنَا نَتَنَاكُرُ عِنْدَ التَّلَاقِ ، وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ لِلْسَّرُورِ نِظَامًا ، وَلِلْأُنْسِ تِمَامًا ، وَجَعَلَ الْمَشَاهِدَ مُوَحِّشَةً إِذْ خَلَّتْ مِنْكَ .

وقال سهل بن هارون :

وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا أَنْ تَطُولَ بَنَائِلُ * وَإِلَّا لِقَاءُ الْمَرْءِ ذِي الْخُلُقِ الْعَالِي

(١) هو أبو قيس بن الأسلت والأسلت ، لقب أبيه ، واسمه عامر بن جشم بن وائل الخ (أنظر الأغاني

ج ١٥ طبع بولاق) . (٢) كذا في خزائن الأدب للبغدادي ج ٢ ص ٤٨ والأغاني ج ١٥

ص ١٦٦ طبع بولاق ، وفي الأصل «و يكرمها» باثبات النون وهي لغة رديئة .

وقال بشار :

تَسْقُطُ الطَّيْرُ حَيْثُ تَلْتَقِطُ^(١) الْحَبَّ * وَتُغْشَى مَنَازِلُ الْكُرَمَاءِ
قال رجل لصديق له : قد تصدّيتُ للقائك غيرَ مرّةٍ فلم يُقَضْ ذلك ، فقال له
الآخر : كلُّ يَرْتَأِيهِ فَأَنْتَ تَأْتِي عَلَيْهِ .

قال ابن الأعرابي :

وَأُرِي إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي مِنْ وَرَائِكُمْ * لَتَرْجِعَنِي يَوْمًا عَلَيْكَ الْوَاجِعُ
وقال آخر :

رَأَيْتُ أَخَا الدُّنْيَا وَإِنْ بَاتَ آمِنًا * عَلَى سَفِيرٍ يُسَرِّي بِهِ وَهُوَ لَا يَدْرِي
تَثَاقَلْتُ إِلَّا عَنْ يَدٍ أَسْتَفِيدُهَا * وَزَوْرَةَ ذِي وَدٍّ أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي

وقال آخر :

أَزُورُ مُحَمَّدًا وَإِذَا التَّقِينَا * تَكَلَّمَتِ الضَّمَاثُ فِي الصَّدُورِ
فَارْجِعْ لَمْ أَلْمَسْهُ وَلَمْ يَلْمَنِي * وَقَدْ رَضِيَ الضَّمِيرُ عَنِ الضَّمِيرِ
كَانَ سَفِيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ يَقُولُ : لَا تَعَفُّوْا الْأَقْدَامَ إِلَّا إِلَى أَقْدَارِهَا ، وَأَنْشَدَ :
نَضَعُ الزِّيَارَةَ حَيْثُ لَا يُزْرَى بِنَا^(٢) * شَرَفَ الْمُلُوكِ وَلَا تَخِيبُ الزُّورُ
وَكَانَ يُقَالُ : أَمِشْ مِيلًا وَعُدْ مَرِيضًا ، وَأَمِشْ مِيلَيْنِ وَأَصْلِحْ بَيْنَ اثْنَيْنِ ، وَأَمِشْ
ثَلَاثَةَ أَمْيَالٍ وَزُرْ أَخَا فِي اللَّهِ .

وقال بعض المحدثين :

إِذَا شِئْتَ أَنْ تُقْلَى فَزُرْ مُتَابِعًا * وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَرْدَادَ حُبًّا فَزُرْ غَبًّا

(١) الذي في الأغاني في ترجمة بشار : « يَلْتَقِطُ الْحَبَّ » .

(٢) في الأصل : « يضع »

الزباري وهو تحريف .

وقال آخر :

أَقْلِلْ زيارَتَكَ الصَّدِيقِ * قَيِّرْ يارَكَ كالثوبِ اسْتَجِدْهُ^(١)
إِنَّ الصَّدِيقَ يُمِلُّهُ * أَلَّا يَزَالَ يارَكَ عِنْدَهُ

قال رجل لصديق له : ما أخلو وإن كان اللقاء قليلا من سؤالٍ أو مطالعةٍ
لك ، فقلبي يقوم مقام العيان .

وقال آخر لصديق له : قد جمعنا وإياك أحوال لا يُزِرِي بها بعدُ اللقاء ولا يُجِلُّ
بها تَنَازُحُ الديار .

وقال آخر : لولا ما في بَدِيهِ اللِّقَاءِ مِنَ الحَيَرَةِ والتَّعَرُّضِ بِهِ قَبْلَ مَعْرِفَةِ العَيْنِ
لِجَفْوَةٍ ، لَمْ أَتَوَقَّفْ عَلَى مُطَالَعَةٍ حَتَّى أَصِيرَ إِلَيْكَ .

وقال الشاعر :

وَمَالِي وَجْهٌ فِي اللِّثَامِ وَلَا يَدٌ * وَلَكِنْ وَجْهِي فِي الْكِرَامِ عَرِيضُ
أَصْحَى إِذَا لَاقَيْتُهُمْ وَكَأَنِّي * إِذَا أَنَا لَاقَيْتُ اللِّثَامَ مَرِيضُ

وقال علي بن الجهم :

أَبْلِغْ أَخَا مَا تَوَلَّى اللَّهُ صَحْبَتَنَا * أَنِّي وَإِنْ كُنْتُ لَا أَلْقَاهُ أَلْقَاهُ
وَأَنْ طَرَفِي مَوْصُولٌ بِرُؤْيَيْهِ * وَإِنْ تَبَاعَدَ عَن مَثْوَايَ مَثْوَاهُ
اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَسْتُ أَذْكَرُهُ * وَكَيْفَ أَذْكَرُهُ إِذْ لَسْتُ أَنْسَاهُ

(١) كذا في نهاية الأرب ج ٢ ص ٢٥٨ طبع دار الكتب المصرية ، وقد نسب فيه هذا الشعر لمسلم بن

الوليد وفي الأصل : « تكن كثوب تستجده » .

المعاتبة والتجنى

قال حدثنا محمد بن داود عن المضاء عن فرج بن فضالة عن لقمان بن عامر قال قال أبو الذرداء : معاتبة الأخ خير من فقهه ، ومن لك بأخيك كله ! .
وكان يقال : التجنى وافد الصرم .

وقرأت في الإنجيل : إن ظلمك أخوك فأذهب فعاتبه فيما بينك وبينه ، فإن أطاعك فقد ربح وأخاك وإن هو لم يطعك فاستبج رجلاً أو رجلين يشهدان ذلك الكلام ، فإن لم يستمع فإنه أمره إلى أهل البيعة ^(١) ، فإن لم يستمع من أهل البيعة فليكن عندك كصاحب المكس .

وقال ابن أبي قتي :

إذا كنت تغضب من غير ذنب * وتعتب من غير جرم علياً
طلبت رضاك فإن عزني * عددتك ميتاً وإن كنت حياً
قنعت وإن كنت ذا حاجة * فأصبحت من أكثر الناس شيئاً
فلا تعجب بما في يديك * فاكثر منه الذي في يدياً

وقال أبو نهشل يعاتب صديقاً له :

عدلت عن الرحاب إلى المضيق * وزرت البيت من غير الطريق
ونظمت عند طاعتك الموالى * وليس الظلم من فعل الصديق
تجود بفضل عدلك للأقاصى * وتمنعه من الخلل الشفيق
أما والراقصات بذات عرق ^(٢) * ورب البيت والركن الوثيق ^(٣)
لقد أطلقت لي شهماً أراها * ستحملي على مضمض العقوق

(١) البيعة : (بالكسر) متعبد النصارى . (٢) الراقصات : النوق ، لأنها ترقص في خبيها .
(٣) ذات عرق : مهل أهل العراق وهو الحد بين نجد وتهامة .

وقال آخر :

فدع العتاب فربَّ شرِّ هاجٍ أولُهُ العتابُ

وقال الجعدي :

وكان الخليل إذا راينى * فعاتبته ثم لم يُعتب^(١)

هَوَاىَ له وهَوَاىَ قَلْبِه * سوى وما ذاك بالأصوب

فإنى جرىء على صُرْمِه * إذا ما القرينة لم تُصِحِب^(٢)

قال رجل لصديق له يعاتبه : ما أشكوك إلا اليك ، ولا أستبطئك إلا لك ،
ولا أستزيدك إلا بك ، فأنا منتظرٌ واحدةً من آنتين : عتبي تكون منك ، أو عقتي
الغنى عنك .

وقال آخر : قد حميت جانبَ الأمل فيك وقطعتُ الرجاء لك ، وقد أسلمنى
اليأس منك الى العزاء عنك ، فإن نزعْتَ من الآن فصفحاً لا تثريب فيه ، وإن
تصاديت فهجر لا وصل بعده .

وقال بعض الشعراء :

ولا خيرَ فى قُرْبى لغيرك نفعُها * ولا فى صديق لا تزالُ تُعَاتِبُهُ

يخونك ذو القربى مراراً ورتماً * وفى لك عند الجهد من لا تُناسِبُهُ

وقال آخر وهو أوس بن حجر :

وقد أعتبُ ابنَ العمِّ إن كان ظالماً * وأغفرُ عنه الجهلَ إن كان أجهلاً

وكتب رجل الى صديق له : الحال بيننا تحتلُّ الدَّالة ، وتوجبُ الأنسَ والثَّقة ،

وتبسُّطُ اللسانِ بالاستزادة .

(١) أى لم يَرْضَ ، من أعتب الرجل صاحبه إذا أرضاه . (٢) القرينة هنا : النفس ،
وأصحبت : انقادت .

وكتب رجل آخر إلى صديق له : قد جعلك الله من يحتمل الدَّالة الكبيرة
لدى الحرمة اليسيرة، ورفعك عن أن تبلغ استراحة المستريد بعنف الحمية .
والعرب تقول لمن عُوتِب فلم يُعْتَب : « لك العُتْبى بأن لا رَضِيت »^(١) .

ونحوه قول بشر بن أبي خازم :

غَضِبْتَ تَمِّمُ أَنْ تُقَتِّلَ عَامِرٌ ۖ يَوْمَ النَّسَارِ فَأَعْتَبُوا بِالصَّيْلِمِ^(٢)

وقال أوس بن حارثة لابنه : العتاب قبل العقاب . وهذا نحو قول الآخر :
ليكن إيقاعك بعد وعيدك، ووعيدك بعد وعدك .

وقال إياس بن معاوية : خرجت في سفر ومعى رجل من الأعراب، فلما كان
ببعض المناهل لقيه ابن عم له فتعانقا وتعتبا وإلى جانبيهما شيخ من الحنابلة، فقال لهما
الشيخ : أنعماً عيشاً، إن المعاتبة تبعث التجنى، والتجنى يبعث الخصامة، والخصامة
تبعث العداوة، ولا خير في شيء ثمرته العداوة، فقلت للشيخ : من أنت ؟ قال :
أنا ابن تجربة الدهر ومن بلا ثلوثه، فقلت له : ما أفادك الدهر ؟ قال : العلم به،
قلت : فماذا رأيت أحمد ؟ قال : أن يبقى المرء أحدىة حسنة بعده، قال : فلم أبرح
ذلك الماء حتى هلك الشيخ وصليت عليه .

وقال رجل لصديق له : أنا أبقي على مودتك من عارض يغيره وعتاب يقدح^(٣)
فيه، وأؤمل نائياً من رأيك يغني عن اقتضائك .

(١) أى أن إعتابى إياك بقولك لك « لا رَضِيت » على وجه الدعاء أى لا رَضِيت أبداً .

(٢) يوم النصار : ذكره أبو عبيدة فقال : محالفت أسد وطي وغطفان ففروا بنى عامر فقاتلوهم قتالا
شديداً فغضبت بنو تميم لقتل بنى عامر فتجمعوا وحلفاءهم يوم الفجار فقتلوا طيئاً أشد ما قتلت عامراً يوم

النصار . والصيلم : السيف . (٣) لعله ذكر الضمير باعتبار أن مرجعه الود .

وقرأت في كتاب العتابي : تأتينا إفاقتك من سكر غفلتك، وترقبنا أنتباهك من وسن رقدتك، وصبرنا على تجرع الغيظ فيك حتى بان لنا اليأس من خيرك، وكشف لنا الصبر عن وجه الغلظ فيك، فها نحن قد عرفناك حق معرفتك في تعديك لطويل حق من غلظ في اختيارك .

وقال الشاعر :

فأيُّهما يا لَيْلَ إنْ تَفْعَلِي بنا * فَأَحْرَمَهُجُورٍ وَأَوَّلُ مُعْتَبِ

وكتب محمد بن عبد الملك الى الحسن بن وهب : يجب على المرءوس اذا تجاوز به الرئيس حق مرتبته بعمله * وكان تفضيله إنما وقع له بخفته على القلب ومحلّه من الأدب ، أن يقابل ذلك بمثله إن كان مُحامياً على محلّه ، وإلا فلن يؤمنَ عليه . معنى بيت شريح :

فإني رأيتُ الحبَّ في الصِّدر والأذى * اذا اجتمعا لم يلبث الحبُّ يذهبُ

باب الوداع

قال حدثني محمد بن خالد بن خدّاش قال حدّثنا مسلم حدّثنا سلم بن قتيبة عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن يزيد بن أمية عن نافع عن ابن عمر : أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا ودّع رجلاً "أَسْتَوْدِعُ اللهَ دِينَكَ وَأَمَانَتَكَ وَخَوَاتِمَ عَمَلِكَ وَآخِرَ عَمْرِكَ" .

قال وحدثني محمد بن عبد العزيز قال حدّثنا مسلم بن إبراهيم عن سعيد بن أبي كعب الأزدي عن موسى بن ميسرة عن أنس بن مالك : أن رجلاً أتى النبيَّ

(١) كذا في تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني والخلاصة في أسماء الرجال للخرزجى فيمن اسمه إبراهيم .

وفي الأصل : « إبراهيم بن عبد الرحمن عن زيد بن أمية » وهو تحريف . (٢) ذكر هذا الحديث في الجامع الصغير ج ١ ص ١٠٠ ولم تذكر فيه هذه الجملة الأخيرة .

صلى الله عليه وسلم فقال : إِنِّي أُرِيدُ سَفَرًا غَدًا فَقَالَ " فِي حِفْظِ اللَّهِ وَكَفَايَةِ زُودِكَ اللَّهُ
التَّقْوَى وَغَفَرَ ذَنْبَكَ وَوَجَّهَكَ لِلْخَيْرِ حَيْثُ كُنْتَ " .

المُعْتَمِرُ عَنْ إِيَّاسِ بْنِ دَغْفَلٍ قَالَ : رَأَيْتُ الْحَسَنَ وَدَّعَ رَجُلًا وَعَيْنَاهُ تَهْمِلَانِ
وَهُوَ يَقُولُ :

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا هَكَذَا فَأَصْطَبِرْ لَهُ * رَزِيئَةُ مَالٍ أَوْ فِرَاقُ حَبِيبٍ

قَالَ وَوَدَّعَ رَجُلٌ صَدِيقًا لَهُ وَهُوَ يَقُولُ :

وَدَاعُكَ مِثْلُ وَدَاعِ الرَّبِيعِ * وَفَقْدُكَ مِثْلُ آفْتِقَادِ الدِّيمِ^(١)
عَلَيْكَ السَّلَامُ فَكَمْ مِنْ وَفَاءٍ * نَفَارِقُهُ مِنْكَ أَوْ مِنْ كَرَمٍ

وَقَالَ الطَّائِيُّ :

بَيْنَ الْبَيْنِ فَقَدَهَا، قَلْبًا تَع * رِفُفٌ فَقَدَا لِلشَّمْسِ حَتَّى تَغِيْبَا

وَقَالَ جَرِيرٌ :

يَا أُخْتَ نَاجِيَةِ السَّلَامِ عَلَيْكُمْ * قَبْلَ الرَّحِيلِ وَقَبْلَ لَوْنِ الْعُدْلِ
لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ آخِرَ عَهْدِكُمْ * يَوْمَ الرَّحِيلِ فَعَلْتُ مَا لَمْ أَفْعَلِ
أَوْ كُنْتُ أَرْهَبُ وَشَكَّ بَيْنَ عَاجِلٍ * لَقِنِعْتُ أَوْ لَسَّالْتُ مَا لَمْ يُسَّالِ

وَبَلَغَنِي عَنْ بَكْرِ الْمَازِنِيِّ أَنَّهُ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى الْوَائِقِ حِينَ أَمْرٍ بِجَعْلِي ، فَقَالَ لِي :
مَا أَسْمُكَ ؟ فَقُلْتُ : بَكْرٌ ، قَالَ : مَنْ خَلَّفْتَ وَرَاءَكَ ، قُلْتُ : بَنِيَّةٌ^(٢) ، قَالَ : مَا قَالَتْ
عِنْدَ وَدَاعِكَ ؟ قُلْتُ : قَالَتْ :

إِذَا غَبَتَ عَنَّا وَخَلَقْتَنَا * فَإِنَّا سُوءٌ وَمَنْ قَدِ يَمُوتُ

(١) الدِّيمُ : جَمْعُ دِيمَةٍ وَهِيَ مَطَرٌ يَدُومُ فِي سَكُونٍ بِلَا رَعْدٍ وَلَا بَرْقٍ . (٢) فِي الْأَصْلِ : « قَالَ » .

أَبَانَا فَلَا رِمَتْ مِنْ عِنْدَنَا * فَإِنَا بِخَيْرٍ إِذَا لَمْ تَرَمْ^(١)
أَبَانَا إِذَا أَضْمَرْتَكَ الْبِلَا * دُنْجَفَى وَتُقَطَّعُ مِنَّا الرَّحْمُ^(٢)

قال : فما قلتَ لها أنتَ ؟ قال : قلت ما قال جرير :

ثِقَى بِاللَّهِ لَيْسَ لَهُ شَرِيكَ * وَمِنْ عِنْدِ الْخَلِيفَةِ بِالنَّجَاحِ

كان لبني عُقَيْلٍ عَبْدٌ رَضِيعٌ بِلَبَّانٍ بَعْضُهُمْ فَبَاعُوهُ ، فَقَالَ حِينَ شَخَّصَ بِهِ مَوَالِيَهُ
شِعْرًا :

أَشَوْقًا وَلَمْ يَمُضْ بِي غَيْرَ لَيْلَةٍ * فَكَيْفَ إِذَا سَارَ الْمَطِيُّ بَنَى شَهْرًا^(٣)

وقال مسلمُ بنُ الوليد :

وَلَمَّا نَى وَإِسْمَاعِيلَ عِنْدَ وَدَاعِهِ * لَكَالْغَمْدِ يَوْمَ الرُّوْعِ زَايِلَهُ النَّصْلُ

فَإِنْ أَغْشَى قَوْمًا بَعْدَهُمْ وَأَزْوَرَهُمْ * فَكَالْوَحْشِ يُذْنِبُهَا مِنَ الْإِنْسِ الْمَحْلُ^(٤)

وقال آخرُ عند توديعه :

عَجِبْتُ لَتَطْوِيحِ النَّوَى مَنْ يُحِبُّهُ * وَتَدْنُو بَيْنَ لَا يُسْتَلَدُّ لَهُ قُرْبُ

وقال آخر :

مَالَتْ تُودَعْنِي وَالْقَلْبُ يَغْلِبُهَا * كَمَا يَمِيلُ نَسِيمُ الرِّيحِ بِالْفُصْنِ

ثُمَّ أَسْتَمَرَّتْ وَقَالَتْ وَهِيَ بَاكِئَةٌ * يَا لَيْتَ مَعْرِفَتِي إِيَّاكَ لَمْ تَكُنْ^(٥)

وقال آخرُ لرجلٍ ودَّعه : بَقِيَ عَلَيْنَا أَنْ نَكُفَّ مِنْ غَرْبِ الشُّؤْنِ ، وَنَسْتَعِينَ عَلَى

فُرْقَةِ الْوَحْشَةِ بِالْكِتَبِ ، فَإِنَّمَا أَلْسُنُ نَاطِقَةٌ ، وَعَيُونُ رَامِقَةٌ .

(١) يقال : مارمت من عند فلان أى ما برحت . (٢) الذى فى اللسان مادة «ضمير» :

أرانا اذا أضمرتلك الخ بدل «أبانا» . وقال : وأضمرته الأرض غيبته إما بموت أو سفر .

(٣) الرواية المشهورة : أشوقا ولم يمض لى غير ليلة * فكيف اذا خب المطى بنا عشرا

(٤) الأنس : الإنسان . (٥) الغرب : مسيل الدمع ، والشؤون : الدموع .

وقال البُحرى :

اللهُ جَارُكَ فِي أَنْطِلَاقِكَ * تِلْقَاءَ شَامِكَ أَوْ عِرَاقِكَ
لَا تَعْدُلْنِي فِي مَسِيرٍ ■ بَرَى يَوْمَ سِرْتٍ وَلَمْ أَلَاكَ
إِنِّي خَشِيتُ مَوَاقِفًا * لِلْبَيْنِ تَسْفِخُ غَرْبَ مَا فَكَ
وَعَلِمْتُ مَا يَلْقَى الْمَوَدَّعُ عِنْدَ ضَمِّكَ ^(١) وَأَعْتِنَاكَ
فَتَرَكْتُ ذَاكَ تَعَمُّدًا * وَخَرَجْتُ أَهْرَبُ مِنْ فِرَاقِكَ

الهدايا

قال حدثنا يزيد بن عمرو قال حدثنا عمير بن عمران قال حدثنا الحارث بن عتبة
عن العلاء بن كَثِيرٍ عن مكحول قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "تَصَاحَقُوا
فَإِنَّ الْمَصَاحِفَةَ تُذْهِبُ غُلَّ الصُّدُورِ، وَتَهَادُّوْا فَإِنَّ الْهَدِيَّةَ تَذْهَبُ بِالسَّخِيمَةِ" ^(٢) . ١٠

وحدثني أبو الخطاب قال حدثنا بشر بن المفضل عن يونس عن الحسن قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لَوْ أُهْدِيَتْ لِي ذِرَاعٌ لَقَبِلْتُ، وَلَوْ دُعِيْتُ إِلَى كُرَاعٍ ^(٣)
لَأَجَبْتُ" ^(٤) .

وفي حديث آخر : "تَهَادُّوا تَحَابُّوا فَإِنَّ الْهَدِيَّةَ تَفْتَحُ الْبَابَ الْمُصْمِتَ ^(٥) وَتَسْلُ
سَخِيمَةَ الْقَلْبِ" . ١٥

قال حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله عن الأصمعي قال : سَمِعْتُ نَافِعًا يَحْدِثُ
قال : كَانَ ابْنُ عَمْرِو يَقُولُ : الْهَدَايَا مِنْ أَمْرَاءِ الْفِتْنَةِ .

(١) كذا في ديوان البُحرى . وفي الأصل : « شَمِّكَ » . (٢) السخيمة : الضغينة والحقد .
(٣) كذا في الأصل والمحسن والأضداد ص ٣٦٦ ؛ وقد ورد هذا الحديث في البخاري ج ٣ ص ١٥٤
هكذا : "لَوْ دُعِيْتُ إِلَى ذِرَاعٍ أَوْ كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ وَلَوْ أُهْدِيَ لِي ذِرَاعٌ أَوْ كُرَاعٍ لَقَبِلْتُ" . (٤) الكراع
بالضم : يد الشاة . (٥) المصمت : المغلق .

وروى الزبير بن بكار عن عمه قال : كان الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة
يجلس وعمرو بن عبيد الله بن صفوان ، ما يكادان يفترقان ، وكان عمرو يبعث^(١) الى
الحارث في كل يوم بقرية من ألبان إبله ، فاختلف ما بينهما فأتى عمرو أهله [فقال^(٢)]:
لا تبعثوا للحارث باللبن فإننا لا نأمن أن يرده علينا ، وأقلب الحارث الى أهله فقال :
هل أتاكم اللبن ؟ قالوا : لا ، فلما راح الحارث^(٣) بعمره قال : يا هذا لا تجمع علينا الهجر^(٤)
وحبس اللبن ، فقال : أما اذ قلت هذا فلا يحملها اليك غيري ، فحملها من ردم^(٥) بنى جمع
الى أجياد^(٥) .

وبعث النضر بن الحارث الى صديق له يسكن عبادان^(٦) بنعلين مخصوفتين وكتب
اليه : بعثت اليك بهما وأنا أعلم أن بك عنهما غنى ، ولكني أحببت أن تعلم أنك
منى على ذكر^(٦) .

١٠

وقال بعض الشعراء :

إن الهدية حلوة * كالتحريج تجلب القلوباً
تدني البغيض من الهوى * حتى تصيره قريباً
وتعيد مضطجع العدا * وة بعد نفرتة حبيباً

أهدى رجل إلى صديق له عبداً أسوداً ، فكتب إليه : أما بعد ، فلو علمت
عدداً أقل من واحد أو لونا شراً من الأسود لبعثت به إلى . وهذا نظير قول الآخر

(١) زيادة يقتضها السياق . (٢) في الأصل : « فقال » . (٣) في الأصل :
« لا » . (٤) ردم بنى جمع : موضع بمكة سمي بذلك لوقعة كانت فيه بين بنى جمع بن عمرو
وبن محارب بن فهر ردم فيه كثير من بنى جمع . (٥) أجياد : موضع بمكة . يلى الصفا ، واختلف
في سبب تسميته بهذا الاسم فقيل : سمي بذلك لأن تبعاً لما قدم مكة ربط خيله فيه ، وقيل غير ذلك .
(٦) عبادان (فتح العين وتشديد الباء) : جزيرة أحاط بها شعبتا دجلة ساكنتين في بحر فارس .

٢٠

وقد سُئِلَ كم لك من الولد ؟ قال : خبيثٌ قليل ؛ قيل : وكيف ؟ فقال : لا أقل من واحد ولا أخبت من بنت .
أهدى رجلٌ إلى بعض الأمراء هديةً ، فكتب إليه الأميرُ : قد قبلتها بالموقع ورددتها بالإبقاء .

وكان ابن عباس يقول : مَنْ أهديت إليه هديةً وعنده قومٌ فهم شركاؤه فيها ؛ فأهدى إليه صديقٌ ثياباً من ثياب مصر وعنده أقوامٌ فأمر برفعها ، فقال له رجل : ألم تُخبرنا أن مَنْ أهديت له هديةً وعنده قومٌ فهم شركاؤه فيها ؟ فقال : إنما ذلك فيما يؤكل ويشرب ويشم ، فأما في ثياب مصر فلا .
وقال خلف الأحمر :

أتاني أخٌ من غيبةٍ كان غابها * وكنتُ إذا ما غاب أنشدَه رَجَاً
بجاء بمعروفٍ كثيرٍ فدسَه * كجَدَسٍ راعى السَّوءَ في حِفْضِه الوَطْأَ^(٢)
فقلت له هل جئتني بهديةً * فقال بنفسى قلت أتحف بها الكلبا
هي النفسُ لا أرى لها [من] بليةٍ^(٣) * ولا أتمنى أن رأيتُ لها قُرباً
أهدى رجلٌ إلى صديقٍ له وكتب إليه : الأُنسُ سهلٌ سبيلُ الملاحظة ، فأهديتُ
هديةً من لا يَحْتَسِمُ ، إلى من لا يَغْتَمُ .

وحدثنا أحمد بن الخليل قال حدثنا أبو سلمة عن حُبابة بنت عجلان عن أمها
أم حفص عن صفية بنت جرير عن أم حكيم بنت وداع الخزاعية قالت : قلت
للنبي صلى الله عليه وسلم : ما جزاءُ الغنيِّ من الفقير ؟ قال : ” النصيحة والدعاء ”

(١) نشده : مزفه وسأل عنه . (٢) الوطب : سقاء اللبن . (٣) تكملة يقتضيا

قلت : يُكره ردُّ اللَّطْفِ ؟ ^(١) قال : " ما أَقْبَحَهُ ، لو أُهْدِيَتْ إلى ذِرَاعٍ لَقَبِلْتُ ، ولو دُعِيْتُ إلى كُرَاعٍ لأَجَبْتُ ، تهادَوْا فإنه يُضْعِفُ الْحُبَّ وَيَذْهَبُ بِغَوَائِلِ الْقُلُوبِ " .

وحدثني محمد بن سلام الجُمَحِيُّ قال حدثني خُلاَّد بن يزيد الباهلي قال :
أُهِدِيْتُ ليزيد بن عمر بن هُبَيْرَةَ في يومِ المِهْرَجَانِ هدايا وهو أمير العراق فصُفَّت بين يديه ، فقال خلف بن خليفة وكان حاضرا :

كَأَنَّ شَمَامِيْسَ فِي بَيْعَةٍ * تَسْبَحُ فِي بَعْضِ عِيْدَاتِهَا
وَقَدْ حَضَرَتْ رَسْلُ المِهْرَجَا * نِ وَصَفُّوا كَرِيْمَ هِدَايَاتِهَا
عَلَوْتُ بِرَأْسِي فَوْقَ الرُّعُوسِ * فَأَشْخَصْتُهُ فَوْقَ هَامَاتِهَا ^(٢)
لَأَكْسِبَ صَاحِبَتِي صَحْفَةً * تَغِيْظُ بِهَا بَعْضَ جَارَاتِهَا ^(٣)

فأمر له بجام من ذهب ، ثم أقبل يفرِّق بين جلسائه تلك الهدايا ، ويُشَدُّ :
لَا تَبْتَغَنَّ بِدُنْيَا وَهِيَ مَقْبَلَةٌ * فَلَيْسَ يَنْقُصُهَا التَّبْذِيرُ وَالسَّرْفُ
فَإِنْ تَوَلَّتْ فَأَحْرَى أَنْ تَجُودَ بِهَا * فَالْحَمْدُ مِنْهَا إِذَا مَا أُدْبِرَتْ خَلْفُ

كتب رجلٌ من أصحاب السلاطان الى بعض العمال يستهديه مهارةً من ناحية ^(٤)
عمله . فكتب اليه العامل : أَمَا المِهَارَةُ فَإِنْ أَهْلُ عَمَلِنَا يَصُونُونَهَا صِيَانَةَ الْأَعْرَاضِ ،
وَيَسْتَرُونَهَا سِتْرَ الْحَرَمِ ، وَيُسَوِّمُونَ بِهَا مَهْوَرِ الْعَقَائِلِ ؛ وَأَنَا مُسْتَخْلِصٌ لَكَ مِنْهَا ^(٥)
مَا يَكُونُ زَيْنَ الْمَرْبِطِ وَحُمْلَانِ الصَّدِيقِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

(١) اللطف : اسم من أطفه بكذا إذا برّه . (٢) يضعف الحب : يضاعفه .

(٣) كذا في الشعر والشعراء ، وفي الأصل : « فأشخصتها » والرأس مذكور . (٤) كذا في الشعر

والشعراء . وفي الأصل « تفيض » : وهو تحريف . (٥) المهارة : جمع مهر بالضم ، وهو ولد

الفرس . (٦) الحملان : ما يوهب من الدواب كالفرس ونحوه مما يحمل عليه .

وقال بعضهم : الهدية اذا كانت من الصغير الى الكبير، فكلماً تُطْفَت ودقت كان أبهى لها، واذا كانت من الكبير الى الصغير، فكلماً عَظُمَتْ وجلت كان أوقع لها وأنجع .
وكتب أبو السَّمُط :

بدولة جعفرٍ حَسَنَ الزَّمانُ * لنا بك كلَّ يومٍ مِهْرَجَانُ
ليومِ المِهْرَجَانِ بكِ آخِيَالُ * وإشراقٌ ونورٌ يُسْتَبَانُ
جعلتُ هديتي لك فيه وَشِيأُ * وخيرُ الوَشْيِ ما نَسَجَ اللسانُ

أهدى حُسَّامُ بنِ مِصَكٍ الى قَتَادَةَ نعلًا رقيقةً، فجعل قَتَادَةُ يَزِنُها بيده، وقال :
إنك تعرف سُخْفَ عقلِ الرجلِ في سُخْفِ هَدِيَّتِهِ .

وقال الشاعر :

سقى مُجَاجِنَا نَوءُ الثَّريَا * على ما كان من بُحْلِ ومَطْلٍ
همُ جمعوا النعالَ وأحرزوها * وسدُّوا دونها بَابًا بِقُفْلٍ
فإن أهديتُ فاكهةً وجدِيًّا * وعشرَ دجائجٍ بعثوا بِنَعْلٍ
ومِسَّوا كَيْنَ طولِها ذِرَاعُ^(١) * وعشرَ من ردىِّ المَقْلِ حُسْلٍ
فإن أهديتُ ذاكَ ليحملوني * على نعلٍ فدقَّ الله رِجْلِي
أناسُ تائهونَ لهم رُوءًا^(٢) * تَغِيْمُ سماءُهم من غيرِ وَبِلٍ
إذا أنتسبوا ففرعٌ من قريشٍ * وليكنَ الفِعالُ فِعالُ عُكْلٍ^(٣)

كتب رجل الى صديق له : لولا أن البضاعة قَصَّرت بي عن بلوغ الهمة
لأتعبتُ المسابقين الى بَرِّك . وكَرِهْتُ أن تُطَوَّى صحيفَةُ البرِّ، وليس لي فيها ذِكرٌ،

(١) المقل : ثمر الدوم . وحل : جمع حسيل ، والحسيل : رذال الشيء . (٢) تائهون :

متكبرون ، وصف من التيه . (٣) عكل : قبيلة فهم غباوة وقلة فهم ، ولذلك يقال لكل من فيه

غفلة ويستحق عكلاً .

فبعثت إليك بالمبتدأ بيمينه وبركته، والمختوم بطيبة ورأيتته : جراب ملح، وجراب
أشنان^(١).

أهدى الطائي إلى الحسن بن وهب قلمًا وكتب إليه :

قد بعثنا إليك أكرمك الله * به بشيء فكن له ذا قبول

لا تقسه إلى ندى كفك الغم * رولا نيلك الكثير الحزيل

وآغفر قلة الهدية مني * إن جهد المقل غير قليل

وبعث أبو العتاهية إلى الفضل بن الربيع بنعل وكتب معها :

نعل بعثت بها لتلبسها * تسعى بها قدم إلى المجيد

لو كان يمكن أن أشركها^(٢) * جلدتي جعلت شراكها حدى

وقال بعض الشعراء في نحو ذلك :

أو ما رأيت الورد آتخفأ به * إتحاف من خطر الصديق بباله

لو كان يهدى لأمرئ ما لا يرى * يهدى لعظم فراقه وزباله

لرددت تحفته عليه وإن علت * عن ذاك وأستهديت بعض خصاله

وقال المهدي :

تفاحة من عند تفاحة * جاءت فماذا صنعت بالفؤاد

والله ما أدرى أبصرتها * يقظان أم أبصرتها في الرقاد

قال : وكتب بعض العمال إلى صديق له : إني تصفحت أحوال الأتباع الذين

يجب عليهم الهدايا إلى السادة في مثل هذا اليوم والتأسي بهم في الإهداء ، وإن

قصرت الحال عن قدرك ، فرأيتني إن أهديت نفسي فهي ملك لك لا حظ فيها لغيرك ،

(١) الأشنان : نبات وهو أجناس كثيرة ، وكلها من الحصى ، وتفصل به الثياب وغيرها .

(٢) أشركها : أجعل لها شراكا ، والشراك : سير النعل على ظهر القدم .

ورميت بطرفي الى كرائم مالى فوجدتُ أكثرها منك، فكنت إن أهديتُ شيئاً منه
كلُّهُدى مآلك إليك ومُنْفِق نفقتك عليك؛ وفَزَعْتُ الى مودتى وشكرى فوجدتُهما
خالصين لك قديمين غير مستحدّين، ورأيتُ إن أنا جعلتُهما هديتى لم أجدد لهذا
اليوم الحديد برّاً ولا لطفاً. ولم أقس منزلة من شكرى بمنزلة من نعمتك إلا كان الشكر
مُقَصِّراً عن الحق، وكانت النعمة زائدة على ما تبلغه الطاقة؛ ولم أسلك سبيلاً ألتبس
بها برّاً أعتد به أو لطفاً أتوصل إليه، إلا وجدتُ رضاك قد سبقنى إليه، فجعلتُ
الاعتراف بالتقصير عن حقك هديةً إليك؛ وقد قلت في ذلك :

إن أهدى نفسى فهى من مِلْكِهِ * أو أهدى مالى فهو من مَالِهِ

لما قَدِم معاويةُ المدينةَ مُنْصِرفاً من مكة، بعث إلى الحسن والحسين وعبد الله
ابن جعفر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن صفوان بن أمية بهدايا
من كسبى وطيب وصلاح من المال، ثم قال لرسله: ليحفظ كل رجلٍ منكم ما يرى
ويسمع من الرد. فلما خرج الرسل من عنده، قال لمن حضر: إن شئتم أنبأناكم
بما يكون من القوم؛ قالوا: أخبرنا يا أمير المؤمنين؛ قال: أما الحسن فلعله يُنْزِل
نساءه شيئاً من الطيب ويُنْهَب ما بَقِيَ من حَضْرِهِ ولا ينتظر غائباً. وأما الحسين
فيمدأ بأيتام من قُتِل مع أبيه بِصَفْنٍ. فإن بَقِيَ شَيْءٌ تَحَرَّ به الجُرُوسَ به اللابن.
وأما عبد الله بن جعفر فيقول: يا بُدِيح^(١)! اقْضِ به دَيْنِي، فإن بَقِيَ شَيْءٌ فَأَنْفِذْ به
عِدَاتِي. وأما عبد الله بن عمر فيبدأ بفقراء عِدَى بن كعب، فإن بَقِيَ شَيْءٌ آذَنَ به
لنفسه ومان به عياله. وأما عبد الله بن الزبير فيأتيه رسولى وهو يسبح فلا يلتفت إليه
ثم يعاوده الرسولُ فيقول لبعض كُفَّاتِهِ: خذوا من رسول معاوية ما بعث به، وصله
الله وجزاه خيراً، لا يلتفت إليها وهى أعظم فى عينه من أُحُدٍ، ثم ينصرف الى أهله

(١) بديح: اسم مولى كان لعبد الله بن جعفر.

فيعرضها على عينه ويقول: أرفعوا، لعل أن أعود بها على ابن هند يوما ما .
وأما عبد الله بن صفوان فيقول: قليل من كثير، وما كل رجل من قريش وصل إليه
هكذا، ردوا عليه، فإن رد قبلناها . فرجع رسله من عندهم بنحو مما قال معاوية،
فقال معاوية: أنا ابن هند! أعلم بقريش من قريش .

قال يونس بن عبيد: أتيت ابن سيرين فدعوت الجارية، فسمعتة يقول: .
قولوا له: إني نايم - يريد: سأنام - فقلت: معي خييص^(١)، فقال: مكانك حتى
أخرج إليك .

قال رجل لأبي الدرداء: إن فلانا يقرئك السلام، فقال: هدية حسنة
وتحمل خفيف .

وبعث رجل إلى جارية يقال لها «راح» براج، وكتب إليها: .
قل لمن يملك الملو * لك وإن كان قد ملك
قد شربناك فأشربني * وبعثنا إليك بك
أهدى رجل إلى عبيد بن الأخطل شاة مهزولة، فكتب إليه عبيد: .
وهبت لنا يا أخا منقري * وعجل وأكرمها أولا
عجوزا أضربها دهرها * وأنزلها الذل دار البلى

(١) الخييص: نوع من الحلواء يصنع في الطناجير، وهو أنواع كثيرة ذكرها ووصف كيفية صنعها
صاحب كتاب الأطعمة فراجعها في نسخته المخطوطة المحفوظة بدار الكتب تحت رقم ٥٢ علوم معاشية .
(٢) نسب أبو الفرج هذا الشعر في الأذاني (ج ٣ ص ٢٢٧ طبع دار الكتب) لبشار بن برد، وروى أنه
بعث به إلى فتى من بني منقر أمه مجلية، وكان يبعث إلى بشار في كل عام بأضحية من الأضاحي التي كان أهل
البصرة يسمونها سنة وأكثر للأضاحي، فأمر وكيله في بعض السنين أن يجريه على رسمه فأرسل إليه نعجة
عبدلية من نعاج عبد الله بن دارم وهو نتاج مرذول، فأرسل إليه بشار بهذه الأبيات . وقد وردت هذه
القصيدة في الأغاني باختلاف في بعض الأبيات والكلمات عما هنا .

سَلُوْحًا حَسِبْتُ بَأْنَ الرُّعَاءِ * سَقَوْهَا الْغَرِيقُونَ وَالْحَنْظَلَا^(١)
 وَأَجْدَبَ مِنْ ثَوْرِ زَرَاعَةٍ * أَصَابَ عَلَى جَوْعِهِ سُنْبُلًا^(٢)
 وَأَزْهَدَ مِنْ جِيفَةٍ لَمْ تَدْعُ * لَهَا الشَّمْسُ مِنْ مَفْصِلٍ مَفْصِلًا^(٣)
 فَاهْوَتْ يَمِينِي إِلَى جَنْبِهَا * نَخِلْتُ حَرَاقِفَهَا جَنْدَلًا^(٤)
 وَاهْوَتْ يَسَارِي لَعُرْقُوبِهَا * نَخِلْتُ عَرَاقِفَهَا مِغْزَلًا^(٥)
 فَقُلْتُ أَيْبَعُ فَلَا مَشْرَبًا * تُؤَدِّي إِلَى وَلَا مَأْكَلًا^(٦)
 أَمْ أَجْعَلُ مِنْ جِلْدِهَا حَنْبَلًا * فَأَقْذِرُ بِحَنْبِلِهَا حَنْبَلًا^(٧)
 إِذَا هِيَ مَرَّتْ عَلَى مَجْلِسٍ * مِنَ الْعُجْبِ كَبَرٍ أَوْ هَلَلًا
 رَأَوْا آيَةً خَلْفَهَا سَائِقٌ * يَحْتِ وَيَنْ هِرُولَتْ هِرُولًا
 فَكُنْتُ أَمَرْتُ بِهَا خَفْمَةً * بِشَحِيمٍ وَلَحِيمٍ قَدْ اسْتَكْمَلَا
 وَلَكِنْ رَوْحًا عَدَا طَوْرَهُ * وَمَا كُنْتُ أَحْسِبُ أَنْ يَفْعَلَا
 فَعَضَّ الَّذِي خَانَنِي حَاجَتِي * بِإِسْتِاقَمِهِ بَطَرَهَا الْأَغْرَلَا^(٨)
 فَلَوْلَا مَكَائِكَ خَضْبَتُهَا * وَعَلَقْتُ فِي جِيدِهَا جُلُجَلًا
 بِفَاءَتٍ لَكَيْمَا تَرَى حَالَهَا * فَتَعْلَمَ أَنَّي بِهَا مُبْتَلَى
 سَأَلْتُكَ لَحْمًا لِصِبْيَانِنَا * فَقَدْ زِدْتَنِي فِيهِمْ عَيْلًا
 نَخِذَهَا وَأَنْتَ بِهَا مُحْسِنٌ * وَمَا زِلْتَ بِي مُحْسِنًا مُجْمَلًا

- (١) سلوح : وصف من السلح ، وهو للطيور والبهائم كالنغوط للإنسان ، وقد يستعمل للإنسان تجوزاً
 (٢) الغريقون : ترياق للسموم مفتوح مسهل . (٣) الزراعة : موضع الزرع كالملاحة لموضع الملح .
 (٤) في الأصل : « من مفصل يفصلا » وهو تحريف . (٥) الحراقيف جمع حرقفة وهي رأس
 الورك . (٦) كذا في الأثافي اعتماداً على بعض أصوله الخطية . وفي الأصل : « فلا مشترى »
 وهو تحريف . (٧) الحنبل : القرو . (٨) الأغرل : الذي لم يتحن .

وبعث رجل إلى دُعَيْل بأُخِيَّة، فكتب إليه :

بعثت إلى بأُخِيَّة * وكنت حَرِيًّا بأن تفعلًا
ولكنها خرجت غَثَّة * كأنك أُرْعِيَّهَا حَرْمَلًا^(١)
فإن قيل الله قُرْبَانُهَا * فسبحان ربك ما أعدلاً

٥ قيل لرجل قديم من مكة : كيف أثمان النعال بمكة؟ قال : أثمان الجداء بالعراق .
وقال مُسلم بن الوليد :

حَزَى الله من أهدى التُّرَيْجِ تَحِيَّةً * وَمَنْ بِمَسَاهِيهِ عَلَيْهِ وَعَجَلًا
أَتَنَّا هدايا منه أشبهن رِيحَهُ * وَأشبهه في الحسن الغزال المكحَّلًا
ولو أنه أهدى إلى وَصَالِهِ * لكان إلى قلبي أَلَدُّ وَأَوْصَلًا

١٠ وكتب رجل إلى صديق له شرب دواء :

تَأْنَقُ في الهَدِيَّةِ كُلِّ قَوْمٍ * إِلَيْكَ غَدَاةَ شُرَيْكَ للدَّوَاءِ
فَلَمَّا أَنْ هَمَمْتُ بِهِ مُدَلًّا * لِمَوْضِعِ حُرْمَتِي بِكَ وَالْإِخَاءِ
رَأَيْتُ كَثِيرَ مَا أَهْدَى قَلِيلًا * لِعَبْدِكَ فَأَقْتَصَرْتُ عَلَى الدُّعَاءِ

وكتب رجل إلى صديق له : وجدتُ المودَّةَ مُنْقَطِعَةً ما كانت الحِشْمَةُ عليها
١٥ متسلَّطة ، وليس يُزِيلُ سلطانَ الحِشْمَةِ إِلَّا المُوَانِسَةُ ، ولا تقع المُوَانِسَةُ إِلَّا بِالرِّ
والملاطفة .

العيادة

قال حدثنا يزيد بن عمرو قال حدثنا يزيد بن هارون قال حدثنا شريك عن
أبي نُصَيْرٍ عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قال : عاد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من

- ٢٠ (١) الحرمل : حب نبات كاللحم يمتنع عن الأكلة ، ولا يأكله إلا المعزى . وقد يداوى به المحموم .
(٢) الجداء : جمع جدى . (٣) التريج : ثمر شجر يستأنى من جنس الليمون ناعم الورق والخطب .

الأنصار من رَمِدٍ كان بعينه . ومن حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم :
 ”ثلاثة لا يُعَادُونَ صاحبُ الدَّمَلِ والرمد والضرس“ .

وحدثني القاسم بن الحسن عن ابن الأصبهاني عن إسماعيل بن عياش عن
 أرطاة بن المنذر : أن أبا الدرداء عاد جاراً له نصرانيا .

قال الشعبي : عيادة النوكى أشد على المريض من وجعه .

شيبان عن أبي هذيلة عن أبي هلال قال : قال بكر بن عبد الله لقوم دادوه
 فأطالوا عنده : المريض يُعاد، والصحيح يُزار .

عاد قومٌ عيلاً فأطالوا عنده، فقال لهم : إن كان لكم في الدار حقٌ فخذوه
 وأنصرفوا .

عاد رجل رَقَبَةً، فنعى رجالاً أعتلوا مثل عِلته، فقال له رَقَبَةٌ : إذا دخلت على
 مريض فلا تتع إلى الموتى، وإذا خرجت من عندنا فلا تعد إلينا .

عاد أعرابيٌ أعرابياً فقال : بأبي أنت ! بلغني أنك مريض، فضاق والله على
 الأمر العريض، وأردتُ إتيانك فلم يكن بي نهوضٌ، فلما حملتني رجالان، وليستا
 تحملان، أتيتك بجزرةٍ شيوخ ما مسها عشرين قطاً، فأشمتها وأذكر نَجداً، فهو الشفاء
 بإذن الله .

قال كثير :

ألا تلك عَزَّةٌ قد أقبلت * تقلبُ للبين طَرَفًا غَضِيضًا
 تقول مَرِيضٌ وما عُدَّتْنا * فقلتُ لها لا أُطِيقُ النهوضا
 كَلانا مَرِيضَانِ في بلدةٍ * وكيف يعود مَرِيضٌ مَرِيضًا

وقال آخر^(١):

إذا مَرَضْنَا أَتَيْنَاكُمْ نَعُودُكُمْ * وَتَذُنُّونَ فَنَأْتِيَكُمْ فَنَعْتِذِرُ

وقال بشار:

لو كانت الفدية مقبولة * لقلتُ بى لا بك حُماكا

وكتب آخر الى عليل:

نُبِّئْتُ أَنَّكَ مَعْتَلٌّ فَقُلْتُ لَهُمْ * نَفْسِي الْفِدَاءُ لَهُ مِنْ كُلِّ مَحْذُورٍ

يَالَيْتَ عَاتَتْهُ بى غَيْرَ أَنْتَ لَهُ * أَجْرَ الْعَلِيلِ وَأَنْتَى غَيْرُ مَا جُورٍ

وكتب آخر الى عليل:

أَقُولُ بِحَقِّ وَاجِبٍ لَكَ لَا زِمَ * وَإِخْلَاصٍ شَكْرٍ لَا يَغْيِرُهُ الدَّهْرُ

بِى السَّوْءِ وَالْمَكْرُوهِ لَا بِكَ كَلَمًا * أَرَادَاكَ كَانَا بى وَكَانَ لَكَ الْأَجْرُ

وقال آخر فى مثله:

فَإِنْ تَكُ حُمَى الْغَيْبِ شَقِيقٌ وَرَدُّهَا^(٢) * فَعُقْبَاكَ مِنْهَا أَنْ يَطْوَلَ لَكَ الْعَمْرُ

وَقَيْنَاكَ! لَوْ نُعْطَى الْمُنَى فَيْكَ وَالْهَوَى * لَكُنَّا بى الشَّكْوَى وَكَانَ لَكَ الْأَجْرُ

وفى الحديث المرفوع "حَصَّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ، وَدَاوُوا مَرَضَكُمْ بِالصَّدَقَةِ،

وَأَسْتَقْبِلُوا الْبَلَايَا بِالْإِعْدَاءِ". وفى حديث آخر أنه صلى الله عليه وسلم قال يوماً لأصحابه:

"مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ صَائِمًا؟" قال عمر: أنا، قال: "فَمَنْ شَهِدَ جَنَازَةً؟" قال عمر: أنا،

قال: "فَمَنْ عَادَ مَرِيضًا؟" قال عمر: أنا، قال: "فَمَنْ فَيْكَمْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ؟" قال

عمر: أنا، فقال صلى الله عليه وسلم: "وَجِبْتُ وَجِبْتُ وَجِبْتُ". وفى حديث

(١) هو المؤمل بن أمييل (نهاية الأرب ج ٣ ص ٩٢ طبعة أولى). (٢) حمى الغيب:

التي تنوب المريض يوماً بعد يوم. (٣) الورد من أسماء الحى وقيل: هو يومها الذي تأخذ

فيه صاحبها.

آخر : أنه صلى الله عليه وسلم قال : " إتمامُ عيادتكم المريض أن يضع أحدكم يده على جبهته أو على رأسه أو يده في يده ويسأله كيف هو ، وتمامُ تحياتكم المصافحة " .

وقال الشاعر :

إن كنتُ في تركِ العيادةِ تاركًا • حظيَ فإني في الدعاءِ بلهاسٍ
فلربما تركَ العيادةَ مُشْفِقٌ • وأتى على غلِّ الضميرِ الحاسدِ

أبو حاتم قال حدثنا العُتبي عن أبيه قال : كان يقال : إذا اشتكى الرجلُ ثم عوفي ولم يُحدث خيراً ولم يَكُفَّ عن سُوءٍ ، لقيت الملائكةُ بعضها بعضاً وقالت : إن فلاناً داوينا فلم ينفعه الدواء .

وقال أبو حاتم حدثنا القحذمي قال : أطلع معاوية^(١) في بئر الأَبواء^(٢) فأصابته لقوة^(٣) ، فأعتمَ بعمامة سوداء وسدَّ لها على الشق الذي أُصيب فيه ، ثم أذن للناس فقال : أيها الناس ؛ إن ابن آدم بَعَرَضَ بلاء : إما مُعَاتَبٌ لِيُعْتَبَ ، وإما مُعَاقَبٌ بِذَنْبٍ ، أو مُبْتَلًى لِيُؤَبَّرَ ، فإن عُوْتِبْتُ فَقَدْ عُوْتِبَ الصالحون قبلي ، وإني لأرجو أن أكون منهم ؛ وإن عُوْتِبْتُ فَقَدْ عُوْتِبَ الخَطَّاءُ ون قبلي ، وما آمن أن أكون منهم ؛ وإن مَرِضَ عضو مني فما أُحْصِيَ صحيحي ولمَّا عُوْفِيْتُ أَكْثَرَ ، ولو أن أمري إلى ما كان لي على ربي أَكْثَرُ مما أعطاني . وإني وإن كنتُ عاتباً على خاص منكم فإني حَديب على جماعتكم ، أُحِبُّ صلاحكم . وقد أُصِبْتُ بما ترون ، فرحم الله أمراً دعا لي بعافية ! فرفعوا أصواتهم بالبكاء والدعاء .

(١) أطلع : أشرف . (٢) الأَبواء : قرية من أعمال الفرع من المدينة بينها وبين الحفة ما

يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً ، وقيل : الأَبواء : جبل عن يمين آرة ويمين الطريق للصعد إلى مكة .

(٣) اللقوة (بالفتح) : داء يصيب الوجه يعوج منه الشدق إلى أحد جانبي العنق .

مَرِضَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ مَرَضَةً، فَأَتَاهُ أَصْحَابُهُ وَأَبْطَأَ عِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَقَالَ:
مَا يُبْطِئُ بِكَ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَنْ أَتَاسَّهَرَكَ؛ قَالَ: أَنْتَ مُعَافٍ وَأَنَا مَبْتَلَى، فَالْعَافِيَةُ
لَا تَدْعُكَ تَسْهَرُ وَالْمَرَضُ لَا يَدْعُنِي أَنَامُ، فَاسْأَلِ اللَّهَ أَنْ يَسُوقَ إِلَى أَهْلِ الْعَافِيَةِ الشُّكْرَ،
وَالِى أَهْلِ الْبَلَاءِ الصَّبْرَ وَالْأَجْرَ.

٥ حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: اشْتَكَى رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ، بِفَعْلٍ
النَّاسُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ وَكَيْفَ كُنْتَ؟ فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ
قَالَ: كَمَا قُلْتُ لِمَ صَاحِبِكَ.

قَالَ: وَقَعَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فَوَثَّتْ رِجْلَاهُ، بِفَعْلٍ النَّاسُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِ
وَيَسْأَلُونَهُ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ وَأَشْجَرَ كَتَبَ قِصَّتَهُ فِي رُقْعَةٍ، فَكَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ [عَائِدٌ]
١٠ وَسَأَلَهُ دَفَعَ إِلَيْهِ الرُّقْعَةَ.

الْهَيْثِمُ بْنُ عَدِيٍّ قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ مَجْهُودًا لَا يَقْصِدُ فِي شَيْءٍ
إِلَّا أَنْصَرَفَ عَنْهُ، فَغَابَ مَرَّةً فَأَطَالَ، فَلَمَّا قَدِمَ أَتَاهُ النَّاسُ بِفَعْلٍ يَسْأَلُونَهُ عَنْ
حَالِهِ وَمَا كَانَ فِيهِ، وَكَانَ فِيهِ بَرٌّ، فَأَخَذَ رُقْعَةً فَكَتَبَ فِيهَا:

وَمَا زِلْتُ أَقْطَعُ عَرَضَ الْفَلَاةِ * مِنَ الْمَشْرِقَيْنِ إِلَى الْمَغْرِبَيْنِ

١٥ وَأَطْوَى الْفَيَافِي أَرْضًا فَأَرْضًا * وَأَسْتَمْطِرُ الْجَدَى وَالْفَرْقَدَيْنِ

وَأَطْوَى وَأَنْشُرُ ثَوْبَ الْهَمُومِ ■ إِلَى أَنْ رَجَعْتُ بِحُفَى حَنِينِ

(١) وَثَّتْ رِجْلُهُ أُرِيدَهُ: أَصَابَهَا وَهِيَ لَا يَبْلُغُ أَنْ يَكُونَ كَسْرًا. (٢) فَيَاذَةُ يَمْتَضِيهَا السِّيَاقُ.

(٣) الْمَجْهُودُ: هُوَ الَّذِي نَكَدَ عَيْشَهُ. وَفِي الْأَصْلِ «مَجْدُودٌ» بِالذَّالِ، وَالْمَجْدُودُ: الْمَحْظُوظُ،
وَالسِّيَاقُ يَأْبَاهُ.

فقيراً وقيراً أخاً عُسْرةً ^(١) ■ بعيداً من الخير صَفَرُ اليدين

كثيبَ الصديق بهيجَ العدو * طويلَ الشقا زانِي الوالدين

وطرحها في مجلسه ، فكلَّ من سأله عن حاله دفع اليه الرقعة .

قال حدثنا عبد الرحمن عن عمه أن نَبَطِيًّا وقع من موضع عالٍ ، فدخلوا يسألونه :

كيف وقعت ؟ فلما أكثروا عليه أخذ جَرَّةً وألقاها من يده وقال : هكذا وقعت .

أبو الخطاب قال : كان عندنا رجلٌ أُحْدَبُ فسقط في بئر فذهبت حَدَبَتُهُ

فصار آدر ^(٢) ، فدخلوا يسألونه ويهتئون به ذهاب حَدَبَتِهِ ، فجعل يقول : الذي جاء

شرٌّ من الذي ذهب .

المدائني قال : سقط ابنُ شُبْرمة القاضى عن دابته فَوَثَّتْ رِجْلُهُ ، فدخل يحيى

ابن نوفل الحميري عليه فقال :

أقول غداة أنانى الخير * فلدس أحاديثه الهينة ^(٣)

لك الويلُ من مُحِيرٍ ما تقول ؟ * أن لي وعدَّ عن الجمجمة ^(٤)

فقال خرجتُ وقاضى القضا * ة مُثْقَلَةٌ رِجْلُهُ مُؤَلَّمَةٌ

فقلت وضافت على البلاد * وخفتُ المَجَلَّةُ المعظمة

فغزوانُ حرٍّ وأُمّ الوليد * إن الله عافى أبا شُبْرمة

جزاءً لمعروفه عندنا ، * وما عتق عبده أو أمه ؟

قال : وفي المجلس جاريحي بن نوفل يعرف منزله ، فلما خرج تبعه وقال :

يا أبا معمر ، مَنْ غزوان وأُمّ الوليد ؟ فضحك وقال : أو ما تعرفهما ؟ هما سنوران

في البيت .

٢٠ (١) الوقير : الذليل المهان . (٢) الآدر : المصاب بانتفاخ في إحدى خصيتيه .

(٣) الهينة : الصوت الخفى . (٤) الجمجمة : عدم الإجابة في الكلام .

قال حدثنا الرياشي عن أبي زيد قال دخلنا على أبي الدقيش وهو شاك ،
فقلنا له : كيف تجدك ؟ قال : أجدني أجدا ما لا أشتهى وأشتهى ما لا أجدا ،
ولقد أصبحت في شر زمان وشر أناس : من جاد لم يجد ومن وجد لم يجد .

قيل : لعمر بن العاص وقد مريض مرة : كيف تجدك ؟ قال أجدني أذوب
ولا أثوب ، وأجدنجوي أكثر من رزئي ، فما بقاء الشيخ على هذا ! .

سئل عليل عن حاله فقال : أنا ميل غير مستقل ، ومثائل غير متحامل .

وقيل لآخر : كيف تجدك ؟ قال أجدني لم أرض حياتي لموتى .

وقيل لرجل من العجم : ما حالك ؟ قال : ما حال من يريد سفرا طويلا
بلا زاد ! ويتزل منزلا موحشا بلا أنيس ! ويقدم على جبار قد قدم العذر بلا حجة ! .

قيل لِعكرمة : كيف حالك ؟ قال : بشر ، أصبحت أجرب مبسورا .^(٢)

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : قيل لشيخ من العباد : كيف أنت ، وكيف
أحوالك ؟ فقال : ما كلها كما أشتهى .

قيل لآخر : ما تشكى ؟ قال : تمام العدة وأنقضاء المدة .

وبلغني عن معاوية بن قرة قال : مريض أبو الدرداء ، فعاده صديق له فقال :

أى شيء تشكى ؟ قال : ذنوبي ، قال : فأى شيء تشكى ؟ قال : الجنة ، قال :
١٥

فندعوك بالطبيب ؟ قال : هو أمرضني .

سئل رجل عن حاله فقال :

كما اذا نحن أردنا لم نجد * حتى اذا نحن وجدنا لم نرد

(١) النجو : ما يخرج من البطن من ريح أو غائط والرز : ما يناله الانسان من الطعام .

(٢) مبسورا : به داء البواسير .

أَرْجَفَ النَّاسُ بَعْلَةَ مُعَاوِيَةَ وَضَعِفَ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ مَصْقَلَةُ بْنُ هُبَيْرَةَ ، فَأَخَذَ مُعَاوِيَةَ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ يَا مَصْقَلُ :

أَبْقِ الْحَوَادِثُ مِنْ خَلِيٍّ لَكَ مِثْلَ جَنْدَلَةِ الْمَرَا جِمِ
قَدْ رَامَنِي الْأَقْوَامُ قَبْلَكَ فَأَمْتَنْتُ مِنَ الْمَظَالِمِ

فَقَالَ مَصْقَلَةُ : أَمَّا قَوْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ : « أَبْقِ الْحَوَادِثُ مِنْ خَلِيلِكَ » ، فَقَدْ أَبْقَى اللَّهُ مِنْكَ جَبَلًا رَاسِيًّا وَكَلَّامًا مَرَعِيًّا لَصْدِيقِكَ وَسَمًّا نَاقِعًا لَعْدُوكَ . وَأَمَّا قَوْلُكَ : « قَدْ رَامَنِي الْأَقْوَامُ قَبْلَكَ » ، فَمِنْ ذَا يَرُومُكَ أَوْ يَظْلِمُكَ ! فَقَدْ كَانَ النَّاسُ مُشْرِكِينَ فَكَانَ أَبُو سَفْيَانَ سَيِّدَهُمْ ، وَأَصْبَحَ النَّاسُ مُسْلِمِينَ وَأَصْبَحَتْ أُمِيرَهُمْ ، فَأَعْطَاهُ مُعَاوِيَةُ نَخْرَجَ ، فَسُئِلَ عَنْهُ فَقَالَ : وَاللَّهِ لَعَمْرِي غَمَزَةٌ كَادَ يَكْسِرُ مِنْهَا يَدِي وَأَنْتُمْ تَزْعُمُونَهُ مُرِيضًا .

وَقَالَ الْمَدَائِنِيُّ : دَخَلَ كَثِيرٌ عَزَّةَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْلَا أَنْتَ سُرُورُكَ لَا يَتَمُّ بِأَنْ تَسْلَمَ وَأُسْقِمَ لِدَعْوَتِ اللَّهِ أَنْ يَصْرِفَ مَا بَكَ إِلَيَّ ، وَلَكِنْ أَسْأَلُ اللَّهَ لَكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ الْعَافِيَةَ وَلِي فِي كَنَفِكَ النِّعْمَةُ ، فَضَحِكَ وَأَمَرَ لَهُ بِمَالٍ ، فَقَالَ :

وَنَهَوْدُ سَيِّدَنَا وَسَيِّدَ غَيْرِنَا * لَيْتَ التَّشَكِّيَ كَانَ بِالْعَوَادِ
لَوْ كَانَ يُقْبَلُ فِدْيَةٌ لِفَدْيَتِهِ * بِالْمُصْطَفَى مِنْ طَارِفِي وَتِلَادِي

وَقَالَ آخَرُ :

لَا تَسْكُونُ دَهْرًا صَحَّحَتْ بِهِ * إِنَّ الْغِنَى فِي صَحَّةِ الْجَسِيمِ
هَبَكَ الْخَلِيقَةَ ، كُنْتَ مُتَفَعًّا * بِلَذَاذَةِ الدُّنْيَا مَعَ السُّقْمِ ؟

اعتلَّ المسور بخاءه ابنُ عباس يعودُه نصفَ النهار، فقال المسور: يا أبا عباس هَلَا سَاعَةٌ غَيْرَ هَذِهِ ! قال ابنُ عباس : إِنْ أَحَبَّ السَّاعَاتِ إِلَى أَنْ أُودِّيَ فِيهَا الْحَقُّ أَشَقُّهَا عَلَيَّ .

وكتب رجل إلى صديق له : كيف أنت ؟ بنفسى أنت ! وكيف كنت ؟ لازلت ! وكيف قوتك ونشاطك ؟ لا عِدَمَتَهُمَا وَلَا عِدَمَنَا هُمَا مِنْكَ ، وَأَعَادَكَ اللَّهُ إِلَى أَحْسَنِ مَا عَوْدَكَ ! لَوْلَا عَوَائِقُ يُوجِبُ الْعَذْرَ بِهَا تَفَضُّلُكَ لَمْ أَدْعُ تَعَرَّفَ خَبْرَكَ بِالْعَيْنِ ، فَإِنِهَا أَشْفَى لِلْقَلْبِ وَأَنْقَعُ لِلْغَلِيلِ وَأَشَدُّ تَسْكِينًا لِلْأَعْيُنِ الشُّوقِ .

وقرأت فصلاً في كتاب : ^(٢) لئن تخلفتُ عن عيادتِكَ بالَعذر الواضِح من العلة لما أغفل قلبي ذكرك ولا لسانى فخصاً عن خبرك في مُمَسَّاكٍ وَمُصْبَحِكَ وَتَقْصِلُ الْحَالِ بِكَ تَبَعْتُ مِنْ تَقْصِمُ جَوَارِحِهِ وَصَبِكَ وَزَادَ فِي أَلْمَهِاءِ أَلْمَكَ وَمَنْ تَتَّصِلُ بِكَ أَحْوَالِهِ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ . وَلَمَّا بَلَغْتَنِي إِفَاقَتَكَ كَتَبْتُ مَهْنَةً بِالْعَافِيَةِ مَجْزِئاً بِالْعَذْرِ ، مَعْفِياً مِنْ الْجَوَابِ إِلَّا بِخَبَرِ السَّلَامَةِ إِرسالاً .

وقال عبد بن الحسحاس :

تَجْمَعَنَّ مِنْ شَيْئِي ثَلَاثٌ وَأَرْبَعٌ * وَوَاحِدَةٌ حَتَّى يَلْفَنَّ ثَمَانِيَا
سُلَيْمَى وَسَلَمَى وَالرَّابُّ وَزَيْنَبُ * وَهَنْدٌ وَدَعْدٌ وَالْمُنَى وَقَطَامِيَا
وَأَقْبَلَنَّ مِنْ بَعْضِ الْخِيَامِ يَعْذُنَنِي * أَلَّا إِنْ بَعْضَ الْعَائِدَاتِ دَوَائِيَا

(١) أبو العباس : كنية عبد الله ابن العباس . (٢) كذا ورد هذا الفصل بالأصل « ولم نوق إليه في مصدر آخر سوى العقد الفريد (ج ٢ ص ٣٤١) وورد فيه هكذا : « لئن تخلفت عن عيادتِكَ بالَعذر الواضِح من العلة لما أغفل قلبي ذكرك ولا لسانى فخصاً عن خبرك يجب أن تقسم جوارحه وصبك وإن زاد في أَلْمَهِاءِ أَلْمَكَ وَأَنْ تَتَّصِلُ بِهِ أَحْوَالُهُ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ . وَلَمَّا بَلَغْتَنِي إِفَاقَتَكَ كَتَبْتُ مَهْنَةً بِالْعَافِيَةِ مَعْفِياً مِنْ الْجَوَابِ إِلَّا بِخَبَرِ السَّلَامَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ » . وظاهر أن رواية العقد أوفق من رواية الأصل غير أن فيها كلمة « يجب » نافية ، ولعل أصل العبارة : وكيف بمن يجب الخ أو نحو ذلك .

وقال عبد الله بن مُصْعَب الزُّيَرِيُّ :

ما لي مَرَضْتُ فلم يَعُدَّنِي عَائِدٌ ■ منكم ويمرَضُ كلِّكم فأعودُ

فُسِّمِي «عائِد الكلب» ، ولِئْده الآن يسمُّون «بني عائِد الكلب» .

التعازي وما يُتمثلُ به فيها

حدَّثني محمد بن داود عن غسان بن الفضل قال قال عبد الوهاب الثقفي : أنا

أبن جُريح بمكة يُعزِّي عن بعض أهلي ، فقال : إنه من لم يسأل أهله إيماناً واحتساباً
سلا كما تسألوا البهائم .

كتب إبراهيم بن يحيى الأسلمي إلى المهديّ يعزِّي به عن أبنته : أما بعد ،

فإن أحقَّ من عرَّف حقَّ الله فيما أخذ منه من عَظَم حقَّ الله عليه فيما أبقي له .

وأعلم أن الماضي قبلَكَ هو الباقي بعدكَ ، وأن أجر الصابرين فيما يُصابون به

أعظم عليهم من النعمة فيما يُعافون منه .

ونحوه قول سهل بن هارون : التهنة على أجل الثواب ، أولى من التعزية على

عاجلِ المصيبة .

وقال بعض الشعراء :

كَمْ مِنْ يَدٍ لَا يُسْتَقَلُّ بِشُكْرِهَا * لَهِ فِي ظِلِّ الْمَكَارِهِ كَامِنَةٌ

وسقطت مَقَادِيمُ فَمِ معاوية فشَقَّ ذلك عليه ، فقال له يزيد بن مَعمر السَّلمي :

والله يا أمير المؤمنين ، ما بلغ أحدٌ سنَّك إلا أبغض بعضُه بعضاً ، ففُوك أهونُ علينا

من سمعك وبصرك .

وقال صالح المرئي لرجل يعزّيه : إن لم تكن مصيبتك أحدثت في نفسك موعظةً
فمصيبتك بنفسك أعظم . ونحوه : شر من المرزئة سوء الخلف عنها . ومثله
قول الشاعر :

إن يكن ما به أصبت جليلاً * فلفقّد العزاء فيه أجل
عزّي شبيب بن شعبة المهدي عن بانوفة^(١) ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما عند الله
خير لها مما عندك ، وثواب الله خير لك منها .

عزّي رجل عبد الله بن طاهر عن آبنته فقال : أيها الأمير ، مم تجزع ؟
■ الموت أكرم نزال على الحرم *

وقال جرير :

وأهون مفقود إذا الموت ناله * على المرء من أصحابه من تقنعا

وقال آخر :

ولم أر نعمة شمت كريماً * كنعمة عورة سترت بقبر
وعزّي رجل رجلاً فقال : لا أراك الله بعد هذه المصيبة ما ينسيكها .

وقال رجل لعمر بن عبد العزيز :

تعرّ أمير المؤمنين فإنه * لما قد ترى يغذى الصغير ويولد
هل أبنتك إلا من سلالة آدم ■ لكل على حوض المنية مورد

عزّي أبو بكر عمر رضى الله عنهما عن طفل أصيب به ، فقال : عوضك الله
منه ما عوضه منك .

وقال محمود الوزاق :

يمثل ذو اللب في نفسه * مصائبه قبل أن تتزلا

(١) بانوفة : بنت كانت للهدى .

فإن نزلت بقتلة لم ترعه ■ لما كان في نفسه مثلاً
 رأى الهم يفيض إلى آخره ■ فصير آخره أولاً
 وذو الجهل يأمن أيامه * ويتنسى مصارع من قد خلا
 فإن بدته صروف الزمان ■ ببعض مصائبه أعولاً
 ولو قدم الحزم في أمره * لعلمه الصبر عند البلاء

عزى موسى بن المهدي سليمان بن أبي جعفر عن ابن له، فقال: أيسرك وهو
 بلية وفتنة، ويحزنك وهو صلاة ورحمة!

وعزى رجل موسى بن المهدي عن ابن له فقال: كان لك من زينة الحياة
 الدنيا، وهو اليوم من الباقيات الصالحات.

توفي سهيل بن عبد العزيز بن مروان، فكتب إلى عمر بن عبد العزيز بعض
 عماله وأطرب في كتابه، فكتب إليه عمر:

حسبي حياة الله من كل ميت * وحسبي بقاء الله من كل هالك^(١)
 إذا ما لقيت الله عني راضياً * فإن شفاء النفس فيما هنالك^(٢)

كتب ابن السماك إلى الرشيد يعزیه بآبن له: أما بعد، فإن أستطعت أن يكون
 شكرك لله حين قبضه أكثر من شكرك له حين وهبه، فإنه حين قبضه أحرز لك^(٣)
 هيبته، ولو سلم لم تسلم من فئنته؛ أرايت حزنك على ذهابه وتلفك لفراقه! أرضيت
 الدار لنفسك فترضاها لابنك! أما هو فقد خلص من الكدر، وبقيت أنت معلقاً
 بالخطر. وأعلم أن المصيبة مصيبتان إن جزعيت، وإنما هي واحدة إن صبرت،
 فلا تجمع الأمرين على نفسك.

٢٠ (١) دخله الحزم وهو حذف فاء فعولن. (٢) كذا في الأصل ولعله «يعزیه عن ابن له». (٣) حذف هنا الجواب وهو مفهوم من سياق الكلام.

كتب عبد الله بن طاهر إلى أبي دُأف : المصائب حالةٌ لا بد منها ، فمنها ما يكون رحمة من الله ولطفا بعبيده ، وآيةٌ ذلك أن يوفقه للصبر ويُلهمه الرضا ويتسَطَّ أمله فيما عنده من الثواب الآجل والخلف العاجل . ومنها ما يكون سُخطا وانتقاما ، أقره حُزن وأوسطه قُنوط وآخره ندامة ، وهي المصيبةُ حقاً الجامعةُ لخُسران الدنيا والآخرة . ولم تزل عادةُ الله عندك الإخلاف والإتلاف . وإن يك ما نالك الآن أعظم مما أتى عليك في مواضي الأيام ، فالأجر المأمول على قدر ذلك .

وكتب أبو دُأف إليه : إن تكن المصيبةُ جلَّت ، فإن فيما أكرمني الله به من جميل رأي الأمير وما وُضَّح للناس من فضل عنايته وأبتدائه ^(١) إياي بكتبه ، ما تجل العوض من المفقود .

وفي كتاب آخر: إن كانت المصيبةُ جلَّت ، إن فيما أبقي الله بقاء الأمير عوضا وافيًا وخلفا كافيا . وحقيق بمن عظمت النعمةُ عليه فيما أبقي الله أن يحسن عزأؤه عما أخذ منه . وأحق ما صبر عليه ما لا يُستطاع دفعه .

وقرأت في كتاب لبعض الكتاب في تعزية : أسأل الله أن يمدد بك ما نلت الأيام من مكانه ، ويعمر ما أخلت من مشاهد وأوطانه حتى لا يعفوا الدائر ، وأن يستقبل لكم أيامكم بأحسن ما أمضاها لمن مضى منكم ، فيجعلكم الخلف الذي لا وحشة معه ولا وحشة عليه ، ويتولاكم ويتولانا فيكم بما هو أهله ووليّه .

وقرأت في كتاب تعزية : لا لوم على دمع لا تملك أن تسفحها ، ولا على ألم في القلب لا يدفع أن يظهر فيك ، ولا عذر في سواهما مما أحبط أجرك وأثمت عدوك وضعف رأيك ، ولم يرجع إليك فائتا ولا إلى شقيقك بمكانه رؤيا ولا إلى من خلف

(١) في الأصل : « ... وما وُضَّح للناس فإن فضل عنايته وابتدائه إياي ... الخ » .

حفظاً . واعلم أن فرق ما بين ذى العقل وذى الجهل في مصيبتيهما تعجل العاقل من الصبر ما يتأجل الجاهل .

وقرأت في كتاب تعزية : لو كانت النوايب مدفوعة عن أحد بكثرة من يقيه ذلك من إخوانه ويقيده منه بالأخص من أعزته والأنفس من ماله ، سلمت من ألمها ، وكان سبق الى ذلك أبرز سبق ، وحظي بالتقدم فيه أوفر حظ .

وقرأت في كتاب : مصيبتك لي مصيبة ، وما نالك من ألمها لي موجد . ولو كان في الوسع أن أعلم كنه ما خامر قلبك من ألمها لحملت مثله على نفسي ، فإني أحب أن أكون أسوتك في كل سار وغام ، وألا أمتنع بأيام غمومك ، ولا أقصر فيها عن مقدار حالك .

وقرأت في كتاب : نسأل الله حسن الاستعداد لما نتوكله ونتوقع حلوله ،^(١) وألا يشغلنا بما يقل الانتفاع به وتعظم التبعة فيه عما نحتاج اليه يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً ، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ، وأن يجعل ما وهب لنا من الصبر والعزاء إيماناً وإيقاناً ، ولا يجعله ذملاً ونسياناً . قال أسماء بن خارجة إذا قدمت المصيبة تركت التعزية ، وإذا قدم الإخاء قبح الشئ .

قيل لأعرابية مات أبناها : ما أحسن عزاءك ! فقالت : إن فقدي إياه أمني من المصيبة بعده . ونحوه قول الشاعر^(٢) :
وكنْتُ عليه أحذر الموت وحده * فلم يبق لي شيء عليه أحاذر

(١) نتوكله : نتوقعه . (٢) هو أبو نواس الحسن بن هاني ، وهذا البيت من أبيات قالها في محمد الأمين * وقبل هذا البيت :

طوى الموت ما بيني وبين محمد * وليس لما تطوى المنية ناشر

ومثله :

وقد كنت أستعفى الإله إذا اشتكى ■ من الأجر لي فيه وإن سرنى الأجر

وقال أبو العتاهية :

وكما تبلى وجوه في الثرى * فكذا يبلى عليهن الحزن

وفي الحديث : "مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ"^(١).

ويقال : المصيبة الموجهة تدرّ ذكر الله في قلب المؤمن .

قال الأصمعي : مررت بأعرابية وبين يديها قتي في السياق^(٢)، ثم رجعت ورأيت

في يدها قدح سويق تشربه ، فقلت لها : ما فعل الشاب ؟ فقالت : وأيناه ،

فقلت : فما هذا السويق ؟ فقالت :

١٠ على كل حال يا كل القوم زادهم * على البؤس والبلى وفي الحدّان

قيل لأعرابي : كيف حزنك اليوم على ولدك ؟ فقال : ما ترك حب الغداء

والعشاء لي حرّاً .

وقال عمر بن عبد العزيز : إنما الجزع قبل المصيبة ، فإذا وقعت فالله عما أصابك .

اشتكى بعض أهل محمد بن علي بن الحسين بجزع عليه ، ثم أخير بموته فسرى

١٥ عنه ؛ ف قيل له في ذلك ، فقال : ندعو الله فيما نحب ، فإذا وقع مانكره لم يخالف الله

فيما أحبّ .

لما مات عتبة بن مسعود قال عبد الله : إذا ما قضى الله فيه ما قضى فما أحبّ

أنّي دعوته فأجاني .

(١) يصب منه : يتلى بالمصائب ليشبه عليها . (٢) السياق : تزع الروح كأن روحه تساق

قال رجل من طيِّ :
 فلولا الأُسَيَّ^(١) ما عِشْتُ في الناس ساعة * ولكن إذا ما شئتُ أسعدني مثلي

وقال آخر :

إذا أنت لم تَسَلْ أصطباراً وحِسيَةً * سلوت على الأيام مثل البهائم
 عزى محمد بن الوليد بن عتبة الوليد بن عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين، ليشغلك
 ما أقبل من الموت إليك، عمن هو في شغل مما دخل عليك، وأعددت لزوله عُدَّة تكون
 لك حجاباً من الخزع وستراً من النار . فقال يا محمد، أرجو ألا تكون رأيت غفلة
 تُنبّه عليها ولا جزءاً يُستتر منه، وما توفيق إلا بالله . فقال محمد : يا أمير المؤمنين،
 إنه لو استغنى أحدٌ عن مَوْعِظَةٍ بفضيل لكُشَّتِه، ولكن الله يقول : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ
 الذِّكْرَى تَفْعَلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . ١٠

وقال الطائي :

ويفرح بالشيء المَعَارِ بقاؤه * ويحزن لما صار وهو له ذُخْرُ
 عليك بثوب الصبر إذ فيه ملبسٌ * فإن أبناك المحمود بعد أبناك السُّبُرُ

وقال أيضاً :

أمالك إن الحزن أحلامٌ نائمٌ * ومهما يَدُمُ فالوجد ليس بإثم
 تأمل رويداً هل تعدن سألماً * إلى آدم أم هل تعدن ابن سالم ١٥

وقال آخر :

إصبر لكل مصيبة وتجلد * وأعلم بأن الدهر غير مخلص

(١) الأُسَيَّ : جمع أسوة (بالضم ويكسر) وهي ما يتعزى به الحزين . (٢) كذا في الأصل

أَوْ مَا تَرَى أَنَّ الْحَوَادِثَ جَمَّةٌ * وَتَرَى الْمَنِيَّةَ لِلْعِبَادِ بِمَرَصِدٍ
وَإِذَا أَنْتَكَ مُصِيبَةٌ تَشْجِي بِهَا * فَأَذْكَرُ مُصَابِكَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

عَزَّى رَجُلَ الرَّشِيدِ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كَانَ لَكَ الْأَجْرُ لَا بِكَ ، وَكَانَ الْعَزَاءُ
مِنْكَ لَا عَنْكَ .

يَعَزِّي أَهْلَ نَجْرَانَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِهَذَا الْكَلَامِ : لَا يُحْزِنُكُمْ اللَّهُ وَلَا يَفْتِنُكُمْ ، أَنَابَكُمْ
اللَّهُ ثَوَابَ الْمُتَّقِينَ وَأَوْجِبَ لَكُمْ الصَّلَاةَ وَالرَّحْمَةَ .

عَزَّى بَعْضُ الزُّبَيْرِيِّينَ رَجُلًا فَقَالَ : لَا يَصْفُرُ رَبْعُكَ ، وَلَا يُوحِشُ بَيْتُكَ ،
وَلَا يَضَعُ أَجْرُكَ ، رَحِمَ اللَّهُ مَتَوَفَّاكَ ، وَأَحْسَنَ الْخُلَافَةَ عَلَيْكَ .
قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

أَسْكَانَ بَطْنِ الْأَرْضِ لَوْ يُقْبَلُ الْفِدَى * قَدَيْنَا وَأَعْطَيْنَا بِكُمْ سَاكِنَ الظَّهْرِ
فِيَالَيْتَ مَنْ فِيهَا عَلَيْهَا وَلَيْتَ مَنْ ■ عَلَيْهَا ثَوَى فِيهَا مَقِيمًا إِلَى الْحَشِيرِ
وَقَاسَمَنِي دَهْرِي بَنِيَّ بِشَطْرِهِ * فَلَمَّا تَوَفَّى شَطْرَهُ مَالٌ فِي شَطْرِي
فَصَارُوا دِيُونًا لِلنَّيَا وَمَنْ يَكُن ■ عَلَيْهِ لَهَا دِينَ قَضَاءٍ عَلَى عُسْرِ
كَأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفِ الْمَوْتَ غَيْرَهُمْ * فَتُكَلِّ عَلَى تُكَلِّ وَقَبْرٌ عَلَى قَبْرِ
وَقَدْ كُنْتُ حَىَّ الْخَوْفِ قَبْلَ وَفَاتِهِمْ * فَلَمَّا تَوَفُّوا مَاتَ خَوْفِي مِنَ الدَّهْرِ
فَلِلَّهِ مَا أَعْطَى وَلِلَّهِ مَا جَزَى ■ وَلَيْسَ لِأَيَّامِ الرِّزْيَةِ كَالصَّبْرِ
فَحَسْبُكَ مِنْهُمْ مُوَحِّشًا فَقَدْ رَّهَمَ * وَحَسْبُكَ مِنْهُمْ مُسِيلًا طَلَبُ الْأَجْرِ

عَزَّى شَبِيبُ بْنُ شَيْبَةَ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَ : أَعْطَاكَ اللَّهُ عَلَى مُصِيبَتِكَ أَفْضَلَ
مَا أَعْطَى أَحَدًا مِنْ أَهْلِ مِلَّتِكَ .

وقال العتيبي :

ما عالج الحزن والحرارة في آل * أحشاء من لم يمت له ولد
فجعت بأبي ليس بينهما * إلا ليالٍ ليست لها عدد
وكل حزن يئلى على قدم الدهر * وحزني يجده الأبد

وقال أيضا :

ألا يزجر الدهر عنا المنونا * يبقى النبات ويَفنى البنية
وأنهى على بلا رحمة * فلم يبق لي في جفوني جفونا
وكنْتُ أبا سبعة كالبدور * أفق بهم أعين الحاسدين
فمرُّوا على حادثات الزمان * كمر الدراهم بالناقين
فأفنتهم واحدا واحدا * إلى أن أبادتهم أجمعينا
وألقيت ذاك إلى ضارح^(١) * وألقيت هذا إلى دافنين
وما زال ذلك دأب الزمان * ن يَفنى الأوائل فالأولين
وحتى بكى لي حسادهم * فقد أفرحوا بالدموع الجفونا
وحسبك من حادث بأمرئ * ترى حاسديه له راحينا
وكانوا على ظهرها أنجما * فأصحوها إلى بطنها يتقلونا
فن كان يُسليه مر السنين * فحزني يجده لي السنونا
ومما يسكن وجدى بهم * بأن المنون ستلقى المنونا

كان أبو بكر رضى الله عنه إذا عزى رجلا قال : ليس مع العزاء مصيبة ولا مع
الجزع فائدة؛ الموت أهون مما قبله وأشد مما بعده؛ اذكروا فقد رسول الله صلى الله
عليه وسلم تصغر مصيبتكم؛ وعظم الله أجركم .

(١) الضارح : وصف من ضحك لبيت إذا حفر له .

وكان على رضى الله عنه إذا عزى رجلا يقول : إن تجزع فأهل ذلك الرحم،
وإن تصبر ففى الله عوض من كل فائت؛ وصلى الله على محمد، وعظم الله أجرهم .

وقال أعرابي :

أَبْغَسَ رَأْسِي أَوْ تَطِيبُ مَشَارِي * وَوَجْهَكَ مَغْفُورٌ وَأَنْتَ سَلِيبُ
تَسِيْبُكَ مِنْ أَمْسَى يُنَاجِيكَ طَرْفُهُ * وَلَيْسَ لِمَنْ وَارَى السَّتْرَابُ تَسِيْبُ
وَأِنِّي لَا سَتَجِي أَخِي وَهُوَ مَيِّتٌ * كَمَا كُنْتُ أَسْتَحْيِيهِ وَهُوَ قَرِيبُ

وقال أعرابي :

وَمَا نَحْنُ إِلَّا مِثْلُهُمْ غَيْرَ أَنَّا ■ أَفْنَا قَلِيلًا بَعْدَهُمْ وَتَقَدَّمُوا

وقال آخر :

وَقَدْ كُنْتُ أَسْتَعْفِي الْإِلَهَ إِذَا اسْتَكَى * مِنَ الْأَجْرِ لِي فِيهِ وَإِنْ سَرَّنِي الْأَجْرُ
وَأَجْرَعُ أَنْ يَنْأَى بِهِ بَيْنُ لَيْلَةٍ * فَكَيْفَ بَيْنَ صَارَ مِيعَادَهُ الْحَشْرُ

وقال آخر :

وإِنَّا وَإِخْوَانًا لَنَا قَدْ تَابَعُوا * لِكَالِغَتِدِي وَالرَّائِحِ الْمَتَهَجِّرِ

وقال سليمان الأعمى :

رَبِّ مَغْرُوسٍ يُعَاشُ بِهِ * عَدِمَتْهُ كَفَّ مَغْرَسُهُ
وَكَذَاكَ الدَّهْرُ مَا نَمُّهُ * أَقْرَبُ الْأَشْيَاءِ مِنْ عُرْسِهِ

وتمثل معاوية بن أبي سفيان يوما فقال :

إِذَا سَارَ مَنْ خَلْفَ أَمْرِي وَأَمَامَهُ * وَأَوْحَشَ مِنْ جِيرَانِهِ فَهُوَ سَائِرُ

وقال آخر :

وإذا قيل مات يوماً فلانٌ * راعنا ذلك ساعةً ما يُحِيرُ
نذكر الموت عند ذلك وننسا * ه إذا غيبتنا عنا القبورُ

وقال آخر :

نُزاع من الجنائز قابلتنا * ونلهو حين تَحْتَفِي ذاهبات
كَرْوَةٍ ثَلَاثَةٍ لِمُفَارِسِيع * فلما غاب ظَلَّتْ راتعات

وقال أبو نواس :

سبقونا إلى الرحيم * يل وإنا لبالأثر

وكتب رجل إلى بعض الأمراء في تعزية : الأمير أذكرك الله من أن يذكرك به ،
وأعلم بما قضاه على خلقه من أن يدلّ عليه ، وأسلك لسبيل الراشدين في التسليم لأمره ١٠
والصبر على قدره والتجزل لوعده ، من أن ينبّه من ذلك على خطئه ، أو أن يحتاج معزيه
عند حادث المصيبة إلى أكثر من الدعاء في قضاء حقه . فزاده الله توفيقاً إلى توفيقه ،
وأحضره رشده ، وسدد للصواب غرضه ، وتولاه بالحسنى في جميع أموره ، إنه سميع
قريب . وقد كان من حادث قضاء الله في المتوفى ما أنقض وأرّض ، وجمع وأوجع ،
علما بما دخل على الأمير من النقص ، وعلى سروره من اللوعة ، وعلى أنسه من الوحشة ، ١٥
إلى ما خصني منه بمأس الرحم وأوشج القرابة . فأعظم الله للأمير الأجر ، وأجزل له
الذخيرة ، وعصمه باليقين ، وأنجز له ما وعد الصابرين ، ورحم المتوفى ولقاه الأمن
والروح ، وفسح له في المضجع ، وجمعه وإياه بعد العمر الطويل في الدار التي لا خوف
عليهم فيها ولا هم يحزنون .

(١) الثلة (بالفتح) : جماعه الغنم الكثيرة . والثلة (بالضم) جماعه الناس . (٢) أنقض :

أنقل وأرّض : أوجع . (٣) في الأصل : « وجمع له وإياه » .

وفي كتاب : نحن نحمد الله أيها الأمير إذ أخذ على ما أبقى منك،^(١) وإذ سلب على ما وهب بك؛ فانت العوض من كل فائت، والجائر لكل مصيبة، والمؤنس من وحشة كل فقد؛ وحق لمن كنت له ولياً وعضداً أن يشغله حمد الله على النعمة بك عن الجزع على غيرك .

- وكتب سعيد بن حميد إلى محمد بن عبد الله : ليس المعزى على سلوك السبيل التي سلكها الناس قبله والمضى على السنة التي سنها صالحو السلف له ؛ وقد بلغني ما حدث من قضاء الله في أم الأمير، فتألم الرزية وفاجع المصيبة ما ينال خدمه الذين يخصهم ما خصه من النعم، ويتصرفون معه فيما تناوله الله به من المحن . فأعظم الله للأمير الأجر، وأجزل له المثوبة والذخر، ولا أراه في نعمة عنده نقصاً، ووفقه عند النعم للشكر الموجب للزيد، وعند المحن للصبر المحرز للثواب، إنه هو الكريم الوهاب . ورحم الله الماضية رحمة من رضى سعيه وجازاه بأحسن عمله . ولو كانت السبيل إلى الشخصوص إلى باب الأمير سهلة ، لكان الله قد أجل الأمير عن أن يعزبه مثلي بالرسول دون اللقاء، وبالكتاب دون الشفاء، ولكن الكتاب لقاء من لا سبيل له إلى الحركة، وقبول العذر عن حيل بينه وبين الواجب .

- ولأبن مكرم : ومما حركني للكتاب تعزيتك بمن لا ترميك الأيام بمثل الحادث^(٢) فيه، ولا تعترض مما كان الله جمعه لك عنده من الميل إليك والصبر على مكروه جفائك، مع ما كان الله أعاره من قوة العقل وأصالة الرأي، ومد له من عناية إلى قصوى الغايات، فإننا لله وإنا إليه راجعون على ما أفانقنا الأيام منه حين تم واستوى، وغالى في المروءة وتناهى، وعند الله يحتسب المصاب به ؛ وعظم الله لك فيه الأجر، ومهل لك في العمر،

(١) في الأصل : « إذا » .

(٢) لعله « عن » .

وأجزل لك العوض والدُّخْر. فكلَّ ماضٍ من أهلك فانت سدادٌ ثلْمته وجابر رزقته .
وقد خلف من أنت أحقُّ الناس به من عجوزٍ وليت تربيتك وحياطتك في طبقات
سِنِّك ، وولَدِ رُبُوا في حَجْرِكَ ونبَتوا بين يديك ، ليس لهم بعد الله مرجع سواك ، ولا
مَقِيل إلا في ذَرَاكَ ؛ فَأَتَشُدُّكَ اللهُ فيهم فإنه أَخْرَبَ أحوالهم بِعارة مِروءته ، وقطعهم
بصلة فضله ، والله يَمْزِيهِ بِجَمِيلِ أثره وَيُخْلِفُهُ فيهم بما هو أهله .

وفي فصل من كتاب : وقد جرى قضاء الله في هذه النازلة ما نطق عما نالك^(١)
وَأَبْقَى عندك ، وهو حقٌّ مِثْلُهَا وَقَدَّرَ مِثْلَهَا .

وفي فصل آخر: لو كان ما يَمَسُّكَ من أذى يُشْتَرَى أو يُقْتَدَى ، رجوتُ أن أكون
غيرَ باخِلٍ بما تَضَنُّ به النفوس ، وأن أكون سِتْرًا بينك وبين كلِّ مُلِمٍّ ومَحْذُورٍ .
فَأَعْظَمَ اللهُ أَجْرَكَ ، وَأَجْزَلَ ذُنُوكَ ، وَلَا خَذَلَ صَبْرَكَ وَلَا فَتَنَكَ ؛ وَلَا جَعَلَ لِلشَّيْطَانِ
حِطًّا فِيكَ وَلَا سَبِيلًا عَلَيْكَ .

المدائني قال : قَدِمَ رجلٌ من عَبَسٍ ، ضَرِيرٌ مَحْطُومُ الوجه ، على الوليد ؛ فسأله
عن سببِ ضَرِّهِ ، فقال : بَتُّ لَيْلَةٍ في بطنٍ وادٍ وَلَا أَعْلَمُ على الأرضِ عَبَسِيًّا يَزِيدُ مَالَهُ على
مالِي ، فَطَرَقْنَا سَبِيلًا فَأَذْهَبَ ما كان لي من أَهْلٍ وَمَالٍ وولَدًا إِلَّا صَبِيًّا رَضِيعًا وَبَعِيرًا صَعْبًا ،
فَنَدَّ البَعِيرُ والصَّبِيُّ معي فَوَضَعْتُهُ وَأَتَّبَعْتُ البَعِيرَ لِأَحْبِسَهُ ، فَمَا جَاوَزْتُ إِلَّا وَرَأْسُ^(٢)
الذئبِ في بطنه قَدْ أَكَلَهُ ، فَتَرَكْتُهُ وَأَتَّبَعْتُ البَعِيرَ ، فَاسْتَدَارَ فَرَمَحَنِي رَمَحَةً حَطَمَ بها وَجْهِي
وَأَذْهَبَ عَيْنِي ، فَأَصْبَحْتُ لَا ذَا مَالٍ وَلَا ذَا وَلَدٍ . فقال الوليد : أَذْهَبُوا به إلى عُرْوَةٍ
ليَعْلَمَ أن في الناس من هو أَعْظَمُ بلاءً منه ؛ وَكَانَ عُرْوَةُ بنُ الزُّبَيْرِ أَصِيبَ بَابِي
له وَأَصَابَهُ الداءُ الخبيثُ في إحدى رجليه فَقَطَعَهَا ، فَكَانَ يَقُولُ : كَانُوا أَرْبَعَةً —

(٢) نَدَّ البَعِيرُ : شَرَدَ .

(١) لَعَلَهُ : «بِما» .

يعنى بنيه — فأبقيت ثلاثة وأخذت واحداً، وكُنَّ أربعة — يعنى يديه ورجليه —
فأخذت واحدة وأبقيت ثلاثاً^(١). أحمدك، لئن كنت أخذت لقد أبقيت، ولئن كنت
أبقيت لقد عافيت. وشخص الى المدينة فأتاه الناس ييكون ويتوجعون؛ فقال :
إن كنتم تُعِدُّونَنِي للسِّبَاق والصِّراع فقد أودى ، وإن كنتم تُعِدُّونَنِي للسان والجاه
فقد أبى الله خيراً كثيراً .

وقال على بن الجهم :

مَنْ سَبَقَ السَّلَوةَ بالصَّبْرِ * فاز بفضل الحميد والأجرِ
يا عَجَباً مَنْ هَلَعَ جازِعٌ * يُصْبِحُ بين الذَّمِّ والوِزْرِ
مصيبةُ الإنسان في دينه * أعظمُ من جائحةِ الدهرِ

وقال بعض الشعراء^(٢) :

ليت شعري ضَلَّةٌ * أَىُّ شَيْءٍ قَتَلَكَ
والمنايا رَصَدٌ * للفقى حيث سَلَكَ
كلُّ شَيْءٍ قَاتِلٌ * حين تلقى أَجَلَكَ
ليت نفسى قُدِّمَتْ * للمنايا بِدَلِّكَ
أَىُّ شَيْءٍ حَسَنٌ * للفقى لَمْ يَكُ لَكَ

وقال آخر :

غُرٌّ أَمْرٌ مَتَّهَ نَفْ * سَأَنْ تَدُومَ لَهُ السَّلَامَةُ
هِيَا تَ ا أَعْيَا الْأَوَّلِي * ن دَوَاءُ دَائِكَ يَدِيعَامُهُ

(١) فى الأصل : « ثلاثة » باثبات التاء . (٢) كذا بالأصل . وفى شرح أشعار الحماسة

(ص ١٤٤ طبعة أوروبا) أن هذه الأبيات لأم تأبط شرّاً ، ويقال لأم السليك بن السليكة ، وأولها :
طاف يبغي نجوة * من هلاك فهلك ورجح التبريزى فى نهاية الأبيات أنها لأم السليك
وذكر لهذا خبراً .

وقالت صفيّة الباهليّة في أختها :

كنا كغصنين في جرثومة^(١) سمّوا * حينّا بأحسن ما تسمّو له الشجر
حتى إذا قيل قد طالت فروعهما * وطاب قنواهما وآسُنْظَر الثمر^(٢)
أخنى على واحدٍ ريب الزمان ولا * يُبقي الزمان على شيء ولا يدر
كنا كأنجم ليّل وسَطْنا قمر * يحلو الدجى فهو من بيننا القمر

ومن هذا أخذ الطائي قوله :

كأن بنى نهبان يوم وفاته * نجوم سماءٍ خرّ من بينها البدر

وقال آخر :

لكل أناس مقبر^(٣) بفنائهم * فهم ينقصون والقبور تزيد
وما إن زال رسم دارٍ قد آخلت * وبيت لميت بالفناء جديد
هم جيرة الأحياء أما جوارهم * فداين وأما الملتقى فبعيد

وقال آخر :

لا يُبعد الله أقواماً لنا ذهبوا * أفناهم حدّان الدهر والأبد
نمّدهم كل يوم من بقيتنا * ولا يؤوب الينا منهم أحد

وقال النابغة :

حسب الخليلين أن الأرض بينهما * هذا عليها وهذا تحتها بالي

وقال آخر :

وقد كنت أرجو أن أملاك^(٤) حقبة * فخال قضاء الله دون رجائيا
ألا ليئت من شاء بعدك إنما * عليك من الأقدار كان حذارياً

(١) جرثومة الشيء : أصله . (٢) القنو : العذق وهو من النخل كالعنقود من العنب .
(٣) المقبر : موضع القبور . (٤) أملاك : أمتع بك ، يقال : ملاك الله حبيبك أى متعك به
وأعاشك معه طويلاً .

وقال آخر :

لَعَمْرُكَ مَا وَارَى التُّرَابُ فِعَالَهُ * وَلَكِنَّهُ وَارَى ثِيَابًا وَأَعْظُمًا
فَضَالَةً ^(١) بَنَ شَرِيكَ :

رَمَى الْحِدَثَانُ نِسْوَةَ آلِ حَرْبٍ * بِفَادِحَةٍ سَمَدَتْ ^(٢) لَهَا سُمُودًا
فَرَدَّ شَعُورَهُنَّ السُّودَ بَيْضًا * وَرَدَّ وَجُوهَهُنَّ الْبَيْضَ سُودًا

وقال آخر :

أَمَّا الْقُبُورُ فَإِنَّهُنَّ أَوَانِسُ * بِجَوَارِ قَبْرِكَ وَالْدِيَارُ قُبُورُ
عَمَّتْ مَصِيبَتُهُ فَعَمَّ هَلَاكُهُ * فَالْنَّاسُ فِيهِ كُلُّهُمْ مَاجُورُ
رَدَّتْ صَنَائِعُهُ عَلَيْهِ حَيَاتَهُ * فَكَأَنَّهُ مِنْ نَشْرِهَا مَنْشُورُ ^(٣)

منصور القمري :

فَإِنْ يَكُ أَفْتَنَهُ اللَّيَالِي فَأَوْشَكَتْ * فَإِنْ لَهُ ذِكْرًا سَيُفْنِي اللَّيَالِي

وقال طفيل يذكر الموت :

مَضَوْا سَلَفًا قَصْدُ السَّبِيلِ عَلَيْهِمْ * وَصَرَفُ الْمَنَايَا بِالرِّجَالِ تَقَلُّبُ

وقال هشام أخو ذى الرمة :

تَعَزَّيْتُ عَنْ أَوْفَى بَغْيَلَانٍ بَعْدَهُ * عِزَاءً وَجَفْنُ الْعَيْنِ مَلَانُ مُتَرَعٍ
وَلَمْ تُنْسِنِي أَوْفَى الْمَصِيبَاتِ بَعْدَهُ * وَلَكِنْ نَكَّ ^(٤) الْقَرْحُ بِالْقَرْحِ أَوْجَعُ

(١) نسب هذا الشعر في أمالي القالي (ج ٣ ص ١٥ طبعة دار الكتب) للكاتب بن معروف الأسدي .
ونسب في شرح أشعار الحماسة (ص ٢٧ طبعة أوروبا) وشرح القاموس مادة سمع لعبد الله بن الزبير الأسدي .
(٢) السمود : الغفلة وذهاب القلب ومنه قوله تعالى : (وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ) وهو تغير الوجه من الحزن كأنه أصابها السواد . وقيل معناه رفع رءوسهم ينجح . (٣) كذا في نهاية الأرب (ج ٣ ص ١٧٨ طبع دار الكتب المصرية) وهو الذى يستقيم به معنى الشعر . وفى الأصل « إلى » . (٤) النك : مصدر نكأ القرحة اذا قشرها قبل أن تبرا فتدبت .

وفي فصل من كتاب لبعض الكتاب : لست أحتاج مع علمك بما في الصبر عند نازل المصيبة من الفضيلة ، وما في الشكر عن حادث النعمة من الحظ ، إلى أكثر من الدعاء في قضاء الحَقَّين ، ولا إلى إخبارك عما أنا عليه من الارتعاض لضرائك والحدَلِ بسرائك ، لمعرفة بشركتي لك واتصال حالِكِ بي في الأمرين .

التَهْنِئَاتُ

حدثني زيد بن أنحزم قال حدثنا أبو قتيبة قال حدثنا ميمون [قال] حدثنا أبو عبد الله النَّاجِي قال : كنت عند الحسن ، فقال رجل : لِمَنْ نَعْلُكَ الْفَارِسُ ؟ فقال : لعله يكون بَعْلًا ، ولكن قل : شكرت الواهب ، وبورك لك في الموهوب ، وبلغ أشده ، ورزقت برّه . قال مجاهد : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعا لمتزوج قال : "على اليمن والسعادة والطير الصالح والرزق الواسع والمودة عند الرحمن" .

قال أبو الأسود لرجل يهتبه بترويح : باليمن والبركة ، وشدة الحركة ، والظفر في المعركة . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى أن يقال : « بالرفاء والبنين » .

وكان يقال : إن أول من هنا وعزى في مقام واحد عطاء بن أبي سفيان التَّقْفِي ، عزى يزيد بن معاوية بأبيه وهناك بالخلافة ، ففتح للناس باب الكلام ، فقال : أصبحت رُزئت خليفة وأعطيته خلافة الله . قضى معاوية نَجَبَهُ ، فغفر الله ذنبه ؛ ووليت الرياسة ، وكنت أحق بالسياسة ؛ فأحتسب عند الله أعظم الرزية ، وأشكر الله على أعظم العطية . وعظم الله في أمير المؤمنين أجرك ، وأحسن على الخلافة عونك . وقالت أعرابية للنصور في طريق مكة بعد وفاة أبي العباس : أعظم الله أجرك في أخيك ، لا مصيبة على الأمة أعظم من مصيبتك ، ولا عَوْضَ لها أعظم من خلافتك .

(١) لعله : « عند » . (٢) الارتعاض : الحزن . (٣) أنحزم بمجمتين .

(٤) البغال : راكب البغال ، والبغال تعجز عن شأ الأفراس .

قال الحجاج لأَيُّوبَ بنِ القِرِّيَّةِ: اخْطُبْ عَلَى هِنْدَ بِنْتِ أَسمَاءَ، وَلَا تَرِدْ عَلَى ثَلَاثِ كَلِمَاتٍ، فَأَتَاهُمْ فَقَالَ: أَتَيْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ مَنْ تَعْلَمُونَ، وَالْأَمِيرُ مُعْطِيكُمْ مَا تَسْأَلُونَ، أَفَتُنْكِحُونَ أَمْ تَرُدُّونَ؟^(١) قَالُوا: بَلْ أَنْكَحْنَا وَأَنْعَمْنَا. فَرَجَعَ ابْنُ الْقِرِّيَّةِ إِلَى الْحَجَّاجِ فَقَالَ: أَقْرَأَ اللَّهُ عَيْنَكَ، وَجَمَعَ شِمْلَكَ، وَأَنْبَتَ رَيْعَكَ، عَلَى الثِّبَاتِ وَالنَّبَاتِ، وَالْغَنَى حَتَّى الْمَمَاتِ، جَعَلَهَا اللَّهُ وَدُودًا وَلُودًا، وَجَمَعَ بَيْنَكُمَا عَلَى الْبَرَكَةِ وَالْخَيْرِ.

كتب بعضُ الكُتَّابِ إِلَى رَجُلٍ يَهْنُئُهُ بِدَارِ انْتِقَالٍ إِلَيْهَا: بِخَيْرٍ مُتَقِيلٍ، وَعَلَى أَيْمَنِ طَائِرٍ، وَلَا أَحْسَنَ إِيَّانٍ، أَنْزَلَ اللَّهُ عَاجِلًا وَأَجَلًا خَيْرَ مَنَازِلِ الْمُفْلِحِينَ.

وقال ابن الرِّقَاعِ لِمُتَرَوِّجٍ:

قُرَّ السَّمَاءُ وَشَمْسُهَا أَجْتَمَعَا * بِالسَّعِيدِ مَا غَابَا وَمَا طَلَعَا

مَا وَارَتْ الْأَسْتَارُ مِثْلَهُمَا * فِيمَنْ رَأَيْنَاهُ وَمَنْ سَمِعَاهُ

دَامَ السُّرُورُ لَهُ بِهَا وَلَهَا * وَتَهَنَّا طَوَّلَ الْحَيَاةِ مَعَا

وكتب رجل إلى صديق له يهنئه بالدخول على أهله: قَدْ بَلَغْنِي مَا هَيَّا اللَّهُ لَكَ مِنْ أَجْتِمَاعِ الشَّمْلِ، بِضَمِّ الْأَهْلِ، فَشَرُّكَ فِي النِّعْمَةِ، وَكُنْتُ أُسْوَتَكَ فِي السُّرُورِ، وَشَاهِدْتُكَ بِقَلْبِي، وَمِثَّلْتُ مَا أَنْتَ فِيهِ لِعَيْنِي، فَحَلَلْتُ بِذَلِكَ حُلَّ الْمُعَايِنِ لِلْحَالِ وَزِينَتَهَا، فَهَنِيئًا هَنَّاكَ اللَّهُ مَا قَسَمَ لَكَ، وَبِالرِّفَاءِ وَالْبَيْنِ، وَعَلَى طَوْلِ التَّعْمِيرِ وَالسِّنِينَ.

وكتب آخرُ مِنَ الْكُتَّابِ إِلَى عَامِلٍ: نَحْنُ مِنَ السُّرُورِ، بِمَا قَدْ اسْتَفَاضَ مِنْ جَمِيلِ أَثْرِكَ فِيمَا تَلَى مِنْ أَعْمَالِكَ، وَخَطَمِكَ وَزَمِّكَ إِيَّاهَا بِحَزْمِكَ وَعَزْمِكَ، وَأَنْتِيَّاشِكَ أَهْلَهَا مِنْ جُورِ مَنْ وَلِيَهُمْ قَبْلَكَ، وَسُرُورِهِمْ بِتَطَاوُلِ أَيَّامِكَ وَالْكُورِ فِي ظِلِّ جَنَاحِكَ، فِي غَايَةِ مَنْ تَخَصَّصَهُ وَتَعَمَّه نِعْمَكَ، وَتَجَوَّلَ بِهِ الْحَالُ حَيْثُ جَالَتْ بِكَ. فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْعَاقِبَةَ لَكَ، وَلَمْ يَرُدِّ عَلَيْنَا آمَالَنَا مِنْكَ فِيكَ، كَمَا رَدَّهَا عَلَى غَيْرِنَا فِي غَيْرِكَ. وَهَنِيئًا هَنَّاكَ اللَّهُ نِعْمَةً خَاصًّا وَعَامًّا، وَأَوْزَعَكَ شُكْرَهَا، وَأَوْجِبَ لَكَ بِالشُّكْرِ أَحْسَنَ الْمَزِيدِ فِيهَا.

(١) فِي الْأَصْلِ: «أَوْ تَرُدُّونَ» وَالْمَقَامُ هُنَا يَقْتَضِي «أَمْ» الْمُتَّصِلَةَ.

وكتب رجلٌ من الكتاب إلى نصرانيٍّ قد أسلم يهنئه : الحمد لله الذي أرشدَ
أمرَكَ ، وخصَّ بالتوفيق عزَمَكَ ، وأوضح فضيلةَ عقلِكَ ، ورجاحةَ رأيِكَ ، فما كانت
الآدابُ التي حوتها ، والمعرفةُ التي أوتيتها ، لتدوم بك على غوايةٍ وديانةٍ شائنةٍ لا تليق
بُلبكِ ، ولا يبرح ذوو الحجا من موجبي حقِّكَ يُنكرون إبطاءَكَ عن حفظِكَ وتركِكَ البدارَ
إلى الدين القيمِ الذي لا يقبل الله غيره ولا يُثيب إلا به ، فقال : ((وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ
الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ)) ، وقال : ((إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ)) . والحمد لله الذي
جعلكَ في سابق علمه ممن هداه لدينه ، وجعله من أهل ولايته ، وشرفه بولاء خليفته .
وهناك الله نعمته ، وأعانكَ على شكره ، فقد أصبحت لنا أخا ندين بمودته وموالاته
بعد التأثُّم من خُطبتِكَ ومخالفةِ الحقِّ بمشايعتِكَ ، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول : ((لَا تَجِدُ
قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ
أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ)) .

وكتب رجلٌ من الكتاب تهنئةً بحجِّ : الحمد لله على تمام مُهاجرتِكَ ، وسلامةِ
بدأتِكَ ورجعتِكَ ، وإعظامِهِ المِنَّةَ بأوبتِكَ ، وشكرِ اللَّهِ سعيكَ ، وبرَّحمتِكَ ، وتقبُّلِ
تُسكُّكَ ، وجعلِكَ ممن قلبه مُفْلِحا مُنْجِحا ، قد رَبحَتْ صفقتُهُ ، ولم تَبُرْ تجارتُهُ ،
ولا أعدمَكَ نيَّةٌ تفضُلُ عملَكَ ، وتوفيقًا يحُوطُ دينَكَ ، وشكرا يرتبطُ نعمتَكَ ، فهناكم
اللهُ النعمةُ ، وجمعكم في دارِ الخلافةِ ، وجعلكم ساسةَ الامةِ والمتقدمين عند الإمام —
أيده الله بالطاعة والنصيحة — فإنكم زِينُ السلطان ، وعمدَةُ الإخوان ، وأضدادُ أكثرِ
أهل الزمان .

وكتب إلى رجلٍ عن صديقٍ له يهنئه بِفِطامِ مولود : أنا — أعزَّكَ الله — لِمَا
حمَّني الله من أياديكَ ، وأودعني من إحسانِكَ ، وألزمني من شكرِكَ ، أخذ نفسي بمراعاةِ
أمورك ، وتفقدِ أحوالك ، وتعرِّفِ كُلَّ ما يُحدثه الله عندَكَ ، لأقابله بما يلزمني ، وأقضي

الحق فيه عني بمبلغ الوُسْع ومقدار الطاقة، وإن كانا لا يبلغان واجبك، ولا يستقلان بثقل عارفتك . وكل ما نقل الله الفتي [و] بلغه من أحوال البلوغ ورقاه فيه من درجات النمو، فنعمة من الله حادثة تلزم الشكر، وحق يجب قضاؤه بالتهنئة . وكتب الى وكيل المقيم ببابك يذكر ما وهبه الله من سلامته عند الفطام ، وصلاح جسمه عند الطعام، وسلوته عن أول الغذاء، وسرورك ومن يليك بما وهب الله في هذه الحال من عافيته وحسن المدافعة عنه ؛ فأكثر لله الحمد . وأسهب في الدعاء والرغبة، وتصدقت عنه بما أرجو أن يتقبله ؛ وكتبت مهنتا بتجدد النعمة عندهم فيه . فالحمد لله المتطول علينا قبله بما هو أهله ، والمجرب لنا فيما يؤهلك على حسن عادته . وهناك الله النعم، وصانها عندك من الغير، وحرسها بالشكر، وبلغ بالفتي أقصى مبالغ الشرف، وجعلك من الأمل فيه والرجاء له على العيان واليقين، بمنه وفضله .

١٠ وكتب بعض الكتاب تهنئة بحج الى صاحبه : الحق للسادة عند ما يجدده الله لهم من نعمه في الدعاء، من جلائل حقوقهم على أوليائهم . وقد خص الله حقك بما لا يسعني معه آذخار مجهود في تعظيمه وشكره . ولولا أن الطاعة من حدوده، لم أنظر إذناك لي في تلقيك راجلاً بالأوبة، إذ كان الكتاب بها دون السعي بأبلغ نصيب من التقصير . وأنا أسأل الله الذي أوفدك الى بيته الحرام، وعمر بك مشاهدته

١٥ العظام، وأوردك حرمة سالما، وأصدرك عنه غانما، ومن بك على أوليائك وخدمك، أن يهنئك بما أنعم به عليك في بدأتك ورجعتك ؛ بتقبل السعي ونجح الطلبة وتعريف الإجابة .

وكتب بعض الكتاب تهنئة بولاية : فإنه ليس من نعمة يجددها الله عندك ، والصنع الجميل تُحدثه لك الأيام، إلا كان آرتياحي له وأستبشاري به وأعتدادي بما يهب الله لك من ذلك، حسب حقك الذي توجه به وبرك الذي أشكره، وإخائك

٢٠

الذى يَعْزَّ وَيَجِلُّ عندى موقعه؛ بفعل الله ذلك فيه وله، ووصله بتقواه وطاعته .
 وبلغنى خبر الولاية التى وليتها، فكنتُ شريكك فى السرور وعديلك فى الأرتياح،
 فسألت الله أن يُعَرِّفَكَ يَمَنَّا وبركتها، ويرزُقَكَ خيرها وعادتها، ويُحَسِّنَ معونتك على
 صالح نيتك فى الإحسان إلى أهل عملك والتألف لهم، واستعمال العبدِ فيهم،
 ويرزُقَكَ محبتهم وطاعتهم، ويجعلهم خير رعية .

وكتب رجل إلى معزول: ^(١) فإن أكثر الخير فيما يقع بركه العباد، لقول الله عز وجل:
 ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ . وقال
 أيضا: ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ . وعندك بحمد الله من
 المعرفة بتصاريف الأمور، والاستدلال بما كان منها على ما يكون، مَغْنَى عن الإكثار
 فى القول . وقد بلغنى أنصرفك عن العمل على الحال التى آنصرفت عليها من رضا رعتك
 ومحبتهم وحسن شائهم وقولهم، ^(٢) لما بقيت من الأثر الجميل عند صغيرهم وكبيرهم،
 وخلفت من عدلك وحسن سيرتك فى الدانى منهم والقاصى من بلدهم؛ فكانت
 نعمة الله عليك فى ذلك وعلينا، نعمة جل قدرها ووجب شكرها . فالحمد لله على
 ما أعطاك، ومنح فيك أوليائك وأرغم به أعداك، وممكن لك من الحال عند مَنْ
 وآلاك؛ فقد أصبحنا نعتد صرْفَكَ عن عملك منحا مجددا، ^(٣) يجب به تهنئتك، كما يجب
 التوجعُ لغيرك .

وكتب رجل من الكتاب فى تهنية بحج: لولا أن عوائق أشغال يوجب العذر
 بها تفضُّلك ويُسْطِطه احتمالك، لكنك مكان كتابى هذا مهنتا لك بالأوبة، ومجددا

(١) فى الأصل: «الخيار» . (٢) فى الأصل: «ما بقيت» . (٣) بالأصل: «منحا»

بك عهداً، ومُحيماً نفسى بالنظر اليك. وأنا أسأل الله أن يشكر سعيك، ويتقبل حجك،
ويثبت في عليين أثرك، ولا يجعله من الوفاة اليه آخر عهدك .

وكتب بعض الكتاب : لا مهنى أولى ما يكون مهننا، تعظيماً لنعمه فيما جدد
الله لك يامولاي بالولاية، منى؛ إذ كنت أرجو بها انضمام نرسى، وتلا في الله بعنايتك
المتشئت من أمرى . فهناك الله تجدّد النعم، وبارك لك في الولاية، وأفتتحها لك
بالصنع الجميل، وختمها لك بالسلامة، إنه سميع قريب .

باب شرار الإخوان

ذكر خالد بن صفوان شبيب بن شيبه فقال : ذاك رجل ليس له صديق
في السر ولا عدو في العلانية .

وقال الشاعر :

وإن من الخُلان من تشحط النوى * به وهو داج للوصال أمين
ومنهم صديق العين أما لقاؤه * خلوا وأما غيبه فظنون^(٢)

أقبل عيينة بن حصن الى المدينة قبل إسلامه ، فلقه ركب خارجون منها ؛
فقال : أخبروني عن هذا الرجل (يعنى النبي صلى الله عليه وسلم) ، فقالوا : الناس فيه
ثلاثة رجال : رجل أسلم فهو معه يقاتل قريشاً وأفناء العرب^(٣) ، ورجل لم يسلم
فهو يقاتله ، ورجل يظهر الإسلام إذا لقي أصحابه ويظهر لقريش أنه معهم
إذا لقيهم ؛ فقال : ما يسمى هؤلاء ؟ قالوا : المنافقون ؛ قال : فأشهدوا أنى منهم ،
فما فيمن وصفتم أحزم من هؤلاء .

(١) عبارة العقد الفريد (ج ١ ص ٢٣٨) : « وسئل شبيب بن شيبه عن خالد بن صفوان

فقال : « ذاك رجل الخ » ، وهى تؤيد الضبط الذى أثبتناه . (٢) ظنون : لا يوثق به .

(٣) أفناء العرب : أخلاطهم النزاعون من هاهنا وهاهنا ولا يدري من أى القبائل هم .

وكان رجل يدعو فيقول: اللهم اكفني بوائق الثقات، واحفظني من الصديق.
وكتب رجل على باب داره: جَزَى اللهُ مَنْ لَا يَعْرِفُنَا وَلَا نَعْرِفُهُ خَيْرًا، فَأَمَّا
أَصْدِقَاؤُنَا فَلَا جُرُؤَ ذَلِكَ، فَإِنَّا لَمْ نُؤْتَ قَطُّ إِلَّا مِنْهُمْ.

وكتب إبراهيم بن العباس الى محمد بن عبد الملك الزيات:
وكنْتَ أُنحَى بِإِخَاءِ الزَّمَانِ * فَلَمَّا نَبَا صِرْتَ حَرْبًا عَوَانَا
وقد كنتُ أشكو اليك الزمانَ * فأصبحتُ فيكَ أَدُمُ الزمانَا
وكنْتَ أُعِدُّكَ لِلنَّائِبَاتِ * فَهَإِنَّا أَطْلُبُ مِنْكَ الْأَمَانَا
وقال محمد بن مهدي:

كَانَ صَدِيقِي وَكَانَ خَالِصِي * أَيَّامَ نَجْرِي مَجَارِي السُّوقِ
حتى إذا راحَ والمُلوْكُ معَا * عَدَّ أَطْرَاحِي مِنْ صَالِحِ الْخُلُقِ
خَلَّيْتُ ثَوْبَ الْفِرَاقِ فِي يَدِهِ * وَقَلْتُ هَذَا الْوَدَاعُ فَاَنْطَلِقِ
لَيْسَتْهُ لِبَسَةُ الْجَدِيدِ عَلَى الْإِل * مَقْرُّ وَفَارَقْتُ فَرْقَةَ الْخَلْقِ

وقال آخر:

إِذَا رَأَيْتَ أَمْرًا فِي حَالِ عُسْرَتِهِ * مُوَاصِلًا لَكَ مَا فِي وَدِّهِ خَلَلُ
فَلَا تَمَنَّ لَهُ أَنْ يَسْتَفِيدَ غَنًى * فَإِنَّهُ بَانْتِقَالِ الْحَالِ يَنْتَقِلُ

وكتب رجل إلى صديق أعرض عنه: لَوْلَا أَنِّي أَشْفَقْتُ مِنْ أَشَاتِ ظَنِّي
[في] إِيَابَتِكَ إِلَى مَا يَعْلَمُ اللهُ بَرَاءَتِي مِنْكَ وَلِمَعْجَبِكَ وَلِكَفَيْتِكَ مُؤَنِّي، ثَقَّةً بَأَنَّ
أَزْدِيَادَكَ مِنْ مَعْرِفَةِ النَّاسِ سَتَرْدَكَ إِلَيَّ، فَإِنْ رَجَعْتَ قَبِلْتُ وَتَمَسَّكْتُ وَاعْتَبَطْتُ،
وَإِنْ أَصْرَرْتَ لَمْ أَتَّبِعْ مُوَلِّيَا، وَلَمْ آسَ عَلَى مُدِيرٍ، وَلَمْ أُسَاحِمْ نَفْسِي عَلَى تَعَلُّقِهَا بِكَ،

(١) كذا بالأصل ولم نوفق إلى هذا الكتاب في مصدر آخر بعد طول البحث عنه في مظانّه.

ولم أَسَاعِدْهَا عَلَى نِزَاعِهَا إِلَيْكَ . فَمِنْكُمْ مَنْ زَمَانٍ تَرَكْتُكَ فِيهِ وَسَوَمْتُكُمْ ثُمَّ أَبَى قَلْبِي ذَلِكَ ،
فَكَرَرْتُ وَعَطَفْتُ أَسَى عَلَى أَيَّامِي مَعَكُمْ وَمَا تَوَكَّدَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ . وَمَا مِنْ كَرَّةٍ لِي
إِلَيْكَ إِلَّا وَهِيَ دَاعِيَةٌ إِلَى مَا أَكْرَهُهُ مِنْ اسْتِخْفَافِكَ وَتُفُورِكَ . وَلَوْ فَهِمْتُ مَا اسْتَحَقَّقْتُ
بِهِ عَلَيْكَ مَا أَشْكُوهُ لَخَفَّ تَحْمَلُ مَا يَكُونُ مِنْكَ عَلَيَّ وَلَا جَسَمْتُ فِي عِتْبَاكَ وَرِضَاكَ .^(١)

وفي جواب كتابي : وقد وزعني ما ضربته لي من الأمثال في كتابك عن
استبطائك . على أني لا أَسْتَرِيدُ إِلَّا مِنْ أَحْتَاكِ إِلَى صَلَاحِهِ وَأَرْغَبُ فِي بَقِيَّتِهِ ، وَقَدْ
قِيلَ :

يَا بَيْنَ إِلَّا جَفْوَةً وَظَلَمًا * مِنْ كَثْرَةِ الْوَصْلِ تَجْنِي الْجُرْمَا^(٢)

وفي كل ما أجبته ظلمت في معارضتي عن مَسِيخِي جَوَابَكَ بِإِيحَاشِي ، وفي اعتدادك
عليّ بما أنت جانيه وعليك المحجة فيه . وما أنكر الخلاف بين الأب وأبنيه والأخ وشقيقه
إذا وقعت المعاملة ، ولذلك سبب لا أعرفه بيني وبينك قط ، فإني لم أخالفك
ولم أشاححك ولم أنازعك ولم أعارض نَعَمَكَ يَلَا وَلَا أَمْرَكَ بِنَهْيٍ .

وقال الحسن بن وهب :

سَأَكْرِمُ نَفْسِي عَنْكَ حَسَبَ إِهَانَتِي * لَهَا فِيكَ إِذْ قَرَّتْ وَكَفَّ نِزَاعُهَا
هِيَ النَّفْسُ مَا كَلَفَتْهَا قَطُّ خُطَّةً * مِنْ الْأَمْرِ إِلَّا قَلَّ مِنْهُ امْتِنَاعُهَا
صَدَقْتَ لِعَمْرِي أَنْتَ أَكْبَرُ هَمِّهَا * فَأَجْهَدُهَا إِذْ قَلَّ مِنْكَ انْتِفَاعُهَا
هَبْ أَيْ أَعْمَى فَاتَتْ الشَّمْسُ طَرَفَهُ * وَغَيَّبَ عَنْهُ نَوْرُهَا وَشُعَاعُهَا

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

رَأَيْتُ فُضَيْلًا كَانَ شَيْئًا مُلَفَّقًا * فَكَشَفَهُ التَّجِيصُ حَتَّى بَدَأَ لَبَا

فانت أني ما لم تكن لي حاجة ■ فإن عرضت أيقنت أن لا أخالياً
 فلا زاد ما بيني وبينك بعدما ■ بلوتك في الحاجات إلا تمادياً
 فاست براء عيب ذى الود كله ■ ولا بعض ما فيه إذا كنت راضياً
 فعين الرضا عن كل عيب كليله ■ ولكن عين السخط تبدى المساوياً
 كلانا غني عن أخيه حياته * ونحن إذا متنا أشد تغانياً

وكتب أيضاً الى بعض إخوانه : أما بعد، فقد عاقني الشك فيك عن عزيمة
 الرأي في أمرك، ابتدأتني بلطف عن غير خبرة، ثم أعقبني جفاءً من غير ذنب،
 فاطمعتني أولك في إخالك، وآيسني آخرك من وفائك، فلا أنا في غير الرجاء أجمع لك
 أطراحاً، ولا أنا في غد وانتظاره منك على ثقة، فسبحان من لو شاء كشف بإيضاح
 الرأي في أمرك عن عزيمة الرأي فيك، فأقنا على اتلاف، أو أفرقنا على اختلاف.

وكتب رجل إلى صديقي له : نحن نستكثرك باعتزالك، ونستديم صلتك
 بحفائك، ونرى الزيادة في الغم أدوم لجميل رأيك. ومثله قول كثير :
 وإن شحطت يوماً بكيت وإن دنت * تدلت وأستكثرها باعتزالها
 ونحوه قول الكمي :

وقد يخذل المولى دعائي ويحتدي ■ أذا أتى وإن يعدل به الضيم أغضب
 فأونس من بعض الصديق ملالة الذنوب — فأستبقم — بالتجنب
 وقال آخر :

إنك ما أعلم ذو ملّة * يذهلك الأذى عن الأقدم

(١) كذا في المحاسن والمساوي للبيهقي والمحاسن والأضداد للجاحظ. وفي الأصل : « ابتدأتني باطلف

عن غير حكمة » . (٢) كذا في الأصل ولعله : « ونرى الزيادة في الغم أدوم الخ » .

وقال عبد الرحمن بن حسان :

لا خير في الود ممن لا تزال له * مستشعراً أبداً من خيفة وجل
إذا تغيب لم تبرح شبيء به * ظناً وتسأل عما قال أو فعلا

وقال مرة بن محكان :

تري بيننا خلقاً ظاهراً * وصدرأ عدواً ووجهاً طليقاً

ونحوه قول المرار :

كذب تحترصه على لقومه * سلم اللسان محارب الأسرار

وحدثني أبو حمزة الأنصاري قال : حدثنا العتيبي قال : قالت أعرابية لأبنها :
يا بني ، إياك وصحبة من مودته بشره فإنه بمنزلة الريح .

وكان يقال : الإخوان ثلاثة : أخ يخلص لك وده ، ويبلغ في محبتك جهده .
وأخ ذونية يقتصر بك على حسن نيته ، دون رفده ومعاونته . وأخ يلهو^(١) لك لسانه ،
ويتشاغل عنك بلسانه ، ويوسعك من كذبه وأيمانه .

وقال المثنى العبدى :

فإذا أن تكون أحنى بصدق * فأعرف منك غنى من ثميني

وإلا فأجتنبني واتخذني * عدواً أتيقك وتتقيني

وقال أوس بن حجر :

وليس أخوك الدائم العهد بالذي * يسوءك إن ولّى ويرضيك مقبلاً

ولكن أخوك النائي مادمت آمناً * وصاحبك الأدنى إذا الأمر أعضلاً

(١) كذا في الأصل ولعله : « بلسانه » واللهوقة والتهووق : أن يبدى الإنسان غير ما في طبيعته ويتزين

بما ليس فيه من خلق ومروءة وكرم .

وقال آخر :

لَعَمْرُكَ مَا وَدَّ اللّسانُ بِنَافِعِ * إِذَا لَمْ يَكُنْ أَصْلُ المَوَدَّةِ فِي القَلْبِ
وقال أبو حارثة المَدَنِي : لَيْسَ لِمَلُولٍ صَدِيقٌ ، وَلَا لِحَسُودٍ غَنِيٌّ ، وَالنَّظَرُ فِي العَوَاقِبِ
تَلْقِيحُ العُقُولِ .

قال العباس بن الأحنف :

أَشْكُو الَّذِينَ أَذَاقُونِي مَوَدَّتَهُمْ * حَتَّى إِذَا أَقْطَعُونِي فِي الهَوَى رَقَدُوا
وَاسْتَهْضُونِي فَلَمَّا قَتُّ مُنْتَهَضًا * بِثِقَلِ مَا حَمَلُونِي فِي الهَوَى قَعَدُوا
ونحوه قول المجنون :

وَأَدْنَيْتَنِي حَتَّى إِذَا مَا سَبَيْتَنِي * بِقَوْلٍ يَحِلُّ العَصَمَ سَهْلَ الأَبَاطِحِ
تَجَافَيْتَ عَنِّي حِينَ لَا لِي حِيلَةٌ * وَخَلَفْتَ مَا خَلَفْتَ بَيْنَ الجَوَانِحِ

وقال آخر :

وَلَا خَيْرَ فِي وَدِّ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ * عَلَى طَوْلِ مَرِّ الحَادِثَاتِ بَقَاءُ
وَأَنشَدَ ابْنُ الأَعْرَابِيِّ :

لَا إِلَهَ مَن لَا يَنْفَعُ الْوَدَّ عِنْدَهُ * وَمَنْ حَبَلُهُ إِنْ مُدَّ غَيْرُ مَتِينِ
وَمَنْ هُوَ إِنْ يُحَدِّثُ لَهُ الْغَيْرُ نَظْرَةً * يُقَطِّعُ بِهَا أَسْبَابَ كُلِّ قَرِينِ

(١) فِي الأَصْلِ : « لَتَقُلْ » بِاللَّامِ وَلَيْسَ هَذَا مَقَامَهَا ، وَرَوَايَةُ الدِّيَوَانِ :

وَاسْتَهْضُونِي فَلَمَّا قَتُّ مُنْتَهَضًا * بِثِقَلِ مَا حَمَلُوا مِنْ رَدِّهِمْ قَعَدُوا

(٢) العَصَمُ : جَمْعُ أَعَصَمَ ، وَالْأَعَصَمُ مِنَ الْقَبَاءِ وَالْوَعُولِ : مَا فِي ذِرَاعِيهِ أَوْ فِي أَحَدِهِمَا بَيَاضٌ وَسَاوَرُهُ
أَسْوَدٌ أَوْ أَحْمَرٌ . (٣) نَسَبَ القَالِي فِي أَمَالِيهِ (ج ٢ ص ٢٢٨ طَبْعَةُ دَارِ الكُتُبِ المِصْرِيَّةِ) هَذِينَ

الْبَيْتَيْنِ لِكثِيرٍ ، وَقَدْ نَسَبَهُمَا أَبُو الفَرَجِ فِي الأَغَانِي (ج ٢ ص ٩٠ طَبْعَةُ دَارِ الكُتُبِ) لِلْمَجْنُونِ .

ويقال : صاحب السوء جذوة من النار .

وقال علي عليه السلام : " لا تَوَاحُ الفاجر فإنه يزین لك فعله ويحب لو أنك مثله ويزین لك أسوأ خصاله ، ومدخله عليك ومخرجه من عندك شين وعار . ولا الأحق فإنه يجتهد بنفسه لك ولا ينفعك وربما أراد أن ينفعك فيضرك ، فسكوته خير من نطقه ، وبعده خير من قربه ، وموته خير من حياته . ولا الكذاب فإنه لا ينفعك معه عيش ، ينقل حديثك وينقل الحديث إليك حتى إنه ليحدث بالصدق فما يصدق " .

قال أبو قبيل : أسرتُ ببلاد الروم فأصبْتُ على ركن من أركانها :

ولا تصحب أخا الجهل * وإياك وإياه

فكم من جاهل أَرَدَى * حليماً حين آخاه

يُقاسُ المرءُ بالمرء * إذا ما هو ماشاه

وللشيء على الشيء * مقاييسُ وأشباه

وللقلب على القلب * دليلٌ حين يلقاه

وقال عدی بن زيد :

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه ^(١) * فإن القرين بالمقارن مقتدى

وأنشد الرياشي :

إن كنت لا تصحب إلا قتي * مثلك لم تؤت بأمثالكا

(١) ورد هذا البيت في حماسة البحرى (ص ٣٠٧ طبعة أوروبا) بلفظ : « وسل عن قرينه »

وكتب بهامشه : « خ : وأبصر قرينه » إشارة إلى نسخة أخرى . وورد في ديوان طرفة بن العبد

(ص ١٥٣ طبع مدينة شالون سنة ١٩٠٠ م) ضمن الأبيات المنسوبة إليه والراجح أنه لعدی بن زيد ، من

داليته المشهورة ، وهي من مجمرات أشعار العرب التي ذكرها أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي في كتابه

« جمهرة أشعار العرب » (ص ١٠٢ طبعة بولاق) ومطلعها :

أتعرف رسم الدار من أم معبد * نعم ورمالك الشوق قبل التجلد

إِنَّ لَكَ الْفَضْلَ عَلَى صُحْبَتِي * وَالْمَسْكُ قَدْ يَسْتَصِحِبُ أَزْوَاجًا^(١)
هَبْنِي أَمْرًا جُئْتُ أُرِيدُ الْهَدَى * جُئْتُ عَلَى ضَعْفِي بِإِسْلَامِكَ

وكتب يحيى بن خالد : أَحَبُّ أَنْ تَكُونَ عَلَى يَقِينٍ أَنِّي بِكَ صَنِينٌ ، أُرِيدُكَ
مَا أُرِيدَنِي ، وَأُرِيدُكَ أَنْ تَتُوبَ عَنِّي مَا كَانَ ذَلِكَ بِي وَبِكَ جَمِيلًا يَحْسُنُ عِنْدَ إِخْوَانِنَا ،
وَإِنْ وَقَعْتَ الْمَقَادِيرُ بِخِلَافِ ذَلِكَ لَمْ أَعُدْ مَا يَجِبُ . وَالَّذِي هَاجَنِي عَلَى الْكِتَابِ أَنَّ
أَبَا نُوحٍ مَعْرُوفَ بْنَ رَاشِدٍ سَأَلَنِي أَنْ أَبُوحَ لَهُ بِمَا عِنْدِي ، وَاللَّهِ يَعْلَمُ أَنِّي مَا تَبَدَّلْتُ
وَمَا حُلْتُ عَنْ عَهْدٍ ، فَجَمَعْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكَ عَلَى طَاعَتِهِ وَحُبِّهِ خَلِيفَتِهِ .

وَقَرَأْتُ فِي كِتَابٍ لِلْهِنْدِ : ثِقْ بِذِي الْعَقْلِ وَالْكَرَمِ وَأَطْمَئِنَّ إِلَيْهِ ، وَوَاصِلِ الْعَاقِلَ
غَيْرَ ذِي الْكَرَمِ ، وَأَحْتَرَسْ مِنْ سَيِّئِ أَخْلَاقِهِ وَانْتَفِعْ بِعَقْلِهِ ؛ وَوَاصِلِ الْكَرِيمَ غَيْرَ
ذِي الْعَقْلِ وَانْتَفِعْ بِكَرَمِهِ وَأَنْفَعِهِ بِعَقْلِكَ ؛ وَأَهْرُبْ مِنَ اللَّئِيمِ الْأَحْمَقِ .^(٢)

وَقَالَ حَمَادُ عَجْرَدَ :

كَمْ مِنْ أَخٍ لَكَ لَسْتَ تُنْكِرُهُ * مَا دُمْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فِي يُسْرِ
مُتَصَنِّعٍ لَكَ فِي مَوَدَّتِهِ * يَلْقَاكَ بِالْتَّرْحِيبِ وَالْبُشْرِ
يُطْرِي الْوَفَاءَ وَذَا الْوَفَاءَ وَيَدُ^(٣) ■ حَيَّ الْقَدْرَ مَجْتَهِدًا وَذَا الْقَدْرَ
فَإِذَا عَدَا ، وَالْدَّهْرُ ذُو غَيْرَةٍ * دَهْرٌ عَلَيْكَ عَدَا مَعَ الدَّهْرِ
فَارْفُضْ بِيَا جَمَالٍ أُخُوَّةَ مَنْ^(٤) * يَقِلُّ الْمُقَلُّ وَيَعْشَقُ الْمُثْرَى
وَعَلَيْكَ مَنْ حَالَاهُ وَاحِدَةً * فِي الْعُسْرِ إِمَّا كُنْتَ وَالْيُسْرِ
لَا تَخْلُطُهُمْ بِغَيْرِهِمْ * مِنْ يَخْلُطُ الْعِقْيَانَ بِالْصُّفْرِ!^(٥)

(١) الزامك : شيء أسود كالقار يخلط بالمسك . (٢) في الأصل : « العاقل » وهو

تحريف . (٣) كذا في الأغاني (ج ١٣ ص ٩٠) . وفي الأصل : « يطوى » وهو تحريف .

(٤) في الأغاني (ج ١٣ ص ٩٠) : « مودة » . (٥) الصفر : النحاس الأصفر .

وقال سويد^(١) بن الصامت :

أَلَا رَبُّ مَنْ تَدْعُو صَدِيقًا وَلَوْ تَرَى * مَقَالَتَهُ بِالْغَيْبِ سَاءَ مَا يَفْعُرِي
مَقَالَتُهُ كَالشَّحْمِ مَا كَانَ شَاهِدًا * وَبِالْغَيْبِ مَا ثَوَّرَ عَلَى ثَغْرِ النَّحْرِ^(٢)
تُبِينُ لَكَ الْعَيْنَانِ مَا هُوَ كَاتِمٌ * مِنَ الضُّغْنِ وَالشُّحْنَاءِ بِالنَّظَرِ الشَّرِّ^(٣)
فَرَشَنِي بِخَيْرِ طَائِلًا قَدْ بَرَيْتَنِي * وَخَيْرُ الْمَوَالِي مَنْ يَرِيشُ وَلَا يَبْرِي

وقال آخر :

وَصَاحِبٍ كَانَ لِي وَكُنْتُ لَهُ * أَشْفَقَ مِنْ وَالِدٍ عَلَى وَلَدٍ
كَمَا كَسَاقٍ تَسْمَعِي بِهَا قَدَمٌ * أَوْ كَذَرَايَ نِيَطْتُ إِلَى عَصِيدٍ^(٤)
حَتَّى إِذَا دَانَتْ الْحَوَادِثُ مِنْ * خَطْوِي وَحَلَّ الزَّمَانُ مِنْ عُقْدِي
إِخْوَلْتُ عَنِّي وَكَانَ يَنْظُرُ مِنْ * عَيْنِي وَيَرْمِي بِسَاعِدِي وَيَدِي
وَكَانَ لِي مُؤْنَسًا وَكُنْتُ لَهُ * لَيْسَتْ بِنَا وَخَشَاةٌ إِلَى أَحَدٍ
حَتَّى إِذَا اسْتَرْقَدْتُ يَدِي يَدَهُ * كُنْتُ كَمُسْتَرْفِدٍ يَدَ الْأَسَدِ

وقال بعض الأعراب :

إِخْوَانُ هَذَا الزَّمَانِ كُلُّهُمْ * إِخْوَانٌ غَدَرٌ عَلَيْهِ قَدْ جُبِلُوا
طَوَوْا ثِيَابَ الْوَفَاءِ بَيْنَهُمْ * وَصَارَ تَوْبُ الرِّيَاءِ يَبْتَذِلُ^(٥)
أَخُوهُمْ الْمُسْتَحِقُّ وَضَاهَهُمْ * مَنْ شَرَبُوا عِنْدَهُ وَمَنْ أَكَلُوا
وَلَيْسَ فِيمَا عَلِمْتُ بَيْنَهُمْ * وَبَيْنَ مَنْ كَانَ مُعْدِمًا عَمَلٌ

(١) ذكر اللسان في مادة «نشر» هذه الأبيات مع أبيات أخرى من القصيدة ونسبها لعمير بن حبيب .
(٢) كذا في اللسان ، والمأثور : الذي يؤثر عنه شر وتهمة « وفي الأصل : « مأمون » وهو تحريف ؛
وثغرة النحر : نقرته ؛ يريد أنه يطعنه في غيبته . (٣) كذا ورد هذا الشطر في اللسان . وفي الأصل
ورد هكذا : * ولاجن البقضاء والنظر الشر * (٤) دانت : قاربت . (٥) يبتذل :
يلبس كثيرا ، ومنه البذلة والمبذلة من الثياب : ما يلبس ويمتنع ولا يهوان .

قال رجل لآخر: بلغني عنك أمرٌ قبيح، فقال: يا هذا، إنَّ صُحبة الأشرار ربما أورثت سوءَ ظنٍّ بالأخيار.

وقال دُعيل:

أبا مُسلم كُنا حَليفي مودة * هَوَانًا وَقَلْبَانًا جَمِيعًا مَعًا مَعًا
أحوطك بالود الذي لا تحوطني * وأرأبُ منك الشعبُ أن يتصدعًا
فلا تلحني لم أجد فيك حيلة * تخرقت حتى لم أجد فيك مرقعًا
فهبك يميني آسأ كلت فأحتسبها * وجشمتُ قلبي قطعها فتخشعا^(٤)

وقال يزيد بن الحكم الثقفى:

تكاشرني كُرها كَأَنَّكَ ناصح * وعينك تُبدي أن قلبك لى دوى^(٦)
لسانك ماذى وقلبك علقم^(٧) * وشرك مبسوط وخيرك منطوى^(٨)
عدوك يخشى صولتي إن لقيته * وأنت عدوى ليس ذاك بمستوى^(٩)
أراك إذا لم أهُو أمرًا هويته * ولست لما أهوى من الأمر بالهوى

- (١) كذا بالأصل . وفى الأغاني (ج ١٨ ص ١٤٧) : « أبا نخلد » . (٢) كذا
بالأصل ولم نجد هذه الصيغة فى كتب اللغة الا بمعنى استأكل الشئ، طلب منه أن يأكله ، والمستأكله :
الذين يأخذون أموال الضعفاء كاليتامى ويعيشون عليها ، والظاهر أن المراد هنا فى الشعر تأكل يده ،
والصيغة الدالة على هذا المعنى فى كتب اللغة هى اشكل وتأكل . (٣) فى الأغاني طبع بولاق
ج ١٨ ص ٤٧ : « ففطعها » . (٤) فى الأغاني : * وجشمت قلبي صبرة فتشجعا *
(٥) تكاشرني : نضاحكني من قوفهم : كشر عن أسنانه اذا كشف عنها . (٦) دوى : مضطعن .
(٧) الماذى : العسل الأبيض . (٨) كذا فى الأمالى ج ١ ص ٦٨ طبع دار الكتب
ورواية البيت فيه ٢٠

لسانك ماذى وغيبك علقم * وشرك مبسوط وخيرك منطوى

(٩) وفى الأصل : « ملتوى » : روى هذا البيت فى حاشية البحرى :

تدود عدوى ثم تزعم أننى * صديقك ليس الفعل منك بمستوى

أراك أَجْتَوَيْتَ الْخَيْرَ مِنِّي وَأَجْتَوَيْ * أَذَاكَ فَكُلُّ يَجْتَوِي قُرْبَ مَجْتَوِي^(١)
وَكَمْ مَوْطِنٍ لَوْلَايَ طِجَّتْ كَمَا هَوَى * بِأَجْرَامِهِ مِنْ قُلَّةِ النَّيْقِ مُنْهَوَى^(٢)
ويقال : إِيَّاكَ وَمَنْ مَوَدَّتْهُ عَلَى قَدَرِ حَاجَتِهِ فَعِنْدَ ذَهَابِ الْحَاجَةِ ذَهَابَ الْمَوَدَّةِ .
وقال الحكيم : ثلاثة لَا يَعْرِفُونَ إِلَّا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ : لَا يَعْرِفُ الْحَلِيمُ إِلَّا عِنْدَ
الغضب ، وَلَا الشَّجَاعُ إِلَّا فِي الْحَرْبِ ، وَلَا الْأَخُ إِلَّا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ .

قال جرير :

فَأَنْتَ أَخِي مَا لَمْ تَكُنْ لِي حَاجَةً * فَإِنْ عَرَضَتْ أَيْقَنْتُ أَنْ لَا أَخَالِيَا^(٤)
تَعَرَّضْتُ فَأَسْتَمَرَّرْتُ مِنْ دُونِ حَاجَتِي * فَمَا لَكَ إِنِّي مُسْتَمَرِّرٌ لِحَالِيَا
وَأِنِّي لَمَغْرُورٌ أَعْلَلْتُ بِالْمُنَى * لِيَالِي أَرْجُو أَنْتَ مَا لَكَ مَا لِيَا
بَأَيِّ نِجَادٍ تَحْمِلُ السِّيفَ بَعْدَمَا * نَزَعْتَ سِنَانًا مِنْ قَنَاتِكَ مَاضِيَا^(٥)
أَلَا تَخَافُ نَبْوَئِي فِي مُلِمَّةٍ * وَخَافَا الْمُنَايَا أَنْ تَفُوتَكُنِيَا^(٦)

(١) المَجْتَوَى : الْكَارَهُ . (٢) كَذَا فِي أَمَالِي الْقَالِي . وَفِي الْأَصْلِ : «لَوْلَاكَ» .
(٣) الْقُلَّةُ : أَعْلَى الْجَبَلِ ، وَالنَّيْقُ : أَرْفَعُ مَوْضِعٍ فِيهِ . (٤) رَوَى هَذَا الْبَيْتَ فِي النَّقَائِضِ
ص ١٧٧ طبع أوروبا :

فَأَنْتَ أَبِي مَا لَمْ تَكُنْ لِي حَاجَةً * فَأَنْتَ عَرَضْتَ فَإِنِّي لَا أَخَالِيَا
وهو من قصيدة طويلة مذكورة في النقائض بين جرير والفرزدق مطلعها :
أَلَا حَيَّ رَهِي ثُمَّ حَيَّ الْمُطَالِيَا ■ فَقَدْ كَانَ مَأْنُوسًا فَأَصْبَحَ خَالِيَا
وقد ذكر المؤلف هذا البيت فيما تقدم من هذا الجزء ص ٧٥ لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر كما
ذكر في كثير من كتب الأدب مثل الكامل للبرد والعقد الفريد وزهر الآداب ضمن شعر مطلعته :
رَأَيْتُ فَضِيلًا كَانَ شَيْئًا مَلْفَفًا * فَكَشَفَهُ التَّحْيِصَ حَتَّى بَدَأَ لِيَا
(٥) النِّجَادُ : حَائِلُ السِّيفِ ، وَقَدْ وَرَدَ هَذَا الشَّعْرُ فِي الْأَغَانِي (ج ٧ ص ٥٢) وَالنَّقَائِضِ
(ص ١٧٧) هَكَذَا :

بَأَيِّ نِجَادٍ تَحْمِلُ السِّيفَ بَعْدَمَا ■ قَطَعْتَ الْقَوَى مِنْ مَحْمَلٍ كَانَ بَاقِيَا
بَأَيِّ سِنَانٍ تَطْعُنُ الْقَوْمَ بَعْدَمَا * نَزَعْتَ سِنَانًا مِنْ قَنَاتِكَ مَاضِيَا
(٦) يَقُولُ : لَا تَخَافَا أَنْ أُنْبِغِعَنَّكَ إِنْ أَلَمْتُ بِكَ مِلَّةً مَا عَشْتُ وَخَافَا ذَلِكَ مِنِّي إِذَا مِتَ (رَاجِعْ كِتَابَ
النَّقَائِضِ ص ١٧٨) .

وقال أبو العتاهية :

أَنْتَ مَا اسْتَغْنَيْتَ عَنْ صَا * حَبِكَ الدَّهْرَ أَخُوهُ
فَإِذَا أَحْتَجْتَ إِلَيْهِ * سَاعَةً مَجَّكَ فُوهُ

وقال آخر :

مَوَالِينَا إِذَا أَفْتَقَرُوا إِلَيْنَا ■ وَإِنْ أَثَرُوا فَلَيْسَ لَنَا مَوَالِي
والعرب تقول فيمن شَرَكَكَ في النِّعْمَةِ وَخَذَلَكَ عِنْدَ النَّائِبَةِ : يَرِيضُ ^(١) حَجْرَةً وَيَرْتَعُ ^(٢)
وَسَطًا .

قال المسدائي : لحن الحجاج يوما ، فقال الناس : لحن الأمير ، فأخبره بعض
من حضر ، فتمثل بشعر قَعْنَبَ بن أمِّ صاحب :

صُمُّ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا ذُكِرْتُ بِهِ * وَإِنْ ذُكِرْتُ بِسُوءٍ عِنْدَهُمْ أَذِنُوا ^(٣)
فَطَانَهُ فَطَنُهَا لَوْ تَكُونُ لَهُمْ ■ مَرُوءَةٌ أَوْ تُقَى لَهِ لَهِ مَا فَطَنُوا
إِنْ يَسْمَعُوا سَيِّئًا طَارُوا بِهِ قَرَحًا ■ مَنِي وَمَا سَمِعُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا

باب القربابات والولد

حدثني زيد بن أنحزم قال حدثنا أبو داود قال حدثنا إسحاق بن سعيد القرشي
من ولد سعيد بن العاص قال أخبرني أبي قال : كنتُ عند ابن عباس ، فأتاه رجل
فَمَتَّ إِلَيْهِ بِرَحِمٍ بَعِيدَةٍ ، فَلَانَ لَهُ وَقَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "إِعْرِفُوا
أَنْسَابَكُمْ تَصِلُوا أَرْحَامَكُمْ فَإِنَّهُ لَا قُرْبَ بِالرَّحِمِ إِذَا قُطِعَتْ وَإِنْ كَانَتْ قَرِيبَةً وَلَا بُعْدَ بِهَا
إِذَا وَصِلَتْ وَإِنْ كَانَتْ بَعِيدَةً" .

(١) في الأصل : « تريض » بالناء والصاد المهملة وهو تحريف . (٢) الحجرة : الناحية .

(٣) أذنوا : استمعوا .

حدَّثني شَبَابَةُ قَالَ حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ الْحَكَمِ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عِيَّاشٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ قَالَ : أَحْذَرُوا ثَلَاثًا ، فَإِنَّهُنَّ مَعْلَقَاتُ الْعَرْشِ : النِّعْمَةُ تَقُولُ يَا رَبِّ كُفِّرْتُ ، وَالْأَمَانَةُ تَقُولُ يَا رَبِّ أَكَلْتُ ، وَالرَّحْمُ تَقُولُ يَا رَبِّ قُطِعْتُ .

حدَّثني الزِّيَادِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ قَالَ قَالَ مُحَارِبُ بْنُ دِنَارٍ : إِنَّمَا سُمُّوا أَبْرَارًا لِأَنَّهُمْ بَرُّوا الْآبَاءَ وَالْأَبْنَاءَ ، وَكَأَنَّ لَوَالِدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، فَكَذَلِكَ لَوَالِدِكَ عَلَيْكَ حَقٌّ .

حدَّثني أَبُو سَفْيَانَ الْغَنَوِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ حَيَّوَةَ بْنِ شُرَيْحٍ عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ أَبِي الْوَلِيدِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍاءَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : ” أَكْبَرُ الرِّبِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وَدَّ أَبِيهِ “ .

حدَّثني الْقَوْمَسِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ قَالَ حَدَّثَنَا كَثِيرُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : ” ابْنُ أُخْتِ الْقَوْمِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمَوْلَى الْقَوْمِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَحَايِفُ الْقَوْمِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ “ .

وحدَّثني أَيْضًا عَنْ خَالِدِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ سَلِمَانَ بْنِ بِلَالٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ” الرَّحْمُ شَجَنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ قَالَ لَهَا مَنْ وَصَلَكَ وَصَلَتْهُ وَمَنْ قَطَعَكَ قَطَعَتْهُ “ .

حدَّثني الزِّيَادِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي سِيرِينَ قَالَ قَالَ عُمَانُ : كَانَ عَمْرٍاءُ يَمْنَعُ أَقْرَبَاءَهُ أَتْبَعَاءَ وَجْهِهِ اللَّهُ ، وَأَنَا أُعْطِيَ قَرَابَاتِي لَوَجْهِهِ اللَّهُ ، وَلَنْ يَرَى مِثْلُ عَمْرٍاءَ .

(١) ورد في الجامع الصغير : « منهم » بدل « من أنفسهم » ولعلها رواية . (٢) الشجعة :

الشجعة من كل شيء ، يقال : بينهما شجعة رحم .

حدثني أحمد بن الخليل قال حدثنا إبراهيم بن موسى قال حدثنا محمد بن ثور^(١) عن معمر عن أبي إسحاق عن عاصم بن صمرة عن عليّ عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمُرِهِ وَيُوسَعَ لَهُ فِي رِزْقِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ" .

حدثني أحمد بن الخليل قال حدثنا أبو نعيم قال حدثنا سفيان عن عبد الله بن عيسى عن عبيد بن أبي الجعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلَّا الْبُرْ وَلَا يَرُدُّ الْقَدَرُ إِلَّا الدَّعَاءُ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُحَرِّمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يَصِيبُهُ" .

حدثني محمد بن يحيى القطعي قال حدثنا عبد الأعلى قال حدثنا سعيد عن مطر عن الحكم بن عتيبة عن النخعي عن ابن عمر قال : أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني والدي يأخذ مني مالي وأنا كاره؛ فقال : "أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّكَ وَمَالُكَ لِأَيِّكَ" .

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله عن الأصمعي قال : أخبرني بعض العرب : أن رجلا كان في زمن عبد الملك بن مروان ، وكان له أب كبير ، وكان الشاب عاقا بأبيه ، وكان يقال للشاب "مَنَازِلُ"^(٣) فقال الشيخ^(٤) :

جَزَتْ رَحِمُ بَنِي وَبَيْنَ مَنَازِلٍ * جَزَاءُ كَمَا يَسْتَنْجِزُ الدِّينَ طَالِبُهُ
تَرَبَّتْ حَتَّى صَارَ جَعْدًا شَمْرَدَلًا * إِذَا قَامَ سَاوَى غَارِبَ الْفَحْلِ غَارِبُهُ^(٥)

(١) هو معمر بن راشد ، وهو الذي يروي عنه محمد بن ثور كما في التهذيب . (٢) كذا في الخلاصة في أسماء الرجال للزرجي وفي الأصل «عينة» وهو تحريف . (٣) هو منازل ابن فرعان ذكره في القاموس وقال شارحه هو بفتح الميم ومنهم من ضبطه بضمها . (٤) هو فرعان التميمي كما في لسان العرب مادة «جعد» . (٥) تَرَبَّتْ : تَرَبَّى . والجعد الطويل . والشمردل : الفتى القوي ، وقد اختلف اللسان (في مادة جعد) عما هنا في إيراد هذا البيت ، وأورد معناه في بيتين وهما :

وَرَبِيئُهُ حَتَّى إِذَا مَا تَرَكْتَهُ * أَخَا الْقَوْمِ وَاسْتَفْنَى عَنِ الْمَسْحِ شَارِبُهُ
وَبِالْمَحْضِ حَتَّى آخَ جَعْدًا عَطْلَطًا * إِذَا قَامَ سَاوَى غَارِبَ الْفَحْلِ غَارِبُهُ

تَظَلَّمَنِي مَالِي كَذَا وَلَوْ يَدِي * لَوَى يَدَهُ اللَّهُ الَّذِي لَا يَغَالِبُهُ
وَأَنِّي لَدَايِعَ دَعْوَةٍ لَوْ دَعَوْتُهَا * عَلَى جَبَلِ الرَّيَّانِ لَأَنْقَضَ جَانِبُهُ

فبلغ ذلك أميراً كان عليهم ، فأرسل إلى الفقي ليأخذه « فقال له الشيخ : أخرج من
خلف البيت ، فسبق رُسل الأمير ، ثم أتيت الفقي بآبٍ عَقَّه في آخر عمره فقال :

تَظَلَّمَنِي مَالِي خَلِيجٌ وَعَقَّي * عَلَى حِينَ كَانَتْ كَالْحَنِي عِظَامِي
تَحَيَّرْتُهُ وَأَزْدَدْتُهُ لِيَزِيدَنِي * وَمَا بَعْضُ مَا يَزْدَادُ غَيْرُ عِرَامٍ^(١)

وقال يحيى بن سعيد مولى تيم كوفي لأبيه :^(٢)

غَدَوْتُكَ مَوْلُودًا وَعَلَيْكَ يَافِعًا * تُعَلِّ بِمَا أَجْنِي عَلَيْكَ وَتُهِنُّ^(٣)
إِذَا لَيْلَةٌ نَالَتْكَ بِالشُّكُو لَمْ أَتِ * لَشُكْوَاكَ إِلَّا سَاهِرًا أَتَمَلُّ^(٤)
كَأَنِّي أَنَا الْمَطْرُوقُ دُونَكَ بِالَّذِي * طُرِفْتُ بِهِ دُونِي وَعَيْنِي تَهْمُلُ
فَلَمَّا بَاغَتْ الْوَقْتَ فِي الْعِدَّةِ الَّتِي * إِلَيْهَا جَرَى مَا أَبْتَغِيهِ وَأَمُلُ^(٥)
جَعَلْتَ جَرَائِي مِنْكَ جَبْهًا وَغِلَظَةً * كَأَنَّكَ أَنْتَ الْمَنْعَمُ الْمُنْفَضُّ
فَلَيْتَكَ إِذْ لَمْ تَرَعْ حَقَّ أَبَوِي * كَمَا يَفْعَلُ الْجَارُ الْجَاوِرُ تَفْعُلُ^(٦)

قال القاسم بن محمد : قد جعل الله في الصديق البارِّ عَوْضًا مِنَ الرَّحِمِ الْمُدْبِرَةِ .

١٥ (١) العرام : الشراسة والأذى ، وفي الأصل : « غرام » بالعين المعجمة وهو تحريف .

(٢) هذا الشعر لأمية بن أبي الصلت النقي كما في الأغاني (ج ٣ ص ١٩١ طبعة بولاق) وأشعار
الحماسة (ص ٣٥٤ طبع أوروبا) ، وقيل : إنها تروى لابن عبد الأعلى ، وقيل : لأبي العباس الأعشى .
وليس ليحيى بن سعيد كما ذكر المؤلف لأنه أنشد بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ عليه الصلاة والسلام
يتلايب الولد وسلبه لوالده قائلاً له : « أنت ومالك لأبيك » . (٣) في أشعار الحماسة

٢٠ « أدنى إليك » . (٤) رواية هذا البيت في الحماسة :

فلما بلغت السن والغاية التي * إليها مدى ما كنت فيك أومل

(٥) في الحماسة : « فعلت كما الجار ... الخ » .

كتب عمر إلى أبي موسى : مُرْ ذَوِي الْقَرَابَاتِ أَنْ يَتَرَاوَرُوا وَلَا يَتَجَاوَرُوا .
 وقال أَسْكَمَ بن صَيْفِيٍّ : تَبَاعَدُوا فِي الدِّيَارِ تَقَارَبُوا فِي الْمَوَدَّةِ .
 قيل لأَعْرَابِيٍّ : مَا تَقُولُ فِي ابْنِ عَمِّكَ ؟ قال : عَدُوُّكَ وَعَدُوُّ عَدُوِّكَ .
 وقال قَيْسُ بن زُهَيْرٍ :

شَفَيْتُ النَّفْسَ مِنْ حَمَلِ بْنِ بَدْرِ ■ وَسَيَفِي مِنْ حُدَيْفَةٍ قَدْ شَفَانِي ٥
 قَتَلْتُ بِإِخْوَتِي سَادَاتِ قَوْمِي ■ وَقَدْ كَانُوا لَنَا حَلَى الزَّمَانِ
 فَإِنْ أَكْ قَدْ بَرَدْتُ بِهِمْ غَلِيلِي ■ فَلَمْ أَقْطَعْ بِهِمْ إِلَّا بَنَانِي
 قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، حين تصفح القتلى يوم الجمل : شَفَيْتُ
 نَفْسِي وَجَدَعْتُ أَنْفِي . وفي مثل ذلك قول القائل :

قَوْمِي هُمْ قَتَلُوا أُمِّمَ أَنْحِي ■ فَإِذَا رَمَيْتُ يُصِيبُنِي سَمْحِي ١٠
 وَلَنْ عَفَوْتُ لَأَعْفُونَ جَلَلًا ■ وَلَنْ قَرَعْتُ لَأَوْهَنْ عَظْمِي
 قَتَلَ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ ابْنَ أَخِيهِ فُدْفَعَ إِلَى أَخِيهِ لِيُقَيِّدَهُ ، فَلَمَّا أَهْوَى بِالسَّيْفِ
 أُرْعِدَتْ يَدَاهُ ، فَأَلْقَى السَّيْفَ مِنْ يَدِهِ وَعَفَا عَنْهُ وَقَالَ :

أَقُولُ لِلنَّفْسِ تَأْسَاءً وَتَعَزِيَةً ■ إِحْدَى يَدَيَّ أَصَابَتْنِي وَلَمْ تُرِدْ ١٥
 كَلَاهُمَا خَلْفٌ مِنْ فَقْدِ صَاحِبِهِ ■ هَذَا أَنْحِي حِينَ أَدْعُوهُ وَذَا وَلَدِي

وقال بعضهم :

بَكَرَ سَرَاتِنَا يَا آلَ عَمْرٍو ■ نُقَادِيكُمْ بِمُهِفَةِ النَّصَالِ
 فَنَبْكِي حِينَ نَذْكُرْكُمْ عَلَيْكُمْ ■ وَنَقْتَلِكُمْ كَأَنَّا لَا نُبَالِي

وقال عدى بن زيد :

وِظْلُمُ ذَوِي الْقُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً ■ عَلَى الْمَرْءِ مِنْ وَقْعِ الْحُسَامِ الْمُهَنْدِ ٢٠

(١) هو الحارث بن ولة الذهلي كما في الجملة . (٢) في الجملة : «سوط» .
 (٣) في الأصل : «لاين أخيه» وهو تحريف .

وقال غيره ^(١) :

سَأْخُذُ مِنْكُمْ آلَ حَزْنٍ لِحَوْشِبٍ ^(٢) ■ وَإِن كَانَ مَوْلَايَ وَكُنْتُمْ بَنِي أَبِي ^(٣)
إِذَا كُنْتُ لَا أُرْمَى وَتُرْمَى عَشِيرَتِي ^(٤) ■ تُصَبُّ جَانِحَاتُ النَّبِيلِ كَشَيْحِي وَمَنْكِحِي ^(٥)

قال حدثنا أبو الخطاب قال حدثنا الوليد بن مسلم عن محمد بن السائب البكري

عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
”حَقُّ كَبِيرِ الْإِخْوَةِ عَلَى صَغِيرِهِمْ حَقُّ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ“ .

والعرب تقول في العطف على القرابة وإن لم يكن وأذا : ”أَنْفَكَ مِنْكَ وَإِنْ
ذَنْ“ ^(٦) . ومثله : ”عَيْصُكَ مِنْكَ وَإِنْ كَانَ أَشْبَاهًا“ ^(٧) .

وقال النمر بن تولب :

إِذَا كُنْتُ مِنْ سَعْدٍ وَأَمَّكَ فِيهِمْ * غَرِيْبًا فَلَا يَغْرُزُكَ خَالُكَ مِنْ سَعْدٍ
فَإِنْ أَبْنِ أَخِي الْقَوْمِ مُصْنَعِي ^(٨) إِنَاؤُهُ * إِذَا لَمْ يُزَاحِمْ خَالَهُ بِأَيِّ جَبَلْدٍ
وقال أمية بن أبي عائذ لإياس بن سهم :

أَبْلُغْ إِيَّاسًا أَنْ عَرَضَ ابْنُ أَخِيكَ * رِدَاؤُكَ فَأَصْطَنَ حُسْنَهُ أَوْ تَبَدَّلَ ^(٩)

- (١) ذكر هذان البيتان في الحماسة ضمن أبيات يقال : إنها لجندل بن عمرو . (٢) كذا في ديوان الحماسة ، وفي الأصل : « آل حزم » . وفيه بدل « لحوشب » « بحوشب » . (٣) في ديوان الحماسة : « وإن كان لي مولى » . وقد أشار شارحه إلى رواية الأصل وقال : لأنه بها دخله الكف وهو حذف السابع الساكن من مفاعيلن ، وهو قبيح في غير الهزج . قال شارح الحماسة : « وليس في الحماسة بيت مكفوف غيره » . ثم قال : « ويروى مولى لي ، فعلى هذا يسلم من الزحاف . والأولى أشبه ببطريقة الشعراء ، ألا ترى أنهما معرفتان مضافتان ، مولاى وبني أبى » . (٤) في الحماسة : « كائنى » وقيل أراد بالسكانة مولا . (٥) في الحماسة : « جانحات » بالنون أى كامرات الجناح ، يقال : جنحه إذا كسر جناحه ، ويجوز أيضا أن يكون جانحات من جنح إليه إذا مال . وأشار شارح الحماسة إلى الرواية التي وردت بالأصل ولكنه استحسن الأولى لأنه لا يقال : رماه فأجتاحه . (٦) ذن : سال مخاطبه وفي مجمع الأمثال : « وإن كان أذن » . (٧) العيص : الجماعة من السدر تجتمع في مكان واحد . والأشب : شدة النفاق الشجر حتى لا يجاز فيه . (٨) مصغى إناءه : منقوص حقه ، يقال : أصغى فلان إناءه إذا أماله ونقصه حظه . (٩) اصطن : صن واحفظ . أمر من اصطناع ، وهو الافتعال من صان . وتبدل : آتمن .

فإنَّ تَكْ ذَا طَوِيلٍ فَإِنِّي أَبْنُ أَخِيكُمْ * وكلُّ أَبْنِ أَخِيٍّ مِنْ مَدَى الْخَالِ مُعْتَلِي^(١)
فَكُنْ أَسَدًا أَوْ ثَعْلَبًا أَوْ شَيْبَةً * فَمَهْمَا تَكُنْ أَتُسَبِّ إِلَيْكَ وَأُشْكِلُ^(٢)
وَمَا ثَعْلَبٌ إِلَّا أَبْنُ أَخِي ثَعَالِبٍ * وإنَّ أَبْنَ أَخِي اللَّيْثِ رَبُّالْأَشْبِلِ
وَكُتِبَ بِشَرِّ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ إِلَى عَمَّةِ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ :

جَفَانِي الْأَمِيرُ وَالْمَغِيرَةُ قَدْ جَفَا * وَأَمْسَى يَزِيدُ لِي قَدْ آزَوْرَ جَانِبُهُ
وَكُلُّهُمْ قَدْ نَالَ شَيْبَةً لِبَطْنِهِ * وَشَبَّعُ الْفَتَى لَوْمٌ إِذَا جَاعَ صَاحِبُهُ
فِيَا عَمَّ مَهْلًا وَأَتَّخِذْنِي لِنَوِيَّةٍ * تَتُوبُ ، فَإِنَّ الدَّهْرَ جَمٌّ عَجَابُهُ
أَنَا السِّيفُ إِلَّا أَنْ لِلسِّيفِ نَبَوَّةٌ * وَمِثْلِي لَا تَنْبُو عَلَيْكَ مَضَارِبُهُ

دخل رجل من أشرف العرب على بعض الملوك ، فسأله عن أخيه ، فأوقع به
يَعْيِيهِ وَيَشْتُمُهُ ، وفي المجلس رجل يَشْنُوهُ فشرع معه في القول ، فقال له : مهلا ! إِنِّي
لَا كُلُّ لَحْمٍ وَلَا أَدَعُهُ لَأَكُلَ .

ويقال : القرابة محتاجة إلى المودة ، والمودة أقرب الأنساب . والبيت المشهور في هذا :

فَإِذَا الْقَرَابَةُ لَا تَقْرُبُ قَاطِعًا * وَإِذَا الْمَوَدَّةُ أَقْرَبُ الْأَنْسَابِ

وقيل لبُزْرِجَمِهر : أخوك أحب إليك أم صديقك ؟ فقال : إنما أحبُّ أُنْحَى إِذَا

كَانَ صَدِيقًا .

وقال خَدَّاشُ بْنُ زُهَيْرٍ :

رَأَيْتُ أَبْنَ عَمِّي بَادِيًا لِي صِغْنُهُ * وَوَاغِرُهُ فِي الصَّدْرِ لَيْسَ بِذَاهِبٍ

وَأَنْشَدَنَا الرَّيَّاشِيُّ :

حَيَاةُ أَبِي السَّيَّارِ خَيْرٌ لِقَوْمِهِ * لِمَنْ كَانَ قَدْ سَاسَ الْأُمُورَ وَجَرَّبَا

وَنَعَتِبُ أَحْيَانًا عَلَيْهِ وَلَوْ مَضَى * لَكُنَّا عَلَى الْبَاقِ مِنَ النَّاسِ أَعْتَبَا

(١) كذا في كتاب أشعار الهذليين ، وهو الذي يتفق مع السياق بعده ، وفي الأصل : « فان أك » ...

(٢) في كتاب أشعار الهذليين : « معتل » بالعين المعجمة ، واعتلى : ارتفع . (٣) كذا في أشعار

الهذليين . وفي الأصل : « إليه » .

وقال الشاعر :

- ولم أرَ عِزًّا لأمريءٍ كعشيره ^(١) * ولم أرَ ذُلًّا مثلَ نأْيٍ عن الأهلِ
 ولم أرَ مثلَ الفقرِ أَوْضَعَ للفقى * ولم أرَ مثلَ المالِ أَدْفَعَ للرزُلِ
 ولم أرَ منَ عُدِمَ أضَرَ على الفقى * إذا عاش وَسَطَ الناسِ منَ عَدَمِ العقلِ
 كان مُهْلِكًا صارَ إلى قبيلةٍ من اليمنِ يقالُ لهم جَنْبٌ، فخطبوا إليه فزوجههم وهو
 كارهٌ لاغترابه عن قومه، ومهروا ابنته أدما ^(٢) فقال :
 أنكحها فقدَّها الأراقِمَ في ^(٣) * جَنْبٌ وكان الحياءُ من أدَمِ
 لو بأبائينِ جاءَ يخطُبُها ^(٤) * رُمِلَ ما أنفُ خاطِبِ بدمِ ^(٥)

وقال الأعشى :

- ومن يَغْتَرِبَ عن قومه لا يَزَلْ يرى * مَصَارِعَ مَظْلُومٍ مَجْرًا وَمَسْحَبًا
 وتَدْفِنُ منه الصالحاتِ وإن يُسَيَّ ^(٦) ■ يكن ما أساءَ النَّارُ في رأسِ كَبْجَا
 وربِّ بَقِيعٍ لو هتَفْتُ بِجَـوِّهِ * أثنائي كَرِيمٌ يَنْغِضُ الرَّأسَ مُغَضَّبًا ^(٧)
 وقال رجل من غطفان :
 إذا أنت لم تَسْتَبِقِ ودَّ صَحَابِيَةٍ * على دَخْنٍ أَكْثَرَتْ بَثَّ المعَاتِبِ ^(٨)

- ١٥ (١) عشيره : قبيلته . (٢) الأدَم : اسم جمع للأديم ، والأديم : الجلد ما كان ، وقيل :
 الأحمر ، وقيل : المدبوغ . (٣) الأراقِم : حى من تغلب وهى قبيلته . (٤) أبائين :
 ثنية أبان ، وهما جبلان يقال لأحدهما : أبان الأبيض ، وللآخر : أبان الأسود . (٥) رمل :
 خضب بالدم . وفى الأغاني (ج ٤ ص ١٤٦ طبع بولاق) ومعجم البلدان : « ضَرَجَ » .
 (٦) كَبْجَا : جبل خلف عرفات مشرف عليها . (٧) يَنْغِضُ الرَّأسَ : يحركه كالاستفهم عما
 يقال له . (٨) على دخن : على كدورة . وأصل الدخن (بالتحريك) : مصدر دخنت النار إذا ألقى
 عليها حطب رطب وكثر دخانها ، وأن يكون لون الدابة أو الثوب كدرا إلى سواد .

وإني لأستبقي أمراً السوء عُدَّة * لعدوة عريضة من الناس عائب^(١)
 أخاف كلاب الأبعدين ونجتها ■ إذا لم تُجأوها كلاب الأقارب
 قال رجل لعبيد الله بن أبي بكر : ما تقول في موت الوالد ؟ قال : ملك حادث ؛
 قال : فموت الزوج ؟ قال : عُرس جديد ؛ قال : فموت الأخ ؟ قال : قَصَّ
 الجناح ؛ قال : فموت الولد ؟ قال : صدع في الفؤاد لا يُجبر .
 وكان يقال : العقوق نكل من لم يشكل .

شكا عثمان علياً إلى العباس رضي الله عنهم ؛ فقال : أنا منه كأبي العاق ، إن عاش
 عقه وإن مات جفّعه .

وقال رجل لأبيه : يا أبت ، إن عظيم حَقِّك علي لا يذهب صغير حتى عليك ،
 والذي تُمّت به إلى أمت بمثله إليك ، ولست أزعم أنا على سواء . ١٠

وقال زيد بن علي بن الحسين لأبنته يحيى : إن الله لم يرْضَك لي فأوصاك بي ، ورضيني
 لك فلم يُوصني بك .

غضب معاوية على يزيد أبنته فهجره ؛ فقال له الأحنف : يا أمير المؤمنين ،
 أولادنا نمار قلوبنا وعماد ظهورنا ، ونحن لهم سماء ظليلة ، وأرض ذليلة ، فإن غضبوا
 فأرضهم ، وإن سألوا فأعطهم ، ولا تكن عليهم قُفلاً فيمَلُّوا حياتك ويمتِنُوا موتك . ١٥

قيل لأعرابي : كيف أبْنُك ؟ — وكان عاقاً — فقال : عذاب رِعْف به الدهر ،
 فليتني قد أودعته القبر ، فإنه بلاء لا يُقاومه الصبر ، وفائدة لا يجب فيها الشكر .

قيل لبعضهم : أيّ ولدك أحب إليك ؟ قال : صغيرهم حتى يكبر ، ومريضهم
 حتى يبرأ ، وغائبهم حتى يقدم .

(١) العريضة : الذي يتعرض للناس بالشر . (٢) رَعَف (بكسر عينه) : سبق وتقدّم .

ناول عمر بن الخطاب رجلاً شيئاً فقال له : خدمك بنوك ؛ فقال عمر : بل أغنانا الله عنهم .

وولد للحسن غلام ، فقال له بعض جلسائه : بارك الله لك في هبته ، وزادك من أحسن نعمته ؛ فقال الحسن : الحمد لله على كل حسنة ، ونسأل الله الزيادة في كل نعمة ، ولا مرجحاً بمن إن كنت عائلاً أنصيني ، وإن كنت غنياً أذهلني ، لا أرضى بسعيي له سعياً ، ولا بكدي له في الحياة كداً ، حتى أشفق له من الفاقة بعد وفاتي ، وأنا في حال لا يصل إلى من غمه حزن ولا من فرحه سرور .

قال الأصمعي : عاتب أعرابي ابنه في شرب النبيذ ، فلم يعتب^(١) وقال :
أمن شربة من ماء ككرّم شربتها * غضبت عليّ ! الآن طاب لي الخمر
سأشرب فأغضب لا رضىت ، كلاهما * إلى لذيد : أن أعقك والسكّر
وقال الطرماتح لابنه صمصامة :

أصمصام إن تسقع لأتمك تلقها * لها شافع في الصدر لم يتبرج
هل الحب إلا أنها لو تعرضت * لذبحك يا صمصام قلت لها أذبحي
أحاذر يا صمصام إن مت أن يل * ثرائي وإياك أمرؤ غير مصلح^(٢)
إذا صك وسط القوم رأسك صكة * يقول له الناهي ملكت فأشجج^(٣)

وأنشد ابن الأعرابي :

أحب بُنيّ ووددت أني * دفنت بُنيّ في قعر الحيد
وما بي أن تهون عليّ لكن * مخافة أن تذوق البؤس بعدى

(١) لم يعتب : لم يرضه ولم يرجع عن الشراب الذي غضب عليه من أجله . (٢) أجمع :

اعف وأصفح .

ونحوه قول الآخر :

لولا أُمِّيَّةٌ لم أَجَزَّعْ من العَدَمِ * ولم أَجُبْ في اللَّيالي حِنْدَسَ الظُّلَمِ
وزادني رَغْبَةً في العِيشِ مَعْرِفِي * ذُلَّ اليَتِيمَةِ يَجْفُوها ذُوو الرِّحِمِ
أُحاذِرُ الفَقْرَ يَوماً أَن يُلِمَّ بِها * فَيَهْتِكَ السَّتْرَ من لَحِيمِ عَلى وَضِمِ
تَهَوَّى حَيَاتِي وأَهَوَّى مَوْتِها شَفَقًا * والمَوْتُ أَكْرَمُ نَزَالٍ عَلى الحَرَمِ

وقال أعرابي في أبنته :

يا شِقَّةَ النَفْسِ إنَّ النَفْسَ وَالهُةَ * حَرَى عَليكَ ودمعُ العَينِ مُنْسِجِمُ
قد كُنْتُ أَخشى عَلَيا أَن تُقَدِّمَنِي * إلى الحِمامِ فَيَبْدِي وَجْهَها العَدَمُ
فَالآنَ نِمْتُ فلا هَمُّ يُوزِقُنِي * تَهْدِ العَيونُ إذا ما أودتِ الحَرَمِ

وقال أعشى سليم :

نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ وَاغِدٍ * إذا ما البُيُوتُ لِبَسْنَ الجَلِيدِ
كَفَيْتَ الَّذي كُنْتُ أَرْجِي لَهُ * فَصِرْتَ أَبًا لِي وَصِرْتَ الوَلِيدِ

وقال أعشى همدان في خالد [بن عتاب] بن وراق :

فإن يَكُ عَتَّابٌ مَضَى لِسَبِيلِهِ * فما مات من يَبْقَى لَهُ مِثْلُ خالِدٍ

وفي الحديث المرفوع : ”رِيحُ الولدِ من رِيحِ الجَنَّةِ“ . وقال رسول الله صلى الله

عليه وسلم لأحد أبني بنته : ”إنَّكم لَتَجِبْنَونَ وإنَّكم لَتُبَخِّلَونَ وإنَّكم لَمِنْ رِيحانِ اللَّهِ“ .

وقالت أعرابية :

يا حَبَّذَا رِيحُ الوَلَدِ * رِيحُ الحُرَّامِي بِالْبَلَدِ

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : هذا يدلُّك على تفضيلهم الحُرَّامِي .

وكان يقال : ابْنُكَ رِيحانُكَ سَبْعًا ، وخادِمُكَ سَبْعًا ، ثم عدُّوا أو صديق .

مرّ أعرابيٌّ يَنْشُدُ أبنا له بقوم، فقالوا : صِفْهُ ؛ فقال : دُنَيْيِرٌ، قالوا : لم نَرِه ؛ فلم يَلْبِثِ القومُ أن جاء على عُنُقِهِ يُجْعَلُ ؛ فقالوا : ما وجدتَ أبْنَك يا أعرابي ؟ قال : نعم هو هذا ؛ قالوا : لو سألتَ عن هذا لأخبرناكَ ، ما زال منذُ اليوم بين أيدينا .
قال الشاعر في امرأة :

نِعِمَّ ضَجِيعُ الفَتَى إذا بَرَدَ الـ * لَيْلُ سُحَيْرٍ وقرَقَفَ الصِّرْدُ^(١)
زَيْنُها الله في العيون كما * زَيْنُ في عين والدٍ وَلَدُ
وفي الحديث : "من كان له صبيٌّ فَلَيْسَتْ صَبِيَّهَ" .

وقال الزبير وهو يرقصُ أبنا له :

أبيضُ من آل أبي عَتِيق * مباركٌ من ولد الصَّدِيقِ
* أَلَدَهُ كما أَلَدَ رِيقِي ■

وقال أعرابي :

لولا بُنَيَّاتُ كَرْغِبِ القَطَا * حُطِطُن من بعضِ إلى بعضِ^(٢)
لكان لي مُضْطَرَبٌ واسعٌ * في الأرض ذاتِ الطُولِ والعَرْضِ
وإنما أولادُنا بيننا * أكبادُنا تَمْشِي على الأرضِ
لو هَبَّتِ الرِّيحُ على بعضِهم * لَأَمْتَمَعْتُ عيني من الغَمِضِ
أَنْزَلَنِي الدهرُ على حَكْمِهِ * من مَرَقِبٍ عالٍ إلى خَفِضِ
وَأَبْتَرَنِي الدهرُ ثِيابَ الغِنَى * فليس لي مالٌ سوى عِرْضِي

قال بعضُ النِّسَّابين : إنما قيل : سَعَدُ العشيرة ، لأنه كان يركب في عشرة من

ولده ، فكانهم عَشِيرَةٌ .

(١) قرَفَ : أَرَعَدَ من البرد . والصرد : الرجل القوي على البرد . (٢) رويت هذه الأبيات

في الأمل ج ٢ ص ١٨٩ طبع دار الكتب المصرية ببعض مخالفة عماها ، وذكرت أيضا في الحاشية بشرح التبريزي طبع أوروبا ص ١٤١ وفيها اختلاف في الرواية وتقديم وتأخير في ترتيب الأبيات . ونسبت إلى حطّان بن المعلّ .

وقال ضرار بن عمرو الضبي، وقد رُئِيَ له ثلاثة عشر ذكرا قد بلغوا : من سره
بنوه ساءت نفسُه .

قال بشر بن أبي خازم :

إذا ما علُّوا قالوا أبونا وأمتنا * وليس لهم عَالِينَ أمٌّ ولا أبٌ^(١)

وقال آخر :

أنا ابنُ عمك إن نابتك نائبةٌ * وليس منك إذا ما كعبك اعتدلا

وأنشدنا الرياشي :

الرحمُ بلها بخير البُلانِ^(٢) * فإن فيها للديارِ العمرانُ

وأمر المالِ وبنت الصفرانِ^(٣) * وإنما اشتقت من اسم الرحمن

وقال المعلُّوط :

ومن يلق ما ألقى وإن كان سيِّدا * ويخش الذي أخشى يسر سيرة هارب
مخافة سلطانٍ على أظنه * ورهيطي ، وما عاداك مثل الأقارب

دخل عثمان بن عفان على أبنته وهي عند عبد الله بن خالد بن أسيد، فقال :

يا بنية : مالي أراك مهزولة ؟ لعل بعلك يُغيرك^(٤) ؟ فقالت : لا ، ما يُغيرني ، فقال
لزوجها : لعلك تُغيرها ! قال : فافعل ، فلغلام يزيد الله في بني أمية أحبُّ إلىَّ منها .

(١) عالين : حال من الضمير في « لهم » . (٢) بل الرحم يلهها (بضم الباء) بلا و بلا لا :

وصلها وتذاها . والبُلان : قال ابن سيده : « يجوز أن يكون البُلان اسما واحدا كالغفران والريحان وأن

يكون جمع بلل » . (٣) كذا بالأصل ولم نوفق إليه في مصدر آخر ، وقد أورد في اللسان مادة بلل هذا

الشعر مقتصرًا فيه على صدر البيت الأول وبجز البيت الثاني . (٤) أغار الرجل امرأته : تزوج من

أخرى فأحدث عندها الفيرة .

قال النعمان بن بشير :

وإني لأعطي المالَ مَنْ ليس سائلا * وأدركُ للمولى المعانيدَ بالظلمِ
وإني متى ما يلقني صارما له * فما بيننا عند الشدائد من صُرمِ
فلا تعددِ المولى شريكك في الغنى * ولكنما المولى شريكك في العُدْمِ
إذا مَتَ ذو القُرْبى اليك بِرَحْمِهِ * وعَشَّكَ وآستغنى فليس بذى رَحِمِ
ولكنَّ ذا القُرْبى الذي يستخفه * أذاك ومن يرمى العدو الذي ترمى

وقال بعض الشعراء :

لقد زاد الحياة إلى حبا * بناتٍ أنهن من الضعافِ

مخافة أن يرين البؤس بعدى * وأن يشربن رنقا بعد صافي

وأن يعرين إن كسى الجوارى * فتنبو العين عن كرم عجاف^(١)

قيل لعل بن الحسين : أنت من أهر الناس ولا نراك تؤاكل أمك ؛ قال :

أخاف أن تسيّر يدي إلى ما قد سبقت عينها إليه فأكون قد عققتها .

قيل لعمر بن دَر : كيف كان يرّ أبوك بك ؟ قال : ما مشيتُ نهارا قط إلا مشى

خلفي ، ولا ليلا إلا مشى أمامي ، ولا رقي سطحا وأنا تحته .

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن زائدة عن عطاء بن السائب عن

عثمان بن أبي العاص قال : كنت عند عمر فأتاه رجل فأنشده :

تركت أباك مُرْعشة يداه * وأمك ما تُسبغ لها شرابا

إذا غنّت حمامة بطن وجَّ * على بيضاتها ذكرت كلابا

فقال عمر : ممّ ذاك ؟ قال : هاجر إلى الشام وترك أبوين له كبيرين ، فبكى عمر

وكتب إلى يزيد بن أبي سفيان في أن يرّحله ، فقدم عليه ، فقال : يرّ أبوك وكن معهما

(١) كرم : كريمات : وإذا وصف بالمصدر التزم فيه الأفراد والتذكير .

حتى يموتا . قال أبو اليقظان : مُرَبَّعة كلاب بالبصرة اليه تنسب ، والعوام تقول مُرَبَّعة الكلاب .

قال أبو علي الضرير :

أَتَيْتُكَ جَدْلَانِ مُسْتَبْشِرًا * لِبُشْرَاكِ لَمَّا أَتَانِي الْخَبِيرُ
أَتَانِي الْبَشِيرُ بَأَنَّ قَدْ رُزِقْتَ * غَلَامًا فَأَبْهَجَنِي مَا ذَكَرَ
وَأَنْتَ ، وَالرَّشْدُ فِيمَا فَعَلَ * تَ ، أَسْمِيَّتَهُ بِأَسْمِ خَيْرِ الْبَشَرِ
وَطَهَّرْتَهُ يَوْمَ أُسْبُوعِهِ * وَمَنْ قَبْلُ فِي الذِّكْرِ مَا قَدْ طَهَّرُ^(١)
فَعَمَّرَكَ اللَّهُ حَتَّى تَرَا * هَ قَدْ قَارَبَ الْخَطُومَنَ الْكَبِيرَ
وَحَتَّى تَرَى حَوْلَهُ مِنْ بَنِيهِ * وَإِخْوَتِهِ وَبَيْنَهُمْ زَمَرُ
وَحَتَّى يَرُومَ الْأُمُورَ الْجَسَامَ * وَيُرْجَى لِنَفْعٍ وَيُخْشَى لُضَرُ^(٢)
وَأَوْزَعَكَ اللَّهُ شُكْرَ الْعَطَاءِ * فَإِنَّ الْمَزِيدَ لَعِيدُ شُكْرُ^(٣)
وَصَلَّى عَلَى السَّلَافِ الصَّالِحِي * نَ مِنْكُمْ وَبَارَكَ فِيمَنْ غَبَرُ^(٤)

وهذا قد وقع في باب التهاني أيضا .

قال المأمون : لم أر أحدا أبر من الفضل بن يحيى بأبيه ، بلغ من برّه به أن يحيى كان لا يتوضأ إلا بماء مسخن وهما في السجن ، فمنعهما السجن من إدخال الحطب في ليلة باردة ، فقام الفضل حين أخذ يحيى مضجعه إلى قُفْمٍ^(١) كان يُسَخِّن فيه الماء ، ففلاه ثم أدناه من نار المصباح ، فلم يزل قائما وهو في يده حتى أصبح .

- (١) ما هنا زائدة . ولعل المهتا من آل البيت ، فأشار بطهارته في الذكر إلى قول الله تعالى : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) . (٢) أوزعك : أهلك ، وفي الأصل : «أودعك» . (٣) غبر : بق ، ويستعمل كذلك بمعنى مضى وذهب فهو من الأضداد . (٤) ققم : إنا . من نحاس .

رقص أعرابي أبنته وقال :

أَحِبَّه حَبَّ الشَّحِيجِ مَالَهُ * قد كَانَ ذَاقَ الْفَقْرِ ثُمَّ نَالَهُ
* إِذَا يُرِيدُ بَذْلَهُ بَدَالَهُ *

دخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده أبنته عائشة ، فقال : من هذه يا أمير المؤمنين ؟ فقال : هذه تُفَاحَةُ الْقَلْبِ ، فقال : آئِذْهَا عَنْكَ ؟ قال : ولم ؟ قال : لِأَنَّهُنَّ يَلِدْنَ الْأَعْدَاءَ ، وَيُقَرِّبْنَ الْبُعْدَاءَ ، وَيُورِثْنَ الضَّغَائِنَ ، فقال : لَا تَقُلْ ذَاكَ يَا عَمْرُو ، فَوَاللَّهِ مَا مَرَضَ الْمَرْضَى وَلَا نَدَبَ الْمَوْتَى وَلَا أَعَانَ عَلَى الْأَحْزَانِ مِثْلُهُنَّ ، وَلَئِنْكَ لَوَاجِدٌ خَالَا قَدْ نَفَعَهُ بَنُو أُخْتِهِ ، فقال له عمرو : مَا أَعْلَمُكَ إِلَّا حَبِيبَتَيْنِ إِلَى .

الاعتراف

كان يقال : الاعتراف يَهْدِمُ الْاِقْتِرَافَ .

كتب بعض الكتّاب الى بعض العمال : لو قابلت حَقَّكَ عَلَى بِمَتَقَدِّمِ الْمَوَدَّةِ وَمُؤَكَّدِ الْحُرْمَةِ إِلَى مَا جَدَّدَهُ اللَّهُ لَكَ بِالسُّلْطَانِ وَالْوِلَايَةِ ، لَمْ أَرْضَ فِي قَضَائِهِ بِالْكِتَابِ دُونَ تَجَشُّمِ الرَّحَلَةِ وَمُعَانَاةِ السَّفَرِ إِلَيْكَ ، لَا سِوَمَا مَعَ قُرْبِ الدَّارِ مِنْكَ ، غَيْرَ أَنَّ الشَّغْلَ بِمَا أَلْفَيْتُ عَلَيْهِ أُمُورِي مِنَ الْإِنْتِشَارِ وَعِلَاقِ الْخِرَاجِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا خِيَارَ مَعَهُ ، أَحَلَّنِي فِي الظَّاهِرِ مَحَلَّ الْمُقَصِّرِينَ ، وَإِنْ وَهَبَ اللَّهُ فُرْجَةً مِنَ الشَّغْلِ وَسَهَّلَ سَبِيلًا إِلَيْكَ ، لَمْ أَتَخَلَّفْ عَمَّا لِي فِيهِ الْحِظُّ مِنْ مَجَاوِرَتِكَ وَالتَّنَسُّمِ بِرِيحِكَ وَالتَّيَمُّنِ بِالنَّظَرِ إِلَيْكَ ، غَادِيَا وَرَأَيْحًا عَلَيْكَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) كتب ابن الجهم الى نجاح من الحبس :

إِنْ تَعَفُّ عَنْ عَبْدِكَ الْمُسَيِّءِ فَفِي * فَضْلِكَ مَاوِي لِلصَّفْحِ وَالْمِنَنِ
أَتَيْتُ مَا أَسْتَحِقُّ مِنْ خَطَا * فَعُدُّ لِمَا تَسْتَحِقُّ مِنْ حَسَنِ

(١) في الأصل : «أبو الجهم» وهو تحريف .

وكتب الحسن بن وهب :

ما أحسنَ العفو من القادر * لاسيما عن غير ذي ناصر
إن كان لي ذنبٌ، ولا ذنبَ لي، * فإله غيرك من غافر
أعوذ بالوَدِّ الذي بيننا * أن يُفسدَ الأوَّلُ بالآخر
كتب رجلٌ إلى جعفر بن يحيى يستبطنه، فوقع في ظهر كتابه : أحتج عليك
بغالب القضاء، وأعتذر اليك بصادق التَّيَّة .

قال بعض الشعراء :

وتعذر نفسك إماما أسات * وغيرك بالعذر لا تعذر
وتُبصر في العين منه القذى * وفي عينك الخدع لا تُبصر^(١)

وقال بعض الشعراء :

يا ذا المميز للإخاء ولا * لإخوان في التفضيل والقدر
لا يقيضنك عن معاشرتي * بالأنس أن قصرت في برّي
إني إذا ضاق أمرٌ ويحدا^(٢) * عني آستعنتُ عليه بالعذر
وفي الحديث المرفوع : "من لم يقبل من معتمرٍ صادقا كان أو كاذبا لم يرد
على الخوض" . وفيه : "أقبلوا ذوي الهنات عثراتهم" .

اعتذر رجل إلى أبي عبيد الله الكاتب فقال : ما رأيتُ عذرا أشبه باستئناف
ذنب من عذرك .

وكان يقال : أعجل الذنوب عقوبة العذر، واليمين الفاجرة، وردَّ التائب وهو
يسأل العفو خائبا .

(١) في الأصل : «وتبصر في القبر منك القذى» . وفي الحديث : «يبصر أحدكم القذى في عين
أخيه ولا يبصر الخذل في عينه» . والخذل : ما عظم من أصول الشجر، وقيل : هو من العيدان ما كان على
مثال شماريح النخل . (٢) الجدا (وزان فتي) : العطية .

وقال مطرف : ^(١) المَعَاذِرُ مَكَاذِبُ .

اعتذر رجل الى ابراهيم فقال له : ^(٢) قد عذرتك غير معتذر ، ان المعاذير يشوبها الكذب .

ويقال . ما اعتذر مذنب إلا آزداد ذنباً .

وقال الشاعر :

لا تَرْجُ رجعةً مذنب * خلطَ احتجاجاً باعتذارٍ

اعتذر رجل الى سلم بن قتبية ، فقبل منه وقال : لا يدعونك أمر تخلصت منه الى أمر لعلك لا تتخلص منه .

وقال الشاعر :

فلا تَعْذِرْني في الإساءة إنه * شرارُ الرجال من يُسَى فَيَعْذِرُ

وقال ابن الطَّيْرِيَّة :

هَبْنِي أَمْراً إما بريئاً ظلمته * وإما مُسيئاً تاب بعدُ وأَعْتَبَا
وكنْتُ كذى داءٍ تَبَغَى لدائه * طيباً فلهما لم يحده تَطَيَّبَا

كتب بعض الكتاب معتذرا : توهمت ، أعزك الله ، نَفَرْتُكَ عند نظرتك الى

عنوان كتابي هذا بأسمى ، لما تَضَمَّنَتْهُ من السَّخِيمةِ على ، فأخليتُه منه ، وانتظرت
باستعطافك من طويّتك في عاقبة أمتداد العهد ، وأمنتُ أضطغانك لنفى الدين
الحقْد ، وأختصرتُ من الاحتجاج المنسب الى الإصرار ، والاعتذار المتعاود بين
النُّظراء ، والإقرار المُنْتَبِت للأقدام ، الاستسلام لك . على أنك إن حرمتني رضاك
آتسعتُ بعفوك ، وإن أَعَدَمْنِيهِمَا تَوَغَّرَ صدرك لم تَصُقْ من الرقة على من مُصِيبَة

٢٠ (١) هو مطرف بن الشخير . والمعاذر : جمع معذرة بمعنى العذر ، والمكاذب : جمع الكذب كالحاسن والمقايح وهو كة ولم : ان المعاذير يشوبها الكذب . (٢) هو ابراهيم النخعي .
(٣) في الأصل : « سالم » وهو تحريف .

الحِرمَان ؛ وإِن قسوتَ رجعتَ بك عواطفُ من أياديكَ عندى نازعةً بك الى
 استئامها لدى . ومن حدود فضائل الرؤساء مقابلةُ سوء من خُولوا بالإحسان .
 ولا نعمة على مجرمٍ اليه أجزلُ من الظفر ، ولا عقوبة لمجرمٍ أبلغ من الندم ؛ وقد
 ظفِرتَ وندمتُ . كتبتُ وأنا على ما تُحِبُّ بِشْرًا^(١) إن تغمدتَ ذاتي ، وكما تُحِبُّ ضراً
 إن تركتَ إقالتي ، وبخير في كلتا الحالتين ما بقيت .

٥

وكتبتُ في كتابِ اعتذارٍ واستعطاف : كم عسى أن يكون أنتظاري لعطفك ا
 وكم عسى أن يكون تماذك في عتبك ؛ لولا أني مضطراً الى وصلك وأنت مطبوع
 على هجرى . لقد استحييتُ واستحييتَ من دُلي وعِزِّكَ ، وخَفَضِي جَنَاحِي ونَأْيِي
 بجانبك .

وفي كتاب آخر : قد أودعني الله من نِعَمِكَ ما بَسَطَنِي في القول مُدْلاً به عليك ،
 ووَكَّد من حُرْمَتِي بك ماشقَع لي في الذنوب اليك ، وأَعْلَقَنِي من أسبابك ما لا أخاف
 معه نَبَوات الزمان على فيك ، وأَمْتَنَنِي بحلمك وأَنَاتِكَ بادرَةَ غضبك ؛ فأقدمتُ ثَقَّةً
 بياقالتك إن عَثَرْتُ ، وبتقويمك إن زُغْتُ ، وبأخذك بالفضل إن زَلَلْتُ .

١٠

وفي كتاب اعتذار : أنا عليلٌ منذ فارقتُك ؛ فإن تجمعَ على العلةِ وعتبكَ أَفْدَحُ^(٢) .
 على أن ألم الشوق قد بلغ بك في عقوبي ؛ وحضرني هذا البيتُ على ارتجالٍ فوصلتُ
 به قولي :

١٥

لك الحقُّ إن تَعَتَبَ على لَأَنِّي * جَفَوْتُ وإِما تَغْتَفِرْ فلك الفضلُ
 أَنهَيْتُ عذري لَأَنتَهَى الى تَفَضُّلك بقبوله وإن أُبَلِّكَ^(٣) يَمَحُ إفراطِي في البرِّ بك
 تفريطِي فيه ، والى ذلك ما سألك تعريفِي خيرَكَ لأراحَ اليه ، وأستريدُ الله في أسره لك .

(١) في الأصل : « شراً » . (٢) أفدح : أبهظ وأثقل . (٣) من هنا الى آخر الكتاب

٢٠

غير واضح في الأصل وقد أثبتناه هكذا جهداً وصلت اليه الطاقة ، على أن لم نعر على هذا الكتاب في مصدر آخر .

وفي فصل آخر :

أنا المُقَرَّبُ بقصوري عن حَقِّكَ ، وأستحقاق جفائك ، وبفضلِكَ من عَذْلِكَ أعوذ ،
فوالله لئن تأخر كتابي عنك ، ما أستر يد نفسي في شكر مودَّتِكَ ، واطيف عنايتِكَ . وكيف
يَسْلَاكَ أَوْ يَنْسَاكَ أَخٌ مُغْرَمٌ بِكَ يَرَاكَ زِينَةَ مَشْهَدِهِ وَمَغِيْبِهِ ! .

وكيف أنساكَ لا أيدِكَ واحدة * عندي ولا بالذي أوليت من نَعَمٍ

وفي آخر الكتاب :

إذا أعتذر الصديق اليك يوما * من التقصير عذر أخٍ مُقَرَّرٍ
فُضِّنْهُ عَنْ عَتَابِكَ وَأَعْفُ عَنْهُ * فَإِنَّ الصَّفْحَ شِمَّةٌ كُلَّ حَرٍّ

وقال الخليل بن أحمد :

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني * أو كنت أجهل ما تقول عذلتك^(١)
لكن جهلت مقالتي فعذلتني * وعلمت أنك جاهل فعذرتك
قيل لُبْرُ جِهر : ما بالكم لا تُعَاتِبُونَ الْجَهْلَةَ ، قال : لأننا لا نريد من العُميان
أن يُبْصِرُوا .

وقال ابن الدُّمَيْنَةِ :

بنفسى وأهلى من إذا عَرَضُوا لَهُ * ببعض الأذى لم يدرك كيف يُجِيبُ
ولم يعتذر عذر البريء ولم تزل * به ضَعْفَةٌ^(٢) حتى يقال مُرِيبٌ
وكتب رجل إلى صديق له يعتذر : أنا من لا يُحَاجُّكَ عن نفسه ، ولا يُغَالِطُكَ
عن جُرْمِهِ ، ولا يلتمس رضاك إلا من جهته ، ولا يستعطفك إلا بالإقرار بالذنب ،
ولا يستميلك إلا بالاعتراف بالزَّلة .

(١) في الأصل : « أو كنت أعلم ما أقول عذلتك » وهو خطأ من النسخ . (٢) في حاشية
أبي تمام : « سكتة » . وفي بعض كتب الأدب : « بهتة » .

وقرأت في كتاب: لست أدري بأي شيء أستعجزت تصديق ظنك حتى أنفذت عليّ به حكم قطيعتك ، فوالله ما صدق عليّ ولا كاد ، ولا أستعجزت ما توهمته فيمن لا يلزمني حقه . وأعيدك بالله من يدإر الى حكم يوجب الاعتذار ، فإن الأناة سبيل أهل التقى والنهى ، والظن والإسراع الى ذوى الإخاء ينتجان الجفاء ، ويُميلان عن الوفاء الى اللّقاء ^(١) .

قال إسماعيل بن عبد الله وهو يعتذر الى رجل في آخر يوم من شعبان : والله فإنّى في غير يوم عظيم ، وتلقاء ليلة تفتّر عن أيام عظام ، ما كان ما بلغك .

وقرأت في كتاب معتذر : إنك تُحسّن مجاورتك للنعمة ، وأستدامت لها ، واجتلابك ما بعد منها بشكر ما قرب ، واستعمالك الصّبح لما في عاقبته من جميل عادة الله عندك ؛ ستقبل العذر على معرفة منك بشناعة الذنب ، وتُقيل العثرة وإن لم تكن على يقين من صدق النية ، وتدفع السيئة بالتى هي أحسن .

اعتذر رجل الى جعفر بن يحيى البرمكى ، فقال له جعفر : قد أغناك الله بالعذر ممّا عن الاعتذار ، وأغنانا بالموّدة لك عن سوء الظن بك .

وقال بعض الشعراء :

إذا ما أمرؤ من ذنبه جاء تائباً * إليك فلم تَغْفِر له فلك الذنب

كان الحسن بن زيد بن الحسن واليا للنصور على المدينة ، فهجاه وردّ بن عاصم المُبرّسم فقال :

له حق وليس عليه حق * ومهما قال فالحسن الجميل

وقد كان الرسول يرى حقوقا ■ عليه لأهلها وهو الرسول

(١) اللّقاء : اليسير الحقير ، يقال : رضى فلان من الوفاء باللقاء ، أى رضى من حقه الوافى بالقليل .

(٢) غير يوم ، بواقيه ، جمع غابر .

فطلبه الحسن فهرب منه ، ثم لم يشعر إلا وهو مائل بين يديه يقول :
 سيأتي عذري الحسن بن زيد * وتشهد لي بصقين القبور
 قبور لو بأحمد أو علي * يلوذ مجيرها حفظ المحير
 هما أبواك من وضعا تضعه * وأنت برفع مارعاً جدير

فاستخف الحسن كرمه ، فقام اليه فبسط له رداءه وأجلسه عليه .

وفي كتاب لعنيد : علو الرتبة واتساع القدرة وأنبساط اليد بالسطوة * ربما
 أنست ذا الحق المحفظ من الأحرار فضيلة العفو وعائدة الصفح وما في إقالة المذنب
 واستبقائه من حسن السماع وجميل الأحداث ، فبعثته على شفاء غيظه ، وحركته
 على تبريد غائته ، وأسرعته به الى مجانبه طباعه وركوب ما ليس من عادته . وهمتك
 تجل عن دناءة الحقد ، وترتفع عن لؤم الظفر .

وفي فصل : نبت بي عنك غيرة الحدائث فردتني اليك الحنكة ، وواعدتني عنك
 الثقة بالأيام فأدنتني اليك الضرورة ، ثقة بإسراعك الى وإن كنت أبطأت منك ،
 وقبولك العذر وإن كانت ذنوبي قد سدت عليك مسالك الصفح ، فأى موقف هو
 أدنى من هذا الموقف لولا أن المخاطبة فيه لك ! وأى خطبة هي أودى بصاحبها من
 خطبة أنا راكبها لولا أنها في رضاك !

أوقع الحجاج يوماً بخالد بن يزيد يعيبه وينتقصه وعنده عمرو بن عبثة : فقال
 عمرو : إن خالدا أدرك من قبله وأتعب من بعده بقديم غلب عليه وحديث لم يسبق
 اليه ، فقال الحجاج معتذراً : يابن عبثة ، إنا لنسترضيكم بأن نقضب عليكم ، ونستعطفكم

(١) الذي في كتب اللغة : « وقع فيه : آغابه » .

بأن نال منكم، وقد غلبتم على الحلم، فوثقنا لكم به، وعلمنا أنكم تحبون أن تحملوا،
فتعرضنا للذى تحبون.

قال المنصور لرجل أتاه تائباً معتذراً من ذنب: عهدي بك خطيباً فما هذا
السكوت! فقال: يا أمير المؤمنين! لسا وقد مباحاة وإنما نحن وفد توبة، والتوبة
تُتلقى بالاستكانة.

وقع بين أبي مسلم وبين قائد له كلام، فأرَبى عليه القائد إلى أن قال له:
يا لقيط! فأطرق أبو مسلم، فلما سكنت عنه فورة الغضب ندم وعلم أنه قد أخطأ
 واعتذر وقال: أيها الأمير، والله ما أنبسطت حتى بسطتني ولا نطقت حتى أنطقتني
 فاعفروني، قال: قد فعلت، فقال: إني أحب أن أستوثق لنفسى، فقال أبو مسلم:
سبحان الله! كنت تُسبى، وأُحسين، فلما أحسنت أسبى!.

قال الطائي:

وكم ناكث للعهد قد نكثت به * أمانيه وآستخذى بحقك باطله
لخاط له الإقرار بالذنب روحه * وجثمانه اذ لم تحطه قبائله

وقال آخر:

حتى متى لا تزال معتذراً * من زلة منك ما تُجانبها
لا تتقى عيبها عليك ولا * ينهك عن مثلها عواقبها
لتركك الذنب لا تقارفه ■ أيسر من توبة تقاربها

قال أعرابي لابن عم له: سأخطي ذنبك إلى عذرك، وإن كنت من أحدهما
على يقين ومن الآخر على شك، ليتم المعروف متى اليك، ولتقوم الحجة متى
عليك.

عَنْبُ الإِخْوَانِ وَالتَّبَاغُضِ وَالْعَدَاوَةِ

حدّثنى الزّبادي قال حدّثنا عبد الوارث عن يزيد بن القاسم عن مُعَاذَةَ أَنَّهَا سَمِعَتْ هِشَامَ بْنَ عَامِرٍ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : "لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُصَارِمَ مُسْلِمًا فَوْقَ ثَلَاثٍ ، وَأَيُّهُمَا فَعَلَ فَإِنَّهُمَا نَاكِحَانِ عَنِ الْحَقِّ مَا دَامَا عَلَى صُرْمَهُمَا وَإِنْ مَاتَا لَمْ يَدْخُلَا الْجَنَّةَ" .

قال بعض الشعراء :

سَنَ الضَّغَائِنِ آبَاءُ لَنَا سَلَفُوا * فَلَنْ تَبِيدَ وَلِلآبَاءِ أَبْنَاءُ

هذا مثل قول أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنه : العداوة تُتَوَارَثُ .

وقرأت في كتاب للهند : إذا كانت المَوْجِدَةُ عن علة كان الرضا مرجوًا ، وإذا

كانت عن غير علة كان الرضا معدوما . ومن العجب أن يطلب الرجل رضا أخيه فلا يَرْضَى ، وأعجبُ من ذلك أن يُسَخِّطَهُ عَلَيْهِ طَلْبُهُ رِضَاهُ .

قال بعض المحمّديين :

فَلَا تَلْهُ عَنْ كَسْبِ وَدِّ الْعَدُوِّ * وَلَا تَجْعَلَنَّ صَدِيقًا عَدُوًّا

وَلَا تَغْتَرِزْ بِهُدُوِّ أَمْرِي * إِذَا هَيَّجَ فَارَقَ ذَاكَ الْهُدُوءُ

وقال آخر :

إِحْذَرْ مَوَدَّةَ مَا ذِيقَ^(١) * شَابَ الْمَرَارَةَ بِالْحَلَاوَةِ

يُحْصِي الْعُيُوبَ عَلَيْكَ أَيَّامَ الصَّدَاقَةِ وَالْعَدَاوَةِ

وقال أبو الأسود الدؤلي :

إِذَا الْمَرْءُ ذُو الْقُرْبَى وَذُو الضَّمَنِ أَجْحَفَتْ * بِهِ سَنَةٌ حَلَّتْ مُصِيبَتُهُ حَقْدِي

(١) المذاق : الذي يشوب الودّ بكدر ولا يخلصه .

وقال محمد بن أبان اللّاحق لأخيه إسماعيل :
تلوم على القطيعة من أتاها * وأنت سننتها في الناس قبلي

وقال آخر :

وروعت حتى ما أراع من التوى * وإن بان جيران على كرام
فقد جعلت نفسي على اليأس تنطوى * وعيني على هجر الصديق تنام

قال أحمد بن يوسف الكاتب :

ما على ذا كما أقرقنا بسندا ^(١) * دولا بيننا عقدنا الإخاء
نطعن الناس بالمتقفة السم * ير على غدرهم ونسي الوفاء

قيل لأفلاطون : بماذا ينتقم الإنسان من عدوه ؟ قال : بأن يزداد فضلا

١٠ في نفسه .

وكان يقال : احذر معاودة الذليل ، فر بما شرق بالذباب العزيز .

كتب رجل من الكتاب الى صديق له تجي عليه :

عنت على ولا ذنب لي * بما الذنب فيه ولا شك لك
وحاذرت لومي فبادرتني * الى اللوم من قبل أن أبدرك
فكنا كما قيل فيما مضى ■ خذ اللص من قبل أن يأخذك

١٥

وقال آخر :

رأيتك لما نلت مالا ، ومسنا * زمان ترى في حد أنيب به شغبا ^(٢)
جعلت لنا ذنبا لتمنع نائلا * فأمسك ولا تجعل غناك لنا ذنبا

(١) سنداد : اسم موضع . (٢) الشغب : تهيج الشر وفي الأصل « شغبا » .

وقال آخر :

تُرِيدِينَ أَنْ أَرْضَى وَأَنْتِ بَخِيلَةٌ * وَمَنْ ذَا الَّذِي يُرِضِي الْأَخْلَاءَ بِالْبَخِيلِ
وَجَدَّكَ لَا يُرِضِي إِذَا كَانَ عَاتِبًا * خَلِيلُكَ إِلَّا بِالْمُودَةِ وَالْبَذْلِ
مَتَى تَجْمَعِي مَنَا كَكَثِيرًا وَنَائِلًا * قَلِيلًا يَقْطَعُ ذَاكَ بَاقِيَةَ الْوَصْلِ

كتب رجل الى صديق له :

لئن ساءني أن نلتني بمساءة * لقد سرتني أني خطرتُ ببالك^(٢)

وقال آخر :

إِذَا رَأَيْتُ أَزْوَارًا مِنْ أَخِي ثِقَةٍ * ضَافَتْ عَلَى بَرْحِبِ الْأَرْضِ أَوْطَانِي
فَإِنْ صَدَدْتُ بِوَجْهِهِ كَى أَكْفَأَهُ * فَالْعَيْنُ غَضْبَى وَقَلْبِي غَيْرُ غَضْبَانِ

وقال إبراهيم بن العباس :

وَقَدْ غَضِبْتُ فَمَا بَالَيْتُمْ غَضْبِي * حَتَّى أَنْصَرَفْتُ بِقَلْبٍ سَاخِطٍ رَاضِي
وَقَالَ زُهَيْرٌ :

وَمَا يَكُ فِي عَدُوٍّ أَوْ صَدِيقٍ * تُخَبِّرُكَ الْعَيُونُ عَنِ الْقُلُوبِ

وقال دُرَيْدٌ :

وَمَا تُخَفِّنِي الضَّغِينَةُ حَيْثُ كَانَتْ * وَلَا النَّظَرُ الصَّحِيحُ مِنَ السَّقِيمِ

وقال ابن أبي خازم :

حُذِّ مِنْ الدَّهْرِ مَا كَفَى * وَمِنْ الْعَيْشِ مَا صَفَا
لَا تُلَحِّنْ بِالْبُكَاءِ * عَلَى مَنْزِلٍ عَفَا

(١) في الأصل : «وجدتك لا ترضى» . (٢) هذا البيت من قصيدة لابن الدمينية مطلعها :

قفى يا أميم القلب نقض لبانة ■ ونشك الطوى ثم افعل ما يدالك

خَلَّ عَنْكَ الْعَتَابُ إِنْ * خَانَ ذُو السُّودِّ أَوْ هَفَا
عَيْنٌ مِنْ لَا يُحِبُّ وَصَّ * مَلَكٌ تُبْدَى لَكَ الْخَفَا

وقال أعرابي يذكر أعداءه :

يَزْمَلُونَ جَنِينَ الضَّغْنِ بَيْنَهُمْ * وَالضَّغْنُ أَشْوَهُ أَوْ فِي وَجْهِهِ كَلْفٌ ^(٢)
إِنْ كَأَمُونَا الْقَلِي نَمَتْ عِيُونُهُمْ ■ وَالْعَيْنُ تُظْهِرُ مَا فِي الْقَلْبِ أَوْ تَصِفُ
وقال ابن أبي أمية :

كَمْ فَرَحَةٌ كَانَتْ وَكَمْ تَرَحَةٌ تَخْرُصُنِي فِيكَ الظُّنُونُ
إِذَا قُلُوبٌ أَظْهَرَتْ غَيْرَ مَا * تُضْمِرُهُ أَنْتَ عَنْهَا الْعِيُونُ
وقال آخر :

أَمَا تُبْصِرُ فِي عَيْنِي عُنْوَانَ الَّذِي أَبْدَى

وقال آخر :

وَمَوْلَى كَأَنَّ الشَّمْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ * إِذَا مَا أَلْتَقَيْنَا لَيْسَ مِمَّنْ أُعَاتِبُهُ
يقول : لَا أَقْدِرُ [أَنْ] أَنْظُرَ إِلَيْهِ ، فَكَأَنَّ الشَّمْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ . وَمِثْلُهُ :
إِذَا أَبْصَرْتَنِي أَعْرَضْتَ عَنِّي * كَأَنَّ الشَّمْسَ مِنْ قِبَلِي تَدُورُ
وقال التمر بن تَوَلَّبَ فِي الْإِعْرَاضِ :

فَصَدَّتْ كَأَنَّ الشَّمْسَ تَحْتَ قِنَاعِهَا ■ بَدَأَ حَاجِبٌ مِنْهَا وَصَدَّتْ بِحَاجِبِ
أَخَذَهُ أَبُو نَوَاسٍ فَقَالَ :

يَا قِمْرًا لِلنَّصِيفِ مِنْ شَهْرِهِ * أَبْدَى ضِيَاءَ لَثْمَانِ بَقِيْنِ
يُرِيدُ أَنَّهُ أَعْرَضَ بِوَجْهِهِ فَبَدَأَ لَهُ نَصْفُهُ .

(١) زمل الشيء : أخفاه . (٢) الكلف : شيء يعلو الوجه كالسمسم ويعرف بالشمس .

وقال آخر في الضغينة :

وفينا وإن قيل أصطلحنا تَصَاغُنْ * كما طَرَأَ أوبارُ الجِرَابِ على النَّشْرِ^(١)

وقال آخر في نحوه :

وقد يَنْبُتُ المرعى على دَمِنِ الثَّرَى * وتَبْقَى حَرَازَاتُ النفوسِ كما هِيَ

وقال الأخطل :

إِنَّ الضَّغِينَةَ تَلْقَاهَا وَإِنْ قَدُمْتُ * كَالْعَرِيكُنَّ حِينَئِذٍ ثُمَّ يَنْتَشِرُ^(٢)

شُمْسُ الْعَدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ * وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا إِذَا قَدَرُوا

وقرأت في كتاب للهند : ليس بين عداوة الجوهرية صلح إلا ريثما ينتكث ،

كالماء إن أُطِيلَ إِسْحَانُهُ فَانْه لَا يَمْتَنِعُ مِنْ إِطْفَاءِ النَّارِ إِذَا صُبَّ عَلَيْهَا .

١٠ قال سعد بن أبي وقاص لعمار بن ياسر : إِنَّ كَمَا لَنَعُدُّكَ مِنْ أَكْبَرِ أَصْحَابِ

مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ مِنْ عَمْرِكَ إِلَّا ظِلُّ^(٣) الْحِمَارِ فَعَلْتَ وَفَعَلْتَ ؛

قَالَ : أَيُّمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ : مُودَّةٌ عَلَى دَخِيلٍ أَوْ مُصَارَمَةٌ^(٤) جَمِيلَةٌ ؟ قَالَ : مُصَارَمَةٌ جَمِيلَةٌ ؛

قَالَ : اللَّهُ عَلَى أَلَا أَكَلَمَكَ أَبَدًا .

وقال بعض الشعراء في صديق له تَغَيَّرَ :

١٥ أَحْوَلُ عَيْنٍ وَكَانَ يَنْظُرُ مِنْ * عَيْنِي وَيَرْمِي بِسَاعِدِي وَيَدِي^(٥)

(١) النشر: الكلام يهيج أعلاه وأسفله ندى أخضر تدف منه الابل (يكثرو برها وشحمها) اذا رعت ؛

كذا ذكره صاحب اللسان في مادة (نشر) ، وقد ساق هذا البيت في أبيات لعمر بن حباب ، وقال في تفسيره ؛

يقول : طاهرنا في الصلح حسن في مرآة العين وباطننا فاسد كما تحسن أوبار الجرعي عن أكل النشر وتحتمها داء

منه في أجوافها . قال أبو منصور : وقيل النشر في هذا البيت : نشر الحرب بعد ذهابه ونبات الوبر عليه

حتى يخفى . قال : وهذا هو الصواب . يقال : نشر الحرب ينشر نشرًا ونشورًا اذا حي بعد ذهابه » ا .

٢٠ (٢) العز : الحرب . (٣) يقال : ما بق منه إلا قدر ظم الحمار أى لم يبق من عمره إلا اليسير

لأنه يقال : إنه ليس شيء من الدواب أقصر ظمًا من الحمار وهو أقل الدواب صبرًا على العطش يرد الماء

كل يوم في الصيف مرتين . (٤) احولت عينه بمعنى حولت ، والمراد الإعراض والانصراف .

(٥) احولت عيني وكان ينظر من عيني ويرمي بساعدي ويدي

وقال المُنْتَقَب العَبْدِيُّ :

ولا تَعِدِي مَوَاعِدَ كَاذِبَاتٍ * تَمُرُّ بِهَا رِيَّاحُ الصَّيْفِ دُونِي
فإِنِّي لو تُعَانِدُنِي شِمَالِي * عِنَادِكَ مَا وَصَلْتُ بِهَا يَمِينِي
أَذَا لَقَطَعْتُهَا وَلَقَلْتُ بِبَنِي * كَذَلِكَ أَجْتَوِي مَنْ يَحْتَوِينِي

وقال الكُمَيْت :

ولكنَّ صَبْرًا عَنْ أُخٍ عَنْكَ صَابِرٌ ^(١) * عَزَاءً أَذَا مَا النَّفْسُ حَقَّ طَرُوبُهَا
رَأَيْتُ عَذَابَ الْمَاءِ إِنْ حِيلَ دُونَهَا * كَفَاكَ لِمَا لَا بُدَّ مِنْهُ شَرُوبُهَا ^(٢)
وإِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْأَسِنَّةُ مَرْكَبٌ * فَلَا رَأْيَ لِلْجَهْدِ إِلَّا رُكُوبُهَا ^(٣)
وَقُرَأْتُ فِي كِتَابٍ لِلْهِنْدِ : الْعَدُوَّ إِذَا أَحْدَثَ صَدَاقَةً لَعَلَّةِ أَلْحَاتِهِ إِلَيْهَا فَمَعَ ذَهَابِ
الْعَلَّةِ رَجُوعَ الْعِدَاوَةِ، كَالْمَاءِ يَسْخَنُ فَإِذَا رُفِعَ عَادَ بَارِدًا .

قال محمد بن يزداد الكاتب : إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَقْطَعَ يَدَ عَدُوِّكَ فَقَبِّلْهَا .

قال الشاعر :

لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِي أَنِّي * بَغِيضٌ إِلَى كُلِّ أَمْرِيٍّ غَيْرِ طَائِلٍ
إِذَا مَا رَأَى قَطَّعَ الطَّرْفَ دُونَهُ * وَدُونِي فَعَلَ الْعَارِفُ الْمُتَجَاهِلُ
مَلَأْتُ عَلَيْهِ الْأَرْضَ حَتَّى كَانَتْهَا * مِنْ الضِّيقِ فِي عَيْنِهِ كِفَّةٌ حَابِلُ
قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : اعْتَرَلَ عَدُوُّكَ وَأَحْذَرُ صَدِيقِكَ إِلَّا الْأَمِينَ ،
وَلَا أَمِينَ إِلَّا مَنْ خَشِيَ اللَّهَ .

الهِثِمُ عَنْ أَبِي عِيَّاشٍ قَالَ : أَخْبَرَنِي رَجُلٌ مِنَ الْأَزْدِ قَالَ : كُنَّا مَعَ أُسْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
بِخِرَاسَانَ، فَبَيْنَا نَخْنُ نَسِيرُ مَعَهُ وَقَدْ مَدَّ نَهْرُ بَجَاءٍ بِأَمْرٍ عَظِيمٍ لَا يُوصَفُ، وَإِذَا رَجُلٌ

(١) كَذَا فِي كِتَابِ الشَّعْرِ وَالشَّعْرَاءِ (ص ٣٧١ طبع أوروبا) . وَفِي الْأَصْلِ : «لَكَ» .

(٢) الشُّرُوبُ وَالشَّرِيبُ : الْمَاءُ بَيْنَ الْعَذْبِ وَالْمَلْحِ وَلَيْسَ يَشْرَبُهُ النَّاسُ إِلَّا لِلزُّرُورَةِ . (٣) فِي كِتَابِ
الشَّعْرِ وَالشَّعْرَاءِ ١ «لِلضُّطْرِ» وَهِيَ الرِّوَايَةُ الْمَشْهُورَةُ .

يضربه الموج وهو ينادى : الغريق الغريق ! فوقف أسد وقال : هل من سابع ؟
فقلت : نعم ، فقال : ويحك ! الحق الرجل ! فوثبت عن فرسى وألقيت عنى ثيابي
ثم رميت بنفسى فى الماء ، فما زلت أسبح حتى إذا كنت قريبا منه قلت : ممن
الرجل ؟ قال : من بنى تميم ، قلت : امض راشداً ، فوالله ما تأخرت عنه ذراعا حتى
غرق : فقال ابن عياش : فقلت له : ويحك ! أما آتيت الله ! غرقت رجلا
مسلماً ! فقال : والله لو كانت معى لينة لضربت بها رأسه .

طاف رجل من الأزدي بالبيت وجعل يدعو لأبيه ، فقيل له : ألا تدعو لأهلك ؟
فقال : إنها تميمية .

وقرأت فى كتاب للهند : جانب الموتور^(١) وكن أحذر ما تكون له ألطف ما يكون^(٢)
بك ، فإن السلامة بين الأعداء توحش بعضهم من بعض ، ومن الأئس والثقة حضور أجالهم .
أراد الملك قتل بزرجمهر وأن يتروج أبنته بعد قتله ، فقال : لو كان ملككم
حازما ما جعل بينه وبين شعاره موتورة .

قال أبو حازم : لا تناصبن رجلا حتى تنظر الى سيرته ، فإن تكن له سريرة
حسنة فإن الله لم يكن يخذله بعداوتك إياه ، وإن كانت سيرته رديئة فقد كفالك
مساوئيه ، لو أردت أن تعمل بأكثر من معاصي الله لم تقدر .

قال رجل : إني لأغتم فى عدوى أن ألقى عليه النملة وهو لا يشعر لتؤذيه .

وقال الأفوه الأودى :

بلوت الناس قرنا بعد قرين * فلم أر غير خلّاب وقالى
وذقت مرارة الأشياء جمعا * فما طعم أمر من السؤال
ولم أرفى الخطوب أشد هولا * وأصعب من معاداة الرجال

(١) فى الأصل : « توحشة » . (٢) رويت هذه الحكاية برواية أخرى فى العقد الفريد ج ١ ص ٧٩

وقال آخر :

بلاءٌ ليس يشبهه بلاءٌ * عداوةٌ غير ذى حسبٍ ودينٍ
يُبيحك منه عِرْضا لم يصنه * ويرتعُ منك فى عِرْضِ مصونٍ

شماتة الأعداء

بلغ عمرو بن عتبة شماتة قوم به فى مصائب ، فقال : والله ، لئن عظم مصابنا
بموت رجالنا لقد عظمَت النعمة علينا بما أبقي الله لنا : شُبَّانًا يَنْبُتُونَ الحروبَ ، وسَانَةً
يُسَدُّونَ المعروفَ ، وما خُلِقْنَا وَمَنْ شِمَّتْ بنا إلا للوْت .

قيل لأيوبَ النبي عليه السلام : أى شىء كان أشدَّ عليك فى بلائك ؟ قال :
شماتة الأعداء .

اشتكى يزيد بن عبد الملك شكاةً شديدةً وبلغه أن هشاماً مُرَّ بذلك ، فكتب

الى هشام يعاتبه ، وكتب فى آخر الكتاب :

تَمَنَّى رَجُلًا أَنْ أَمُوتَ ، وَإِنْ أَمُتْ ■ فَتَكُ سَبِيلٌ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدٍ
وَقَدْ عَلِمُوا ، لَوْ يَنْفَعُ الْعِلْمُ عِنْدَهُمْ ، * مَتَى مِتُّ مَا الدَّاعِي عَلَى بُخْلِ الدِّ
مَنِيتُّهُ تَجَرَّى لَوْ قَتِ وَحْتُهُ * يَصَادِفُهُ يَوْمًا عَلَى غَيْرِ مَوْعِدٍ
فَقُلْ لِلَّذِي يَبْغِي خِلَافَ الَّذِي مَضَى * تَهَيَّأْ لِأُخْرَى مِثْلَهَا فَكَأَنَّ قَدْ

وقال الفرزدق :

إِذَا مَا الدَّهْرُ جَرَّ عَلَى أَنَاسٍ * حَوَادِثُهُ أَنَاخَ بِأَحْرِينَا

فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ بِنَا أَفِيقُوا ■ سِيلَقَى الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا

أَغِيرَ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَعْرَابِ فَذُهِبَ بِإِبِلِهِ فَقَالَ :

لَا وَالَّذِي أَنَا عَبْدٌ فِي عِبَادَتِهِ ■ لَوْلَا شِمَاتُهُ أَعْدَاءُ ذَوَى إِحْوَى

مَا سَرَّتْنِي أَنَّ إِبِلِي فِي مَبَارِكِهَا ■ وَأَنَّ شَيْئًا قَضَاهُ اللَّهُ لَمْ يَكُنْ

وقال عدى بن زيد العبادي :

- أرواحٌ مُودَعٌ أم بُكُورٌ * لك فأنظر لأى حالٍ تصيرُ
 وأبيضاض السوادِ من نُذْرٍ المُو * تِ فهل بعده لإينسٍ نَذيرُ
 أيها الشامِتُ المعيرُ بالله * ير أنت المبرأ الموفورُ
 أم لديك العهدُ الوثيقُ من الأيامِ أم أنت جاهلٌ مغرورُ
 من رأيتَ المنونَ خلدنَ أم من * ذا عليه من أن يضامَ مجيرُ
 أين كسرى كسرى الملوكِ أنوشر * وأن أم أين قبله سابورُ^(١)
 وأخو الحضَرِ إذ بناه وإذ دج * لهُ نُجْجِي إليه والخابورُ^(٢)
 شادهُ مَرَمَرًا وجلَّله كَلْد * سَا فللطيرِ في ذُراه وُكورُ^(٣)
 لم يهيه ريبُ المنونِ فبادل * حملكُ عنه فبابهُ مهجورُ
 وتبينَ ربُّ الخورنقِ إذ أش * رَفَ يوما وللهدى تفكيرُ
 سرّه حالهُ وكثرةُ ما يد * ليك والبحرُ معرضا والسديرُ^(٤)
 فارعوى قلبه فقال وما غب * طةٌ حَى إلى المماتِ يصيرُ
 ثم بعد الفلاجِ والمُلكِ والنَّع * حةٍ وأرثهمُ هناك القبورُ^(٥)
 ثم أضخوا كأنهم وَرَقٌ جَفَّ * فآلوتُ به الصَّبا والدُّبورُ^(٦)

(١) سابور الجنود وهو ابن أردشير، وسابور ذو الأكتاف وهو سابور بن هرمز، وكلاهما من ملوك
 العجم قبل كسرى أنوشروان . (٢) الحضرة : قصر بجبال تكريت بين دجلة والفرات ، ويعنى بأخيه
 الضيزن بن معاوية بن العبيد ، وخبر قصرى الحضرة والخورنق مذكور في الأغاني ج ٢ ص ١٤٠ — ١٤٦
 طبع دار الكتب المصرية . (٣) الخابور : اسم نهر كبير بين رأس عين والفرات من
 أرض الجزيرة . (٤) الكلس : الصاروج وهو النورة التى تطل بها المنازل . (٥) معرضا :
 متسما ، ومنه أعرض الثوب أى اتسع وعرض . (٦) في الأغاني ج ٢ ص ١٣٩ : « والإتمة »
 وهو جمعناها .

قال ابن الكلابي : لما قُبِضَ النبي صلى الله عليه وسلم سمع بموته نساءً من كندة وحضرموت تخضبن أيديهن وضربن بالدفوف ، فقال رجل منهم :

أبلغ أبا بكر إذا ما جئته * أنت البغايا رُمنَ أَى مَرام
أظهرن من موت النبي شماتة * وخضبن أيديهن ^(١) بالعلام
فأقطعن هديت ، أكففهن بصاريم * كالبرق أومض من متون غمام

فكتب أبو بكر إلى المهاجر عامله ، فأخذهن وقطعن أيديهن .

وقرأت في كتاب ذكر فيه عدو : فإنه يتربص بك الدوائر ، ويتمنى لك الفوائل ، ولا يؤمل صلاحاً إلا في فسادك ، ولا رفعة إلا في سقوط حالك والسلام .

(١) العلام بالتشديد ، الحناء ، عن ابن الأعرابي .

وجد بالأصل في آخر هذا الكتاب ما نصّه :

آخر كتاب الإخوان، وهو الكتاب السابع من عيون الأخبار، تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري رحمة الله عليه . وكتبه الفقير إلى الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن علي الواعظ الحزري، وذلك في شهر سنة أربع وتسعين وخمسمائة . وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين .

وفي هذه الصفحة عنها وجد ما يأتي - وهو من زيادة الناسخ - :

قيل قدم المهدي أمير المؤمنين، وقيل الرشيد،^(١) فتلقاه الناس، وتلقاه أبو دلامة في جملة الناس، فأنشده :

إني نذرتُ لئن رأيْتُكَ سالماً ■ بقرى العراق وأنت ذو وَفَرٍ

لتصليَن علي النبي محمد * ولتملأَن دراهماً حِجْرِي
فقال له أمير المؤمنين : أما الأولى فنعم . اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد ، وأما الأخرى فاستأفعل ، فقال أبو دلامة : يا أمير المؤمنين ما نذرت إلا الاثنين، فضحك وأمر حتى ملأوا حجّره دراهم .

شاعر^(٢) :

ولقد تنسَمْتُ الرياحُ لحاجتي * فاذا لها من راحتِكَ نَسِيمُ
ولربّما استيأستُ ثم أقول لا * إن الذي ضمن النجّاحَ كريمُ

(١) لم يدرك أبو دلامة خلافة الرشيد إذ أنه توفي سنة إحدى وستين ومائة . وتولى الرشيد الخلافة

سنة سبعين ومائة، ثم قال ابن خلكان : ويقال إنه عاش إلى أيام الرشيد . (٢) هو أبو العتاهية .



كتاب الحوائج

استنجاح الحوائج^(١)

حدثني أحمد بن الخليل قال حدثنا محمد بن الحَصِيب قال حدثني أوس بن عبد الله بن بُريدة عن أخيه سهل بن عبد الله بن بُريدة عن بُريدة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اِسْتَعِينُوا عَلَى الْحَوَائِجِ بِالْكَتَمَانِ فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ " .

قال خالد بن صفوان : لا تَطْلُبُوا الْحَوَائِجَ فِي غَيْرِ حِينِهَا ، وَلَا تَطْلُبُوهَا إِلَى غَيْرِ أَهْلِهَا ، وَلَا تَطْلُبُوا مَا لَسْتُمْ لَهُ بِأَهْلٍ فَتَكُونُوا لِلنَّعْيِ خُلَفَاءَ .

قال شبيب بن شيبَةَ : إِنِّي لَا أَعْرِفُ أَمْرًا لَا يَتَلَقَّى بِهِ أَثْنَانِ إِلَّا وَجِبَ النَّجْحُ بَيْنَهُمَا ؛ فَقَالَ لَهُ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ : مَا هُوَ ؟ قَالَ : [الْعَقْلُ ، فَإِنَّ] الْعَاقِلَ لَا يَسْأَلُ مَا لَا يَجُوزُ وَلَا يُرَدُّ عَمَّا يُمَكِّنُ ، فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ : نَعَيْتَ إِلَى نَفْسِي ! إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ لَا يَمُوتُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى يَرَى خَلْفَهُ .

(١) الحوائج : جمع حاجة على غير قياس « وجمعها القياسى : حاج وحاجات ، وقد أنكر الأصمعي حوائج وقال هو مولد . قال الجوهرى : وإنما أنكره لخروجه عن القياس وإلا فهو كثير في كلام العرب ، ثم استشهد بكثير من الشعر » بأحاديث ذكرها المؤلف هنا . والنحويون يزعمون أنه جمع لواحد لم ينطق به وهو حاجة . وذكر بعضهم أنه سمع حاجة لغة في الحاجة . (٢) التكملة من العقد الفريد ج ١ ص ٩٠ طبع بولاق .

أبو اليقظان قال : كان بنو ربيعة - وهم من بني عسيل بن عمرو بن يربوع -
يُوصون أولادهم فيقولون : استعينوا على الناس في حوائجكم بالثقل عليهم ، فذاك
أنجح لكم .

قال الشاعر :

هَيْبَةُ الْإِخْوَانِ مَقْطَعَةٌ * لِأَنَّى الْحَاجَاتِ عَنْ طَلْبِهِ
فَإِذَا مَا هَيْبَتَ ذَا أَمِيلٍ * مَاتَ مَا أَمَلْتَ مِنْ سَبِيلِهِ

وقال أبو نؤاس :

وَمَا طَالِبُ الْحَاجَاتِ مِمَّنْ يَرُومُهَا * مِنَ النَّاسِ إِلَّا الْمَصِيحُونَ عَلَى رِجْلِ
تَأْتِ مَوَاعِيدَ الْكِرَامِ فَرَبَّمَا * أَصَبْتَ مِنَ الْإِلْحَاحِ سَمْعًا عَلَى بُحْلِ

والبيت المشهور في هذا :

إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا آتَسَدَتْ مَسَالِكُهَا * قَالَصَبْرٌ يَفْتَحُ مِنْهَا كُلَّ مَا أَرْتَجِبَا
أَخْلَقَ بَذَى الصَّبْرِ أَنْ يَحْطَى بِحَاجَتِهِ * وَمُدْمِنَ الْقَرْعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلْبَا
لَا تَيَاسَّرَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالِبُهُ * إِذَا اسْتَعْنَتْ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرْجَا

وقال آخر :

إِنِّي رَأَيْتُ، وَلِلْآيَامِ تَجْرِبَةً، * لِلصَّبْرِ عَاقِبَةً مَحْمُودَةَ الْآثِرِ
وَقَلَّ مَنْ جَدَّ فِي أَمْرِ يُطَالِبُهُ * وَأَسْتَصْحَبَ الصَّبْرَ إِلَّا فَاذَ بِالْظَّفْرِ

(١) ورد هذا الاسم بالأصل محرفاً هكذا : « غسان » وصوابه كما أثبتناه (انظر القاموس
وشرحه مادة عسل) . (٢) روى هذا في اللسان مادة رجل هكذا :

* وَلَا يَدْرِكُ الْحَاجَاتِ مَنْ حَيْثُ تَبْتَغِي *

(٣) في العقد الفريد ج ١ ص ٨٩ : « يحاوله » .

والعرب تقول : «رُبَّ عَجَلَةٍ تَهَبُ رَيْثًا» . يريدون أن الرجل قد يَحْرَقُ ويعجل في حاجته فتأخر أو تبطل بذلك . وتقول : «الرَّشْفُ أَقْعُ» . يريدون أن الشراب الذي يُرَشَّفُ رويدًا رويدًا أقطع للعطش وإن طال على صاحبه .

وقال عامر بن خالد بن جعفر ليزيد بن الصَّعِق :

إنك إن كَلَفْتَنِي ما لم أَطِقْ * ساء لك ما سَرَّكَ مِنِّي من خُلُقٍ

وكانوا يَسْتَنْجِحُونَ حوائجهم بركعتين يقولون بعدهما : اللهم إِنِّي بِكَ أَسْتَفْتِيحُ ، وبِكَ أَسْتَنْجِحُ ، وبِحَمْدِ نبيك اليك أتوجه ، اللهم ذَلِّلْ لِي صَعُوبَتَهُ ، وَسَهِّلْ لِي حُرُوبَتَهُ ، وَأَرْزُقْنِي من الخير أكثر مما أَرْجُو ، وَأَصْرِفْ عَنِّي من الشر أكثر مما أَخاف .

وقال القطامي :

قد يُدِيرُكَ المُنَانِي بعضَ حاجَتِهِ ^(١) * وقد يَكُونُ مع المَسْتَعِجِلِ الزَّلَلُ

عمرو بن بحر عن إبراهيم بن السَّندِيَّ قال : قلت في أيام ولايتي الكوفة لرجل من وجوهها ، كان لا يَجِفُّ لِبْدُهُ ولا يَسْتَرِيحُ قلبه ولا تسكن حركته في طلب حوائج الرجال وإدخال المرافق على الضعفاء وكان رجلاً مُفَوِّهاً ، خَبَرَنِي عن الشيء الذي هَوَّنَ عليك النَّصَبَ وقَوَّاهُ على التعب ما هو ؟ قال : قد والله سمعتُ تغريد الطير بالأشجار ، في أفنان الأشجار ، وسمعتُ خَفَقَ أوتار العِيدان ، وترجيع أصوات القِيانِ الحسان ، ما طَرِبْتُ من صوت قط طربني من شاء ^(٢) حسين بلسانِ حسين على رجلٍ قد أحسن ، ومن شكر حُرْمَتِهِمْ حرًّا ، ومن شفاعَةِ مُحْتَسِبٍ لطالبٍ شاكر . قال إبراهيم : فقلت : لله أبوك لقد حُشِيتَ كرماً فزادك الله كرماً ، فبأى شيء سَهَلْتُ عليك المعاودة والطلب ؟

(١) كذا في ديوان القطامي وهي الرواية المشهورة في كتب الأدب . وفي الأصل :

* قد يدرك المُنَانِي بعد حاجته * وهي رواية جيدة . (٢) كذا في العقد الفريد ج ١

ص ٨٦ ، وفي الأصل : «قلبه» .

قال : لأني لا أبلغ المجهود ولا أسأل مالا يجوز، وليس صدق العذر أكره إلى من إنجاز الوعد، ولست لإكداء السائل أكره مني للإجحاف بالمستول، ولا أرى الراغب أوجب على حقاً للذي قدم من حسن ظنه من المرغوب إليه الذي احتمل من كلفه^(١). قال إبراهيم : ما سمعتُ كلاماً قط أشدَّ موافقة لموضعه ولا أليقَ بمكانه من هذا الكلام .

وقال مُصَبِّ :

في القوم مُعْتَصِمٌ بِقُوَّةِ أَمْرِهِ ■ وَمُقَصِّرٌ أَوْدَى بِهِ التَّقْصِيرُ
لَا تَرْضَ مَنَزَلَةَ الذَّلِيلِ وَلَا تُقِمَّ * فِي دَارِ مَعِجَزَةٍ وَأَنْتَ خَبِيرُ
وَإِذَا هَمَمْتَ فَأَمِضْ هَمَّكَ إِنَّمَا * طَلَبُ الْخَوَائِجِ كُلُّهُ تَغْرِيرُ

وكان يقال : إذا أحببت أن تطاع، فلا تسأل ما لا يستطيع .

ويقال : الخوائج تُطلب بالرجاء، وتُدرك بالقضاء .

الاستنجاح بالرشوة والهدية

حدثني زيد بن أنحزم عن عبد الله بن داود قال : سمعتُ سفيان الثوري يقول :

إذا أردت أن تزوج فأهد للآثم . والعرب تقول : « من صانع لم يحتشم من طلب^(٢) »

الحاجة . ١٥

قال ميمون بن ميمون : إذا كانت حاجتك إلى كاتبٍ فليكن رسولك الطمع .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : نعم الشيء الهدية أمام الحاجة .

(١) الكل بالفتح : العيال والفقير من كل ما يتكاف . (٢) صانع : هادى .

وقال رؤبة :

لما رأيت الشُّقْعَاءَ بَلَدُوا ^(١) * وسألوا أميرهم فأنكدوا ^(٢)
نامستهم برشوة فأقردوا ^(٣) * وسهل الله بها ما شددوا ^(٤)

وقال آخر :

وكنْتُ إذا خاصمتُ خصماً كَبَيْتُهُ * على الوجه حتى خاصمتني الدراهم
فلما تنازعنا الخصومة غلبت ^(٦) * على وقالوا قم فإنك ظالم
والعرب تقول في مثل هذا المعنى : « مَنْ يَخْطُبُ الْحَسَنَاءَ يُعْطِي مَهْرًا » يريدون
مَنْ طلب حاجةً مُهمَّةً بذل فيها .

وقال بعضُ المُحدِّثين :

ما من صديق وإن تمت صداقته ^(٧) * يوماً بأنجحَ في الحاجات من طَبَقٍ
إذا تلَّمَّ بالْمِندِيلِ مُنْطَاقًا ^(٨) * لم يَخْشِ نَبْوةَ بَوَابٍ وَلَا غَلَقٍ
لا تُكْذِبُنَّ فَإِنَّ النَّاسَ مُذْخُلُقُوا ^(٩) * لرغبة يكرمون الناس أو فرق

وقال آخر :

ما أرسل الأقوامَ في حاجةٍ * أمضى ولا أنجحَ من درهمٍ
يأتيك عفواً بالذي تشتهى * نعم رسولُ الرجلِ المسلمِ

١٥

(١) يقال : بلد الرجل إذا لم ينجه لشيء ، وبلد إذا نكس في العمل وضعف . (٢) أى منعوا الحاجة ولم يعطوا . (٣) يقال : نامس الرجل صاحبه منامسة ونماسا إذا ساوره . (٤) يقال : أقرد الرجل وأقرد إذا ذلَّ وخضع . (٥) هو رجل من ولد طلبة (ضبط في الكامل للبرد ج ١ ص ٨٤ وسكون اللام وكسرها واقتصر في المعارف على كسر اللام) بن قيس بن عاصم (انظر الكامل للبرد ج ١ ص ٨٤ طبع أوربا) . (٦) يقال : غلب الرجل على صاحبه إذا حكم له عليه بالغلبة . (٧) في المحاسن والأضداد للملاحظ ص ٣٦٧ طبع أوربا : « أبدى مودته » . (٨) في المحاسن والأضداد : « تقنع » . (٩) في المحاسن والأضداد : « لا تكثرت » .

٢٠

الاستنجاح بلطيف الكلام

حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال : دخل أبو بكر المَجْرِيّ على المنصور فقال : يا أمير المؤمنين نَغَضُ فِي وَأَنْتُمْ أَهْلُ بَيْتِ بَرَكَةٍ ، فَلَوْ أَذِنْتَ لِي فَقَبَّاتُ رَأْسَكَ لَعَلَّ اللَّهَ يُسَدِّدُ لِي مِنْهُ ! فقال أبو جعفر : احْتَرَمْنَا وَمِنْ الْجَائِزَةِ ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ ذَهَابِ دَرَاهِمٍ مِنَ الْجَائِزَةِ أَلَّا تَبْقَى فِيَّ حَاكَةٌ ^(٢) .

قال أبو حاتم : وَحَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ عَنْ خَلْفٍ قَالَ : كُنْتُ أَرَى أَنَّهُ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا رُقِيَّةٌ إِلَّا رُقِيَّةُ الْحَيَاتِ ، فَإِذَا رُقِيَّةُ الْخَبْرِ أَسْهَلُ . يَعْنِي مَا يَتَكَلَّفُهُ النَّاسُ مِنَ الْكَلَامِ لَطَلَبِ الْحِيلَةِ .

قال رجلٌ للفضل بن سهل يسأله : الْأَجَلَ آفَةُ الْأَمَلِ ، وَالْمَعْرُوفُ ذَخِيرَةُ الْأَبَدِ ، وَالرَّغْنِيمَةُ الْحَازِمُ ، وَالتَّفْرِيطُ مَصِيبَةُ أُخَى الْقُدْرَةِ ؛ فَأَمَرَ وَهَبًا كَاتِبَهُ أَنْ يَكْتُبَ الْكَلِمَاتِ . وَرَفَعَ إِلَيْهِ رُقْعَةً فِيهَا ^(٣) : يَا حَافِظُ مَنْ يُضَيِّعُ نَفْسَهُ عِنْدَهُ ، وَيَا ذَاكَ مَنْ يَنْسَى نَصِيحَةَ مَنْهُ ، لَيْسَ كِتَابِي إِذَا كَتَبْتُ اسْتِبْطَاءً ، وَلَا إِمْسَاكِي إِذَا أَمْسَكْتُ اسْتِغْنَاءً ؛ لَكِنْ كِتَابِي إِذَا كَتَبْتُ تَذَكُّرٌ لَكَ ، وَإِمْسَاكِي إِذَا أَمْسَكْتُ ثِقَةٌ بِكَ .

وقال رجلٌ لآخر : مَا قَصَّرْتُ بِي هِمَّةٌ صَيَّرَتْكَ إِلَيْكَ ، وَلَا أَخَّرَنِي أَرْتِيَادُ دَلَنِي عَلَيْكَ ، وَلَا قَعْدُ بِي رَجَاءٌ حَدَانِي إِلَى بَابِكَ . وَبِحَسْبِ مَعْتَصِمٍ بِكَ ظَفَرٌ بِفَائِدَةِ وَغْنِيمَةٍ ، وَلَوْجٌ إِلَى مَوْتٍ وَسَنَدٍ .

دخل الهذيل بن زُفَرٍ عَلَى يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ فِي حِمَالَاتٍ لَزِمَتْهُ ، فَقَالَ لَهُ : قَدْ عَظُمَ شَأْنُكَ عَنْ أَنْ يَسْتَعَانَ بِكَ أَوْ يَسْتَعَانَ عَلَيْكَ ، وَلَسْتَ تَصْنَعُ شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ إِلَّا وَأَنْتَ أَكْثَرُ مِنْهُ ، وَلَيْسَ الْعَجَبُ أَنْ تَفْعَلَ ، وَإِنَّمَا الْعَجَبُ مِنْ أَلَّا تَفْعَلَ .

(١) يقال : نَغَضْتُ أَسْنَانَهُ أَيْ فَلَقْتُ وَتَحَرَّكَتْ . (٢) الحَاكَةُ : السِّنُّ لِأَنَّهَا تَحْكُ صَاحِبَهَا أَوْ تَحْكُ مَا تَأْكُلُهُ . صِفَةُ غَالِيَةٍ . (٣) فِي الْأَصْلِ : « وَقَعَ » . (٤) الْحِمَالَاتُ جَمْعُ حَالَةٍ (بِالْفَتْحِ) وَهِيَ : مَا يَحْمِلُهُ الْإِنْسَانُ مِنْ دِيَةِ أَوْ غَرَامَةٍ .

قال الحمدوني في الحسين بن أيوب والى البصرة :

قُلْ لَأَبْنِ أَيُّوبَ قَدْ أَصْبَحَتْ مَأْمُولًا * لَا زَالُ بَابِكَ مَغْشِيًّا وَمَاهُولًا
إِنْ كُنْتَ فِي عُطْلَةٍ فَالْعَذْرُ مُتَّصِلٌ * وَصِلْ إِذَا كُنْتَ بِالْسلْطَانِ مَوْصُولًا
شَرُّ الْأَخْلَاءِ مَنْ وَلَّى قَفَاهُ إِذَا * كَانَ الْمَوْلَى وَأَعْطَى الْبِشْرَ مَعْزُولًا
مَنْ لَمْ يُسَمِّنْ جَوَادًا كَانَ يَرْكَبُهُ * فِي الْخَصْبِ قَامَ بِهِ فِي الْجَدْبِ مَهْزُولًا
إِفْرُغْ لِحَاجَاتِنَا مَا دَمَتْ مَشْغُولًا * لَوْ قَدْ فَرَّغْتَ لَقَدْ أُلْفَيْتَ مَبْذُولًا
وقال آخر :

وَلَا تَعْتَذِرْ بِالشُّغْلِ عَنَّا فَإِنَّمَا * تَنَاطُ بِكَ الْآمَالُ مَا اتَّصَلَ الشُّغْلُ
وَأَتَى رَجُلٌ بَعْضَ الْوَلَاةِ، وَكَانَ صَدِيقَهُ، فَتَشَاغَلَ عَنْهُ، فَتَرَاىَ لَهُ يَوْمًا، فَقَالَ :
اعْذِرْنِي فَإِنِّي مَشْغُولٌ، فَقَالَ : لَوْلَا الشُّغْلُ مَا أَتَيْتُكَ .

وكتب رجل إلى صديقي له : قَدْ عَرَضْتُ قَبْلَكَ حَاجَةً، فَإِنْ نَجَّحْتَ بِكَ
فَالْقَانِي مِنْهَا حَظِّي وَالْبَاقِي حَظُّكَ، وَإِنْ تَعَذَّرَ فَالْخَيْرُ مَظْنُونٌ بِكَ وَالْعَذْرُ مُقَدَّمٌ لَكَ .
وفي فصل آخر : قَدْ عَذَّرَكَ الشُّغْلُ فِي إِغْفَالِ الْحَاجَةِ وَعَذَّرَنِي فِي إِنْكَارِكَ .
وفي فصل آخر : قَدْ كَانَ يَجِبُ أَلَّا أَشْكُوَ حَالِي مَعَ عِلْمِكَ بِهَا، وَلَا أَقْتَضِيكَ عِمَارَتَهَا
بِأَكْثَرِ مَنْ قَدَّرْتَكَ عَلَيْهَا، فَلَرُبَّمَا نِيلَ الْغِنَى عَلَى يَدَيَّ مَنْ هُوَ دُونَكَ بِأَدْنَى مِنْ حُرْمَتِي .
وما أَسْتَصْغِرُ مَا كَانَ مِنْكَ إِلَّا عَنْكَ، وَلَا أَسْتَقِيلُهُ إِلَّا لَكَ .

وقال آخر : إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُصَفِّدَ يَدَا بَصْنِيعَةٍ بِأَيِّ ذِكْرُهَا جَمِيلٍ فِي الدَّهْرِ أَثَرُهَا،
تَعْتِمُ غُرَّةَ الزَّمَانِ فِيهَا وَتُبَادِرُ قُوَّةَ الْإِمْكَانِ بِهَا، فَافْعَلْ .

قَدِمَ عَلَى زِيَادٍ نَفَرٌ مِنَ الْأَعْرَابِ فَقَامَ خُطْبِيهِمْ فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ! نَحْنُ،
وَإِنْ كَانَتْ تَرَعَتْ بَنَا أَنْفُسُنَا إِلَيْكَ وَأَنْضَيْنَا رُكَائِبَنَا نَحْوَكَ أَلْتَمَسْنَا لِفَضْلِ عَطَائِكَ،

عالمون بأنه لا مانع لما أعطى الله ولا معطى لما منع ؛ وإنما أنت أيها الأمير خازنٌ ونحن رائدون ، فإن أُذِنَ لك فأعطيتَ حمداً لله وشكراً ، وإن لم يُؤذَنَ لك فمنعتَ حمداً لله وعذراً ، ثم جلس ؛ فقال زياد لجلسائه : تالله ما رأيتُ كلاماً أبلغ ولا أوجز ولا أنفع عاجلةً منه ، ثم أمر لهم بما يُصلحهم .

٥ دخل العتّابي على المأمون ، فقال له المأمون : خُبرتُ بوفاتِكَ فغممتُني ، ثم جاءتني وفادتُكَ فسرتُني ؛ فقال العتّابي : لو قُسمتْ هذه الكلماتُ على أهل الأرض لوسعتهم ؛ وذلك أنه لا دينَ إلا بك ولا دُنْيَا إلا معك ؛ قال : سَلْنِي ، قال : يدَاكَ بالعطية أطلق من لساني .

١٠ قال نُصَيْبُ لعمر بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين ، كبرتُ سِنِّي ورَقَّ عَظْمِي ، وُبُلِيتُ بِنِيَّاتٍ نَفَضْتُ عَلَيْهِنَ مِنْ لُونِي فَكَسَدَنَ عَلَيَّ ؛ فَرَّقْ لَهُ عَمْرًا وَوَصَلَهُ .

سأل رجلُ أسد بن عبد الله فاعتلَّ عليه ؛ فقال : إني سألتُ الأميرَ من غير حاجة ؛ قال : وما حَمَلَكَ على ذلك ؟ قال : رأيتُكَ تُحِبُّ مَنْ لَكَ عِنْدَهُ حَسَنُ بَلَاءٍ ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَتَعَلَّقَ مِنْكَ بِحَبْلِ مَوَدَّةٍ .

١٥ لَزِمَ بَعْضُ الْحُكَّاءِ بَابَ بَعْضِ مَلُوكِ الْعَجَمِ دَهْرًا فَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ ، فَتَلَطَّفَ لِلْحَاجِبِ فِي إِصْصَالِ رُقْعَةٍ فَفَعَلَ ، وَكَانَ فِيهَا أَرْبَعَةُ أَسْطُرٍ :

السطرُ الأوَّلُ "الأمَلُ وَالضَّرُورَةُ أَقْدَمَانِي عَلَيْكَ" .

والسطرُ الثاني "وَالْعُدْمُ لَا يَكُونُ مَعَهُ صَبْرٌ عَلَى الْمُطَالَبَةِ" .

والسطرُ الثالثُ "الْأَنْصَرَأُفُ بِلا فائدةٍ شِمَاتَةٍ لِلْأَعْدَاءِ" .

(١) في العقد الفريد (ج ١ ص ٩٥ طبع بولاق) «سأل رجل خالدا القسري حاجة الخ» .

والسطر الرابع "فإما نعم مثمرة"، وإما لا مريحة". فلما قرأها وقع في كل سطر: زه؛ فأعطى ستة عشر ألف مثقال فضة.^(١)

دخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم، فقال له: أتيتك في حاجة رفعتها إلى الله قبلك، فإن تقضها حمدنا الله وشكرناك، وإن لم تقضها حمدنا الله وعذرناك؛ فأمر له بحاجته. وقال له أيضا في حاجة أخرى: إني أتيتك في حاجة، فإن شئت قضيتها وكنا جميعا كريمين، وإن شئت منعها وكنا جميعا لئيمين.^(٢)

أتى رجل خالد بن عبد الله في حاجة، فقال له: أتتكُمُ بجُرأة اليأس أم بهية الأمل؟ قال: بل بهية الأمل؛ فسأله حاجته فقضاها.

وقال أبو سَمَّكٍ لرجل: لم أضن وجهي عن الطَّالِب اليك، فصن وجهك عن ردِّي، وضعتني من كرمك بحيث وضعت نفسي من رجائك.^{١٠}

قال المنصور لرجل: ما مأك؟ قال: ما يكف وجهي ويعجز عن الرِّ الصديق فقال: لقد تلطفت للسؤال، ووصله.

وقال المنصور لرجل أحمد منه أمرا: سل حاجتك فقال: يُبقيك الله يا أمير المؤمنين؛ قال: سل، فليس يملكك ذلك في كل وقت؛ فقال: ولم يا أمير المؤمنين!

(١) كلمة «زه» في لغة الفرس معناها أحسنت. وفي العقد الفريد ج ١ ص ١٠٠ «فلما قرأها وقع تحت كل سطر منها ألف مثقال وأمر له بها». (٢) في العقد الفريد (ج ١ ص ٩٠) بعد هذا الكلام تفسير لهذه الجملة هذا نصه: «أراد إن قضيتها كنت أنت كريما بقضائها وكنت أنا كريما بسؤالك إياها لأنني وضعت الطلبة في موضعها، فإن لم تقضها كنت أنت لئima بمنعك وكنت أنا لئima بسوءه - تبارى لك - والجزء الأخير من هذا الشرح يشبه قول أبي تمام:

عياش إنك للثيم وإنني * مذ صرت موضع حاجتي للثيم

فوالله لا أستقصر عمرَكَ ولا أرهبُ بُخْلَكَ ولا أغتمُ مالَكَ وإنَّ سؤالَكَ لَزَيْنٌ، وإنَّ عطاءَكَ لَشَرَفٌ، وما على أحدٍ بذل وجهه اليك نقصٌ ولا شينٌ، فأمر حتى ملئ قُوه دُرًّا .

قال أبو العباس لأبي دُلَّامة : سَل حاجتَكَ . قال : كَلْبٌ ؛ قال : لك كلب .
 قال : ودابةٌ أتصيد عليها ؛ قال : ودابة . قال : وغلَام يركب الدابة ويصيد ؛ قال :
 وغلَام . قال : وجارية تُصَلِّح لنا الصيدَ وتُطْعِمنا منه ؛ قال : وجارية . قال :
 يا أمير المؤمنين ، هؤلاء عيال ولا بد من دارٍ ؛ قال : ودار . قال : ولا بد من ضيعةٍ
 طوِّلاء ؛ قال : قد أقطعتك مائة جريبٍ عامرة ومائة جريبٍ غامرة . قال : وأى
 شيء الغامرة ؟ قال : ليس فيها نباتٌ . قال : فأنا أقطعك ألفاً ونجسمائة جريبٍ من
 فيافي بني أسدٍ ؛ قال : قد جعلتها [كلها لك] ^(١) عامرة . قال : أقبل يدك ؛ قال :
 أما هذه فدعها . قال : ما منعت عيالي شيئاً أهونَ عليهم فقداً منها ^(٢) .

قال عبد الملك لرجل : مالى أراك واجماً لا تنطق ؟ ^(٣) قال : أشكو اليك ثقل
 الشَّرَف ؛ قال : أعينوه على حمِّله .

رأى زياد على مائدته رجلاً قبيح الوجه كثير الأكل ، فقال له : كم عيالك ؟
 قال : تسع بنات ؛ قال : أين هنَّ منك ؟ قال : أنا أجملُ منهنَّ وهنَّ آكلُ مني ؛
 قال : ما أحسنَ ما تلطَّفتَ في السؤال وفرضَ له وأعطاه .

(١) الزيادة عن العقد الفريد ج ١ ص ٩٨ طبع بولاق ، وقد ذكر هذه الحكاية صاحب الأغاني
 في أخبار أبي دُلَّامة بتوسع عما هنا بالجزء التاسع ص ١٢١ طبع بولاق . (٢) في الأصل :
 « فقدا منه » وفي الأغاني : « ما منعت عيالي شيئاً أقل ضرراً عليهم منها » . (٣) الواجب :
 الذى اشتدَّ حزنه حتى أمسك عن الكلام ، وقد ساق صاحب العقد الفريد (ج ١ ص ٩٥) هذه
 الحكاية بأوسع مما هنا .

وقفت عجوز على قيس بن سعد فقالت : أشكو اليك قلة الحردان ؛ قال :
ما أحسن هذه الحكاية ! املثوا بيتها خبزاً ولحماً وسمناً وتمراً .

وقال بعض القصاص في قصصه : اللهم أقل صبياننا وأكثر حرداننا .

كان سليمان بن عبد الملك يأخذ الولي بالولي والجار بالجار ، فدخل عليه رجل
وعلى رأسه وصيفة روفة^(١) ، فنظر إليها فقال سليمان : أعجبتك ؟ قال : بارك الله لأمر
المؤمنين فيها ! قال : هات سبعة أمثال في الآسيت وخذها ؛ فقال : « صر عليه الغزو^(٢)
آسته » . قال : واحد . قال : « آست^(٣) البائن أعلم » ؛ قال : آثان . قال : « آست^(٤)
لم تعود الجمر تحترق » ؛ قال : ثلاثة . قال : الحر يعطى والعبد يبيع^(٥) بآسته ؛ قال :
أربعة . قال : « آستي أخبثي^(٦) » ؛ قال : خمسة . قال : « عاد سلاها في آستها » ؛

- ٤٠ (١) الوصفة : الجارية ، والروفة (بالضم) : الحسناء الجميلة . (٢) يضرب لمن ضيق عليه
نصره أمره . (٣) البائن : الذي يكون عند جلب الناقة من جانبها الأيسر ويقال للذي من الجانب
الآخر : المولى أو المستعلى ، وهو الذي يعلى العلة إلى الضرع . وأصل المثل أن رجلاً أضل إليه ووجدتها في مرة
فأستنجد بالجار بن ظالم المرى فردها عليه إلا ناقة كانت عند رجلين يحملانها ، فقال لهما الحارث : خليا
عنها فليست لكما ، وأهوى اليهما بالسيف فضرط البائن وقال المولى : والله ما هي لك . فقال الحارث :
« آست البائن أعلم » فأرسلها مثلاً : يضرب لمن ولي أمراً وصلى به فهو أعلم به ممن لم يمارسه ولم يصل به . وقيل :
١٥ يضرب لكل ما ينكر وشأه حاضراً . (٤) يضرب لمن حصل في نعمة لم يعدها . وأصله أن ماوية
بنت عفزر كانت ملكة وكانت تترج من أرادت ، وربما بعثت غلمانها ليأتوها بأوسم من يجدونه بالحيرة ،
بغاهم بها بجام الطائي ؛ فقالت له : أستقدم إلى الفراش ؛ فقال هذه الجملة . أراد : إني أعراي متقهل
(يابس الجلد متكشف) لم أعود الطيب والترف . (٥) الذي في الأمثال للبداني : « الحر يعطى
والعبد يألم قلبه » وقال : يعني أن اللثيم يكره ما يجود به الكريم . وقال في فرائد اللاك : يضرب لمن
٢٠ يخل ويأمر غيره بالخل . (٦) لم يذكر هذا المثل الميسداني ، وذكره الزمخشري في كتابه
المستقصى في أمثال العرب ومنه نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٤٢٣ أدب ؛
وقال في شرحه : « يضرب في وضع الشيء في غير موضعه » ، وأصله أن سعد بن زيد مناة زوج أخام
مالكا التوار بنت حل بن عدى رجاء أن يولد له ، وكان محملاً ، فانطلق به إلى بيت العروس فأبى أن يلبس البيت ،
فقال له : « ليج مال ولجت الزيج » (أي القبر) ؛ حتى ولى ونعلاه معلقتان في ذراعيه ، فقال له : ضع
٢٥ نعليك ، فقال : ساعداي أحرز لهما ، ثم أتى بطيب فجعل يجعله في آسته ، فقالوا له في ذلك ، فقال : آستي
أخبثي » . (٧) السلى : الجلدة التي يكون فيها الولد ، من الناس والمواشي .

قال : ستة . قال : « لا ماءك أبقيت ولا حرك أنقيت » ؛ قال : ليس هذا من ذلك ؛ قال : أخذت الجارَ بالجارِ كما يفعلُ أمير المؤمنين ! قال : خذها .

قال يزيد بن المهلب لسليمان في حَمالةٍ كَلَّمه فيها : يا أمير المؤمنين ، والله لحَمْدُها خيرٌ منها ، ولَدِكُها أحسنُ من جَمْعِها ، ويَدِي مَبسوطةٌ بِيَدِكَ فَأَبسُطْها لِسْؤالِها .

٥ قطع عبدُ الملك بن مروان عن آل أبي سفيان أشياء كان يُجْريها عليهم ، لَتَبَاعِدُ كان بينه وبين خالد بن يزيد بن معاوية ؛ فدخل عليه عمرو بن عُتبة فقال : يا أمير المؤمنين ، أدنى حَقِّك مُتَعَبٌ وَتَقْصِيهِ فَادِحٌ ، ولنا مع حَقِّك علينا حقٌّ عليك ، لقرا بَتنا مِنكَ وإكرام سَلَفنا لك ؛ فَأَنْظِرِنا بالعين التي نظروا بها اليك ، وَضَعْنَا بِحيث وَضَعْنَا الرَّحْمُ مِنكَ ، وَزِدْنَا بِقدر ما زادك الله ؛ فقال : أَفَعَلُ ، وإنما يَسْتَحِقُّ عَطِيَّتِي من آسَعطَهاها ، فأما من ظَنُّ أنه يَسْتَغْنِي بِنَفْسِهِ فَسَتَكِلْهُ إِلَيْها ، يعرض بخالد ؛ فبلغ ذلك خالدًا ، فقال : أما عمرو فقد أعطى من نفسه أكثر مما أخذ ، أو بالحِرمان يَهْدِدُنِي ! يَدُ الله فوق يده مانِعَةٌ ، وعطاؤه دونه مَبذول .

١٥ أتى رجل يزيد بن أبي مسلم برُقعةٍ يسأله أن يرفعها إلى المجتاج ؛ فنظر فيها يزيد فقال : ليست هذه من الخوائج التي تُرفع إلى الأمير ؛ فقال له الرجل : فإني أسألك أن ترفعها ، فلعلها توافق قَدَرًا فيقضيها وهو كارهٌ ؛ فأدخلها وأخبره بمقالة الرجل ؛ فنظر المجتاج في الرُقعة ، وقال ليزيد : قل للرجل : إنها وافقت قَدَرًا وقد قضيتها ونحن كارهون .

(١) أصله أن رجلا كان في سفر ومعه امرأته ، وكانت عاركا (حائضا) فظهرت ، وكان معها ماء يسير فأغتسلت ، فلم يكفها لغسلها وأنفدت الماء فبقيا عطشانين ، فقال لها ذلك .

(٢) الحَمالة (بالفتح) : ما يحملها الإنسان عن غيره من دية أو غرامة . ٢٠

(١) دخل بعض الشعراء على بشر بن مروان فأنشده :

أَغْفَيْتُ عِنْدَ الصَّبْحِ نَوْمَ مُسَهِّدٍ * فِي سَاعَةٍ مَا كُنْتُ قَبْلُ أَنَامُهَا
فَرَأَيْتُ أَنَّكَ رُعْتَنِي بُولَيْدَةٍ * مَغْنُوجَةٍ حَسَنٍ عَلَى قِيَامُهَا^(٢)
وَبَيْدَرَةٍ حُمِلَتْ إِلَى وَبَغْلَةٍ * دَهْمَاءُ مُشْرِفَةٍ يَصِلُ لِحَامُهَا^(٣)
فَدَعَوْتُ رَبِّي أَنْ يُثَبِّتَ جَنَّةً * عِوَضًا يُصَيِّبُكَ بِرَدِّهَا وَسَلَامُهَا^(٤)

فقال له بشر : في كل شيء أصبت إلا في البغلة فإنني لا أملك إلا شهبًا : فقال :
إني والله ما رأيت إلا شهبًا .

قال رجل لمعاوية : أقطعني البحرين ، قال : إني لا أصل إلى ذلك . قال :
فأستعيني على البصرة ، قال : ما أريد عزل عاملها . قال : تأمر لي بألفين ، قال :
ذلك لك . فقبل له : ويحك ! أرضيت بعد الأوليين بهذا ! قال : آسكتوا لولا الأوليان
ما أعطيت هذه .

جاء أعرابي إلى بعض الكتاب فسأله ، فأمر الكتاب غلامه يمينه أن يعطيه
عشرة دراهم وقيصًا من قُصِّه ، فقال الأعرابي :

حَوْلَ الْعَقْدِ بِالشَّمَالِ أبا الْأَصْدِ * سَبَغَ وَأَضْمَمَ إِلَى الْقَمِيصِ قَمِيصًا

إِنِّ عَقْدَ الْيَمِينِ يَقْصُرُ عَنِّي * وَأَرَى فِي قَمِيصِكَ تَقْلِيصًا^(٥)

يقول : حَوْلَ عَقْدِ الْيَمِينِ وهو عشرة إلى عَقْدِ الشَّمَالِ وهو مائة .

(١) هو الحكم بن عبدك في الأغاني (ج ٢ ص ٤٠٧ طبع دار الكتب المصرية) . (٢) لم نعر
على هذه الصيغة في معاجم اللغة ، والذي بها : امرأة مفتاح وغنجة : حسنة الدل ؛ ووجد هذا الشعر منسوباً
إلى حمزة بن بيض في الأغاني (ج ١٥ ص ٢٣ طبع بولاق) وروايته مختلفة عن روايتي الأغاني الأولى وهذا
الكتاب ، وفيه موسومة بدل مغنوجة . وفي العقد القريد (ج ١ ص ١٠٣) «مفلوجة» . (٣) مشرفة :
سريعة العدو ، والمشرقة أيضاً : العالية المرتفعة . (٤) يصل : يصوت . (٥) كان للعرب
حساب غير ما هو معروف اليوم ولهم في ذلك اصطلاحات في أصابع اليد فالعشرة يدّل عليها بجعل السبابة
في اليد اليمنى حلقة فإذا أريد المائة جعلت السبابة اليسرى حلقة وغير ذلك (انظره بتفصيل في الجزء الثالث
من كتاب بلوغ الأرب للأربى ص ٣٩٦ — ٤٠٢ طبع بغداد) .

سأل أعرابي فقال في مسأله : لقد جُعتُ حتى أكلتُ النوى المحرق ولقد
مَشَيْتُ حتى أتنعلتُ الدَّمَّ وحتى سقط من رجلى بَحْصٌ لَحِيمٌ ^(١) وحتى تَمَيَّتُ أَنْ وَجْهِي
حِذَاءُ لِقَدَمِي ^(٢)، فهل من أخٍ يرحمنا ؟ .

وسأل آخر قوماً فقال : رَحِمَ اللهُ امرأ لم تَمَجِّجْ أذناه كلامي، وقَدَّمْ لنفسه مَعَاذًا
من سوء مُقَامِي، فإن البلاد مُجْدِبَةٌ، والحال مُضْعِبَةٌ، والحياة زاجرٌ يمنع من كلامكم،
والعُدْمُ عاذِرٌ يدعو إلى إخباركم، والدعاء أحدُ الصدقتين فَرَحِمَ اللهُ امرأ أمر بمير، ودعا ^(٣)
بخير، فقال له رجل من القوم : مِمَّنَ الرجل ؟ فقال : اللهم غَفْرًا مِمَّنْ لَا تَضُرُّكَ
جهالته، ولا تَفْعُلْ معرفته، ذُلَّ الأكتساب، يمنع من عِزِّ الانتساب .

سأل أعرابي رجلاً فخرمه، فقال : عَلَامَ تَحْرِمُنِي ! فوالله ما زِلْتَ قِبْلَةً لِأُمْلَى
لَا تَلْفِئُنِي عَنْكَ المَطَامِعُ، فإن قلتَ : قد أَحْسَنْتُ بَدَأًا، فما يُنْكِرُ لِمَثَلِكَ أَنْ يُحْسِنَ
عَوْدًا ! .

قال ابنُ أبي عَتيق : دخلتُ على أشعَبَ وعنده مَتَاعٌ حَسَنٌ وَأَنَاثٌ، فقلتُ له :
ويحك ! أما تَسْتَحِي أن تَسْأَلَ وعندك ما أرى ! فقال : يا فَدَيْتُكَ ! معي والله من
لطيفِ السؤال ما لا تَطِيبُ نفسِي بِتَرْكِهِ .

قال الصَّلْتَانُ العَبْدِيُّ :

نَروُحُ ونَفْسُدو لحاجاتنا * وحاجةٌ مَنْ عَاشَ لَا تَقْضِي
تَمُوتُ مع المَرءِ حاجاته * وتَبْقَى له حَاجَةٌ ما بَقِيَ
إِذَا لَيْلَةٌ هَرَمَتْ يَوْمَهَا * أتَى بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمٌ فَنِي

(١) البحص بالتحريك : لحم القدم . (٢) في الأصل : « حذاء لدمي » . (٣) في المحاسن
والمساوي للبيهقي طبع أوروبا ص ٦٣١ : « مسغبة » وقد رويت هذه الحكاية فيه باختلاف عما هنا .
(٤) كذا في المحاسن والمساوي . وفي الأصل : « عار » . (٥) المير : الطعام .

وقال آخر :

وحاجة دون أخرى قد سَنَحْتُ بها ^(١) * جعلتها للتي أخفيتُ عنوانا

كتب دِعْبَلٌ الى بعض الأمراء :

جُئْتُكَ مُسْتَشْفِعًا بلا سبب ^(٢) * اليك إلا بجرمة الأدب

فَاقِضْ ذِمَامِي فَإِنِّي رَجُلٌ * غير مُلِحٍّ عليك في الطلب

من يُعْتَمَدُ في الحاجة وَيُسْتَسْعَى فيها

روى هُشَيْمٌ عن عبد الحميد بن جعفر عن محمد بن عبد الرحمن عن أبي مُصْعَبٍ ^(٣)

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اطْلُبُوا الحوائجَ الى حِسانِ الوجوه» ^(٤) .

وفي حديث آخر : «اعْتَمِدْ لحوائجك الصَّبَاحَ الوجوه، فإنَّ حسنَ الصورةِ أوَّلُ

نعمةٍ تُلَقَّاكَ من الرجل» .

قالت امرأةٌ من ولد حِسانَ بن ثابت :

سَلِ الخَيْرَ أَهْلَ الخَيْرِ قَدَمًا وَلَا تَسَلِ * فَنِّي ذَاقَ طَعْمَ العَيْشِ مِنْهُ قَرِيبَ

ومن المشهور قولُ بعض المحدثين :

حَسَنُ ظَرْبٍ * إِلَيْكَ أَكْرَمَكَ اللَّهُ دَعَانِي فَلَا عَدِمْتَ الصَّلَاةَ

ودعاني إِلَيْكَ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ إِذْ قَالَ مُفْصِحًا * إِنْصَاحًا

إِنْ أَرَدْتُمْ حَوَائِجًا عِنْدَ قَوْمٍ * فَتَنَقَّوْا لَهَا الْوُجُوهَ الصَّبَاحَ

(١) سَنَحْتُ بكذا : عَرَضْتُ وَلَحَنْتُ * وقد أورد صاحب اللسان هذا البيت في مادة « سَنَحَ »

ونسبه لسواربن المضروب . (٢) في العقد الفريد (ج ١ ص ٨٩ طبع بولاق) : « مسترفدا » .

(٣) كذا في تهذيب التهذيب . وفي الأصل : « جعيفر » وهو تحريف . (٤) في الجامع الصغير :

« اطلبوا الخير الى حسان الوجوه » .

وقال آخر :

إنا سألنا قومنا نغيارهم * من كان أفضلهم أبوه الأول
أعطى الذى أعطى أبوه قبله * وتخلت أبناء من يتخل
وقال خالد بن صفوان : فوت الحاجة خير من طلبها الى غير أهلها ، وأشد
من المصيبة سوء الخلف منها .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : قال مسلم بن قتيبة : لا تطلبن حاجتك الى
كذاب فإنه يقربها وهي بعيد ويبعدها وهي قريب ، ولا الى أحمق فإنه يريد أن
ينفعك فيضرك ، ولا الى رجل له عند من تسأله الحاجة ما كلة ، فإنه لا يؤثرك على نفسه .
أنشدنا الرياشي لأبي عوين :

ولست بسائل الأعراب شيئاً * حمدت الله إذ لم يأكلوني
وقال ميمون بن ميمون : لا تطلبن الى لئيم حاجة ، فإن طلبت فأجله حتى
يروض نفسه .

هارون بن معروف عن صمرة عن عثمان بن عطاء ، قال : عطاء الخواص عند
الشباب أسهل منها عند الشيوخ ، ثم قرأ قول يوسف : ﴿ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ بِغْفُرِ
اللَّهِ أَكُكُمْ ﴾ وقول يعقوب ﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ .
وقال بشار :

إذا أيقظتك حروب العدا * فنبه لها عمرا ثم نم
فقى لا يبيت على دمنة * ولا يشرب الماء إلا يدم
بلذ العطاء وسفك الدماء * فيغدو على نعم أو يقم

(١) بعيد وقريب بوصف بهما الذكر والأنثى والمفرد والجمع ومنه قوله تعالى : (إن رحمة الله قريب
من المحسنين) . (٢) في الأغاني (ج ٣ ص ٤٦ طبع بولاق) : * إذا دهمت عظام الأمور *

وقال أبو عبّاد الكاتب: لا تُتْرَلْ مُهِمٌّ حوائجك بالحيّد اللسان، ولا المتسرّع الى الضّمان، فإن العجز مقصور على المتسرّع؛ ومن وعد ما يعجز عنه فقد ظلم نفسه وأساء الى غيره؛ ومن وثق بجودة لسانه ظنّ أن في فصل بيانه ما ينوب عن عذره وأن وعده يقوم مقام إنجازهِ . وقال أيضا: عليك بذى الحَصير البكى^(١)، وبذى الخيم^(٢) الرضى، فإن مثقالا من شدة الحياء والعي، أنفع في الحاجة من قنطار من لسان سليط وعقل ذكي؛ وعليك بالشهم^(٣) النّذب الذي إن عجزَ أياك، وإن قدرَ أطمعك. قال بعض الشعراء:

لا تَطْلُبْنَ الى لئيم حاجة * واقْعُدْ فإنك قائما كالقاعِدِ

يا خادعَ البُخلاءِ عن أموالهم * هيهات! تضربُ في حديد بارد

وقال آخر:

إذا الشافعُ استقصى لك الجهدَ كلّه * وإن لم تتلَّ نُجْحًا فقد وجب الشكرُ

وقال آخر:

وإذا أمرؤ أسدى اليك صنيعَةً^(٥) * من جاهه فكأنها من ماله

ذكر أعرابي رجلا، فقال: كان والله إذا نزلت به الحوائج قام إليها ثم قام بها،

ولم تقعد به علاتُ النفوس .

قال الشاعر:

ما إن مدحتك إلا قلتَ تخدعني * ولا استعتك إلا قلتَ مشغولُ

ابن عائشة قال: كان شبيب بن شيبه رجلا شريفا يفرعُ اليه أهل البصرة

في حوائجهم، فكان إذا أراد الركوب تناول من الطعام شيئا ثم ركب؛ ف قيل له:

٢٠ (١) البكى: القليل الكلام . (٢) الخيم: السجية والطبيعة . (٣) النذب: الخفيف

في الحاجة . (٤) هو أبو تمام الطائي . (٥) كذا في ديوانه . وفي الأصل: «أهدى الى» .

إنك تُبَاكِرُ الغدَاءَ! فقال: أَجَلْ! أَطْفِئْ به قَوْرَةَ جوعى، وأَقْطَعْ به خُلُوفَ^(١) فمى، وأبلغ في قضاء حوائجى، نخذ من الطعام ما يُذْهِبُ عنك النَّهَمَ، ويُدَاوِي من الخَوَى .

قال بعضُ المحدثين :

لعمرك ما أخلقتُ وجهًا بذلته * إليك ولا عرضته للمعابر
فنى وفرتُ أيدى المحامدِ عرضَه * وخَلَّتْ^(٢) لديه ماله غيرَ وافرٍ

وقال آخرُ :

أَتَيْتُكَ لَا أُدْلِي بِقُرْبَى وَلَا يَدٍ * اليك سوى أئى بِجُودِكَ وَائْتِ
فإن تُولِنى عُرْفًا أَكُنْ لَكَ شَاكِرًا * وإن قَلَّتْ لى عِذْرًا أَقُلْ أَنْتَ صَادِقُ
وقال رجلٌ لآخر في كلامه : أَيْدِينَا مَمْدُودَةٌ إِلَيْكَ بِالرَّغْبَةِ، وَأَعْنَاقُنَا خَاضِعَةٌ لَكَ
بِالدَّلَّةِ، وَأَبْصَارُنَا شَاخِصَةٌ إِلَيْكَ بِالشُّكْرِ، فَافْعَلْ فى أُمُورِنَا حَسَبَ أَمَلِنَا فَيْكَ، وَالسَّلَامُ .

الإجابة الى الحاجة والرد عنها

قال رجل للعباس بن محمد : إِنِّى أَتَيْتُكَ فى حَاجَةٍ صَغِيرَةٍ؛ قال : أَطْلُبُ لها
رجلا صغيرا . وهذا خِلافُ قولِ عليّ بن عبد الله بن العباس لرجل قال له : إِنِّى
أَتَيْتُكَ فى حَاجَةٍ صَغِيرَةٍ، فقال له عليّ بن عبد الله : هَاتِمَا، إِنَّ الرِّجْلَ لَا يَصْغُرُ عَنْ
كَبِيرِ أَخِيهِ وَلَا يَكْبُرُ عَنْ صَغِيرِهِ .

قال رجل للأحنف : أَتَيْتُكَ فى حَاجَةٍ لَا تَنْجِيكَ وَلَا تَرْزُوكَ^(٣)، قال : إِذَا لَا تُقْضَى !
أَمْثَلِي يَوْئِي فى حَاجَةٍ لَا تَنْجِي وَلَا تَرْزَأُ ! .

(١) الخلوف : رائحة الفم . (٢) فى العقد الفريد : (ج ١ ص ٩٠) :

* عليه وخَلَّتْ ماله غيرَ وافرٍ * (٣) لَا تَنْجِيكَ : لَا تَنَالُ مِنْكَ، مِنْ نَجَى العَدُوَّ نَكَايَةً :

أَصَابَ مِنْهُ . وَلَا تَرْزُوكَ : لَا تَصِيبُ مِنْ مَالِكَ شَيْئًا .

جاء قومٌ الى رجل يُكَلِّمونه في حاجةٍ لهم ومعهم رَقَبَةٌ، فقال لرقبة: تضمّنونها؟
فقال له رَقَبَةٌ: جئناكَ نطلُبُ منكَ فضلَ التوسُّعِ فأدخلتَ علينا همَّ الضَّمانِ .
أتى عمرو بن عُبيد حفص بن سالم، فلم يسأله أحدٌ من حَشَمِهِ شيئاً إلا قال:
لا، فقال عمرو: أَقِلَّ من قول: «لا» فإنَّ «لا» ليست في الجنة .
كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم إذا سُئِلَ ما يَجِدُ أعطى، وإذا سُئِلَ ما لا يَجِدُ
قال: «يصنع الله» .

قال عمر بن أبي ربيعة:

إنَّ لي حاجةً اليكَ فقالت * بين أذنى وعاتقٍ ما تُريدُ
أى قد تضمّنْتُهُ لك فهو في عُنُقٍ .

سأل رجلٌ قوماً، فقال له رجل منهم: اللهم هذا سألنا ونحن سُؤْلُكَ، وأنت
بالمغفرة أجودُ منا بالعطاء، ثم أعطاه .

سأل رجلٌ رجلاً حاجةً، فقال: اذهبْ بِسلامٍ، قال السائلُ: أَنْصَقْنَا مَنْ
رَدَّنَا في حوائجنا إلى الله عزَّ وجلَّ .

قال رجلٌ لثَمَامَةَ: إنَّ لي اليكَ حاجةً، قال ثَمَامَةُ: ولى اليكَ حاجةٌ، قال:

وما هى؟ قال: لا أَذْكَرُها حتى تتضمَّنَ قضاءها، قال: قد فعلتُ، قال: حاجتى
ألا تسألنى هذه الحاجة، قال: رجعتُ عما أعطيتُكَ، قال ثَمَامَةُ: لكنى لا أَرَدُ
ما أخذتُ .

قال الجاحظ: تمشى قومٌ الى الأصمعى مع رجلٍ اشترى منه ثمرةً نخله، فنالها
فيها خُسرانٌ وسأله حسنَ النظر له، فقال الأصمعى: أَسَمِعْتُمُ بِالْقِسْمَةِ الضَّيْزَى! ^(١) هى

(١) القسمة الضييزى: النافضة الجائرة .

ما تُريدونَ شيخَكم عليه ، اشترى مني على أن يكون الخسرانُ عليّ والربحُ له ! اذهبوا
فأشترُوا لي طعامَ السَّوادِ^(١) على هذا الوجه والشرط . ثم قال : ها هنا واحدةٌ هي لكم
دوني ، ولا بدّ من الاحتمالِ لكم اذ لم تحتملوا لي ، هذا ما مَشِيتُم معه إلا وأنتم
تُوجبون حقّه وتُحبُّون رِفْدَه ، ولو كنتُ أوجبُ له مثل الذي توجبون لقد كنتُ
أغنيتهُ عنكم ، ولكن لا أعيرُفه ولا يضرتني بحق ، فهلم فلتوزع هذا الخسرانَ بيننا
بالسواء ، فقاموا ولم يعودوا ، وأيس التاجرُ فخرج له من حقّه .

قال يزيدُ بن عُمير الأُسَيْدِي لبيته : يا بَنِي ، تعلّموا الرَدَّ فإنه أشدّ من الإِعطاء ،
ولأن يعلمَ بنو تميم أن عند أحدكم مائة ألف درهم أعظمُ له في أعينهم من أن يقسمها
فيهم ، ولأن يقال لأحدكم : بخيلٌ وهو غنيٌّ خيرُ له من أن يقال : سخيٌّ وهو فقير .
وقال إسحاق بن إبراهيم :

النصرُ يُقرئك السلامَ وإِنما * أهدى السلامَ تعرّضاً لِلطَّمَعِ
فأَقطَعُ لُبانتَه بياضَ عاجِل * وأَرِخَ فؤادَكَ من تقاضى الأَضاعِ
ذكرُ ثَمَامَةُ مُحَمَّد بن الجهم فقال : لم يُطِيعَ أحداً قطّ في ماله إلا ليشغله بالطمع
فيه عن غيره ، ولا شفعَ لصديق ولا تكلمَ في حاجةٍ مُتَحَرِّم به ، إلا ليلقنَ المسئولَ حُجَّةً
منع ، وليفتحَ على السائلِ بابَ حِرمانٍ .

كتب سهلُ بن هارون إلى موسى بن عمران :
إن الضميرَ إذا سألتكَ حاجةً * لأبي الهذيلِ^(٣) خلافُ ما أبدي
فأمنعه رَوْحَ اليأسِ ثم أمدد له * حبيلَ الرجاءِ مُخْلِيفَ الوعدِ

(١) السواد : الريف . (٢) في الأصل : « عمر » والتصويب عن السمعاني .

(٣) هو أبو الهذيل العلاف أحد رُوس المعتزلة ، وكان ينفق ، (انظر البغلاء ج ٦٩ ، ١٤٧ ، ١٤٨)

طبع أوروبا)

وَأَلْبَسَ لَهُ كَنْفًا لِيَحْسُنَ ظَنُّهُ * فِي غَيْرِ مَنَفْعَةٍ وَلَا رِفْدٍ
حَتَّى إِذَا طَالَتْ شَقَاوَةُ جَدِّهِ * وَعِنَاؤُهُ فَأَجْبَهَهُ بِالرَّدِّ
قِيلَ لِحُبِّ الْمَدِينَةِ : مَا الْجُرْحُ الَّذِي لَا يَنْدِمُ ؟ قَالَتْ : حَاجَةُ الْكَرِيمِ إِلَى اللَّئِيمِ
ثُمَّ يَرُدُّهُ . قِيلَ لَهَا : فَمَا الدَّلُّ ؟ قَالَتْ : وَقُوفُ الشَّرِيفِ بَبَابِ الدُّنْيَا ثُمَّ لَا يُؤْذَنَ
لَهُ . قِيلَ : فَمَا الشَّرْفُ ؟ قَالَتْ : اعْتِقَادُ الْمَنِّ فِي رِقَابِ الرِّجَالِ .

قَالَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ : مَا سَأَلَنِي قَطُّ أَحَدٌ حَاجَةً فَرَدَدْتُهُ إِلَّا رَأَيْتُ الْغَنَى فِي قَفَاهُ .
رَوَى عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :
أَعْلَمْتُ أَنَّ الطَّمَعَ فَقْرٌ ، وَأَنَّ الْيَأْسَ غِنًى ، وَأَنَّ الْمَرْءَ إِذَا يَأْسَ مِنْ شَيْءٍ أَسْتَغْنَى عَنْهُ .
وَقَالَ آخِرُفِي كَلَامِهِ لَهُ : كُلُّ مَمْنُوعٍ مُسْتَفْتَى عَنْهُ بِغَيْرِهِ ، وَكُلُّ مَانِعٍ مَا عَنْدَهُ فَفَى
الْأَرْضِ غِنًى عَنْهُ .

وَقَدْ قِيلَ : أَرْخَصَ مَا يَكُونُ الشَّيْءُ عِنْدَ غَلَاثِهِ .
وَقَالَ بَشَّارٌ : * وَالْدَّرُّ يُتْرَكُ مِنْ غَلَاثِهِ *
قَالَ شُرَيْحٌ : مَنْ سَأَلَ حَاجَةً فَقَدْ عَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى الرَّقِّ ، فَإِنْ قَضَاهَا الْمَسْئُولُ
أَسْتَعْبَدَهُ بِهَا ، وَإِنْ رَدَّ عَنْهَا رَجَعَ حُرًّا وَهُمَا ذَلِيلَانِ : هَذَا بِذُلِّ الْبَخْلِ ، وَهَذَا بِذُلِّ الرَّدِّ .
وَقَالَ بَعْضُهُمْ : مَنْ سَأَلَكَ لَمْ يُكْرَمْ وَجْهَهُ عَنْ مَسْأَلَتِكَ ، فَأَكْرَمَ وَجْهَكَ عَنْ رَدِّهِ .
وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَرُدُّ ذَا حَاجَةٍ إِلَّا بِهَا أَوْ بِمِيسُورٍ مِنَ الْقَوْلِ .
وَقَالَ أَسْمَاءُ بْنُ خَارِجَةَ : مَا أَحَبُّ أَنْ أَرُدَّ أَحَدًا عَنْ حَاجَةٍ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَخْلُو مَنْ
أَنْ يَكُونَ كَرِيمًا فَاصُونَهُ ، أَوْ لَيْثِيًّا فَاصُونُ مِنْهُ نَفْسِي .

وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ سَأَلَ حَاجَةً فُرِّدَ عَنْهَا :
مَا يَمْنَعُ النَّاسَ شَيْئًا كُنْتُ أَطْلُبُهُ * إِلَّا أَرَى اللَّهَ يَكْفِي فَقَدْ مَا مَنَعُوا

أتى رجلُ الحسن بن علي رضي الله عنهما يسأله ، فقال الحسن : إن المسألة لا تصلح إلا في غُرْمٍ فادحٍ أو فقيرٍ مُدَقِّعٍ أو حَمَالَةٍ مُفْطِعةٍ ، فقال الرجل : ما جئتُ إلا في إحداهنَّ ، فأمر له بمائة دينار . ثم أتى الرجلُ الحسين بن علي رضي الله عنهما فسأله ، فقال له مثل مقالة أخيه ، فردَّ عليه كما ردَّ علي الحسن ، فقال : كم أعطاك ؟ قال : مائة دينار ، فقَصَّه ديناراً ، كره أن يساوي أخاه . ثم أتى الرجلُ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فسأله فأعطاه سبعةً دينارين ولم يسأله عن شيء ، فقال الرجل له : إني أتيتُ الحسن والحسين ، واقتَصَصْتُ كلامهما عليه وفعلهما به ، فقال عبد الله : ويحك ! وأني تجعلني مثلهما ! إنهما غُرْمَا العلم غُرْمَا الْمَالِ .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : جاء شيخٌ من بني عقيل إلى عمر بن هُبيرة ، فمَتَّ بقراءة وسأله فلم يعطه شيئاً ، فعاد إليه بعد أيام فقال : أنا العَقِيلِي الذي سألتك منذ أيام ، فقال عمر : وأنا الفَزَارِيُّ الذي منعك منذ أيام ، فقال : معذرةً إلى الله ! إني سألتك وأنا أظنك يزيد بن هُبيرة المحاربي ، فقال : ذاك الأُمُّ لك ، وأهونُ بك عليّ ، نشأ في قومك مثلي ولم تعلم به ، ومات مثل يزيد ولا تعلم به ! يا حَرَسِي أسْفَعَ بيده .
أتى عبد الله بن الزبير أعرابي يسأله ، فشكا إليه نَقَبَ ناقته واستحمله ، فقال له ابنُ الزبير : اِرْقَعْهَا بِسَبْتٍ وَأَخْصِفْهَا بِهَلِيبٍ وَأَفْعَلْ وَأَفْعَلْ ... ، فقال الأعرابي : إني أتيتُكَ مُسْتَوْصِلاً ولم آتِكَ مُسْتَوْصِفاً ، فلا حملتْ ناقَةٌ حملتي إليك ! فقال : إنَّ وصاحبها .

(١) في الأصل : « وأمر ... » . (٢) غرَّ العلم : ألقاه . يقال : غرَّ الطائر فرخه إذا زقه . ومنه حديث معاوية : « كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرع علياً بالعلم » . (٣) سفع بناصيته أو بيده : قبضها وجذبها . (٤) هو عبد الله بن فضالة بن شريك الوالي الأسدي كما في الأغاني ج ١ ص ١٥ طبع دار الكتب المصرية . وقد رويت فيه هذه الحكاية باختلاف عما هنا . (٥) النقب : رقة وتثقب في خف البعير . (٦) استحمله : حمله حواجج يقضيها له . (٧) السبت (بالكسر) : جلد البقر المدبوغ بالقرظ تحذى منه النعال السبئية . والخصف : أن يظهر الجلد من بعضهما إلى بعض ويخرزهما ولذلك قيل للخرز : الخصف . والهلِب (بالضم) : شعر الخنزير الذي يخرز به . (٨) إنَّ بمعنى نعم .

والعرب تقول لمن جاء خائبا ولم يظفر بحاجته : « جاء على غيراء الظهر »^(١) .
وتقول هي والعوام : « جاء بخفي حنين » و « جاء على حاجبه صوفة » .
وقال أبو عطاء السدي في عمر بن هبيرة :

ثلاث حُكْمَتُنْ لِقَرْمِ قَيْسِ * طلبتُ بها الأخوة والثناء^(٢)

رجعن على حواجهن صوف * فعند الله احتسبُ الجزاء

والأصل في قولهم : « جاء بخفي حنين » أن إسكافاً من أهل الحيرة ساومه
أعرابي بخفين ، فاختلعا حتى أغضبه ، فأزداد غيظ الأعرابي ، فلما ارتحل أخذ
حنيناً أحد خفيه فالتقاء على طريقه ثم ألقى الآخر في موضع آخر ، فلما مر الأعرابي
بأحدهما قال : ما أشبه هذا بخف حنين ! ولو كان معه الآخر لأخذه ، ومضى ، فلما
أتتهى إلى الآخر ندّم على تركه الأول ، وأناخ راحلته فأخذه ورجع إلى الأول ، وقد
كمن له حنين فعمد إلى راحلته وما عليها فذهب به ، وأقبل الأعرابي ليس معه
غير الخفين ، فقال له قومه : ما الذي أتيت به ؟ قال : بخفي حنين .

قالوا : فإن جاء وقد قضيت حاجته قيل : « جاء ثانياً من عنائه » .^(٣) فإن جاء
ولمّا تُقَضَّ حاجته وقد أُصيب ببعض ما معه ، قالوا : « ذهب يبتغي قرناً فلم يرجع
بأذنين » . يقول بشار :

فكنتُ كالعير غداً يبتغي * قرناً فلم يرجع بأذنين^(٤)

(١) غيراء الظهر : الأرض ، تصغير الغبراء . وروى : جاء على ظهر الغبراء ، أي جاء لا يصاحبه
غير أرضه التي يجي . ويذهب فيها . (انظر ما يقول عليه في المضاف والمضاف إليه ، النسخة المخطوطة
المحفوظة بدار الكتب المصرية رقم ٧٨ أدب م) . (٢) كذا في الشعر والشعراء للزلف
والقرم من الرجال السيد العظيم وفي الأصل : « لقوم » . (٣) في الأصل : « فلما جاء ... »
وهو غير مستقيم . (٤) رواية هذا البيت في الأغاني ج ٣ ص ٢٠٦ طبع دار الكتب :

فصرت كالعير غدا طالبا * قرناً فلم يرجع بأذنين

وقد روى أبو الفرج أن عقبة بن سلم دعا بشارا وحماة بن محمد وأعنى بهالة ، وطلب اليهم أن يضموا هذا
المثل في شعر ، وعين لخرجه جائزة ، وهددهم إن لم يفعلوا ، فضمه بشار على البديهة وأخذ جائزته .

سأل أعرابي قوما، فقيل له : بُورك فيك ! فقال : وكلّكم الله الى دعوة لا تحضرها نية .

أرسل الوليد خيلا في حلبة^(١)، فأرسل أعرابي فرسا له فسبقت الخيل؛ فقال له الوليد : آجلني عليها؛ فقال : إن لها حرمة، ولكني أحملك على مهر لها سبق الخيل عام أول وهو رابض .

وتقول العرب فيمن يشغل شأنه عن الحاجة يسألها : « شغل الحلي أهله أن يعارا » ينصب الحلي ، ويعار : من العارية . فأما قولهم : « أحق الخيل بالركض المعار » ، فإن المعار : المتوف الذئب وهو المهلوب؛ يريدون أنه أخف من الذئال الذئب، يقال : أعرت الفرس إذا نتفته^(٢) .

وتقول العرب لمن سئل وهو لا يقدر فرد : « بئني يخجل لا أنا » ؛ يريدون أنه ليس عنده ما يعطى .

ووعد رجلا رجلا فلم يقدر على الوفاء بما وعده؛ فقال له : كذبتني؛ قال : لا ، ولكن كذبتك مالي .

وتقول العرب فيمن أعذر بالمنع بالعدم وعنده ما سئل : « أبي الحقيين العذرة^(٣) » . قال أبو زيد : وأصله أن رجلا ضاف قوما فاستسقام لبناء، وعندهم لبن قد حقنوه في وطيب ، فاعتذروا أنه لا لبن عندهم ؛ فقال : « أبي الحقيين العذرة » . ويقال : « العذرة طرف البخل » .

(١) في الأصل : « من حلبة » . (٢) ما ذكره المؤلف هنا هو أحد ما فسرت به هذه الكلمة « وقيل : المعار : المسمن ، يقال : أعرت الفرس إذا سمته » وقيل : المعار : المضمر ، من عار الفرس إذا أخذ يذهب ويحيى ، مرحا ونشاطا ، فالمعار : ما ردد الذهاب به والحجى حتى ضمير » ويرى : المعار — بكسر الميم — وهو الفرس الذي يحيد براكه عن الطريق ، وكذلك يروى : المعار — بالعين المعجمة — أى المضمر من أعرت الجبل إذا فتته . (٣) الذئال الذئب : الطويلة . (٤) الحقيين : اللبن الحقون . والعذرة (بكسر العين) : العذر .

وقال الطائي يذكر المَطْل :

وكان المَطْلُ في بدءٍ وَعَوْدٍ * دُحَانًا للصَّنِيعَةِ وهي نارُ
نسيبِ البخلِ مذكَانًا وإن لم * يَكُنْ نَسْبُ فَيَنْهَمَا جَوَارُ
لذلك قِيلَ بعضُ المنعِ أدنى * إلى جُودٍ وبعضُ الجودِ عَارُ

قال إسماعيل القراطيسي^(١) في الفضل بن الربيع :

لئن أخطأتُ في مدحِكَ ما أخطأتُ في منعي^(٢) *
لقد أحللتُ حاجاتي * بؤادٍ غيرِ ذِي زَرْعٍ

غزا المُنْذِرُ بنَ الزُّبَيْرِ [في] البحرِ ومعه ثلاثون رجلاً من بني أسد بن عبد العزى ؛
فقال له حكيم بن حزام : يابن أمي ، إني قد جعلتُ طائفةً من مالي لله عز وجل ،
وإني قد صنعتُ أمراً ودعوتكم له ، فأقسمتُ عليك لا يردّه عليّ أحدٌ منكم ؛ فقال
المُنْذِرُ : لاها الله إذاً ، بل نأخذ ما تُعْطِي ، فإن نَحْتَجُّ إليه نَسْتَعِينُ به ولا نكره أن
يأُحْرِكَ الله ، وإن نَسْتَعِينُ عنه نُعْطِه من يأُحْرِنَا الله فيه كما أحرَكَ .

سأل أعرابيُّ رجلاً يقال له : العَمْرُ فأعطاه درهماً ، فردّها وقال :

جعلتُ لعمري درهماً ولم يكن * لِيُغْنِي عَنِّي فاقتي درهماً غَمْرِي
وقلت لعمري خذهما فأصْطَرِفْهُمَا * سريعتين في نقضِ المُرُوءَةِ والأَجْرِ
أَتَمْنَعُ سُؤَالَ العَشِيرَةِ بَعْدَ مَا * تَسْمِيَتِ غَمْرًا وَأَكْتَنَيْتَ أَبَا بَحْرِ

(١) نسبهما ابن حجة في خزائنه ص ٨٠ . طبع بولاق لابن الرومي . وذكر صاحب معاهد التنقيص
في الكلام عليهما ص ٥٦٤ طبع بولاق أنهما ينسبان لابن الرومي ولكنه قال : ورأيت في الأغاني نسبتهما
إلى إسماعيل القراطيسي . وقد ذكرنا في ترجمته في الأغاني ج ٢٠ ص ٨٨ — ٨٩ ولم يذكرنا في ديوان
ابن الرومي . (٢) فيه الكف وهو حذف السابغ الساكن ، والكف حسن في هذا البحر وهو
الهمزج . وفي الأغاني (ج ٢٠ ص ٨٩ طبع بولاق) : « في مدحيك » وهذه الرواية لا كف فيه .
(٣) أي لا يردّه عليك أحد والله إذا ، فكلمة «ها» هنا للقسم . ويجوز فيها مع كلمة الجلالة ، بعد حذف
همزة الوصل ، إثبات ألفها — وينطق بهما كما ينطق بداية — وحذفها .

اختلف أبو العتاهية الى الفضل بن الربيع في حاجة له زماناً فلم يقضها له ،
فكتب :

أكلَ طُولَ الزمانِ أنتَ اذا * جئتُكَ في حاجةٍ تقولُ غداً !
لا جعلَ اللهَ لي اليك ولا * عندك ما عشتُ حاجةً أبداً !

وقال آخر :

إن كنتَ لم تُوفِيا قلتَ لي صِلَةً * فما آتفأكَ من حَسبي وترديدي
فالمنعُ أجملُهُ ما كانَ أعجَلَهُ * والمطلُ من غيرِ عُسرٍ آفةُ الجودِ

وقال آخر :

بسَطتَ لسانِي ثم أوثقتَ نصفَهُ * فنِصفُ لسانِي في أمتداحك مُطلقُ
فإن أنتَ لم تُخِزْ عِدَاتِي تركتني * وبقى لسانِ الشكرِ باليأسِ مؤثِقُ

وقال آخر :

يا جوادَ اللسانِ من غيرِ فعلٍ * ليتَ جودَ اللسانِ في راحتيكما

المواعيدُ وتَجَزُّها

ذكر جبار بن سلمى ^(١) عامر بن الطفيل فقال : كان والله اذا وعد الخير وفى ،
واذا أوعد بالشرّ أخلف وعفا .

وأشده أبو عمرو بن العلاء في مثل هذا المعنى :

ولا يَرهَبُ ابنُ العمِّ ما عشتُ صَوْلِي * ويأمرُ منى صَوْلَةُ المتهدِّدِ
وإني إنْ أوعدته أو وعدته * ليكذبُ إيعادى ويصدقُ موعدي

(١) في الإجابة ١ « بضم السين وقيل بفتحها » .

وكان يقال : وَعَدُ الْكَرِيمِ نَقْدٌ ، وَعَدُ اللَّئِيمِ تَسْوِيفٌ .

وقال عبد الصمد بن الفضل الرقاشي (أبو الفضل والعباس الرقاشيين
البغداديين) لخالد بن ديسم عامل الرى :
٥

أخالد إن الرى قد أبجفت بنا * وضاق علينا رحبها ومعاشها

وقد أطمعتنا منك يوما سخابة * أضاء لنا برق وكف رشاشها

فلا غيمها يصحوقئس طامع * ولا ماؤها يأتى قتروى عطاشها

وقال رجل فى الحجاج :

كأت فؤادى بين أظفار طائر ■ من الخوف فى جؤ السماء محلق

حذار امرئ قد كنت أعلم أنه * متى ما يعد من نفسه الشر يصدق

١٠ قال عمرو بن الحارث : كنت متى شئت أجد من يعد ويخجز ، فقد أعيانى

من يعد ولا يخجز . قال : وكانوا يفعلون ولا يقولون ، فقد صاروا يقولون ويفعلون ،

ثم صاروا يقولون ولا يفعلون ، ثم صاروا لا يقولون ولا يفعلون .

قال بشار :

وعدتني ثم لم توفى بموعدي * فكنت كالمزى لم يمطر وقد رعدا

١٥ هذا مثل قول العرب لمن يعد ولا يفي : « برق خلّب » .

وقال آخر :

قد بلوناك بحمد الله * إن أغنى البلاء

فإذا جل مواعيد * يدك والمجد سواء

وقال آخر :

٢٠ لها كل عام موعد غير ناجز ■ ووقت اذا مارأس حول تجرما^(١)

فإن أوعدت شرا أتى دون وقته * وإن وعدت خيرا أراث وأعما^(٢)

(١) تجزم : مضى وانقضى . (٢) أراث وأعما كلاهما بمعنى أبطأ .

وعد عبد الله بن عمر رجلا من قريش أن يزوجه أخته ؛ فلما كان عند موته أرسل إليه فزوجه إياها ، وقال : كَرِهْتُ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِثُلُثِ آتِفَاقٍ .
وقال الطائي :

تَقُولُ قَوْلَ الَّذِي لَيْسَ الْوَفَاءُ لَهُ * خُلُقًا وَتُحْجِزُ إِنْجَازَ الَّذِي حَلَفًا
وأثنى الله تبارك وتعالى على نبيه إسماعيل صلى الله عليه فقال : ﴿ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ
الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ .

وقال بشار يمدح :

إِذَا قَالَ تَمَّ عَلَى قَوْلِهِ ■ وَمَاتَ الْعَنَاءُ بِلَا أَوْ نَعَمْ
وَبَعْضُ الرِّجَالِ يَمُوعُودُهُ * قَرِيبٌ وَبِالْفِعْلِ تَحْتَ الرَّجَمِ^(١)
بِحَارِي السَّرَابِ تَرَى لَمَعَهُ * وَلَسْتُ بِوَاكِدِهِ عِنْدَ كَمِّ

وقال العباس بن الأحنف :

مَاضِرٌ مَنْ قَطَعَ الرَّجَاءَ يَبْغِلُهُ * لَوْ كَانَ عَلَنِي بِوَعْدٍ كَاذِبٍ

وقال آخر :

عَسَى مِنْكَ خَيْرٌ مِنْ نَعَمْ أَلْفَ مَرَّةٍ * مِنْ آخِرَ غَالِ الصَّدَقِ مِنْهُ غَوَائِلُهُ

وقال نضيب :

يَقُولُ فَيُحْسِنُ الْقَوْلَ أَبْنُ لَيْسَى * وَيَفْعَلُ فَوْقَ أَحْسَنِ مَا يَقُولُ

وقال زياد الأعجم :

لِلَّهِ دَرْكٌ مِنْ فَتَى * لَوْ كُنْتَ تَفْعَلُ مَا تَقُولُ

لَا خَيْرَ فِي كَذِبِ الْجَوَا * دِحْبِدًا صِدْقُ الْبَخِيلِ

(١) الرجم (بالتحريك) : القبر والحجارة التي توضع عليه ، وبضمين أو بضم ففتح : الحجارة التي توضع على القبر ، يريد أنه في تحقيق وعده كالميت .

والعرب تضرب المثل في الخلف بعُرقوب . قال ابن الكلبي عن أبيه : كان عُرقوب رجلاً من العماليق ، فأتاه أخ له فسأله شيئاً ، فقال له عُرقوب : إذا أطلع^(١) نخلي . فلما أطلع أناه ، قال : إذا أبلح . فلما أبلح أناه ، فقال : إذا أزهى^(٢) . فلما أزهى أناه ، قال : إذا أرطب . فلما أرطب أناه ، قال : إذا صار تمراً . فلما صار تمراً جدّه من الليل ولم يعط أخاه شيئاً .

قال كعب بن زهير :

كانت مواعيد عُرقوب لها مثلاً * وما مواعيدُها إلا الأباطيلُ

وقال الأشجعي :

وعدت وكان الخلف منك سجيّة * مواعيد عُرقوب أخاه يترى^(٣)

هكذا قرأته على البصريين في كتاب سيبويه بالتاء وفتح الراء .

وقال الشاعر :

متى ما أقل يوماً لطالب حاجة * نعم ، أقضها قُدمًا وذلك من شكلي

وإن قلت لا ، بيّتها من مكانها * ولم أؤذ منها بجر ولا مطل

وللبخلة الأولى أقل ملامة * من الجود بدءاً ثم يتبع بالبخل

وقال أبو نؤاس لامرأة :

أنضيت أحرف لا مما لهجت بها * غوّلِي رحلها عنها إلى نعم

أو حوليها إلى «لا» فهي تعيدها^(٤) * إن كنت حاولت في ذا قلة الكلام

قسّم علينا فعارضنا قياسكم * يا من تنهى إليه غاية الكرم

(١) أطلع النخل : خرج طلعه . (٢) أزهى : تلّون تمره بالحمرة والصفرة . (٣) يترى

بالتاء المثناة : موضع قريب من الإمامة . (٤) كذا في الأصول ، وفي ديوانه «أو حولوها إليها فهي تعيدها» . والظاهر أنه يريد أن يقول : أو حولوها إلى «ها» التي بمعنى «خذ» فكنت موصولة ليدل ظاهرها على غير باطنها ، و«ها» تعدل «لا» في قياسها لفظاً . وبين ما في الأصل وما في الديوان تغيير طفيف في هذه الأبيات .

وفي هذا معنى لطيف .

كتب رجل إلى صديق له : قد أفردتك برجائي بعد الله ، وتعجّلت راحة
اليأس ممن يجود بالوعد ويصنّ بالإيجاز ، ويحسد أن يفضّل ، ويزهّد أن يفضّل ،
ويعيب الكذب ولا يصدق .

وقال آخر :

وذى ثقة تبدّل حين أئثرى * ومن شيمى مراقبة الثقات
فقلت له عتبت على إثمى * فراراً من مؤونات العدات
فعد لمودتى وعلى ندر^(١) * سألتك حاجة حتى المات

وقال آخر فى أصحاب النبذ :

مواعيدهم ربح لمن يعدونه * بها قطعوا برد الشتاء وقاطوا

وقال مسلم :

لسانك أحلى من جنى النحل موعداً * وكفك بالمعروف أضيّق من قفيل
ثمّنى الذى يأتيك حتى اذا انتهى * الى أجل ناولته طرف الحبل
وسأل خلف بن خليفة أبان بن الوليد أن يهب له جارية ، فوعده وأبطأ عليه ،

فكتب اليه : ١٥

أرى حاجتى عند الأمير كأنما * تهّم زماناً عنده بمقام
وأخصر من إذكاره إن لقيته * وصدق الحياء ملجئ بلجام
أراها اذا كان النهار نسيئة * وبالليل تقضى عند كل منام
فيارب أنرجها فإنك مخرج * من الميت حيا مفصّحاً بكلام

(١) الكلام على تقدير «لا» النافية ، أى لا سألتك .

فَتَعْلَمَ مَا شُكِرِي إِذَا مَا قَضَيْتَهَا ^(١) * وَكَيْفَ صَلَّاتِي عِنْدَهَا وَصِيَامِي
وَإِنْ حَاجَتِي مِنْ بَعْدِ هَذَا تَأَخَّرْتُ ■ خَشِيتُ لِمَا بِي أَنْ أَزُورَ غُلَامِي
وَالْعَرَبُ تَقُولُ : «أَنْجِزْ حُرْمًا وَعَدًا» .

وَقَالَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ :

أَذْكُرُ حَاجَتِي أُمِّ قَسْدٍ كَفَانِي ■ حَيَاؤُكَ إِنِّ شَيْتَكَ الْحَيَاءُ
إِذَا أَثْنَيْتَ عَلَيْكَ الْمَرْءُ يَوْمًا * كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الشَّيْءُ
وَقَالَ الطَّائِي :

وَإِذَا الْمَجْدُ كَانَ عَوْنِي عَلَى الْمَرْءِ ■ تَقَاضَيْتُهُ بِتَرْكِ التَّقَاضِي
وَقَالَ الزُّهَيْرِيُّ : حَقِيقٌ ^(٢) عَلَى مَنْ أَوْرَقَ بوعِدٍ، أَنْ يُثْرَ بِفَعْلٍ .
وَقَالَ الْمُغِيرَةُ : مَنْ أَتَرَ حَاجَةً رَجُلٍ فَقَدْ تَضَمَّنَ قَضَاءَهَا .

وَقَالَ الشَّاعِرُ :

كَفَاكَ مَدَّكَرًا وَجْهِي بِأَمْرِي * وَحَسْبِي أَنْ أُرَاكَ وَأَنْ تَرَانِي
وَكَيْفَ أَحُتُّ مِنْ يُعْنَى بَشَانِي * وَيَعْرِفُ حَاجَتِي وَيَرَى مَكَانِي
وَقَالَ الشَّاعِرُ :

بِاصْبَاحِ قُلٍّ فِي حَاجَتِي * أَذْكَرَتْهَا فِيمَا ذَكَرْتَا
إِنَّ السَّرَاحَ مِنَ النِّجَا ^(٣) * حَ إِذَا شَقِيتُ بِمَا طَلَبْتَا ^(٤)

(١) فِي الشَّعْرِ وَالشَّعْرَاءِ (ص ٤٤٩ طَبِيعَةُ أَوْرَبَا) : «قَضَيْتَهَا» ■ وَوَرَدَ فِيهِ بَعْدَ ذِكْرِ الْآيَاتِ ١
«فَضَحَكَ أَبَانٌ وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِجَارِيَةٍ» . (٢) كَذَا فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ١ ص ٩٠ و ٩١ طَبِيعُ بُولَاق)
وَفِي الْأَصْلِ : «خَصَّهُ مِنْ أَزْهَرِ الْخ...» وَظَاهَرُ أَنَّهُ تَحْرِيفٌ . (٣) قَالَ فِي اللِّسَانِ مَادَّةُ
(مَرْح) : «وَفِي الْمَثَلِ : السَّرَاحُ مِنَ النِّجَاحِ، أَيْ إِذَا لَمْ تَقْدِرْ عَلَى قَضَاءِ حَاجَةِ الرَّجُلِ فَأَيْسَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ عِنْدَهُ
بِمَنْزِلَةِ الْإِسْعَافِ» . وَقَالَ الْمِيدَانِيُّ بَعْدَ ذِكْرِ هَذَا الْمَثَلِ : «يَضْرِبُ لِمَنْ لَا يَرِيدُ قَضَاءَ الْحَاجَةِ، أَيْ يَنْبَغِي أَنْ
تُؤَيِّسَهُ مِنْهَا إِذَا لَمْ تَقْضِ حَاجَتَهُ» . (٤) فِي الْأَصْلِ : «شَقِيتُ» بِالْقَاءِ .

وقال آخر :

فِي تَصَدِّكَ لِلطَّالِبِ إِذْ كَا ■ رُبُّوعِدِ جَرَى بِهِ الْمِقْدَارُ
وَكُتِبَ بَعْضُ الْكُتَابِ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ : إِنْ مِنَ الْعَجَبِ إِذْ كَارَ مَعْنَى ، وَحَثَّ
مُتَقَيِّظًا ، وَأَسْتَبْطَاءَ ذَا كَرٍ ، إِلَّا أَنْ ذَا الْحَاجَةِ لَا يَدْعُ أَنْ يَقُولَ فِي حَاجَتِهِ ، حَلَّ بِذَلِكَ
مِنْهَا أَوْ عَقَلَ . وَكَتَابِي تَذَكُّرًا وَالسَّلَامُ .

وقال الطِّرِمَاحُ :

أَلِحْسِنِ مَازِلِي تُؤَنِّرُ حَاجَتِي * أَمْ لَيْسَ عِنْدَكَ لِي بِخَيْرٍ مَطْمَعُ
وَقَالَ حَمْزَةُ بْنُ بَيْضٍ لِمُحَمَّدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ :
أَتَيْنَاكَ فِي حَاجَةٍ فَأَقِضْهَا * وَقُلْ مَرْحَبًا يَمِيبُ الْمَرْحَبُ
وَلَا تَكَلَّنَا إِلَى مَعْشَرٍ ■ مَتَى يَعِيدُوا عِدَّةً يَكْذِبُوا

وقال بعض المحدثين :

حَوَائِجُ النَّاسِ كُلُّهَا قُضِيَتْ * وَحَاجَتِي لَا أَرَاكَ تَقْضِيهَا
أَنَاقَةُ اللَّهِ حَاجَتِي عُقِرَتْ * أَمْ تَبَتْ الْحُرْفُ^(٢) فِي نَوَاحِيهَا
وَقَالَ جَرِيرٌ لِعَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ :

أَذْكُرُ الضَّرَّ وَالْبَلَاةَ الَّتِي نَزَلَتْ ■ أَمْ تَكْتَفِي بِالَّذِي بُلَّغْتَ مِنْ خَبَرِي

وقال آخر :

أَرْوَحُ لَتَسْلِيمٍ عَلَيْكَ وَأَغْتَدِي ■ وَحَسْبُكَ بِالتَّسْلِيمِ مَتَى تَقَاضِيَا
كَفَى يَطْلَابِ الْمَرْءِ مَا لَا يَنْأَلُهُ * عَنَاءٌ وَبِالْيَاسِ الْمَصْرَجِ نَاهِيَا^(٣)

(١) يعني بناقة الله هنا ناقة صالح التي عقرتها نمود . (٢) الحرف : حب الرشاد أو الخردل .

ولعله يريد : أم أهملت ، فكأن نبات الحرف في نواحيها عن الإهمال ، كما يهمل كريم النبات فينبت حوله
أرذله . (٣) - اليأس المصريح : الخالص الذي ليس للإنسان معه أمل في شيء ، يقال : صرح الشيء ،
تصریحاً إذا صار خالصاً .

وقال آخر :

ما أنت بالسبب الضعيف وإنما * تُنَجِّحُ الأمور بقوة الأسباب
فاليوم حاجتنا اليك وإنما * يُدْعَى الطبيب لكثرة الأوصاب^(١)

- كتب بعض الكتاب الى بعض السلاطان : أنا أنزهك عن التجميل لى
بوعيد يطول به المدى ويعتريه الوفاء، وأحب أن يتقرر عندك أن أملي فيك أبعد من
أن أختلس الأمور منك اختلاس من يرى في عاجلك عوضاً من آجلك، وفي الراهن
من يومك بدلا من المأمول في غدك، وألا تكون منزلة في نفسك منزلة من يُصرف
الطرف عنه وتُسكِرُهُ النفس عليه ويتكف ما فوق العفولة، وأن تختار^(٢) بين العذر
والشكر، فإله يعلم أن أثر الخطيئ عندى أحقهما عليك، وأصوبهما لحالي عندك .
- وفي كتاب : ذو الحرمة ملوم على فرط الدالة، كما أن المتحرم به مذموم على
التناسى والإزالة . ومن مذهبي الوقوف بنفسى دون الغاية التى يُقدمنى إليها حق ،
لأمرين : أحدهما ألا أرضى بدون الحق أزيد فى الحق . والثانى أن أرى النفس
من الحظ زهيدا اذا أتى من جهة الإرهاق . ولى ذمام المودة الصادقة التى كل حرمة
تبع لها ، وحق الشكر الذى جعله الله وفاء بالنعم وإن جل قدرها ، وأنت مُراعى
المعالى وحافظ بقية الكرم ، فأى سبيل للعذر، بل أى موضع للإكداء بين حُرْمَتِي ١٥
ورعايتك، وذمامي وكرمك ! .

قال أحمد بن يوسف : أَوَّلُ المعروف مُسْتَخَفٌّ، وآخره مُسْتَقْلَلٌ؛ يكاد
أَوَّلُهُ يكون للهوى دون الرأى، وآخره للرأى دون الهوى . ولذلك قيل : رب^(٣)
الصنعة أشد من ابتدائها .

(١) فى الأصل : «إله» وما أثبتناه يتفق مع السياق . (٢) فى الأصل : «يختار» بالياء .
المنشأة من تحت . (٣) رب الصنعة رباً : تعهدها ونماها .

قال أبو عطاء السُّنْدِيُّ في يزيد بن عمرو [بن هُبَيْرَة] :

ثَلَاثُ حُكْمُهُنَّ لِقَرْمٍ قَيْسٍ ^(١) * رَجَعْنَ إِلَى صِفْرًا خَائِبَاتٍ ^(٢)
أَقَامَ عَلَى الْفُرَاتِ يَزِيدُ شَهْرًا * فَقَالَ النَّاسُ أَيُّهُمَا الْفُرَاتُ ^(٣)
فِيَا عَجَبًا لِبَحْرِ فَاظٍ يَسْقِي * جَمِيعَ النَّاسِ لَمْ يَتَلَّ لَهَا تِي ^(٤)

حال المسئول عند السؤال

قال الشاعر ^(٥) :

سَأَلَنَاهُ الْجَزِيلَ فَمَا تَلَّكَ ^(٦) * وَأَعْطَى فَوْقَ مُنْتِنَا وَزَادَا
مِرَارًا مَا أَعُودُ إِلَيْهِ إِلَّا * تَبَسَّمَ ضَاحِكًا وَثْنَى الْوَسَادَا ^(٧)

وقال آخر :

قَوْمٌ إِذَا نَزَلَ الْغَرِيبُ بَدَارَهُمْ * تَرَكَوهُ رَبَّ صَوَاهِلٍ وَقِيَانٍ ^(٨)
وَإِذَا دَعَوْهُمْ لِيَوْمٍ كَرِيمَةٍ * سَدُّوا شُعَاعَ الشَّمْسِ بِالْفُرْسَانِ
لَا يَنْقُرُونَ الْأَرْضَ عِنْدَ سُؤْلِهِمْ * لِتَلَمِيسِ الْعِلَاتِ بِالْعِيدَانِ
بَلْ يَسْطُونَ وَجُوهَهُمْ فَتَرَى لَهَا * عِنْدَ السُّؤْلِ كَأَحْسَنِ الْأَلْوَانِ

وقال آخر :

يَجْعَلُ الْمَعْرُوفَ وَالْبِرَّ ذُنُورًا * وَيَعُدُّ الْحَمْدَ خَيْرَ التَّجَارَةِ

- (١) يعني ثلاث قصائد . (٢) كذا في الشعر والشعراء، للؤلؤف . وفي الأصل : «لقوم» .
(٣) في هذا البيت إقواء ، وهو اختلاف حركة الروي ، وقد تقدم هذا الشعر قريبا برواية أخرى يمدح به أباه في ص ١٤١ وليس فيه هذا العيب . (٤) اللهاة : اللجمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم . (٥) هو زياد الأعجم يمدح عمر بن عبد الله . (٦) في الأغاني (ج) ١٤ ص ١٠٢ .
طبع بولاق «تأني» . (٧) في الأغاني : «ما دنوت» . (٨) كذا في العقد الفريد .
والصواهل : جمع صاهل وهو الفرس والبعر الذي يخبط برجله ويده الأرض ولا يرغب ، وفي الأصل : «صياهل» ولم نجد في كتب اللغة التي بين أيدينا صيغة هذا الجمع .

وإذا ما جئتَه تَجْتَدِيهِ * خَلَّتْهُ بَسْرَتُهُ بِبَشَارِهِ
فَتَرَى فِي الطَّرْفِ مِنْهُ حَيَاءً * وَتَرَى فِي الْوَجْهِ مِنْهُ اسْتِنَارَهُ
وقال آخر :

إذا غدا المهديُّ في جنده * أورا ح في آل الرسول الغضاب
بدا لك المعروف في وجهه * كالضوء يجري في شيا الكعاب^(١)
وأنشدني العتيبي :

له في ذُرَى المعروف نُعمى كأنها * مواقع ماء المزن في البلد القفر
إذا ما أتاه السائلون توقدت * عليه مصابيح الطلاقة والبشر
والمشهور في هذا قول زهير :

تراه إذا ما جئتَه مُتَمَلِّلاً * كأنك تُعْطِيهِ الذي أنت سائله
وسأل رجل من الأعراب رجلاً [فلم يُعْطِه] شيئاً ، فقال :
كَدَحْتُ بِأُظْفَارِي وَأَعْمَلْتُ مِعْوِي * فَصَادَفْتُ جُلُودًا مِنَ الصَّخْرِ أَمْلَسَا
تَشَاغَلَ لَمَّا جِئْتُ فِي وَجْهِ حَاجِي * وَأَطْرَقَ حَتَّى قَلْتُ قَدَمَاتِ أَوْعَسِي
وَأَجْمَعْتُ أَنْ أَنْعَاهُ حِينَ رَأَيْتُهُ * يَفُوقُ فُوقَ [الموت]^(٢) ثُمَّ تَنَقَّسَا^(٣)
فَقُلْتُ لَهُ لَا بَأْسَ ، اسْتُ بَعَائِدُ * فَأَفْرَخُ^(٤) تَعْلُوهُ الْكَأَبَةُ مُبْلَسَا
وقال مسلم :

أَطْرَقَ لَمَّا أَتَيْتُ مُتَدِحًا * فَلَمْ يَقُلْ "لَا" فَضَلَّ عَلَى "نَعَمْ"

(١) الكعاب : جمع كاعب ، والكعاب : الجارية الناهدة . والثايا : أربع أسنان في مقدم
القم : ثنان في الفك الأعلى وثنان في الأسفل . (٢) زيادة يستقيم بها المعنى والوزن .
(٣) العائد : الملتحي . وفي الأصل : «بعائد» بالذال المهمل . (٤) فأفرخ : ذهب روعه ،
وفي الأصل : « فأفرج » بالجم . ومبلسا : حزينا مفكرا .

نَفِثْتُ إِنْ مَاتَ أَنْ أَقَادَ بِهِ * فَقَمْتُ أَبْغَى النَّجَاءِ مِنْ أَيْمِ^(١)
لَوْ أَنَّ كَثَرَ الْبِلَادِ فِي يَدِهِ * لَمْ يَدَعْ الْإِعْتِلَالَ بِالْعَدَمِ

وقال الحارث الكِنْدِيُّ :

فَلَمَّا أَنْ أَتَيْتَاهُ وَقَلْنَا * بِحَاجَتِنَا تَلَوْنَ لَوْنَ وَرَسِ^(٢)
وَأَضَّ بِكَفِّهِ يَحْتَكُ ضَرْسًا * يُرِينَا أَنَّهُ وَجَعٌ بِضَرْسِ^(٣)
فَقُلْتُ لِصَاحِبِي أَبِهِ كِرَازًا * وَقُلْتُ أُسْرُهُ أَتَرَاهُ يُمَسِّي^(٤)
وَقَلْنَا هَارِيْنِ مَعًا جَمِيعًا * تُحَازِرُ أَنْ تَزْنَ بِقَتْلِ نَفْسِ^(٥)

قال الأصمعي :

دخل أعرابي على المُسَاوِرِ الضَّبِّيِّ وهو بُدَارُ الرَّيِّ ، فسأله فلم يُعِطْهُ شَيْئًا ،
فأنشأ يقول :

أَتَيْتُ الْمَسَاوِرَ فِي حَاجَةٍ * فَمَا زَالَ يَسْعُلُ حَتَّى ضَرَطُ^(٦)
وَحَكَّ قَفَاهُ بِكُرْسُوعِهِ * وَمَسَحَ عُثْنُونَهُ وَأَمْتَحَطُ^(٧)
فَأَمْسَكْتُ عَنْ حَاجَتِي خِيفَةً * لِأُخْرَى تُقَطِّعُ شَرْجَ السَّفْطِ^(٨)
فَأَقْسِمُ لَوْ عُدْتُ فِي حَاجَتِي * لِلطَّخِخِ بِالسَّلَاحِ وَشَى النَّمَطِ^(٩)
وَقَالَ غَلَطْنَا حِسَابَ الْخِرَاجِ * فَقُلْتُ مِنَ الضَّرْطِ جَاءَ الْغَلَطُ^(١٠)

قال : فكان العاملُ كلما ركبَ صاحبه الصَّيَّيَانِ : « من الضَّرْطِ جاء الغلط »
فهرب من غير عَزَلٍ إلى بلاد أَصْهَانَ .

- (١) من أيم : من قريب . (٢) الورس : نبات أصفر ينبت باليمن . (٣) أض : صار وعاد .
(٤) الكِرَاز : داء يحصل من شدة البرد أو رعدة . (٥) زن : نهم . (٦) البهذار : الحافظ .
(٧) الكرُوع : طرف الزند الذي يلي الخنصر . (٨) الشرج : يالتحريك : العرى ، وسكن للضرورة . والسفط : وعاء كالقفعة ، وشرج السفط هنا كناية عن الأست .
(٩) السطح : النجو . (١٠) النمط : الفراش .

وقال نهار بن تَوْسَعَةَ في قُتَيْبَةَ بن مسلم :

كانتُ نَحْراسَانُ أرضاً اذْ يَزِيدُ بها * وكلُّ بايٍ من الخيراتِ مَفْتُوحُ
فَبَدَّلْتُ بَعْدَهُ قِرْدًا نَظِيفُ به ■ كأنما وَجْهُهُ بالخلِّ مَنْضُوحُ

وقال جرير^(١) :

يَزِيدُ يَغْضُ الطَّرْفَ دوني كأنما * زَوَى بين عَيْنَيْهِ على- المحاجِمِ^(٢)
فَلَا يَنْبَسِطُ من بين عَيْنِكَ ما آنزَوَى * ولا تَلْقَني إلا وَأَنْفُكَ رَاغِمُ

وقال آخر :

لا تَسْأَلِ المرءَ عن خَلائِقِهِ * في وَجْهِهِ شَاهِدٌ من الخَبَرِ

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن الأبيج^(٣) قال قال محمد بن واسع :

إنك لتعرف بفور الفاجر في وجهه .

١٠

قال أبو العتاهية :

مالي أَرَى الناسَ قد أَرْقُوا * بلُؤْمِ الفِعالِ وقد أَرَعَدُوا^(٤)
إذا جِئْتَ أَفْضَلَهُمْ للَسْلا * م رَدَّ وَأَحْشَاؤُهُ تُرْعَدُ
كأنك، من خَشْيَةِ للَسْوا * ل، في عَيْنِهِ الحَيَّةُ^(٥) الأَسودُ

- ١٥ (١) نسب المبرّد في الكامل (ج ١ ص ٣٩٦ طبع أوروبا) هذا الشعر للأعشى يعاتب به يزيد بن مسهر الشيباني ، وورد في الأغاني في ترجمة الأعشى (ج ٨ ص ٨٦ طبع بولاق) ولسان العرب مادة « زوى » ما يؤيد ذلك . (٢) المحاجم : جمع محجم وهو قارورة الجلام . (٣) ورد هذا الاسم في الأصل هكذا « الأبيج » بالياء المثناة من تحت ، ولم نعثر في الرواة على من تسمى بهذا الاسم . وقد ورد في تهذيب التهذيب حماد بن يحيى الأبيج ، فلهذا محترف عنه . (٤) دخل هذا البيت الخرم وهر حذف الحرف الأول من « فعولان » وفي هذه الحالة يسمى « أنثلم » . وقد ورد في ديوانه طبع المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين هكذا : ترى الناس طرا وقد أَرْقُوا ... الخ .
- ٢٠ (٥) كذا في ديوانه ، وفي الأصل : « الأسد الأسود » .

وقال آخر:

إذا ما التزق أحجم عن كريم * فألجأه الزمانُ إلى زياد
تلقاه بوجهٍ مكفهرٍ * كأنَّ عليه أرزاق العباد

وقال آخر:

ولى خليلٌ ما مسنىَ عدمٍ * مذ نظرت عينه إلى عدي
بشرنى بالغنى تهللُهُ * وقبل هذا تهلل الخدم
ومحنة الزائر يننه * تُعرف قبل اللقاء في الحشم

العادة من المعروف تُقطع

كان يقال : انتزاع العادة ذنبٌ محسوبٌ .

وقال أبو الأسود [الدؤلى] :

ليت شعري عن أميري ما الذي * غاله في الود حتى ودَّعه
لا تهنى بعد إذ أكرمته ، * وشديدٌ عادةٌ منتزعه
أذكر البلوى التي ألبتني * وكلاماً قلته في الجمعة^(٢)
لا يكن برؤك برقاً خلَّباً * إن خير البرق ما الغيث معه
والمشهور في هذا قول الأعشى :

عوذت كندةً عادةً فأصبر لها * وأغفر لجاهلها ورَّو سجالها

(١) وردت هذه الأبيات في حاشية البحري (ص ٣٧٣ طبعة أوروبا) برواية أخرى منسوبة لأنس

ابن أبي أنس الليثي وهي :

سل أميري ما الذي غير لي * ودَّه والنع حتى ودَّعه
ما الذي أنكر مني فأنتني * وهو يبدى لي أمورا شنه
لا تهنى بعد إذ أكرامك لي * وشديدٌ عادةٌ منتزعه
واذكر العهد الذي عاهدتني * وحديثاً قلته في الجمعة
ليت من يسعى بسوء بيننا * جنة الليل بأرض مسبه

(٢) الجمعة : مجلس الاجتماع ، قال الشاعر : وتوقد ناركم شرراً ويرفع * لكم في كل جمعة لواء

سأل أعرابي قوماً، فَرَقَّ له رجلٌ منهم فضمَّه إليه وأجرى له رزقاً أياماً ثم قطع عنه؛ فقال الأعرابي :

تَسْرَى^(١) فلماً حاسبَ المرءُ نفسه * رأى أنه لا يستقيم له السُّرُوءُ
وقدِمَ أبو زيادٍ الكلابي مع أعرابِ سَنَةِ الْقَحْمَةِ^(٢) ، فأجرى عليهم رجلٌ رغيفاً لكل رجلٍ ثم قَطَعَهُ ؛ فقال أبو زياد :

إن يقطع العباسُ عنا رَغِيفَهُ * فما يَأْتِنِي من نِعْمَةِ الله أ كَثُرُ
والحكماء تقول : « العادة طَبِيعَةٌ ثَانِيَةٌ » .

وفي الحديث : « الخَيْرُ عَادَةٌ وَالشَّرُّ لِحَاجَةٌ » .

وقال بعضُ الشعراء لرجلٍ من الأشراف :

ولقد ضَرَبْنَا في البلاد فلم نَجِدْ ■ أحداً سِوَاكَ الى المكارم يُنْسَبُ
فَأَصْبِرْ لعادتك التي عَوَّدَتْنَا ■ أَوْ لَا فَأَرِشِدُنَا الى مَنْ نَذْهَبُ
وتقولُ العربُ فيمن أَصْطَنَعَ معروفًا ثم أَفْسَدَهُ بالمتن أو قطعهُ حين كاد يتم :
« سَوَى أَخْوَكَ حَتَّى إِذَا أَنْضَجَ رَمْدٌ »^(٤) .

قال أبو كعب القاص : كان رجلٌ يُجْرِي على رغيفاً في كلِّ يوم ، وكان يقول إذا أتاه الرغيْفُ : لعنك الله ولعن من بعث بك ، ولعني إن تركتُك حتى أُصِيبَ خيراً منك .
والعربُ تقولُ في مثل هذا : « خُذْ من الرِّضْفَةِ ما عليها »^(٥) .

(١) تَسْرَى : تكلف السُّرُوءَ ، والسُّرُوءُ : السخاء . (٢) القحمة : القحط . (٣) دخل على

هذا البيت الخرم وقد تقدّم شرحه في صفحة ١٥٥ حاشية رقم ٤ (٤) كذا في مجمع الأمثال للبدائي .

ورمد : ألقى الشيء في الرماد . وفي الأصل : « رتل » باللام وهو يصح به المعنى أيضاً .

(٥) هذا المثل يضرب في اغتنام الشيء من البخيل وإن كان نزرًا ، والرضفة : الحجارة الحمماء يوغر (يُسَخَّن) بها اللبن ، وهي إذا أُلْقِيَتْ في اللبن لَزَقَ بها شيء منه .

وقال الشاعر :

وَحْذِ الْقَلِيلَ مِنَ اللَّثِيمِ وَذُمَّهُ * إِنَّ اللَّثِيمَ بِمَا أَتَى مَعْذُورٌ

ومعذور : موسوم في موضع العذار، وليس هو من العذر .

الشكر والثناء

٥ حَدَّثَنِي شَيْخٌ لَنَا عَنْ وَكِيعٍ عَنْ سَفْيَانَ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ هَلَالِ بْنِ أَسَافٍ قَالَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيُذِّنْ عَلَيْهِ مِنْ سِتْرِ بَيْتِهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقْسِمُ الثَّنَاءَ كَمَا يَقْسِمُ الرِّزْقَ » .

وَحَدَّثَنِي أَيْضًا عَنْ وَكِيعٍ عَنْ سَعِيدٍ عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ قَالَ أَبُو ذَرٍّ : قُلْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الرَّجُلُ يَعْمَلُ الْعَمَلَ وَيَحِبُّهُ النَّاسُ ؟ قَالَ : « تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ » . وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا أَرَدْتُمْ أَنْ تَعْلَمُوا مَا لِلْعَبِيدِ عِنْدَ اللَّهِ فَانظُرُوا مَاذَا يَتَّبِعُهُ مِنَ الثَّنَاءِ » .

وَحَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ : كَانَ يَقَالُ : الثَّنَاءُ يُضَاعَفُ كَمَا تُضَاعَفُ الْحَسَنَاتُ ؛ يَكُونُ الرَّجُلُ سَخِيًّا فَيَزِيدُ اللَّهُ فِي سَخَائِهِ ، وَيَكُونُ سُجَّاعًا فَيَزِيدُ اللَّهُ فِي سُجَّاعَتِهِ .

وَحَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ الْعَمَرِيِّ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ لِعَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنَّ فَلَانًا رَجُلٌ صَدِيقٌ ؛ قَالَ : سَافَرْتَ مَعَهُ ؟ قَالَ لَا . قَالَ : فَكَانَتْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ خُصُومَةٌ ؟ قَالَ لَا . قَالَ : فَهَلْ أَتَمَّتْهُ عَلَى شَيْءٍ ؟ قَالَ لَا . قَالَ : فَأَنْتَ الَّذِي لَا عِلْمَ لَكَ بِهِ ، أَرَأَيْكَ رَأَيْتَهُ يَرْفَعُ رَأْسَهُ وَيَخْفِضُهُ فِي الْمَسْجِدِ ! .

(١) ترجم له في الخلاصة ، وتهذيب التهذيب تحت اسم هلال بن يساف بالياء المثناة وقال في التهذيب :

« ويقال ابن أساف » . (٢) ورد هذا الحديث في الجامع الصغير هكذا : « إذا صلى أحدكم

فليصل إلى ستره وليدن من سترته لا يقطع الشيطان عليه صلاته » .

قال بعض الحكماء : إذا قُصِرَتْ يَدُكَ عن المكافأة فَلْيَطْلُ لِسَانُكَ بالشكر .
وقال آخر : حَقُّ النِّعْمَةِ أَنْ تُحْسِنَ لِبَاسِهَا ، وَتَنْسِبَهَا إِلَى وَلِيِّهَا ، وَتَذَكَّرَ مَا تَنَاسَى
عندك منها .

وقال بعض الحارثيين :

عِثَانُ يَعْلَمُ أَنَّ الْحَمْدَ ذَوْ ثَمَنِ * لَكِنَّهُ يَشْتَهِي حَمْدًا يَجْمَانُ
وَالنَّاسُ أَكِيدُسُ مَنْ أَنْ يَحْمَدُوا أَحَدًا * حَتَّى يَرَوْا قَبْلَهُ آثَارَ إِحْسَانِ
وقال حمادُ تَجَرَّدَ :

قَدْ يَتَقَضَى كُلُّ مَا أُؤْلِيَتْ مِنْ حَسَنِ * إِذَا أَتَى دُونَ مَا أُؤْلِيَتْ بِوَمَانِ
تَنَاسَى بُودَكَ مَا اسْتَغْنَيْتَ عَنْ أَحَدٍ * وَإِنْ طَمِعْتَ فَأَنْتَ الْوَاصِلُ الدَّانِي
الشَّهْدُ أَنْتَ إِذَا مَا حَاجَةٌ عَرَضَتْ * وَحَنَظَلُّ كَلِمَا اسْتَغْنَيْتَ خُطْبَانِ^(١)

وقال عمرانُ بن حِطَّان :

وَقَدْ عَرَضَتْ لِي حَاجَةٌ وَأَظُنُّنِي * بَأَنِّي إِذَا أُنْزِلْتُهَا بِكَ مُنْجِحُ
فَإِنْ أَكُ فِي أَخْذِ الْعَطِيَّةِ مُرَبِّحًا * فَإِنَّكَ فِي بَذْلِ الْعَطِيَّةِ أَرْبِحُ
لَأَنَّ لَكَ الْعُقْبَى مِنَ الْأَجْرِ خَالِصًا * وَشُكْرِي فِي الدُّنْيَا ، فَخُطُّكَ أَرْبِحُ

وقال معاويةُ بن أَبِي سُفْيَانَ يَعَاتِبُ قُرَيْشًا :

إِذَا أَنَا أُعْطِيتُ الْقَلِيلَ شَكَوْتُمْ * وَإِنْ أَنَا أُعْطِيتُ الْكَثِيرَ فَلَا شُكْرُ
وَمَا لِمْتُ نَفْسِي فِي قَضَاءِ حَقُوقِكُمْ * وَقَدْ كَانَ لِي فِيهَا اعْتَذَرْتُ بِهِ عُذْرُ
وَأَمْنَحُكُمْ مَالِي وَتُكْفَرُ نِعْمَتِي * وَتَسْتَمُّ عِرْضِي فِي مَجَالِسِهَا فَهَرُ

(١) أخطب الحنظل : أصفر وصار خطبانا وهو أن يصفر وتصير فيه خطوط خضر . وفي الأصل :

« حطبان » بالحاء المهملة وهو تحريف . وفي هذا البيت إقواء وهو اختلاف حركة الروي .

إذا العذر لم يُقبل ولم ينفع الأسى ■ وضاعت قلوب منهم حشوها الغمر^(١)
فكيف أداوى داءكم ودواؤكم * يزيدكم غيًّا ! فقد عظم الأمر
سأخرمكم حتى يندل صعباكم ، ■ وأبلغ شئ في صلاحكم الفقر
وقال طريح الثقى :

سَعَيْتُ أَبْتِغَاءَ الشُّكْرِ فَمَا صَنَعْتَ بِي ■ فَقَصَّرْتُ مَغْلُوبًا وَإِنِّي لَشَاكِرُ
ومثله قول الحرابي :

لأنك تُعطيني الجزيل بَدَاهَةٌ * وأنت لما استكثرت من ذاك حاقِرُ
ومثله قوله أيضا :

زاد معروفك عندي عِظَمًا * أنه عندك مُحَقُّورٌ صَغِيرُ
تَنَسَّاهُ كَأَن لَمْ تَأْتِهِ ■ وهو عند الناس مشهورٌ كَبِيرُ

قال رجل لبعض السطان : المواجهة بالشكر ضرب من الملق ، منسوب
من عُرف بها الى التخلُّق^(٢) ، وأنت تمنعني من ذلك وترفع الحال بيننا عنه ، ولذلك
تركت لقاءك به . غير أني من الاعتراف بمعرفك ونشر ما تطوى منه والإشادة
بذكره عند إخوانك والانتساب إلى التقصير مع الإطباب في وصفه ، على ما أرجو
أن أكون قد بلغت به حال المحتمل للصنيعة ، الناهض بحق النعمة .

قال ابن علقمة الفزاري :

رَأَيْتُ عَلَى مَا بِي عُمِلَةً فَاسْتَكْبَرْتُ * إِلَى مَالِهِ حَالِي أَسْرَ كَمَا جَهَرُ
دَعَانِي فَاسَانِي وَلَوْ صَدَّ لَمْ أَلْمُ^(٣) * عَلَى حِينٍ لَا يَدْوِي رَجْوِي وَلَا حَضَرُ
فَقُلْتُ لَهُ خَيْرًا وَأَثْبِتُ فَعْلَهُ^(٤) ■ وَأَوْفَاكَ مَا أُسْدِيتَ مِنْ دَمٍ أَوْ شَكَرُ

(١) الغمر (بالكسر) : الحقد . (٢) تخلق الرجل : أظهر في خلقه خلاف ما في نفسه .

(٣) في ديوان الحماسة لأبي تمام ص ٦٩٦ طبع أوربا : « ضن » . (٤) أثبت فعله أي

على فعله ، غذف حرف الجز ، ويجوز أن يكون على أي لأنه بمعنى مدح (انظر شرح الحماسة للبريزي) .

وقال آخر^(١) :

سأشكر عمراً إن تراخت مني ■ أيادي لم تمنّ وات هي جلت
فتي غير محبوب الفتي عن صديقه ■ ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت
رأى خلتي من حيث يخفى مكانها * فكانت قدى عينيه حتى تجلت
وقرأت في كتاب للهند : أربعة ليست لأعمالهم ثمرة : مسار الأصم ، والباذر
في السبحة ، والمسيرج في الشمس ، وواضع المعروف عند من لا شكر له .

وقال بعض الشعراء المحدثين ، وقيل : إنه للبحترى ، فبعثت إليه أسأله عنه
فاعلمني أنه ليس له :

فلو كان للشكر شخص بين * إذا ما تأمله الناظر
ليست له لك حتى تراه * فتعلم أنّي أمرؤ شاكر
ولكنه ساكن في الضمير ■ يحتركه الكلام السائر

وقال آخر :

فلو كان يستغنى عن الشكر سيد * لعزيزة ملك أو علو مكان
لما أمر الله الجليل بشكره * فقال أشكروني أيها الثقلان

وقال آخر :

فأنشوا علينا لا أبا لأبيكم ■ بإحساننا إن الثناء هو الخلد

وقال رجل من غني :

فإذا بلغتم أهلكم فتحدثوا ■ ومن الثناء مهالك وخلود

(١) يقال : إنه محمد بن سعيد الكاتب (انظر ديوان الحماسة لأبي تمام ص ٦٩٧ طبع أوروبا) .

(٢) الخلة (بالفتح) : الفقر والحاجة .

وكانت عائشة رضي الله عنها تتمثل بقول الشاعر :

يَحْزِيكَ أَوْ يُثْنِي عَلَيْكَ وَإِنْ مَنْ * أَثْنَى عَلَيْكَ بِمَا فَعَلْتَ كَمَنْ جَزَى

وقال الحارث بن شذاد في علي بن الربيع الحارثي :

النَّاسُ تَحْتَكَ أَقْدَامُ وَأَنْتَ لَهُمْ * رَأْسٌ وَكَيْفَ يُسَوِّي الرَّأْسُ وَالْقَدَمُ
فَحَسْبُنَا مَنْ شَاءَ الْمَادِحِينَ إِذَا * أَثْنَوْا عَلَيْكَ بَأَن يُثْنُوا بِمَا عَلِمُوا

وقال آخر :

بِأَيِّ الْخَصْلَتَيْنِ عَلَيْكَ أَثْنَى * فَإِنِّي عِنْدَ مُنْصَرَفِي مَسْئُولُ
أَبِ الْحُسَيْنِ وَلَيْسَ لَهَا ضِيَاءٌ * عَلَى فَنِّ يُصَدِّقُ مَا أَقُولُ
أَمِ الْآخَرَى وَلَسَتْ لَهَا بِأَهْلٍ * وَأَنْتَ الْبَحْرُ مِنْ ذَهَبٍ يَسِيلُ

وقال بشار :

أُنْفِي عَلَيْكَ وَلِي حَالٍ تُكَذِّبُنِي * فِيمَا أَقُولُ فَاسْتَحْيِي مِنَ النَّاسِ
قَدْ قُلْتُ إِنَّ أَبَا حَفِصٍ لَأَكْرَمُ مَنْ * يَمْشِي نَخَاصِمِي فِي ذَاكَ إِفْلَاسِي

وكتب بعض الكتاب إلى وزير : لست تُشبهه حالنا في الحرمة ، ولا تُشبهه
حالك في الجاه والقُدرة ، ولا ظاهر ما نحن عليه الباطن . وليس بعد حرمتي حرمة ،
ولا فوق سببي سبب ، ولا بعد حالك حال يُرتجى ، ولا بعد متزلك منزلة تُتمنى ،
ولا تنتظر شيئا ولا أنتظره ، ولا أتوقع حقا أزيدُه في حقوق ، ولا أتوقع فائدة تزيدها
في ذات يدك . وكم تحتال بالألفاظ ، وتؤوه بالمعاني ، والناس يحتجون بالعمل
ويَقْضُونَ بِالْعِيَانِ .

وقال بعض الشعراء :

وزهدني في كل خير صنعتُه * إلى الناس ما جربتُ من قلةِ الشكرِ

وقال أبو الهول في أبي المرء عتبة بن عاصم :

إذا فأنحرتنا من معدَّ عصابة ۞ نفرنا عليها بأبن عتبة عاصم

يختر رباط الحميد في دار قومه ۞ ويختال في عريض من الدم سالم

وقال رجل لبعض السلاطان : مثلك أوجب حقاً لا يجب عليه ، وسمح بحق

يجب له ، وقبل واضح العذر ، وأستكثر قليل الشكر . لا زالت أيديك فوق شكر أوليائك ، ونعمة الله عليك فوق آمالهم فيك .

وكتب آخر :

ما أنتهى الى غاية من شكرك ، إلا وجدت وراءها غاية من معروفك يحسرنى^(١)

بلوغها . وما عجز الناس عنه فالله من ورائه . فلا زالت أيامك ممدودة بين أمل [لك]

تبلغه ، وأمل فيك تحققه ، حتى تملئ من الأعمار أطولها ، وتنال من الهبات أفضلها .

ونحو هذا قول آخر :

كان لى فيك آملاين : أحدهما لك ، والآخر بك . فأما الأمل لك فقد بلغته ،

وأما الأمل بك فارجو أن يحققه الله ويوشكه .

وفى كتاب آخر :

أيام القدرة وإن طالقت قصيرة ، والمتعة بها وإن كثرت قليلة ، والمعروف وإن

أسدى الى من يكفره مشكور بلسان غيره .

وفى كتاب بعض الكتاب :

وما ذكرت — أعزك الله — من ذلك قديماً ولا جددت منه حديثاً ، إلا

وأصغر أمل فيك فوقه وإن كان استحقاق دونه . فإن أفض واجب حق الله على

(١) يحسرنى (من باب نصر، ويجوز فيه أحسر أيضاً) : يعينى ويتعنى .

في شكر نعمك فبتوفيقيهِ وعَوْنِهِ، وإنْ أَقْصَرَ عَنْ كُنْهِهِ فَعَنْ غَيْرِ تَقْصِيرٍ فِي بُلُوغِ
الْجُهْدِ فِيهِ .

وفي هذا الكتاب :

أَمَّا مَا بَدَّلَ الْأَمِيرُ مِنْ مَالِهِ ، فَذَلِكَ مَا قَدْ سَبَقَ الرَّجَاءُ بَلِ الْيَقِينُ إِلَيْهِ ، مَعْرِفَةٌ مَنِّي
بَطَوْلِهِ وَكِرْمِهِ ، وَلَيْسَ يُنْكِرُ أَيَادِيهِ وَلَا يَدْعُ صَنَائِعِهِ . وَمَا يُرْشِدُنِي أُمْلِي بَعْدَ اللَّهِ
إِلَّا إِلَيْهِ ، وَلَا أَفْرَعُ لِحَادِثَةٍ إِلَى غَيْرِهِ ، وَلَا أَتَضَاعَلُ لِنَائِبَةٍ مَعَهُ . وَلَوْ عَجَزْتُ عَنْ التَّهَضُّعِ
لَمَّا حَاوَلْتُ الْأَسْتِقْلَالَ وَالْإِنْتِعَاشَ إِلَّا بِهِ . وَمَالُ الْأَمِيرِ الْكَثِيرُ الْمَذْخُورُ عِنْدَ انْقِطَاعِ
الْحَيْلِ ، لَا مُعْتَفٍّ طَالِبُهُ ، وَلَا مُحَوِّفٍ عَلَى الرَّدِّ عَنْهُ وَاهِبُهُ ، وَلَا عَائِقَ مَنِّعَ دُونَهُ ، وَلَا
تَغْيِصَ مِنْ وَرَائِهِ ، وَلَا كَثَرَ أَوْلَى بِالصَّوْنِ وَأَنْ يُجْعَلَ وَقْفًا عَلَى النُّوَابِ وَالْعَوَاقِبِ
مِنْ كَثَرِ مَنْ هَذِهِ حَالُهُ . ١٠

قَالَتْ بَنُو تَمِيمٍ لِسَلَامَةَ بْنِ جَنْدَلٍ ^(١) : مَجَّدْنَا بِشَعْرِكَ ، فَقَالَ : افْعَلُوا حَتَّى أَتِيَنِي .
وَنَحْوَهُ قَوْلُ عَمْرِو بْنِ مُعَدِيكَرِبَ :

فَلَوْ أَنَّ قَوْمِي أَنْطَقَتْنِي رِمَاحُهُمْ * نَطَقْتُ وَلَكِنَّ الرِّمَاحَ أَجَرَتِ ^(٢)

قَالَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ لِأَشْعَبَ : وَاللَّهِ مَا شَكَرْتَ مَعْرُوفِي عِنْدَكَ ، فَقَالَ : إِنْ
مَعْرُوفُكَ كَانَ مِنْ غَيْرِ مُحْتَسِبٍ ، فَوَقَعَ عِنْدَ غَيْرِ شَاكِرٍ . ١٥

وَقَالَ أَبُو نُوَّاسٍ :

أَنْتَ أَمْرٌ أَوْلَيْتَنِي نِعْمًا * أَوْهَتْ قُوَى شَكْرِي فَقَدْ ضَعُفَا

(١) كَذَا فِي الشُّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ (ص ١٤٧ س ٤) وَخَزَانَةُ الْأَدَبِ لِلْبَغْدَادِيِّ (ج ٢ ص ٨٦ س ٢٢)

وَفِي الْأَصْلِ ١ « جَنْدَبٌ » بِالْبَاءِ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . (٢) أَجَرَتْ : قَطَعَتْ ، يَقُولُ : لَوْ قَاتَلَ

قَوْمِي أَوْ أَبْلَوْا لَذَكَرْتُ ذَلِكَ وَنَفَرْتُ بِهِمْ ، وَلَكِنْ رِمَاحُهُمْ أَجَرَتْنِي أَيْ قَطَعَتْ لِسَانِي عَنِ الْكَلَامِ بِفِرَاقِهِمْ . ٢٠

فإليك بعد اليوم تَقْدِمة * ^(١)وَأَتَتْكَ بِالتَّصْرِيحِ مُنْكَشِفَا
لَا تُحَدِّثَنَّ إِلَى عَارِفَةٍ * حَتَّى أَقُومَ بِشُكْرِ مَا سَلَفَا
وَقَالَ أَبُو نُحَيْلَةَ :

شَكَرْتُكَ إِنَّ الشُّكْرَ جَبَلٌ مِنَ التُّقَى * وَمَا كُلُّ مَنْ أَقْرَضَتْهُ نِعْمَةً يَقْضِي
فَأَحْيَيْتَ مِنْ ذِكْرِي وَمَا كَانَ مِثْلًا ^(٢)* وَلَكِنْ بَعْضَ الذِّكْرِ أَنْبَهُ مِنْ بَعْضِ
آخِر :

لَأَشْكُرَنَّكَ مَعْرُوفًا هَمَمْتَ بِهِ * إِنَّ أَهْتَامَكَ بِالْمَعْرُوفِ مَعْرُوفُ
وَلَا أَلُومُكَ إِنْ لَمْ يُمَضِّهِ قَدَرٌ * فَالْشَّيْءُ بِالْقَدْرِ الْمَحْتَوِي مَصْرُوفُ
وَقَالَ رَجُلٌ لِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ : الْمَجُوسِيُّ يُؤَلِّينِي خَيْرًا فَأَشْكُرُهُ، وَيُسَلِّمُ عَلَيَّ فَأَرُدُّ
عَلَيْهِ ؛ فَقَالَ سَعِيدٌ : سَأَلْتُ أَبْنَ عَبَّاسٍ عَنْ نَحْوِ هَذَا، فَقَالَ لِي : لَوْ قَالَ لِي فِرْعَوْنُ
خَيْرًا لَرَدَدْتُ عَلَيْهِ مِثْلَهُ .
أَنشَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ :

أَهْلَكْتَنِي بِفُلَانٍ ثِقَتِي * وَظُنُونٌ بِفُلَانٍ حَسَنَةٍ
لَيْسَ يَسْتَوْجِبُ شُكْرًا رَجُلٌ * نِلْتُ خَيْرًا مِنْهُ مِنْ بَعْدِ سَنَةٍ
وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَا تَتَّقِ بِشُكْرٍ مَنْ تُعْطِيهِ حَتَّى تَمْنَعَهُ ؛ فَإِنَّ الصَّابِرَ هُوَ الشَّاكِرُ ،
وَالْجَازِعَ هُوَ الْكَافِرُ .

وَقَالَ أَوْسُ بْنُ حَجَرٍ :

سَاجِدُكَ أَوْ يَجْزِيكَ عَنِّي مُثَوَّبٌ ^(٣) * وَقَصْدُكَ أَنْ يُثْنِيَ عَلَيْكَ وَتُحْمَدِي

(١) والتك : تابعتك ۥ وفي ديوانه المطبوع : وإليك قبل اليوم مقدمة ۥ لاقتك بالتصريح منكشفا
(٢) في نهاية الأرب : * ونهت لي ذكرى وما كان خاملا * (٣) كذا في ديوانه طبع أوربا
والأناني (ج ١٠ ص ٧ طبع بولاق) ۥ وفي الأصل :
... منى مثوب * وحسبك منى أن أودَّ وأحدَّ وروى القصيدة بالكسر .

والعربُ تقول : فلانٌ « أَشْكُرُ مِنَ الْبَرِّوقِ » وهو نبت ضعيف ينبت بالسحاب
إذا نشأ وبأدنى مطر .

وقال الشاعر :

لئن طَبَّتْ نَفْسًا عَنْ شَتَائِي فَأِنِّي ۖ لَا طَيْبٌ نَفْسًا عَنْ نَدَاكَ عَلَى عُصْرِي
فَلَسْتُ إِلَى جَدِّوَاكَ أَعْظَمَ حَاجَةً * عَلَى شِدَّةِ الْإِعْسَارِ مِنْكَ إِلَى شُكْرِي

وقال آخر :

حَسْبُ أَمْرِي إِنْ فَاتَنِي غَرَضٌ * مِنْ يَرَهُ أَنْ فَاتَهُ شُكْرِي
إِنِّي إِذَا ضَاقَ أَمْرٌ^(١) يُجَدُّا * عَنِّي أَسْتَعِثُ عَلَيْهِ بِالْعُذْرِ

وقال الطائي لإسحاق بن إبراهيم :

وَحَجَّيْتُ حَاولَتُهُ فَوَجَدْتُهُ * نَجْمًا عَنِ الرِّكَبِ الْعُقَاةِ شُسُوعًا
أَعْدَمْتُهُ لَمَّا عَدِمْتُ نَوَالَهُ * شُكْرِي فَرُحْنَا مُعْدِمَيْنِ جَمِيعًا

وقال :

فَإِنْ يَكُ أَرْبَى عَفْوُ شُكْرِي عَلَى نَدَى * أَنَايَسُ فَقَدْ أَرَبَى نَدَاهُ عَلَى جُهْدِي

وقال :

وَكَيْفَ يَجُورُ عَنْ قَصْدٍ لِسَانِي ۖ وَقَلْبِي رَائِحٌ بِرِضَاكَ غَايِي^(٢)
وَمَا كَانَتْ الْعِلْمَاءُ قَالَتْ * لِسَانُ الْمَرْءِ مِنْ خَدَمِ الْفُؤَادِ

وقال :

أَبَا سَعِيدٍ وَمَا وَصَفِي بِمَتَّيْمٍ ۖ عَلَى الثَّنَاءِ وَمَا شُكْرِي بِمُخْتَرِمٍ^(٤)

(١) الجدا : العطية . (٢) كذا في ديوان أبي تمام ، وفي الأصل : « أدنى » وهو تحريف .

(٣) كذا في ديوان أبي تمام وهو الذي يناسب البيت الذي بعده ، وفي الأصل : « بنداك » .

(٤) في الديوان : « على المعالي » .

لئن جحدتُك ما أوليت من نعيم * إنني لفي الشكر أحطى منك في النعم^(١)
أنسى أبسائمك والألوان كاسفة * تبسم الصبح في داج من الظلم
رددت روثق وجهي في صفيحته * رد الصقال بهاء الصارم الخديم
وما أبالي، وخير القول أصدقه، * حقنت لي ماء وجهي أم حقنت دمي

وقال :

فلا تكدر حياضك لي فإني * أمث اليك آمالاً طوالاً
وفرجاهي على فات جاهي * إذا ما غب يوم كان مالا^(٢)

وقال :

يا منة لك لولا ما أخففتها * به من الشكر لم تحمل ولم تطق
بأنه أرفع عني ثقل فادحها * فإني خائف منه على عني^(٣)

وقال بشار في عمر بن العلاء :

دعاني إلى عمير جوده * وقول العشيـرة بحر خضم
ولولا الذي زعموا لم أكن * لأمدح ربحانة قبل شم

ويقال : الشكر ثلاث منازل : لمن فوقك بالطاعة ، ولينظيرك بالمكافأة ، ولن

دونك بالإفضال عليه .

(١) كذا ورد هذا الشطر في الأصل ، وهو غير واضح المعنى ، وقد ورد البيت في الديوان هكذا :

لئن جحدتُك ما أوليت من حسن * إنني لفي اللوم أحطى منك في الكرم

(٢) فِر : فعل أمر من قولهم : وفر عرضه ووفره له لم يشتمه كأنه أبواه له طيا لم ينقصه بستم

قال الشاعر :

ألكني وفر لابن الفريرة عرضه * إلى خالد من آل سلمى بن جندل

(٣) ق الديوان « منها » .

قال إبراهيم^(١) بن المهدي يشكر المأمون :

رَدَدْتَ مَالِي وَلَمْ تَمْنُ عَلَىَّ بِهِ * وَقَبْلَ رَدِّكَ مَالِي قَدْ حَقَنْتَ دَمِي^(٣)
فَأَبْتُ مِنْكَ وَقَدْ جَلَّاتْنِي نِعْمًا * هِيَ الْحَيَاتَانِ مِنْ مَوْتٍ وَمِنْ عَدَمٍ
فَلَوْ بَذَلْتُ دَمِي أَبْنَى رِضَاكَ بِهِ * وَالْمَالُ حَتَّى أَسْأَلَ النِّعْلَ مِنْ قَدَمِي
مَا كَانَ ذَاكَ سِوَى عَارِيَّةٍ رَجَعَتْ * إِلَيْكَ لَوْلَمْ تُعْرِهَا كُنْتَ لَمْ تُلِمَ
وَقَامَ عِلْمُكَ بِي فَاحْتَجَّ عِنْدَكَ لِي * مَقَامَ شَاهِدٍ عَدِيلٍ غَيْرِ مُتَّهِمٍ

وقال آخر، وبلغني أنه الخنعمي :

فَأَذْهَبَا بِي إِنْ لَمْ يَكُنْ لِكَا عَقْفٍ * رَأَى جَنْبَ قَبْرِهَ فَأَعْقِرَانِي
وَأَنْضَحَا مِنْ دَمِي تَلِيهِ فَقَدْ كَا * نَ دَمِي مِنْ نَدَاهُ لَوْ تَعْلَمَانِ

١٠ وفد رجل على سليمان بن عبد الملك في خلافته ، فقال له : ما أقدمك؟ قال :
ما أقدمني عليك رَغْبَةً وَلَا رَهْبَةً ، قال : وكيف ذاك؟ قال : أما الرَغْبَةُ فقد وَصَلْتُ
إِلَيْنَا وَفَاضَتْ فِي رِحَالِنَا وَتَنَاوَلَهَا الْأَقْصَى وَالْأَدْنَى مَنَا ، وَأما الرَهْبَةُ فقد أَمِنَّا بِعَدِيلِ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْنَا وَحُسْنِ سِيرَتِهِ فِينَا مِنَ الظُّلْمِ ، فَنَحْنُ وَفَدُ الشُّكْرِ .

وقال الفرزدق في عمرو بن عُتْبَةَ :

١٥ لَوْلَا أَبْنُ عُتْبَةَ عَمَّرُوا وَالرَّجَاءُ لَهُ * مَا كَانَتْ الْبَصْرَةُ الْحَقَاءُ لِي وَطَنًا
أَعْطَانِي الْمَالَ حَتَّى قُلْتُ يُودِعُنِي ■ أَوْ قُلْتُ أُوْدِعَ لِي مَالًا رَأَاهُ لَنَا

(١) راجع استعطاف إبراهيم بن المهدي وشكره للأُمون وعفوه عنه وردة ماله وضياعه إليه في أمالي القالي

(ج ١ ص ١٩٩ طبع دار الكتب) . (٢) في أمالي القالي : « ولم تبخل » . (٣) كذا

في أمالي القالي والعقد الفريد (ج ٢ ص ٢٣٩) وفي الأصل : « ما حقنت دمي » . وهي هنا مصدرية .

بِخُودِهِ مُتَعَبٌ شَكْرِي وَمِثَّتُهُ ■ وَكَلَّمَا زِدْتُ شَكَرًا زَادَنِي مَنًّا
يَرْمِي بِهِمَّتِهِ أَقْصَى مَسَافَتِهَا ■ وَلَا يُرِيدُ عَلَى مَعْرُوفِهِ ثَمَنًا
هذا مثل قول الأعرابي : ما زال فلانٌ يُعطيني حتى ظننتُ أنه يُودِعُنِي
ماله . وما ضاع مالٌ أُوْرثَ المحامد .

ويقال : خمسة أشياء ضائعة : سراجٌ يُوقَدُ في شمسٍ ، ومطرٌ جودٌ في سبخةٍ ،
وحسناءٌ تُرْفَى إلى عَيْنين ، وطعامٌ أَسْتَجِيدَ وقُدِّمَ إلى سكرانٍ ، ومَعْرُوفٌ صُنِعَ إلى
مَنْ لَا شَكَرَ لَهُ .

وكان يقال : الشكرُ زيادةٌ في النعم وأمانٌ من الغير .

وقال أسماءُ بنتُ خارجةَ : إذا قَدِّمْتَ المصيبةَ تُرِكَتِ التَّعْزِيَةُ ، وإذا قَدِّمَ الإخاءُ
قُبِحَ الثَّناءُ .

١٠

بَعَثَ رَوْحُ بْنُ حَاتِمٍ إِلَى كَاتِبٍ لَهُ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَكُتِبَ إِلَيْهِ : قَدْ بَعَثْتُ
بِهَا إِلَيْكَ ، وَلَا أَقْلَلُهَا تَكْبَرًا ، وَلَا أَكْثَرُهَا تَمَنًّا ، وَلَا أَسْتَنْبِيكَ عَلَيْهَا شَاءَ ، وَلَا أَقْطَعُ عَنْكَ
بِهَا رَجَاءً .

وفي كتاب للهند : لا شَاءَ مع كِبَرٍ . وفيه : سِتَّةُ أَشْيَاءَ لَا ثَبَاتَ لَهَا : ظِلُّ الْغَمَامِ ،
وَحُلَّةُ الْأَشْرَارِ ، وَعِشْقُ النِّسَاءِ ، وَالْمَالُ الْكَثِيرُ ، وَالسُّلْطَانُ الْجَائِرُ ، وَالثَّنَاءُ الْكَاذِبُ .

١٥

والعربُ تقول : « لَا تَهْرَفْ قَبْلَ أَنْ تَعْرِفَ » (٢) أَي لَا تُطَيِّنَنَّ فِي الثَّنَاءِ قَبْلَ
الْإِخْتِبَارِ .

(١) في الأصل : « فكتب إليه » . هذه الرواية أشار إليها صاحب اللسان في مادة

« هرف » وفي مجمع الأمثال للبيداني : « لا تهرف بما لا تعرف » وهي الرواية المشهورة .

وكتب أبو نؤاس من الحبس الى الفضل بن الربيع :

ما من يد في الناس واحدة * كسيد أبو العباس مولاها
نام الثقات على مضاجعهم * وسرى الى نفسي فأحياها
قد كنت خفتك ثم آمنني * من أن أخافك خوفاً الله
فعموت عني عفو مقتدير * وجبت له نعم فالغاهها

والبيت المشهور في هذا قول النجاشي :

لا تتحدث امرأة حتى تجربه * ولا تدمن من لم يبله الخبر
وقال آخر في الاختبار :

إن الرجال إذا اختبرت طباعهم * ألفتهم شتى على الأخبار
لا تعجلن الى شريعة مؤرد * حتى تبين خطة الإصدار

وقال الرياشي : أنشدني أبو العالية :

إذا أنا لم أشكر^(١) على الخير أهله * ولم أذم^(٢) الحبس اللئيم المذم
فقيم عرفت الخير والشر بآبائه * وشق لي الله المسامع والفا

قال ابن التوام : كل من كان، جوده يرجع اليه، ولولا رجوعه اليه لما جاد عليك، ولو تها له ذلك المعنى في سواك لما قصد اليك، فليس يجب له عليك شكر. وإنما يوصف بالجوود في الحقيقة ويشكر على النفع في حجة العقل، الذي إن جاد عليك فلك جاد، ونفعك أراد، من غير أن يرجع اليه جوده بشيء من المنافع على جهة من الجهات، وهو الله وحده لا شريك له. فإن شكرنا الناس على بعض ما جرى لنا على

(١) في زهر الآداب للحصري (ج ١ ص ٢٥٠) : « إذا أنا لم أمدح » . (٢) الحبس :

- أيديهم، فلا مَرَيْن : أحدهما التَّعَبُّدُ ، وقد أمر الله تعالى بتعظيم الوالدين وإن كانا شيطانين وتعظيم مَنْ هو أَسْنُ مِنَّا وإن كنا أفضلَ منه . والآخَرُ : لأن النفس مالا تُحْصِلُ الأمورَ وتُمَيِّزُ المعاني ، فالسابق إليها حُبٌّ مَنْ جَرَى لها على يديه الخير وإن كان لم يُرِدْها ولم يَقْصِدْ إليها . ألا ترى أن عطية الرجل صاحبَه لا تَخْلُو أن تكون لله أو لغير الله ؟ فإن كانت لله فتواهبه على الله ، وكيف يجب في حجة العقل شكره وهو لو صادف ابن سبيلٍ غيري لما أعطاني ، وإما أن يكون إعطاؤه إياي للذكر ، فإن كان كذلك فإنما جعلني سُلْماً إلى حاجته وسبباً إلى بُغْيَتِهِ ، أو يكون إعطاؤه إياي طلباً للكفاة ، فإنما ذلك تجارة ، أو يكون إعطاؤه لخوف يدي أو لِسَانِي أو آجِرَارٍ مَمُوعِي ونصرتي ، وسبيلُ هذا معروف ، أو يكون إعطاؤه للرحمة والرقّة ولما يجد في فؤاده من العصر والألم ، فإنما داوى بتلك العطية من دائه ورفقه من خناقه .
- ١٠

وكان محمد بن الجهم يقول : نحو هذا قول الشاعر :

- لَعَمْرُكَ مَا النَّاسُ أَشْتَوْا عَلَيْكَ * وَلَا عَظْمُوكَ وَلَا عَظْمُومَا^(٢)
وَلَا شَايَعُوكَ عَلَى مَا بَلَغُوا * تَتَ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَلَا قَدَمُوا
وَلَوْ وَجَدُوا لَهْمٌ مَطْعَنًا * إِلَى أَنْ يَعْيُوكَ مَا جَمَعُوا
وَلَكِنْ صَبَرْتَ لِمَا أَلْزَمُوكَ * وَجُدْتَ بِمَا لَمْ يَكُنْ يَلْزِمُ
وَكَانَ قِرَاكَ إِذَا مَا لَقُوكَ * لِسَانًا بِمَا سَرَّهُمْ يُنْعِمُ
وَحَفْضَ الْجَنَاحِ وَوَشَكَ النَّجَاحِ * وَتَصَغِيرَ مَا عَظَّمَ الْمُنْعِمُ
فَأَنْتَ بَفَضْلِكَ أَلْجَأْتَهُمْ * إِلَى أَنْ يُجَلِّتُوا وَأَنْ يُنْعَمُوا
وقال خَلْفُ بن خليفة الأقطع :
- ١٥

- وَفِي الْيَأْسِ مَنْ أَنْ تَسْأَلَ النَّاسَ رَاحَةً * تُمَيِّتُ بِهَا عُسْرًا وَتُحْيِي بِهَا يُسْرًا
- ٢٠

(١) في الأصل : « وكيف يجب على حجة العقل » . (٢) كذا بالأصل ، والتكرار هنا غير مستساغ ، ولعل فيه تحريفاً من النسخ في الكلمة الأولى بأن يكون أصلها « بجلوك » مثلاً ، أو في الكلمة الثانية بأن يكون أصلها « نَظَمُوا » أي أكثروا من نظم المدائح فيك .

وليس يد أوليتها بغنيمة * اذا كنت تبغى أن يعد لها شكراً
غنى النفس يكفى النفس ما سد فاقة * فإن زاد شيئاً عاد ذلك الغنى فقراً
قال ابن عائشة : باغنى أن عبد الرحمن بن حسان سأل بعض الولاة حاجة فلم
يقضها له ، فسألها آخر فقضاها له ، فقال :^(١)

ذممت ولم تحمد وأدركت حاجتي * تولى سواكم أجرها وأصطاعها
أبى لك كسب الحميد رأى مقصر * ونفس أضاق الله بالخير بأعها
إذا هي حثته على الخير مرة * عصاها وإن همت بشر أطاعها
وقال ابن عائشة : قال رجل يوماً لابن عيينة : ما شئ تحذونونه يا أبا محمد؟
قال : ما هو؟ قال : يقولون إن الله تعالى يقول : أئماً عبد كانت له الى حاجة
فشغله الثناء على عن سؤال حاجته ، أعطيته فوق أمنيته ، فقال له : يابن أنحى ،
وما تترك من هذا ! أما سمعت قول أمية بن أبى الصلت في عبد الله بن جندعان :
إذا أئنى عليه المرء يوماً * كفاه من تعرضه الثناء
فكيف بأكرم الأكرمين !

وكان يقال : في طلب الرجل الحاجة الى أخيه فتنة : إن هو أعطاه حمد غير
الذى أعطاه ، وإن منعه ذم غير الذى منعه .

حدثنا الرباشي قال : أنشدنا كيسان لدكين الراجز :

إذا المرء لم يذنس من اللؤم عرضة * فكل رداء يرتديه جميل^(٢)
إذا المرء لم يضرع عن اللؤم نفسه * فليس الى حسن الثناء سبيل

(١) كذا فى أمالى القالى (ج ٢ ص ٢٢١ طبع دار الكتب المصرية) : وهو المناسب للشعر ، وفى الأصل :
« فشغله رجل فقضيت حاجته » . (٢) المعروف أن هذا البيت هو مطلع قصيدة لسموول بن عاديا .
اليهودى . كما فى أمالى القالى وديوان الحماسة لأبى تمام وغيرهما . والبيت الثانى يروى فى الحماسة هكذا :
وإن هو لم يحمل على النفس ضيها * فليس الى حسن الثناء سبيل
ويروى فى أمالى القالى هكذا : إذا المرء لم يحمل على النفس ضيها ■ فليس الى حسن الثناء سبيل

وكان يقال : أوّل منازل الحميد السلامة من الذم .

قال عمرو بن أذينة^(١) اللّبيّ :

لا تتركن ، إن صنيعة سلفت * منك وإن كنت لا تصغرها
إلى أمرى ، أن تقول إن ذكرت * عندك في الحدّ لست أذكرها
فإن إحياءها إمامتها * وإن منّا بها يكدرها
وإن تولى أمرؤ بشكر يد * فأنه يحزى بها ويشكرها

ويقال : أحيوا المعروف بإمائه .

أبو سفيان الجهمي قال : كان مسعدة الكاتب أبو عمرو بن مسعدة مولى
لخالد القسري ، وكان في ديوان الرسائل بواسط ، وكان موجزا في كتبه ، فكتب
إلى صديق له : أما بعد ، فإنه لن يعدمك من معروفك عندنا أمران : أجر من الله
وشكر منّا . وخير مواضع المعروف ما جمع الأجر والشكر . والسلام .

وكتب بعض الكتاب إلى بعض القبال : وما أتأمل في وقت من الأوقات ولا يوم
من الأيام آثار أياديك لدى ، ومواقع معروفك عندي ، إلا نبهني التأمل على ما يحسر
الشكر ويثقل الظهر ، لأنك أنعشت من عثرة ، وأنهضت من سقطة ، وتلقيت
نعمة كانت على شفا زوال ودروس ، وتلقيت ما ألقى عليك من الكل برجه
طليق وباع رحيب^(٢) . والسلام .

(١) أذينة : لقب لأبيه . واسمه يحيى بن مالك بن الحارث اللّبيّ . وكان عمرو شاعرا غزلا من شعراء
أهل المدينة وثقة ثباتا ، روى عنه مالك وغيره من الأئمة رضى الله عنهم (راجع كتاب التنبيه على أوهام أبي على
في أماليه ص ٢٦ طبع دار الكتب المصرية) وترجمته في كتاب الأغاني (ج ٢١ ص ١٦٢ طبع أوربا) .
(٢) في الأصل : « وبال » .

الترغيب في قضاء الحاجة وأصطناع المعروف

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا داود بن المحبر عن محمد بن الحسن الهمداني عن أبي حمزة عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مَنْ تَرَكَ مَعُونَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ وَالسُّعَى مَعَهُ فِي حَاجَتِهِ قُضِيَتْ أَوْ لَمْ تُقْضَ كُلَّفَ أَنْ يَسْعَى فِي حَاجَةٍ مَنْ لَا يُؤْجَرُ فِي حَاجَتِهِ . وَمَنْ تَرَكَ الْجَلَّ حَاجَةَ عَرَضَتْ لَهُ لَمْ تُقْضَ حَاجَتُهُ حَتَّى يَرَى رَعُوسَ الْمُحَلَّقِينَ " .

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا ابن عيينة عن يزيد بن عبد الله بن أبي بردة عن أبيه عن جده عن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اِسْفَعُوا إِلَى اللَّهِ يَقْضِيَ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّكُمْ مَا شَاءَ " .

بلغني عن جعفر بن أبي جعفر المازني عن ابن أبي السري عن إبراهيم بن أدهم عن منصور بن المعتمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ يُجَبِّكَ اللَّهُ فَارْزُقْ فِي الدُّنْيَا وَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ يُجَبِّكَ النَّاسُ فَلَا يَقَعْ فِي يَدِكَ مِنْ حُطَامِهَا شَيْءٌ إِلَّا نَبَذَتْهُ إِلَيْهِمْ " .

حدثني محمد بن داود عن محمد بن جابر قال : قال ابن عيينة : ليس أقول لكم إِلَّا مَا سَمِعْتُ : قِيلَ لِابْنِ الْمُنْكَدَرِ : أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : إِدْخَالُ السَّرُورِ عَلَى الْمُؤْمِنِ . وَقِيلَ : أَيُّ الدُّنْيَا أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : الْإِفْضَالُ عَلَى الْإِخْوَانِ .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : حدثنا زهير العطاردى^(١) قال : صلى بنا أبو رجاء العطاردى العتمة ثم أوى إلى فراشه ، فأنته امرأة فقالت : أبا رجاء ، إن

(١) ورد هذا الاسم بالأصل هكذا : « زريك » بالكاف وهو تحريف ، فقد جاء في القاموس

وشرحه مادة زور : « سلم بن زور يكر من تابعي التابعين عطاردى بصرى سمع أبا رجاء العطاردى » .

اطارق الليل حقًا، وإن بنى فلان خرجوا إلى سفوان^(١) وتركوا كتبهم وشيئا من متاعهم؛
فانتعل أبو رجاء وأخذ الكتب وأداها وصلى بنا الفجر، وهو مسيرة ليلة للابل،
والناس يقولون : إنها أربعة فراسخ .

حدثني أحمد بن الخليل عن محمد بن سعيد قال حدثنا ابن المبارك عن حميد
عن الحسن قال : لأن أقضى حاجة لأخ أحب إلى من أن أعتكف سنة .

قال ابن عائشة : كان عمرو بن معاوية العقيلي يقول : اللهم بلغني عثرات
المكرام .

قال المأمون لمحمد بن عباد المهلبي : أنت متلاف؛ فقال : يا أمير المؤمنين ،
منع الموجود سوء ظن بالله، يقول الله تعالى : ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ
خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ .

وكان ابن عباس يقول : صاحب المعروف لا يقع، فإن وقع وجد متكا. هذا
نحو قول النبي صلى الله عليه وسلم : "المعروف يقى مصارع السوء" .

وكان ابن عباس يقول أيضا : ما رأيت رجلا أوليته معروفا إلا أضاء ما بيني
وبينه، ولا رأيت رجلا أوليته سوءا إلا أظلم ما بيني وبينه .

قال جعفر بن محمد : إن الحاجة تعرض للرجل قبل فإبادر بقضاءها مخافة أن
يستغنى عنها أو تأتية وقد استبطأها فلا يكون لها عنده موقع .

وقال الشاعر :

وبادر بسلطان إذا كنت قادرا ■ زوال اقتدار أو غنى عنك يعقب

(١) سفوان : ماء على قدر مرحلة من باب المرید بالبصرة وبه ماء كثير الساقى (التراب) .

وقال آخر في مثله :

بدا حين أترى بإخوانه ^(١) * ففكك عنهم شبة العدم ^(٢)

وذكره الحزم غيب الأمور = فبادر قبل انتقال النعم ^(٣)

وقرأت في كتاب للهند: من صنع المعروف لعاجل الجزاء، فهو كمن يلقى الحب ليصيده به الطير لا لينفعه .

قال ابن عباس : ثلاثة لا أكافئهم : رجل بدأني بالسلام ، ورجل وسع لي في المجلس ، ورجل أغبرت قدماه في المشي إلى إرادة التسليم عليّ ، فأما الرابع فلا يكافئه عني إلا الله جل وعزّ ؛ قيل : ومن هو ؟ قال : رجل نزل به أمر فبات ليلته يفكر بمن ينزله ، ثم رأى أهلاً لحاجته فأنزلها بي .

وقال سلم بن قتيبة ^(٤) : ربّ المعروف أشدّ من ابتدائه ^(٥) .

ويقال : الابتداء بالمعروف نافلة ، وربّه فريضة .

قيل لبزرجهر : هل يستطيع أحد أن يفعل المعروف من غير أن يُرزأ شيئاً ؟ قال : نعم ، من أحببت له الخير وبذلت له الودّ ، فقد أصاب نصيباً من معروفك . قال جعفر بن محمد : ما توسّل إلى أحد بوسيلة هي أقرب به إلى ما يُحب من يد سلفت مني إليه ، أتبعته أختها لأحسن ربّها وحفظها ؛ لأن منع الأواصر يقطع شكر الأوائل .

قام رجل من مجلس خالد بن عبد الله القسريّ ؛ فقال خالد : إني لأبغض هذا الرجل وماله إلى ذنب ^(٦) ، فقال رجل من القوم : أوليه أيها الأمير معروفاً ففعل ، فما لبث أن خفّ على قلبه وصار أحد جلسائه .

(١) بدا بمعنى بدأ بالهمز وسهل لضرورة الشعر . (٢) لعله : «فقلل» . (٣) الشبابة : طرف السيف وحده ، وشبابة المقرب : إبرتها « والظاهر أن المراد هنا أذى العدم وشدة وحده . (٤) في الأصل «سالم» وما أثبتناه هو الصواب . (٥) ربّ الشيء : يربّه ربّاً ، تعهده وأنماه . (٦) في الأصل : «ومال إليه ذنب» وهي لا تنفق والسياق .

قال ابن عباس: لا يتم المعروف إلا بثلاث: تعجيله وتصغيره وسره، فإنه إذا عجله هنأه، وإذا صغره عظمه، وإذا سره تممه .

وقال الحريري في نحو هذا :

زاد معروفك عندي عظاماً * أنه عندك محقورٌ صغير

تتناساه كأن لم تأت * وهو عند الناس مشهور كبير

وقال الطائي :

جودٌ مشيت به الضراء^(١) تواضعاً * وعظمت عن ذكراه وهو عظيم^(٢)

أخفيته خفيته وطويته^(٣) * فنشرته والشخص منه عميم

وكان يقال : ستر رجل ما أولى، ونشر رجل ما أولى .

وقال رجل لبنيه : إذا آتخذتم عند رجل يدا فأنسووها . وقالوا : المنة تهديم

الصنعة . قال الشاعر :

أفسدت بالمن ما أسديت من حسن * ليس الكريم إذا أسدى يمين

قال رجل لابن شبرمة: فعلت بفلان كذا وفعلت به كذا، فقال: لا خير في المعروف

إذا أحيى .

وفي بعض الحديث : "كل معروف صدقة وما أنفق الرجل على أهله

ونفسه وولده صدقة وما وقى المرء به عرضه فهو صدقة وكل نفقة أنفقها فعلى الله

خلفها مثلها إلا في معصية أو بئبان^(٤) . وفي الحديث المرفوع "فضل جاهك تعود به

(١) هكذا ورد هذا الشعر في ديوان أبي تمام الطائي (ص ١٥١ طبع مصر) والضراء (فتح الضاد وتخفيف

الراء) : ما وارك من الشجر وغيره وهو أيضا : الاستخفاء والمشى فيما يواريك عن تكليده وتحتله يقال :

لا أمشي له الضراء ولا انخرأى أجاهره ولا أخاتله . (٢) خفيته : أظهرته . (٣) العميم :

الطويل التام . (٤) قال العزيزي في شرحه لهذا الحديث : إنه البئبان الذي لم يقصديه وجه الله تعالى .

على أخيك صدقة منك عليه ولسانك تُعبر به عن أخيك صدقة منك عليه وإما طُتْك
الأذى عن الطريق صدقة منك على أهله .
وكان يقال : بذل الجاه زكاة الشرف .

وقال بعض الشعراء :

وليس فتي الفتيان من راح وأغتدى * لشرب صبوح^(١) أو لشرب غبوق
ولكن فتي الفتيان من راح وأغتدى * لضرر عدو أو لنفع صديق
قال ابن عباس : لا يُهدنك في المعروف كفر من كفره ، فإنه يشركك عليه من
لم تصطنعه إليه .

وقال حماد بن محمد :

إن الكريم ليخفي عنك عُمرته * حتى تراه غنياً وهو مجهود
إذا تكرمت أن تُعطى القليل ولم * تقدر على سعة لم يظهر الجود
وللبخيل على أمواله علل * زرق العيون عليها أوجه سود
أورق بخير تُرجى للنوال فما * تُرجى الثمار إذا لم يُورق العود
بث النوال ولا تمنعك قلته * فكل ما سد فقرا فهو محمود
والعرب تقول : "من حقر حرم"^(٢) .

حدثني عبد الرحمن عن عمه قال : قال سلم بن قتيبة : أحدهم يحقر الشيء فيأتي
ما هو شر منه ، يعني المنع .

وقال الشاعر :

(١) الصبوح : ما شرب من اللبن بالغادة فا دون القائلة ، والغبوق : ما شرب بالعشى . (٢) هذا
مثل ذكره الميداني وشرحه بقوله : يقال : حقرت واحتقرته إذا عدته حقيراً أى من حقير يسيراً ما يقدر
عليه ولم يقدر على الكثير ضاعت لديه الحقوق . وفي الحديث : « لا تردوا السائل ولو بظلف محرق » .

وما أبلى إذا ضيَّفَ تضيِّفَنِي ■ ما كان عندي إذا أعطيتُ مجهودي
جُهدُ المِقْلِ إذا أعطاك مُصْطِيراً * ومُكثِرٌ مِنْ غَنَى سَيِّانٍ فِي الجَوْدِ
وفي الحديث المرفوع "أفضلُ الصَّدَقَةِ جُهدُ المِقْلِ".
وقال البريقُ أَهْدَلِي :

أبو مالكٍ قاصِرُ قِصرِهِ ■ على نَفْسِهِ ومُشِيعُ غِنَاهُ

وكان خالد بن عبد الله يقول على المنبر : أيها الناس عليكم بالمعروف ، فإن فاعل
المعروف لا يعدم جوازيه ، وما ضَعُفَ الناسُ عن أدائه قَوَى اللهُ على جَوَازِيهِ ، والبيت
المشهور في هذا قول الخطيئة :

مَنْ يَفْعَلِ الخَيْرَ لَا يَعمَدُ جَوَازِيَهُ ^(١) ■ لَا يَذْهَبُ العُرفُ بَيْنَ اللهِ والنَّاسِ

ويقال : إنه في بعض كتب الله عز وجل .

قال وهب بن منبه : إن أحسنَ الناسَ عيشاً من حَسَنَ عيشِ النَّاسِ في عَيْشِهِ ،
وإن من أَلَدَّ اللَّدَّةَ الإِفْضَالَ على الإِخْوَانِ . وفي الحديث المرفوع "إِنَّمَا لَكَ مِنْ
مَالِكَ مَا أَكَلْتَ فَأَنْتِ أَوْ لَيْسَتْ فَأَبْلَيْتَ أَوْ أُعْطِيتَ فَأَمْضَيْتَ وَمَا سِوَى ذَلِكَ
فَهُوَ مِلْكُ الْوَارِثِ " .

وقال بشار :

أَنْفِقِ الْمَالَ وَلَا تَشْقَ بِهِ * خَيْرُ دِينَارِكَ دِينَارُ نَفَقِ ^(٢)

قال بُرْزُ جِمْهَر : إذا أقبلت عليك الدنيا فَأَنْفِقِ فَإِنِهَا لَا تَقْنِي وَإِذَا أدبرت عنك
فَأَنْفِقِ فَإِنِهَا لَا تَتَّقِي . أخذه بعض المُحدِّثِينَ فقال :

(١) قال ابن جني : ظاهر هذا أن تكون جوازيه جمع جاز أي لا يعدم جزاء عليه ■ جزاء على جواز
للمشابهة اسم الفاعل للصدر ، فكما جمع سيل على سوائل ، كذلك يجوز أن يكون جوازيه جمع جزاء (انظر
اللسان مادة جزي) . (٢) يروي : « ليس لك من مالك إلا ما أكلت الخ » . (٣) نفقت
الدرهم (يفتح عين الفعل وكسرها) : فنت وذهبت .

فَأَنْفَقَ إِذَا أَنْفَقْتَ إِنْ كُنْتَ مُوسِرًا * وَأَنْفَقَ عَلَى مَا خِلْتُ حِينَ تُعْسِرُ^(١)
فَلَا الْجُودُ يُفْنِي الْمَالَ وَالْجَدُّ مَقِيلٌ * وَلَا الْبَخْلُ يُنْقِي الْمَالَ وَالْجَدُّ مُدِيرٌ
وَفِي "كِتَابِ كَلِيلَةِ" : لَا يَعْدُ عَائِشًا مَنْ لَا يُشَارِكُ فِي غِنَاهُ .

مَرَّ الْحَسَنُ بِرَجُلٍ يَقْلَبُ دِرْهَمًا ، فَقَالَ لَهُ : أُحِبُّ دِرْهَمَكَ هَذَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ،
قَالَ : أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ لَكَ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ يَدِكَ .

قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ خَيْثَمٍ لِأَخِي لَهُ : كُنْ وَصِيَّ نَفْسِكَ وَلَا تَجْعَلْ أَوْصِيَاءَكَ الرِّجَالَ .
وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

سَاحِيسٌ مَالِي عَلَى حَاجَتِي = وَأَوْثَرُ نَفْسِي عَلَى الْوَارِثِ
أَعَاذِلُ عَاجِلٌ مَا أَشْتَهِي * أَحَبُّ مِنَ الْمُبْطِئِ الرَّائِثِ

قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عِكْرَاشٍ : زَمَنَ خَوْنٌ ، وَوَارِثٌ شَفُونٌ^(٢) ، فَلَا تَأْمِنِ الْخَوْنُونَ
وَكُنْ وَارِثَ الشُّفُونِ .

وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : لَكَ فِي مَالِكَ شَرِيكَانِ إِذَا جَاءَ أَخَذَا وَلَمْ يُؤَامِرَاكَ : الْحَدَثَانِ
وَالْقَدَرُ ، كِلَاهُمَا يَتَزَعَلُ عَلَى الْغَتِّ وَالسَّمِينِ ، وَالْوَرِثَةُ يَنْتَظِرُونَ مَتَى تَمُوتَ فَيَأْخُذُونَ مَا تَحْتَ
يَدَيْكَ وَأَنْتَ لَمْ تَقْدَمْ لِنَفْسِكَ ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَلَّا تَكُونَ أَحْسَنَ الثَّلَاثَةِ نَصِيبًا فَأَفْعَلْ .

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ فِي خُطْبَةٍ لَهُ : مِنْ رَزَقِهِ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا فَلْيَكُنْ أَسْعَدَ^(٣)
النَّاسِ بِهِ فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَتْرُكُ لِأَحَدٍ رَجُلَيْنِ : إِمَّا مُصْلِحٌ فَلَا يَقْلُ عَلَيْهِ شَيْءٌ ، وَإِمَّا مُفْسِدٌ
فَلَا يَبْقَى لَهُ شَيْءٌ . فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : جَمَعَ أَبُو عَثْمَانَ طَرَفِي الْكَلَامِ .

(١) عَلَى مَا خِلْتُ أَيْ شَبَّهَتْ وَلَوْنَتْ ، وَمَعْنَاهُ عَلَى أَيْ حَالٍ . (٢) الشُّفُونُ : الَّذِي يَنْظُرُ
إِلَيْكَ كَالْكَارِهِ أَوِ الْمُبْغِضِ . (٣) فِي نَهَايَةِ الْأَرْبِ (ج ٣ ص ٢٠٦) وَالْعَقْدُ الْفَرِيدُ (ج ١ ص ٨٤) :
« فَلْيَنْفِقْ مِنْهُ سِرًّا وَاجْهَرًا حَتَّى يَكُونَ أَسْعَدَ النَّاسِ بِهِ » .

وقال حطائط بن يعفر :

ذريني أكن للمال رباً ولا يكن * لي المال رباً تحمدي غبه غدا
أريني جواداً مات هنزلاً لعلي * أرى ما ترين أو بخيلاً مخلداً
وقلت ولم أغنى الجواب تبني * اكان الهزال حتف زيد وأربدا

قال أعرابي : الدراهم ميسمٌ تسمُ حمداً أو ذمماً ؛ فمن حبسها كان لها ، ومن
أنفقها كانت له ، وما كل من أعطى مالا أعطى حمداً ، ولا كل عديم ذميم .
وقال بعض المحدثين :

أنت للمال اذا أمسكتَه * فإذا أنفقته فالمالُ لك

حدثني يزيد بن عمرو عن يزيد بن مروان قال : حدثنا النعمان بن هلال عن عبد الله
ابن دينار عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " تَنَزَّلُ
المُعُونَةُ عَلَى قَدَرِ الْمَوْنَةِ " .

قال معاوية لوردان مولى عمرو بن العاص : ما بقي من الدنيا تلذه ؟ قال :
العريض الطويل ؛ قال : وما هو ؟ قال : الحديث الحسن أو ألقى أخاً قد نكبه
الدهر فأجبره ؛ قال : نحن أحق بهما منك ؛ قال : إن أحق بهما منك من سبقك
اليهما .

وقال أعرابي :

وما هذه الأيام إلا مُعَارَةٌ * فما أسطعت من معروفها فتزود
فإنك لا تدري بأية بلدة * تموت ولا ما يحدث الله في غد
يقولون لا تبعُدْ ، ومن يك بُعدُه * ذراعين من قُرب الأُحبة يبعُدْ

وقال آخر :

إن كنت لا تبذل أو تسأل * أفسدت ما تُعطى بما تفعل

قال بعضهم : مضى لنا سلف أهل تواصل، اعتقدوا مِنّا، واتخذوا أيادي ذخيرة لمن بعدهم : كانوا يرون أصطناع المعروف عليهم فرضاً، وإظهار البرِّ حقاً واجباً، ثم حال الزمان بنشء اتخذوا مِنّهم صناعةً، وبرّهم مراجحةً، وأياديهم تجارةً وأصطناع المعروف مقارضة كنفد السوق خذ مني وهات .

قال العُتبي : وقع ميراثُ بين ناس من آل أبي سفيان وبني مروان، فتشاحوا فيه، فلما أنصرفوا أقبل عمرو بن عُتبة على ولده، فقال لهم : إن لقريشَ دَرَجاً تَزَلُّقُ عنها أقدامُ الرجال، وأفعالا تخشع لها رقابُ الأموال، وألسناً تَكَلُّ معها الشِّفار المشحودة، وغاياتٍ تقصر عنها الجيادُ المنسوبة ؛ ولو كانت الدنيا لهم ضاقت عن سعة أحلامهم، ولو احتفلت ما تزيّنت إلا بهم . ثم إن ناساً منهم تخلّقوا بأخلاق العوام، فصار لهم رفق باللؤم ونُحرق في الحرص، لو أمكنهم قاسموا الطير أرزاقها؛ إن خافوا مكروها تعجلوا له الفقر، وإن نَجَّت لهم نعمة أخرّوا عليها الشكر، أولئك أنضاء فكر الفقر وعجزة حَمَلَة الشكر .

قال بعض الحجازيين :

فلو كنتَ تطلب شأوا الكرام * فعلت كفعِل أبي البَخْتَرِي
تُبْع إخْوانه في البلاد * فأغنى المُقِلَّ عن المُكثَرِ

القناعة والاستغفاف

حدثني شيخٌ لنا عن وكيع عن ابنِ أبي ذُئيب عن محمد بن قيس عن عبد الرحمن ابن يزيد عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مَنْ يَقْبَلْ لِي بِوَاحِدَةٍ

(١) في العقد الفريد : «فكرة الفقر» . (٢) في تهذيب التهذيب للعسقلاني في الكلام على عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية، أورد هذا الحديث بإطامش هكذا : "مَنْ يَقْبَلْ لِي بِوَاحِدَةٍ أَنْتَقِلَ لَهُ بِالْخَنَةِ" قلت : ما هي ؟ قال "لا تسأل الناس شيئاً" .

وَأَتَقَبَّلُ لَهُ بِالْجَنَّةِ“ فَقَالَ ثَوْبَانُ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ۖ قَالَ : ”لَا تَسْأَلِ النَّاسَ شَيْئًا“
فَكَانَ ثَوْبَانُ إِذَا سَقَطَ سَوْطُهُ مِنْ يَدِهِ نَزَلَ فَأَخَذَهُ وَلَمْ يَسْأَلْ أَحَدًا أَنْ يَأْوِلَهُ إِيَّاهُ .
وَحَدَّثَنِي أَيْضًا عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَارِثِيِّ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ : قَالَ عُمَرُ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَيْسَ مِنْ عِبَادِ إِلَّا وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ رِزْقِهِ حِجَابٌ ، فَإِنْ اقْتَصَدَ أَتَاهُ رِزْقُهُ
وَإِنْ اقْتَحَمَ هَتَكَ الْحِجَابَ وَلَمْ يُزِدْ فِي رِزْقِهِ .

وَحَدَّثَنِي أَيْضًا عَنْ وَكَيْعٍ عَنْ سَفْيَانَ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ عَنْ أَبِي مَعْنٍ الْإِسْكَنْدَرَانِيَّ
قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ”إِنَّ الصِّفَا الزَّلَّالَ^(١) الَّذِي لَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ
أَقْدَامُ الْعُلَمَاءِ الطَّمْعِ“ . وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ”إِنْ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّ
نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكَمَلَ رِزْقُهَا فَأَتَّقُوا اللَّهَ وَأَجِلُوا فِي الطَّلَبِ“ .

قال ابن حازم :

لِلنَّاسِ مَالٌ وَلِي مَالَانِ مَالَهُمَا * إِذَا تَحَارَسَ أَهْلُ الْمَالِ أَحْرَاسُ
مَالِي الرِّضَا بِالَّذِي أَصْبَحَتْ أَمْلِكُهُ * وَمَالِي الْيَأْسُ مِمَّا يَمْلِكُ النَّاسُ
أَخَذَ هَذَا مِنْ قَوْلِ أَبِي حَازِمٍ الْمَدَنِيِّ ، وَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْمُلُوكِ : مَا مَالُكَ ؟ قَالَ :
الرِّضَا عَنْ اللَّهِ ، وَالْيَقْنَى عَنِ النَّاسِ .

وقال بشر بن بشر :

وإني لعَفٌّ عَنْ فَكَاهَةِ جَارَتِي ■ وإني لمُشْنُوٌّ إِلَى آغْتِيَابِهَا
إِذَا غَابَ عَنْهَا بَعْلُهَا لَمْ أَكُنْ لَهَا * زُؤُورًا وَلَمْ تَأْنَسْ إِلَى كَلَابِهَا

(١) الصفا الزلال : الأملس من الحجارة . (٢) في الجامع الصغير « حتى تستكمل

أجلها وتستوعب رزقها » . (٣) كذا في الأصل ولم نجد في كتب الأدب التي بين أيدينا شاعرا

بهذا الاسم ، وقد نسب البيت الأخير من هذه الأبيات « إذا ستد ... الخ » في حاشية البحري (ص ٣٤٢) ٢٠
طبع أوروبا) لزياد بن منقذ التميمي .

ولم ألكَ طَلَابًا أَحَادِيثَ سِرِّهَا * وَلَا عَلِيمًا مِنْ أَى حَوَكِ نِيَابُهَا
وإنَّ قِرَابَ البَطْنِ يَكْفِيكَ مِلْؤُهُ * وَيَكْفِيكَ سِوَا الأُمُورِ اجْتِنَابُهَا
إِذَا سُدَّ بَابُ عَنكَ مِنْ دُونِ حَاجَةٍ * فَذَرَهَا لِأُخْرَى لَيْسَ لَكَ بِأُهَا
وقال ابن أبي حازم :

أَوْجَعُ مِنْ وَخْرَةِ السِّنَانِ * لِذِي الْجِمَا وَخْرَةُ اللِّسَانِ
فَاسْتَرْزِقِ اللَّهَ وَاسْتَعْنِهِ * فَإِنَّهُ خَيْرُ مُسْتَعَانٍ
وإن نَبَا مَتَرٍ بِحُرٍّ ■ فَمِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ
لَا يَثْبُتُ الْحَرُّ فِي مَكَانٍ * يُنْسَبُ فِيهِ إِلَى الْهَوَانِ
الْحَرُّ حَرٌّ وَإِنْ تَعَدَّتْ * عَلَيْهِ يَوْمًا يَدُ الزَّمَانِ

حدثني محمد بن داود عن جابر بن عثمان الخثعمي عن يوسف بن عطية قال حدثني
المعلّي بن زياد الفردوسي : أن عامر بن عبد قيس العبدي كان يقول : أربع آيات
من كتاب الله إذا قرأتهن مساء لم أبال على ما أمسى ، وإذا تلوتهن صباحا لم أبال على
ما أصبح : « مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ
مِنْ بَعْدِهِ » . « وَإِنْ يُرِدْكَ بَخِيرٌ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ » . « وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا » . « سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ
عُسْرٍ يُسْرًا » .

حدثني عبد الرحمن عن بشر بن مصلح قال قال إبراهيم بن أدهم : لا تجعل بينك
وبين الله مُنْعِمًا عَلَيْكَ ، وَعَدَّ النِّعَمَ مِنْهُ عَلَيْكَ مَغْرَمًا .

(١) تقدّم هذا الشاعر في الصفحة السابقة باسم «ابن حازم» ولم ندر هل هما لشخصين أم لشخص واحد . وقد بحثنا عن هذه الأبيات لتحرى عن تحقيق هذا الاسم فلم نجد لها . (٢) كذا في الخلاصة في أسماء الرجال للجزرجي بضم القاف . وفي الأصل : « الفردوسي » بالفاء وهو تحريف . (٣) كذا في البيان والتبيين . وفي الأصل : « وأعدد النعم منهم مغنا » .

حدثني الرباشي عن الأصمعي قال : أبرع بيت قاله العرب بيت أبي ذؤيب الهذلي :

والنفس رغبة إذا رغبها * وإذا تردت إلى قليل تقنع

قال أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثنا أبو عمرو الصقار عن الحجاج بن الأسود قال : احتاجت عجوز من العجز القديم ، قال : فجذعت إلى المسألة ، ولو صبرت لكان خيرا لها . ولقد بلغني أن الإنسان يسأل فيمنع ، ويسأل فيمنع ، والصبر متبدد ناحية يقول : لو صرت إلى لكفيتك .

وكان يقال : أنت أخو العز ما ألحقت القناعة ، ويقال : اليأس حر والرجاء عبد . وقال بعض المفسرين في قول الله عز وجل : ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ قال : بالقناعة .

وقال سعد بن أبي وقاص لأبنة عمر : يا بني إذا طلبت الغنى فاطلبه بالقناعة ، فإن لم تكن لك قناعة فليس يغنيك مال .

وقال عمرو بن أذينة :

لقد علمت — وما الإسراف في طمع — * أن الذي هو رزق سوف يأتي

أسعى له فيعطيني تطلبه * ولو قعدت أتانى لا يعطيني

وقال أبو العتاهية :

إن كان لا يغنيك ما يكفيك ^(٢) فكل ما في الأرض لا يغنيك

(١) ورد هذا البيت في العقد الفريد هكذا :

لقد علمت وخير القول أصدقه * بأن رزق وإن لم يأت يأتي

(٢) أورد الجاحظ في البيان والبيان عبارة منسوبة للحسن تشبه شعر أبي العتاهية وهي : « إن كان يغنيك من الدنيا ما يكفيك فأدنى ما فيها يغنيك » .

وقال بعضهم : الغنى والفقرُ يحولان في طلب القناعة فإذا وجداها قطنها .
 حجت أعرابية على ناقة لها ، فقيل لها : أين زادك ؟ قالت : ما معي إلا
 ما في ضرعها . وقال الشاعر :

يا رُوحَ مَنْ حَسَمَتْ قَنَاعَتُهُ * سَبَبَ الْمُطَامِعِ مِنْ غَدٍ وَغَدٍ
 مَنْ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ مُتَّبِعًا * لَمْ يُمَسِّحْ مُتَجَا إِلَى أَحَدٍ

وقال أَرْدَشِيرُ : خَيْرُ الشَّيْمِ الْقَنَاعَةُ ، وَنَمَاءُ الْعَقْلِ بِالْعَلَمِ .

وقال التَّمِيمُ بْنُ تَوَلِّبٍ :

وَمَتَى تُصَبِّكَ خَصَاصَةً فَارْجُ الْغِنَى * وَالَّذِي يَهَبُ الرِّغَائِبَ فَارْغِبْ
 لَا تَغْضِبَنَّ عَلَى أَمْرِي فِي مَالِهِ * وَعَلَى كِرَائِمِ صُلْبِ مَالِكَ فَاغْضِبْ

وقال أبو الأسود :

وَلَا تَطْمَعَنَّ فِي مَالٍ جَارٍ لِقُرْبِهِ * فَكُلُّ قَرِيبٍ لَا يُنَالُ بِعَيْدٍ

وقال كعبُ بن زُهَيْرٍ :

قَدْ يُعْوِزُ الْحَارِثُ الْمُحَمَّدُ نَيْتَهُ * بَعْدَ الثَّرَاءِ وَيُثْرِي الْعَاجِزُ الْحَقِيقُ
 فَلَا تَخَافِ عَلَيْنَا الْفَقْرَ وَانْتَظِرِي * فَضَلَ الَّذِي بِالْغِنَى مِنْ فَضْلِهِ نَتَّقِ

وشكا رجلٌ الى قومٍ ضيقاً فقال له بعضهم : شَكَوتَ مَنْ يَرْحَمُكَ إِلَى مَنْ
 لَا يَرْحَمُكَ .

وقال هشامُ بن عبد الملك لسالم بن عبد الله ودخلا الكعبة : سَأَلَنِي حَاجَتَكَ ، قَالَ :
 أَكْرَهُ أَنْ أَسْأَلَ فِي بَيْتِ اللَّهِ غَيْرَ اللَّهِ . وَرَأَى رَجُلًا يَسْأَلُ فِي الْمَوْقِفِ فَقَالَ : أَفِي مِثْلِ
 هَذَا الْمَوْضِعِ تَسْأَلُ غَيْرَ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ ! .

وقال ابن المعدل :

تَكَلَّفْنِي إِذْ لَالَ نَفْسِي لِعِزِّهَا * وَهَانَ عَلَيْهَا أَنْ أَهَانَ لِتَكْرُمَا
تَقُولُ سَلِ الْمَعْرُوفَ يَحْيَى بْنِ أَكْثَمَ * فَقُلْتُ سَلِيهِ رَبِّ يَحْيَى بْنِ أَكْثَمَا
وقال ابن عباس : المساكين لا يعودون مريضاً ولا يشهدون جنازةً، وإذا
سَأَلَ النَّاسُ اللَّهَ سَأَلُوا النَّاسَ .

وكان الحسن يطرد السؤال يوم الجمعة، ولا يرى لهم الجمعة .

وقال بعض الشعراء :

حُبُّ الرِّيَاسَةِ دَاءٌ لَا دَوَاءَ لَهُ * وَقَلَّ مَا يَجِدُ الرَّاظِينَ بِالْقِسَمِ

وقال محمود الوراق :

شَادَ الْمُلُوكُ قُصُورَهُمْ وَتَحَصَّنُوا * عَنْ كُلِّ طَالِبٍ حَاجَةٍ أَوْ رَاغِبٍ
غَالُوا بِأَبْوَابِ الْحَدِيدِ لِعِزِّهَا * وَتَوَقُّوا^(١) فِي قُبُجِ وَجْهِ الْحَاجِبِ
وَإِذَا تَلَطَّفَ لِلدَّخُولِ إِلَيْهِمْ * رَاجِ تَلَقُّوهُ بَوَعْدِ كَاذِبٍ
فَارْغَبْ إِلَى مَلِكِ الْمُلُوكِ وَلَا تَكُنْ * إِذَا الضَّرَاعَةُ طَالِبًا مِنْ طَالِبٍ
وَجِدْ عَلَى مِيلٍ^(٢) فِي طَرِيقِ مَكَّةَ :

أَلَا يَا طَالِبَ الدُّنْيَا * دَعِ الدُّنْيَا لِشَانِيكَا^(٣)
إِلَى كَمْ تَطْلُبُ الدُّنْيَا * وَظِلُّ الْمِيلِ يَكْفِيكَ
قال مطرف بن عبد الله لابن أخيه : إذا كانت لك إلى حاجة فَاكْتُبْ بِهَا رُقْعَةً
فَإِنِّي أَضِنُّ بِوَجْهِكَ عَنْ ذَلِكَ السُّؤَالِ .

(١) تَوَقُّوا : تَأْتَقُوا ، يقال : تَوَقَّ في مطعمه وملبسه وأموره إذا تجوَّد وبالغ فيها .

(٢) المِيل : مناريني للسافر في أنشاز الأرض وأشرافها . (٣) هذان البيتان نسبا في الأغاني

(ج ٣ ص ١٦٧ طبع بولاق) لأبي العتاهية . (٤) في الأغاني ١ * وما تصنع بالدنيا *

وقال أبو الأسود :

وإنَّ أَحَقَّ النَّاسِ إِنْ كُنْتَ مَادِحًا * بِمَدْحِكَ مَنْ أَعْطَاكَ وَالْوَجْهَ وَافِرُ

وكان معاوية يَمْدَحُ بهذين البيتين :

وَقَتَّى خَلَا مِنْ مَالِهِ * وَمِنْ الْمَرْوَةِ غَيْرُ خَالِي

أَعْطَاكَ قَبْلَ سَوَالِهِ * فَكَفَاكَ مَكْرُوهُ السَّوَالِ

وقال آخر :

أَبَا مَالِكٍ لَا تَسْأَلِ النَّاسَ وَاتَّسِمْ * بِكَفَيْتِكَ سَيِّبَ اللَّهِ فَاللَّهُ أَوْسَعُ

فَلَوْ تَسْأَلُ النَّاسَ التَّرَابَ لَا وَشَكُوا ^(١) * إِذَا قُلْتَ هَاتُوا أَنْ يَمِيلُوا فَيَمْنَعُوا

والمشهور في هذا قول عبيد :

مَنْ يَسْأَلُ النَّاسَ يَحْرِمُوهُ * وَسَأَلُ اللَّهِ لَا يَجِيبُ

قال سليمان لأبي حازم : سَلْ حَوَائِجَكَ ، فقال : قد رفعتمها إلى من لا تُحْدِلُ ^(٢)

الحوائجُ دونه .

قال بعضُ المفسرين في قول الله عز وجل : (وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) أى المخلوق

يَرْزُقُ فإذا سَخِطَ قطع رِزْقَهُ ، والله عز وجل يَسْخِطُ وَلَا يَقْطَعُ .

وقال الشاعر :

لَا تَضْرَعَنَّ لِلْمَخْلُوقِ عَلَى طَمَعٍ ■ فَإِنَّ ذَلِكَ وَهْنٌ مِنْكَ بِالْدِّينِ

وَأَسْتَرْزِقِ اللَّهَ رِزْقًا مِنْ خَزَائِنِهِ * فَإِنَّمَا هُوَ بَيْنَ الْكَافِ وَالنُّونِ

(١) روى هذا البيت في لسان العرب مادة «وشك» وشرح الأشتوني ج ١ ص ٣١٥ طبع بولاق :

ولو سئل الناس التراب لأوشكوا ■ إذا قيل هاتوا أن يملوا ويمنعوا

(٢) كذا في كتاب الإمامة والسياسة (ج ٢ ص ١٧٢) وفي الأصل : «تحتل» .

وقال الخليل بن أحمد :

أَبْلِغْ سُلَيْمَانَ أَنِّي عَنْهُ فِي سَعَةٍ * وَفِي غِنَى غَيْرَ أَنِّي لَسْتُ ذَا مَالٍ
تُحَا بِنَفْسِي ، إِنِّي لَا أَرَى أَحَدًا * يَمُوتُ هَزْلاً وَلَا يَبْقَى عَلَى حَالٍ
فَالرِّزْقُ عَنْ قَدَرٍ لَا الضُّعْفُ يَمْنَعُهُ * وَلَا يَزِيدُكَ فِيهِ حَوْلٌ مُحْتَالٍ

وقال المعلوط :

مَتَى مَا يَرِ النَّاسُ الْغَنَى وَجَارُهُ * فَقَـيِرٌ يَقُولُوا عَاجِزٌ وَجَلِيلٌ
وَلَيْسَ الْغِنَى وَالْفَقْرُ مِنْ حِيلَةِ الْفَقِي * وَلَكِنْ حُظُوظٌ قُسِّمَتْ وَجُدُودٌ

وقال آخر :

يَحْبِبُ الْفَقِي مَنْ حَيْثُ يُرْزَقُ غَيْرُهُ * وَيُعْطَى الْفَقِي مَنْ حَيْثُ يُحْرَمُ صَاحِبُهُ

وقال أبو الأسود :

لَيْتَكَ أَذْنَتَنِي بِوَاحِدَةٍ * تَجْعَلُهَا مِنْكَ سَائِرَ الْأَبِيدِ
تَحْلِفُ أَلَّا تَبَرَّنِي أَبَدًا * فَإِنَّ فِيهَا بَرْدًا عَلَى كِيدِي
إِنْ كَانَ رِزْقِي إِلَيْكَ فَأَرِمْ بِهِ * فِي نَظَرِي حَيَّةٌ عَلَى رَصِيدِ
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : حِرْفَةٌ يَقَالُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ مَسْأَلَةِ النَّاسِ .

١٥ (١) هو سليمان بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي وكان والي فارس والأهواز ، فكتب الى الخليل بن أحمد يستدعي حضوره ، وكانت له راتب على سليمان المذكور ، فكتب الخليل جوابه ، أبلغ سليمان ... الأبيات . فقطع عنه سليمان الراتب ، فقال الخليل :

إِن الَّذِي شَقَّ فِي ضَامِنٍ * لِلرِّزْقِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُ
حَرَمَنِي مَا لَا قَلِيلًا فَا * زَادَكَ فِي مَالِكَ حَرَمَاتِي

٢٠ فبلغت سليمان فأقامته وأقعدته ، وكتب الى الخليل يعتذر اليه وأضعف راتبه . (انظر وفيات الأعيان لأبن خلكان ج ١ ص ٢٤٣ طبع بولاق) .

وقال سعيد بن العاص : مَوْطِنَانِ لَا أُسْتَجِي مِنْ الْعِيِّ فِيهِمَا : عند مُحَاذَلَتِي
جاهلاً ، وعند مَسْأَلَتِي حاجةً لِنَفْسِي .

حدَّثني محمد بن عبيد عن أبي عبد الله عن محمد بن عبد الله بن واصل قال :
جاء رجلٌ إلى شُرَيْحٍ يَسْتَقْرِضُ دَرَاهِمَ ؛ فقال له شُرَيْحٌ : حاجتُكَ عندنا فأبَتْ
مَنْزَلَكَ فإنها ستأتيك ، إني لأكره أن يَلْحَقَكَ ذُلُّهَا .

حدَّثني الرِّيَاشِيُّ عن الأصمعيِّ عن حَكِيمِ بنِ قيس بن عاصم عن أبيه أنه
أوصى بنيه عند موته فقال : إِيَّاكُمْ وَالْمَسْأَلَةَ ، فإنها آخِرُ كَسْبِ الرَّجُلِ .

وقال بعضُ المحدثين :

عَوَدْتُ نَفْسِي الضَّيِّقَ حَتَّى أَلْفَتْهُ * وَأَخْرَجَنِي حَسَنُ الْعِزَاءِ إِلَى الصَّبْرِ
وَوَسَّعَ قَلْبِي لِلْأَذَى الْأَنْسُ بِالْأَذَى * وَقَدْ كُنْتُ أَحْيَانًا يَضِيقُ بِهِ صَدْرِي
وَصَيْرَنِي يَأْسِي مِنَ النَّاسِ رَاجِيًا * لِسُرْعَةِ لُطْفِ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ لَا أُدْرِي
وقال آخر :

حَسْبِي يَعْلَمِي لَوْ نَفَعُ * مَا أَلْذُلُّ إِلَّا فِي الطَّمَعِ
مَنْ رَاقِبَ اللَّهَ نَزَعَ * عَنْ قُبْحِ مَا كَانَ صَنَعَ
مَا طَارَ شَيْءٌ فَأَرْتَفَعُ * إِلَّا كَمَا طَارَ وَقَعَ

(١) هكذا ورد هذا البيت في الأصل وقد دخله الحرم ، وورد في الأغاني (ج ٣ ص ١٧٢ طبع

ببلاق) ١

تعودت مرة الصبر حتى ألفتته * وأسلمني حسن العزاء إلى الصبر

(٢) في الأغاني : « لحسن صنيع الله ... » .

الحِرْصُ والإِلْحَاحُ

لما قَتَلَ كِسْرَى بُزْجِيهْرَ وَجَدَ فِي مَنَظَقَتِهِ كِتَابًا : إِذَا كَانَ الْقَدْرُ حَقًّا فَالْحِرْصُ بَاطِلٌ ، وَإِذَا كَانَ الْغَدْرُ فِي النَّاسِ طِبَاعًا فَالثَّقَةُ بِكُلِّ أَحَدٍ عَجْزٌ ، وَإِذَا كَانَ الْمَوْتُ لِكُلِّ أَحَدٍ رَاصِدًا فَالطَّمَأِينَةُ إِلَى الدُّنْيَا حُمُقٌ .

وقال بعض الشعراء :

من عَفَّ خَفَّ عَلَى الصَّدِيقِ لِقَاؤُهُ * وَأَخُو الْحَوَائِجِ وَجْهُهُ مَمْلُوكٌ
وَفِي كِتَابٍ لِلْهِنْدِ : لَا يَكْثُرُ الرَّجُلُ عَلَى أَخِيهِ الْحَوَائِجِ ، فَإِنَّ الْعَجَلَ إِذَا أَفْرَطَ
فِي مَصِّ أُمِّهِ انْطَحَتْهُ وَنَحَتْهُ .

وقال عدي بن زيد :

قَدْ يُدْرِكُ الْمُبْطِئُ مِنْ حَظِّهِ * وَالرَّزْقُ قَدْ يَسْبِقُ جَهْدَ الْحَرِيسِ
وقال ابن المقفع : الْحِرْصُ مَحْرَمَةٌ ، وَالْجَبْنُ مَقْتَلَةٌ ، فَانْظُرْ فِيمَا رَأَيْتَ وَسَمِعْتَ
أَمَّنْ قُتِلَ فِي الْحَرْبِ مُقْبِلًا أَكْثَرُ أَمْ مَنْ قُتِلَ مُدْبِرًا ، وَانْظُرْ مَنْ يَطْلُبُ إِلَيْكَ بِالْإِجْمَالِ
وَالْتَكْرَمِ أَحَقُّ أَنْ تَسْخَوْنَ نَفْسُكَ لَهُ بِالْعَطِيَّةِ أَمْ مَنْ يَطْلُبُ ذَلِكَ بِالشَّرِّ وَالْحِرْصِ .

وقال الشاعر :

كَمْ مِنْ حَرِيسٍ عَلَى شَيْءٍ لِيُدْرِكَهُ * وَعَلَّ إِدْرَاكَهُ يُدْنِي إِلَى عَظِيَّةِ

وقال آخر :

وَرُبَّ مُلِيعٍ عَلَى بُغْيَةٍ * وَفِيهَا مَنِيَّتُهُ لَوْ شَعَرَ
والعرب تقول في الرجل المُلِيعِ في الحوائج الذي لَا تَقْضِي لَهُ حَاجَةٌ إِلَّا سَأَلَ

أخرى :

* لَا يُرْسِلُ السَّاقَ إِلَّا مُسَكًّا سَاقًا *

وأصلُ المثل في الحِرْبَاءِ، إذا أَشْتَدَّ عليه حَرُّ الشمسِ لجأ إلى شجرة ثم تَوَقَّى في أغصانها،
فلا يُرْسِلُ غُصْنًا حَتَّى يَقْبِضَ على آخر .

وقال الشاعر :

أَتَى أُتِيحَ لَهُ حِرْبَاءُ تَنْضُبَةٌ * لَا يُرْسِلُ السَّاقَ إِلَّا مُمَسِّكًا سَاقًا

وفي كتاب كليله : لا فقر ولا بلاء كالحرص والشره، ولا غنى كالرضا والقناعة،
ولا عقل كالتيدير، ولا ورع كالكف، ولا حسب كحسن الخلق .

قال ابن المقفع : الحرص والحسد يكرأ الذنوب وأصل المهالك ؛ أما الحسد
فأهلك إبليس ، وأما الحرص فأخرج آدم من الجنة .

وفي كتاب كليله : خمسة حُرْصَاءَ، المال أحب إليهم من أنفسهم : المقاتل
بالأجرة، وحفار القني^(٢) والأسراب، والتاجر يركب البحر، والحاوي يلسع يده
الحية، والمخاطر على شرب السم .

دخل مالك بن دينار على رجل محبوب قد أخذ بمال عليه وقيد، فقال له : يا أبا
يحيى، أما ترى ما نحن فيه من هذه القيود ! فرقع مالك رأسه فرأى سلة^(٣)، فقال : لمن
هذه ؟ قال : لى، قال : فأمر بها أن تنزل، فأُنزلت فوضعت بين يديه، فإذا دجاج^(٣)
وأخيرة^(٣)، فقال مالك : هذه وضعت القيود في رجلك .

كان أشعب يقول : أنا أطمع وأُمي تيقن فقل ما يفوتنا .

(١) فأنله أبو دؤاد الإباضى . قال ابن برى : هكذا أنشده الجوهري وصواب إنشاده : «أنى أتيج لها» لأنه وصف ظمنا ساقها وأزججها سائق مجد (انظر اللسان مادة حرب) والتنضبة : واحدة التنضب وهو شجر عيدانه بيض ضخمة وورقه متقبض ولا تراه إلا كأنه يابس مغبر . (٢) جمع قناة وهي الآبار التي تحفر في الأرض . (٣) أخيرة : جمع خبيص، والخبيص : ضرب من الحلواء .

وقال النابغة :

والياسُ عما فات يُعقِب راحة * ولربَّ مَطْعَمَةٍ تَعُودُ دُبَابُهَا^(١)
^(٢)
^(٣)

وقال أبو عليّ الضرير :

فإني قد بلوتكمُ جميعًا ■ فما منكم على شكرى حريصُ
وأرخصتُ الثناءَ فِعْفَ مُوهُ * ورُبَّمَا غلا الشيءُ الرخيصُ
فِعِفْتُ نوالكم ورَغِبْتُ عنه * وشَرُّ الزادِ ما عاف الخَصِيسُ^(٤)

وقال أعرابي :

أيها الدائبُ الحريصُ المعنى * لك رزقٌ وسوف تستوفيه
قَبِجَ الله نائلًا تَرْتِجِيهِ ■ من يَدَى مَنْ تُريد أن تَقْتَضِيهِ
إنما الجودُ والسماحُ لِمَنْ يُعْ * طيك عفوًا وماءُ وجهك فيه
لا ينالُ الحريصُ شيئًا فيكفيه * وإن كان فوق ما يكفيه
فَسَلِ الله وَحدَه ودِعِ النَّا * سَ وأَسْخِطْهُمْ بما يُرضيه
لا تَرَى مُعْطِيًا لِمَا مَنَعَ الله * ولا مانعًا لِمَا يُعْطِيهِ

(١) كذا في لسان العرب مادة «ذبح» وفي الأصل : «مطعمة» . (٢) في لسان العرب :

«تكون» . (٣) الذباح : القتل . (٤) الظاهر من السياق أن الخسيس هو الفقير،

اشتقاقًا من الخصاصة وهي الفقر، ولم نعر عليه في كتب اللغة التي بين أيدينا .

[وجد بالأصل بآخر هذا الجزء ما يأتي] :

آخر كتاب الحوائج، وهو الكتاب الثامن من عيون الأخبار لأبن قتيبة رحمة الله عليه . وكتبه الفقير الى رحمة الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن علي الواعظ الجزري وذلك في شهر سنة أربع وتسعين وخمسمائة . والحمد لله رب العالمين، وصلاته وسلامه على سيدنا محمد النبي وآله أجمعين . ويتلوه الكتاب التاسع وهو كتاب الطعام، والله الموفق للصواب .

[وفيه كذلك — وهو من زيادات النساخ —] :

في الاستغفار :

عليك بالياس من الناس * إن غني نفسك في الياس
كم صاحب قد كان لي وامقاً * إذ كان في حالة إفلاس
أقول لو قد نال هذا الغني * صيرني منه على التماس
حتى إذا صار فيما آستهى * وعدّه الناس من الناس
قطع بالصدّ حبال الصفا * مني ولما يرض بالقاسي

آخر وقد أحسن :

إن للعروف أهلاً * وقليل فاعلوه
أهنأ المعروف ما لم * تبذل فيه الوجوه
أنت ما استغنيت عن صا * حبك الدهر أخوه
فإذا آحتجت إليه * ساعة تجك فوه

إنما يَعْرِفُ الفَضْلَ * لَمَنْ مِنَ النَّاسِ ذُووهُ

لَوْ رَأَى النَّاسُ نَبِيًّا * سَأَلُوا مَا وَصَّلُوهُ

وكتب أبو العيناء إلى أبي القاسم بن عبيد الله بن سليمان رُقعة يقول فيها : أنا
— أعزك الله — وولدي وعيالي زرعٌ من زرعك، إن سَقَيْتَهُ رَاعٌ وَزَكَا، وإن
جَفَوْتَهُ ذَبُلَ وَذَوَى . وقد مَسَّنِي منك جَفَاءٌ بَعْدَ رِيٍّ وَإِغْفَالٍ بَعْدَ تَعَهُدٍ، فَشِمَتَ
عدُوٌّ، وَتَكَلَّمَ حاسِدٌ، وَلَعِبَتْ بِي ظَنُونٌ؛ وَأَتْرَاعُ الْعَادَةِ شَدِيدٌ. ثم كتب في آخرها:
لَا تُهِنِّي بَعْدَ إِكْرَامِكَ لِي . فَشَدِيدٌ عَادَةٌ مُتَرَعِّعَةٌ

آخر :

مَالِي مَعَاشٌ سِوَى ضِدِّ الْمَعَاشِ فَلَا * أَغْدُو إِلَى عَمَلٍ إِلَّا بِلَا أَمَلٍ
وَلَيْسَ لِي شُغْلٌ يُجِدِّي عَلَى إِذَا * فَكَّرْتُ فِيهِ وَمَا أَنْفَكْتُ مِنْ شُغْلٍ
كُلُّ أَمْرٍ رَائِحٌ غَادٍ إِلَى عَمَلٍ * وَمَا أَرْوَحُ وَلَا أَغْدُو إِلَى عَمَلٍ
وَلَسْتُ فِي النَّاسِ مَوْجُودًا كَبَعْضِهِمْ * وَإِنَّمَا أَنَا بَعْضُ النَّاسِ فِي الْمَثَلِ

آخر :

الْمَرءُ بَعْدَ الْمَوْتِ أَحْدُوثُهُ * يَفْنَى وَتَبَقَى مِنْهُ آثَارُهُ
يَطْوِيهِ مِنْ أَيَّامِهِ مَا طَوَى * لَكِنَّهُ تُنْشَرُ أَسْرَارُهُ
وَأَحْسَنُ الْحَالَاتِ حَالُ أَمْرِي * يَطِيبُ بَعْدَ الْمَوْتِ أَخْبَارُهُ
يَفْنَى وَيَبْقَى ذِكْرُهُ بَعْدَهُ * إِذَا خَلَّتْ مِنْ شَخْصِهِ دَارُهُ

وقال حبيب الطائي :

وَمَا أَبْنَى آدَمَ إِلَّا ذِكْرُ صَالِحَةٍ * أَوْ ذِكْرُ سَيِّئَةٍ يَسِيرِي بِهَا الْكَلِمُ
أَمَّا سَمِعْتَ بَدْهِيرَ بَادِ أُمَّتِهِ * جَاءَتْ بِأَخْبَارِهَا مِنْ بَعْدِهَا أُمُّ

في البخل :

طَرَقْتُ أَنَاسًا عَلَى غِمْرَةٍ * فَذُقْتُ مِنَ الْعَيْشِ جَهْدَ الْبَلَاءِ
فَأَمَّا الْقَدِيدُ^(١) وَأَشْبَاهُهُ * فَذَلِكَ مَفَاتِيحُهُ فِي السَّمَاءِ
وَأَمَّا السَّوِيقُ فَفِي عَيْبَةٍ * يُشَمُّ وَيُدْعَى لَهُ بِالْبَقَاءِ
وَمَنْ حَاوَلَ الْخَبِزَ قَالُوا لَهُ * أَتَذْكُرُ شَيْئًا خُسِيٍّ لِلدَّوَاءِ

(١) القديد: اللحم المجفف في الشمس .

كتاب الطعام

صنوف الأطعمة

قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري رحمه الله عليه : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للأحنف : أي الطعام أحب إليك ؟ قال : الزبد والكأه^(١)؛ فقال عمر : ما هما بأحب الأطعمة إليه، ولكنه يحب الخصب للمسلمين .

قال الأصمعي : قال رجل في مجلس الأحنف : ليس شيء أبغض إلى من التمر والزبد؛ فقال الأحنف : رب ملوم لا ذنب له .

عن أبي عمرو بن العلاء قال : قال المجاج جلسائه : ليكتب كل رجل في رُفعة أحب الطعام إليه ويضعها تحت مصلاي؛ فإذا في الرفاع كلها الزبد والتمر .

عن الأصمعي قال قال مدني : الكبكادات أربع : العصيدة والحريسة والحيسة^(٢) والسَمِيذَةُ^(٣) .

عن الأصمعي عن حزم قال : قال مالك بن حنبل لحسان بن الفريفة : ما تزودت إلينا ؟ قال : الحيس؛ قال : ثلاثة أسقية في وعاء .

(١) الكأه اسم للجمع وللواحد : نبات يقال له : شحم الأرض ، مستدير كالقلفاس ، لاساق له ولا عرق لونه إلى الغبرة ، يوجد في الربيع تحت الأرض . (٢) في العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٢) : « ماشي . أبغض إلى من الزيت والكأه » . (٣) الحيسة : الأقط يخلط بالتمر والسمن . (٤) السميذة بالبدال المهملة والذال المعجمة) : الحواري ، وهي لباب الدقيق .

قال الأصمعيّ: قال بعض الأعراب: أشتى ثريدةً دَنَاءً^(١) من الفُلْفُلِ^(٢)، رَقَطَاءً^(٣) من الحِمَصِ^(٤)، ذاتِ حَفَافِينَ^(٥) من اللحم، لها جَنَاحَانِ من العُرَاقِ^(٦)، أَضْرِبَ فيها ضَرْبَ وَلَى السَّوَى في مالِ الْيَتِيمِ.

وقال ابن الأعرابي: يقال: أَطِيبُ اللحمُ عُوْدُهُ، أى أَطِيبُهُ مَا وَلَى الْعِظَمَ، كانه عَاذَ بِهِ.

عن أبي عبيدة قال: مرّ الفرزدقُ بِبِجِي بن الحُصَيْنِ بن المُنْذِرِ الرّقَاشي، [ف]قال له: هل لك يا أبا فِرَاسٍ في جَدِي سَمِينٍ وَنَبِيذٍ زَيْبٍ جَيِّدٍ؟ فقال الفرزدق: وهل يَأْبَى هذا إِلَّا ابْنُ الْمَرَاغَةِ! يعنى جريرا.

وقال الأَحْوَصُ لجرير: مَا تُحِبُّ أَنْ يُعَدَّ لَكَ؟ قال: شِوَاءٌ وَطِلَاءٌ وَغِنَاءٌ؛ قال: قَدْ أُعِدَّتْ لَكَ.

وقال مَدَنِيٌّ لَصَدِيقٍ له: والله أَشْتَى كَشْكِيَّةً^(٧)، ومدّ بها صوتَه فخرجت منه رِيحٌ؛ فقال له: مَا أَسْرَعَ مَا لَفَحَتْكَ يَابْنَ عَم.

(١) ثريدة دَنَاءٌ: كثرة الأباذير، والأباذير: التابل وهو ما يطيب الطعام. (٢) كذا في كتاب البخلاء للجاحظ (ص ١٩٤) وفي الأصل: «ومن». (٣) الرقطاء: السوداء تشوبها نقط بيضاء. (٤) كذا في البخلاء، والحفاف: الجانب. وفي الأصل: «خفافين» بالخاء المعجمة وهو تحريف. (٥) العراق (بضم العين): العظام إذا لم يكن عليها شيء من اللحم. (٦) الطلاء: الخمر. (٧) في كتب اللغة الكشكية: ماء الشعير، وفي القواميس الفارسية: الكشك: ضرب من الحساء اللزجة مصنوع من القمح والشعير وزبد لبن الشاء. وربما أضيف إليه شيء من اللحم.

وعن الأصمعي قال: قال شيخ من أهل المدينة: أتيت فلانا فأتاني بمَرَقَةٍ كان فيها مُسَقٍّ، فلم أر فيها إلا كِدًّا طافيةً، فغمستُ يدي فوجدت مُضَغَةً، فمددتها فأمتدت حتى كأني أزمُر في ناي.

أدخل أعرابي على كسرى ليتعجب من جفائه وجهله، فقال له: أي شيء أطيب لحماً؟ قال: الجمل. قال: فأى شيء أبعد صوتاً؟ قال: الجمل. قال: فأى شيء أنقض بالحمل الثقيل؟ قال: الجمل. قال كسرى: كيف يكون لحم الجمل أطيب من البط والدجاج والفراخ والدراج والجداء؟ قال: يطبخ لحم الجمل بماء وملح، ويطبخ ما ذكرت بماء وملح حتى يعرف فضل ما بين الطعمين. قال: كيف يكون الجمل أبعد صوتاً ونحن نسمع الصوت من الكركي من كذا وكذا ميلاً؟ قال الأعرابي: ضَعِ الكركي في مكان الجمل وَضِعِ الجمل في مكان الكركي حتى تعرف أيهما أبعد صوتاً. قال كسرى: كيف تزعم أن الجمل أحمل للحمل الثقيل والفيل يحمل كذا وكذا رطلاً؟ قال: ليُبرِكَ الفيل ويُبرِكَ الجمل وليُحمَلْ على الفيل حمل الجمل، فإن نهض به فهو أحمل للأثقال.

عن جعفر بن سليمان قال: شيطان لا يزيدهما كثرة النفقة طيباً: الطيب والقدر، ولكن تُطَيِّبُهُمَا إصَابَةُ الْقَدْرِ.

وفيما أجاز لنا عمرو بن بحر الجاحظ من كتبه قال: كان أبو عبد الرحمن الثوري يُعَجِّبُ بالراءوس ويصفُها ويُسمِّي الرأس عُرْساً لما تجتمع فيه من الألوان الطيبة،

(١) المضغة: قطعة اللحم. (٢) الدراج (وزان رمان): طائر يطلق على الذكر والأنثى جميل المنظر ملون الريش. (٣) الكركي: طائر يقرب من الإوز أبيض الذنب رمادي اللون في خده لمعات سود قليلة اللحم صلب العظم يأوى إلى الماء أحياناً. (٤) قد أورد عمرو بن بحر الجاحظ هذه القصة في كتابه البخل (ص ١١٥ طبع أوروبا).

وكان يسميه مرةً الجامع ومرةً الكامل، ويقول: الرأس شيء واحد وهو ذو ألوان عجيبة وطعوم مختلفة؛ وكل قدر وكل شواء فإنما هو شيء واحد، والرأس فيه الدماغ وطعمه مفرد، والعينان وطعمهما مفرد^(١) وفيه الشحمة التي بين أصل الأذن ومؤخر العين وطعمها على حدة، على أن هذه الشحمة^(١) [خاصة] أطيب من المخ وأنعم من الزبد وأدسم من السلاء، ثم يُعد أسقاطه كلها. ويقول: الرأس سيد البدن، وفيه الدماغ وهو معدن العقل، ومنه يتفرق العصب الذي فيه الحس، وبه قوام البدن، وإنما القلب باب العقل، كما أن النفس هي المدركة والعين هي باب الألوان، والنفس هي السامعة الذائقة وإنما الأنف والأذن بابان. ولولا أن العقل في الرأس لما ذهب العقل من الضربة تُصيبه؛ وفي الرأس الحواس الخمس. وكان يُشدد:

هو ضربوا رأسي وفي الرأس أكثرى * وغودر عند الملتقى ثم سائري^(٢)

وكان لا يشتري الرأس إلا في زيادة الشهر لمكان زيادة الدماغ، ولا يشتريه إلا يوم السبت لأن الرؤوس يوم السبت أكسدت، للفضلات التي تبقى في منازل التجار عن يوم الجمعة. وكان إذا فرغ من غدائه يوم الرأس، عمد إلى القحف^(٣) وإلى اللجين^(٤) فوضعه قرب بيوت النمل والذر، فإذا اجتمعن عليه أخذه ونفضه في طست فيه ماء، ولا يزال يعيد ذلك على تلك المواضع حتى يقلع النمل والذر من داره، فإذا فرغ من ذلك ألقاه مع الخطب فاستوقده في التنور.

الأصمعي قال: قال أبو صوارة أو ابن دقة: الأرز الأبيض بالسمن المسلى^(٥) بالسكر الطبرزد، ليس من طعام أهل الدنيا.

(١) الزيادة عن البخلاء. (٢) في البخلاء: «إذا». (٣) القحف: العظم الذي فوق الدماغ، أو هو ما انقلق من الجمجمة فانفصل، ولا يدعى قحفا حتى يتكسر منه شيء. (٤) اللجين: عظم الحنك وهما اللذان عليهما الأسنان في البخلاء. «الجين». (٥) الطبرزد: السكر الأبيض الصلب، فارسي.

قال: وقال أبو صَوَّارَة أو ابن دُقَّة : أطول الليالي ثلاث : ليلة العُقْرَب ، وليلة الهريسة ، وليلة جُدَّة إلى مكة .

الأصمعي عن جعفر بن سليمان قال : قال أبو كامل مولى علي رضي الله عنه :
أَطْعِمُونِي حَفَنَةً زُبْدٍ ثُمَّ اخْتَمُوا سِرَاوِيلِي ثَلَاثًا .

وقال رجل للثوري في الحديث : "إن الله يُغِضُ الْبَيْتَ الْحَلِيمَ" ؛ فقال : ليس
هو الذي يؤكل فيه اللحم ، وإنما هو الذي يؤكل فيه لحوم الناس .

عن أبي الصَّدِّيق النَّاجِي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "خيرُ تَمَرَاتِكُمُ
الْبُرْنِي يذهب بالداء ولا داء فيه" .

وعن ابن عمر عن عمر أنه قال : يا غلام أَنْضِجِ الْعَصِيدَةَ تَذْهَبْ حَرَارَةُ الزَّيْتِ .

وعن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "بيت ليس فيه تمرٌ
جِياعٌ أهله" .

شيخٌ من أهل البادية قال : أضافنا فلان فأتانا بحنطة كأنها مناقير الغربان ، وتمرٌ
كأنه أعناق الوز يوحل فيه الضرس .

الأصمعي قال : قال أعرابي : تَمَرْنَا جُرْدٌ فَطُسٌ يَغِيبُ فِيهِ الضَّرْسُ ، كَأَن نَوَاهِ السُّنَّ
الطير ، تَضَعُ التَّمْرَةَ فِي فِكَ فَتَجِدُ حَلَاوتَهَا فِي كَعْبِكَ .

الأصمعي عن أبيه قال : أَسَرَ رَجُلٌ رَجُلَيْنِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ نَفِيرَهُمَا بَمِ يَعْشِيَهُمَا ،
فَاخْتَارَ أَحَدُهُمَا اللَّحْمَ وَاخْتَارَ الْآخَرُ التَّمْرَ ، فَعُشِّيَا وَأَلْقِيَا فِي الْفِنَاءِ وَذَلِكَ فِي شِتَاءٍ شَدِيدٍ ،
فَأَصْبَحَ صَاحِبُ اللَّحْمِ خَامِدًا وَأَصْبَحَ صَاحِبُ التَّمْرِ تَرَّرَ عَيْنَاهُ .

(١) هو بكر بن عمرو أو ابن قيس ، كما في تهذيب التهذيب والخلاصة . (٢) البرني : ضرب من التمر
أصفر مدور ، وهو أجود التمر . (٣) في الأصل هكذا : «الوزلان» والظاهر أنه محوَّف عما أثبتناه .
(٤) جرد : ناعمة . (٥) فطس : صفار الحب لاطئة الأفاع . (٦) ترَّرَ عيناه : توقدان .

وقال غير الأصمعي: قيل لأعرابي: ما رأيك في أكل الحُرَّى^(١)؟ قال: تَمْرَةٌ زَيْسِيَانَةٌ غَرَاءُ الطَّرَفِ صفراءُ السائر عليها مِثْلُهَا زُبْدًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهَا، ثُمَّ أَدْرَكَهُ الْوَرَعُ فَقَالَ: وَمَا أَحْرَمَهُمَا.

وقال بعض الأعراب:

أَلَا لَيْتَ لِي خُبْرًا تَمْرَبَلٍ رَائِبًا * وَخِيَلًا مِنَ الْبَرَنِ قُرْسَانُهَا الزُّبْدُ^(٢)

قال: ورأى أعرابي دقيقًا وتمرًا فأشترى التمر؛ قيل له: كيف وسعرُ الدقيق والتمر واحد! قال: إن في التمر أدمه وزيادة حلاوة.

عن زياد الثمري قال: قالت عائشة: من أكل التمر وترًا لم يضره.

الأصمعي قال: حدثني شيخ عالم قال: أطيبُ التمرِ صَيْحَانِيَّةٌ مُصَلَّبَةٌ^(٣).

الأصمعي قال: حدثني رجلٌ من آل حَزِيمٍ قال: كان يقال: مَنْ خَلَا عَلَى التمرِ فَالْعَجْوَةُ، وَمَنْ أَكَلَهُ عَلَى ثِقَلٍ فَالْصَيْحَانِيَّةُ^(٤).

الأصمعي قال: قال أعرابي: يُفَضَّلُ الرُّطَبَ عَلَى الْعَسَلِ: أَنْتَجِعُلُ عَسَلَةً فِي أَخْتَاءِ الْبَقَرِ كَعَسَلَةٍ فِي جَوْ السَّاءِ لَهَا مَحَارِسُ مِنْ جَرِيدٍ وَذِرَائِبُ مِنْ زُمُرْدٍ!

وقال الأصمعي: قيل لابن القَدَّاحِ: أَيُّ التمرِ أَطْيَبُ؟ فَدَعَا بِأَنْوَاعِ التمرِ، فَلَمَّا أَكَلُوا قَالَ: آتَنظُرُوا أَيُّ النوى أَكْثَرُ؟ قَالُوا: نوى الصَيْحَانِيَّةِ، قَالَ: هُوَ أَطْيَبُ.

(١) الجزى: ضرب من السمك. والتمر الزيسان: نوع من التمر جيد، واحده زيسانة، وفي الأصل «تمر برسانية» وهو تحريف. (٢) كذا في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٢٤ طبع بولاق). ورواية الأصل: * أَلَا لَيْتَ خُبْرًا قَدْ تَمْرَبَلٍ رَائِبًا *

(٣) الصيحاني: ضرب من التمر أسود صلب المضغ نسب إلى صيحان وهو كبش كان يربط إلى نخلة بالمدينة فأثمرت تمرًا فنسب إليه. ويقال: صلبت التمرة إذا بلغت اليبس (انظر اللسان مادة صلب).

(٤) يقال: خلا على بعض الطعام إذا اقتصر عليه. قال الجنياني: تميم تقول: خلا فلان على اللبن وعلى اللحم إذا لم يأكل معه شيئًا ولا خلطه به. قال: وكثارة وقيس يقولون: أحلى فلان على اللبن واللحم.

وقال الأصمعي : العرب تقول للبخيل الأَكُول : «أَبْرَمًا قَرُونًا»^(١) أى لا يُخْرِج

مع أصحابه شيئاً ويأكل تمرّين تمرّين .

وقال النابغة يصف تمراً :

صغارُ النوى مكنوزةٌ ليس قشرُها * اذا طار قشرُ التمر عنها بطائر

- سميع الحسن رجلًا يعيبُ الفالوذجَ^(٢) فقال : فُتاتُ البرِّ بلعابِ النحل بخالِص
السَّمين ! ما عاب هذا مسلم . وقال لفرقد السَّبِيخي : يا أبا يعقوب ، بلغني أنك لا تأكلُ
الفالوذجَ ، فقال : يا أبا سعيد ، أخافُ ألا أُؤدّي شكرَهُ ، فقال : يا ألكم ! وهل تُؤدّي شكرَ
الماءِ البارد [في الصَّيفِ والحارِّ في الشتاء ! أما سمعتَ قولَ الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾] .

- ١٠ (١) كذا ورد هذا المثل في جمع الأمثال للبداني ولسان العرب مادة «برم» والبرم : الذى لا يدخل
مع القوم في الميسر لبخله . والقرون : الذى يقرن بين الشئين أى هو برم ويأكل مع ذلك تمرّين تمرّين .
يضرب مثلا لمن يجمع بين خصلتين مكروهتين ، وفي الأصل : «أبرما أكلوا قروما» وهو تحريف .
(٢) الفالوذج : حلواء يسوّى من لب الحنطة . فارسيّ معرّب . وفي الصحاح : الفالوذج والفالوذج
معربة ، قال يعقوب : ولا يقال : الفالوذج . (انظر القاموس وشرحه مادة فلذ) والعرب لا تعرفه حتى حكى أن
عبد الله بن جعدان ، وكان سيّدا شريفا في قریش ، وفد على كسرى مرة وأكل عنده الفالوذج فتمعجب منه
وسأل عن حقيقته ، فقيل : هى لباب البرِّ يلبك مع العسل ، فابتاع من عنده غلاما يصنعه ، وقدم به مكّة فصنع
بها الفالوذج فوضع موائده بالأبطح الى باب المسجد ، ثم نادى : من أراد أن يأكل الفالوذج فليحضر ،
فكان من حضرة أمة بن أبي الصلت ، فقال مادحا :

لكل قبيلة رأس وهادى * وأنت الرأس تقدّم كلّ هادى

- ٢٠ له راع بمكة مشمعل * وآثر فوق دارته ينأدى
الى رُوح من الشيزى ملائ * لباب البرِّ يلبك بالشهاد

(٣) زيادة عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨١) .

الأصمعي قال: اختصم رومي وفارسي في الطعام، فحكما بينهما شيئا قد أكل طعام الخلفاء، فقال: أما الرومي فذهب بالحشو والأحشاء، وأما الفارسي فذهب بالبارد والحلواء.

وعن الأصمعي قال: كنا عند الرشيد فقدمت إليه فالودجة، فقال: يا أصمعي حدثنا بحديث مُزَرَّد، فقلت: إن مُزَرَّدًا أخا السماخ كان غلاما جشعا وكانت أمه تؤثر عيالها بالطعام عليه وكان ذلك يُحفظه، فخرجت أمه ذات يوم تزور بعض أهلها، فدخل مُزَرَّدُ الخيمة وعمد إلى صاعين دقيقين وصاعين من تمر وصاعين من سمن فجمعه ثم جعل يأكله وهو يقول:

ولما غدت أُمِّي تَمِيرُ بَنَاتِهَا * أَغْرَتُ عَلَى الْعِمِّ الَّذِي كَانَ يُنْعُ
لَبَكْتُ بِصَاعِي حِنْطَةٍ صَاعَ عَجْوَةٍ * إِلَى صَاعِ سَمْنٍ فَوْقَهُ يَتَرَعُ^(٤)
وَدَبَلْتُ امْشَالَ الْأَثْنَانِي كَأَنَّمَا * رُءُوسُ نَقَادٍ قُطِّعَتْ يَوْمَ تَجْمَعُ^(٦)
وَقُلْتُ لِبَطْنِي أَبْشِرِ الْيَوْمَ إِنَّهُ * حَمَى أُمَّنَا مِمَّا تَحْوُزُ وَتَرْفَعُ
فَإِنْ كُنْتَ مَصْفُورًا فَهَذَا دَوَاؤُهُ * وَإِنْ كُنْتَ غَرْنَانًا فَذَا يَوْمٌ تَشْغَعُ^(٨)
فَضَحِكَ الرَّشِيدُ حَتَّى اسْتَلْقَى عَلَى ظَهْرِهِ، ثُمَّ قَالَ: كُلُوا بِأَسْمِ اللَّهِ، هَذَا يَوْمٌ تَشْغَعُ
[يا أصمعي].^(٩)

(١) يحفظه: ينضبه. (٢) العِمِّ: النمط تجمله المرأة كالوعاء تدخر فيه مناعها. (٣) لبكت: خلطت، واللبكة: أقط ودقيق أو تمر ودقيق يخلط ويصب عليه السمن. (٤) يتربع: يتبعها هنا ولا يستقر له وجه لكثرة. وفي الأصل: «يتربع» بالبا الموحدة. (٥) دبلى الشيء: جمعت بعضه على بعض وعظمته مثل الكلة. وفي الأصل: «وذيلت» بالذال المعجمة والياء المشناة وهو تحريف (انظر اللسان مادة ريع ودبل). (٦) نقاد: جمع نقدة وهي الصغيرة من الغنم، الذكور والأنثى في ذلك سواء. (٧) المصفور: من به الصفير وهو داء في البطن يصفر منه الوجه. (٨) غرنان: جائع؛ وقد وردت هذه الأبيات في الجزء الثالث من العقد الفريد ص ٣٨٥ باختلاف قليل في بعض ألفاظها عما هو مثبت هنا. (٩) زيادة عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٥).

قال : وكتب الحجاج الى عامله بفارس : ابعث الى عسلا من عسل خلار^(١) من النحل الأبيكار، من الدستفشار، الذي لم تمسه النار .

وقال الأصمعي : كتب بعض الخلفاء الى عامله بالطائف^(٢) أن أرسِلْ الى بعسل أخضر في سقاء، أبيض في الإناء ، من عسل الندغ^(٣) والسقاء^(٤)، من حداب^(٥) بنى شبابة .

والعرب تصف العسل بالبرودة .

وفي حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن أفضل الشراب قال : «الحلواء البارد» يعني العسل . وقال الأعشى :

كما شيب بماء با * ريد من عسل النحل

- ويقال : أجود العسل الذهبي الذي اذا قطرت منه قطرة على وجه [الأرض]^(٥) ١٠
استدار كما يستدير الزئبق ولم ينفس ولم يختلط بالأرض والتراب .
والروم تقول : أجوده ما يلطخ على فتيلة ثم تسعل فيه النار فيعلق .
وسئل ديمقراطيس العالم عما يزيد في العمر فقال : من أدام أكل العسل
ودهن جسمه به زاد الله بذلك في عمره .

- ١٥ (١) خلاركرمان : موضع بفارس ينسب اليه العسل الجيد . والدستفشار : كلمة فارسية ومعناها
عما عصرته الأيدي وعالجته . (انظر القاموس وشرحه مادة خلر) . وقال ابن سيده في المختص (ج ٥
ص ١٨ طبع بولاق) : قال أبو حنيفة : المستفشار والدستفشار : العسل الذي لم تمسه النار . وقال .
ليست واحدة منهما عربية لأن هذا البناء ليس من كلامهم . (٢) كذا في الأصل ، وفي اللسان
مادة «ندغ» أن الذي كتب الحجاج ، والحجاج لم يكن من الخلفاء كما هو مذكور هنا . (٣) الندغ :
الصعتر البري وهو ما ترعاه النحل وتعمل عليه وعسله أطيب العسل . وفي الأصل «البذع» ٢٠
(٤) السقاء : ثبت آخر من مراعى النحل يطيب عسله عليه ، وفي الأصل «السقاء» . وحداب بنى شبابة :
جبال بالمرأة ينزلها بنو شبابة . قوم من فهم بن مالك كما في اللسان وشرح القاموس مادة (حدب) .
وفي الأصل : «حدب» بدون ألف . (٥) في ما يعول عليه في المضاف والمضاف اليه للحي ،
وفي لطائف المعارف للنعالي ص ١١٠ طبع أوروبا : «أن خير الأعسال كلها عسل أصهار» ، وأن
في أجوده هذه الخاصة وذكر النعالي أنه يحمل منه كل سنة الى السلطان ألفا رطل ٢٥

وَالْعَسَلُ إِنْ جُعِلَ فِيهِ اللَّحْمُ الطَّرِيُّ بَقِيَ كَهَيْئَتِهِ حَتَّى لَا يَتَنَّنَ . وَيَقَالُ : مَنْ كَانَ بِهِ دَاءٌ قَدِيمٌ فَلْيَأْخُذْ دِرْهَمًا حَلَالًا وَلْيَشْتَرِ بِهِ عَسَلًا ثُمَّ يَشْرَبُهُ بِمَاءٍ سَوَاءٍ فَإِنَّهُ يَبْرَأُ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى . وَكَانَ الْحَسَنُ يُعْجِبُهُ إِذَا اسْتَمَشَى الرَّجُلُ أَنْ يَشْرَبَ اللَّبَنَ وَالْعَسَلَ .

وَيَزْعَمُ أَصْحَابُ الطَّبَائِعِ أَنَّ الْعَسَلَ إِذَا دِيفَ بِالْمَاءِ وَخُلِطَ مَعَهُ زَيْتٌ أَوْ دُهْنٌ سَمِيمٌ نَافِعٌ لِمَنْ شَرِبَ السُّمُومَ وَالْأَدْوِيَةَ الْقَاتِلَةَ يُتَقَيَّأُ بِهِ .

مِمُونُ بْنُ مِهْرَانَ عَنْ أَبِي عَبَّاسٍ قَالَ — وَلَا أَعْلَمُهُ إِلَّا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — أَنَّهُ قَالَ : «أَكْرِمُوا الْخَبْزَ فَإِنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ» .

الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : كَانَتْ امْرَأَةٌ مِنْ بَكْرَيْنَ وَائِلَ تَنْزِلُ الطَّفَاوَةَ وَكَانَتْ قَدْ أَدْرَكَتْ بَعْضَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ الْعُبَادُ يَغْشَوْنَهَا فِي مَنْزِلِهَا ، فَعَابَ عَائِبٌ عِنْدَهَا السَّوِيقَ ، فَقَالَتْ : لَا تَفْعَلْ ! إِنَّهُ طَعَامُ الْمَسَافِرِ ، وَطَعَامُ الْعَجَلَانِ ، وَغِذَاءُ الْمُبَكَّرِ ، وَبُلْغَةُ الْمَرِيضِ ، وَيَشُدُّ فَوَادَ الْحَزِينِ ، وَيُرَدُّ مِنْ نَفْسِ الضَّعِيفِ ، وَهُوَ جَيِّدٌ فِي التَّسْمِينِ وَتَقَاوَةِ الْبَالِغِ ، وَمَسْمُونُهُ يَصْفَى الدَّمَ ، إِنْ شِئْتَ كَانَ ثَرِيدًا ، وَإِنْ شِئْتَ كَانَ خَمِصًا ، وَإِنْ شِئْتَ كَانَ حُبْرًا .

وَكَانَ غَسَّانُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ كَاتِبَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ يَقُولُ لِجَارِيَتِهِ : خَوِّضِي لَنَا سَوِيقًا فَأَخْثِرِيهِ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ لَا يَسْتَحِي أَنْ يَزِدَّ مَاءً فَيَرْقِّقَهُ ، وَيَسْتَحِي أَنْ يَزِدَّ سَوِيقًا فَيُخْثِرَهُ بِهِ .

(١) اسْتَمَشَى : اسْتَطْلَقَ بَطْنَهُ . (٢) دِيفَ : خَلَطَ (٣) فِي الْأَصْلِ : «كَانَ فِي الطَّفَاوَةِ امْرَأَةٌ مِنْ بَكْرَيْنَ وَائِلَ تَنْزِلُ الطَّفَاوَةَ ... انْطَحَ» . (٤) الطَّفَاوَةُ : حَيٌّ مِنْ قَيْسِ عِيلَانَ ، وَمَوْضِعٌ بِالْبَصْرَةِ سَمِيَ بِالْقَبِيلَةِ الَّتِي نَزَلَتْ . (٥) كَذَا بِالْأَصْلِ ، وَهَذَا التَّكَرُّارُ لَا يَتَّفِقُ مَعَ بِلَاغَةِ السِّيَاقِ ، وَفِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ : «طَعَامُ الْمَسَافِرِ وَالْعَجَلَانِ» . (٦) سَمِنَ الطَّعَامُ يَسْمُنُهُ سَمْنًا فَهُوَ مَسْمُونٌ : عَمَلَهُ بِالسَّمَنِ وَلْتَهُ بِهِ . (٧) خَنَقُوزُ الشَّرَابِ وَخَاضَهُ : خَلَطَهُ وَحَرَّكَهُ . وَالْخَنُوزَةُ : ضِدُّ الرِّقَّةِ ، يَقَالُ : أَخْثَرُ الشَّيْءِ . وَخَثَرَهُ إِذَا غَلَطَهُ بَعْدَ الرِّقَّةِ .

مرَّ عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بعبد الحميد بن علي وهو في مَرَزَعَتِهِ
وقد عَطِشَ، فاستسقاءه نفاض له سَوِيقٌ لَوِزٍ فسقاه إياه؛ فقال عبد الله :
شَرِبْتُ طَبْرَزْدًا بِفَرِيضٍ مُزَيْنٍ * وَلَكِنَّ الْمِلَاحَ بِكُمْ عِذَابُ
وما [هو] بِالطَّبْرَزْدِ طَابَ لَكِنْ * بِمَسِّكَ إِنَّهُ طَابَ الشَّرَابُ
وأنت إذا وَطِئْتَ تَرَابَ أَرْضٍ * يَطِيبُ إِذَا مَشَيْتَ بِهِ التَّرَابُ
لِأَنَّ نَدَاكَ يَنْفِي الْمَحَلَّ عَنْهَا * وَتُحْيِيهَا أَيَادِيكَ الرَّطَابُ^(١)

وقال الحسن : لَا تَسْقُوا نِسَاءَ كَمْ السَّوِيقُ، فَإِنْ كُنْتُمْ لَا بَدَ فَاعْلَيْنَ فَاحْفَظُوهُنَّ .
وقال الرقاشي : السَّمْنَةُ لِلنِّسَاءِ غُلْمَةٌ وَهِيَ لِلرِّجَالِ غَفْلَةٌ .

عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ : اللَّبَنُ
وَالسَّوَاكُ^(٢) وَالدَّهْنُ» .

الرياشي قال : سمعتُ أبا يزيد يقول : رأيتُ رجلاً كأنَّ أسنانه الذهبُ لشربه
اللَّبَنَ حَارًّا .

الأصمعي عن ذى الرمة أنه قال : إِذَا قَلَّتْ لِلرَّجُلِ : أَى اللَّبَنِ أَطِيبُ ؟ فَإِنْ
قال : قَارِصٌ، فَقُلْ : عَبْدٌ مَنْ أَنْتَ؟ وَإِنْ قال : الحليبُ، فَقُلْ : ابْنُ مَنْ أَنْتَ؟^(٣)

مرَّ رجل من قريش بامرأة من العرب في بادية، فقال : هل من لبن
يُبَاعُ؟ فقالت : إِنَّكَ لَتِئِمُّ أَوْ قَرِيبٌ عَهْدٌ بِقَوْمٍ لَتِئِمَّ .

(١) الطبرزد : السكر فارسي معرب . ويقال فيه : طبرزن وطبرزل بالنون واللام (انظر القاموس
وشرحه مادة طبرزد ومفردات ابن البيطار طبع بولاق في اسم الطبرزد) . (٢) الفريض من اللحم
والماء واللبن والتمر والجديد الطازج . (٣) في الأصل : «وتجنبا» بالميم والنون وهو تحريف .
(٤) في الأصل هكذا : «السواك» وهو تحريف . (٥) القارص : الحامض .
(٦) أى هو عبد، لأنه باستطاعته الحامض دل على أنه لم ير خيرا منه ، اذ العبد يأكل ما يفضل من مواليه
فلا يصل إليه الحليب إلا حامضا .

وكان يقال : اللبنُ أحدُ اللَّحْمَيْنِ .

وقال بعضُ المدينيين : مَنْ تَصْبَحُ ^(١) بِسَبْعِ مَوَزَاتٍ ^(٢) وَبِقَدَحٍ مِنْ لبنٍ إِبِلٍ أَوَّارِكٍ ^(٣) تَجَشَّأَ بِخَوَرِ الكَعْبَةِ .

وقف معاويةُ على امرأةٍ فقال : هل مِنْ قِرَى ؟ فقالت : نعم ، قال : وما هو ؟ قالت : خُبْزٌ نَمِيرٌ وَلَبَنٌ فَطِيرٌ وَمَاءٌ نَمِيرٌ ، والعرب تقول : «إِنَّ الرِّثْيَةَ تَفْتَأُ الغَضْبَ» .
والرِّثْيَةُ : اللبنُ الحامضُ يُحْلَبُ عليه الحليبُ ، وهو أطيبُ اللبنِ . قال بعضُ الأعراب :

وإذا خَشِيتَ على الفؤَادِ لِحَاجَةً * فاضْرِبْ عليه بِمِرْعَةٍ مِنْ رَائِبٍ

وعن مطر الوراق : أَنَّ نَبِيًّا مِنَ الأنبياءِ شكا إلى الله تعالى الضعفَ ، فأوحى الله

إليه : أَنْ أَطْبِخَ اللبنَ باللحمِ ، فَإِنَّ القُوَّةَ فِيهِمَا .

وصف أعرابيٌ خَضَبَ البادية فقال : كُنْتُ أَشْرَبُ رِثْيَةً تَجْرُهَا الشَّفْتَانِ
جَرًّا ، وَقَارِصًا إِذَا تَجَشَّأْتُ جَدَعَ أَنْفِي ، وَرَأَيْتُ الكَمَاةَ تَدُوسُهَا الإِبِلُ بِمَنَاسِمِهَا ، وَخُلَاصَةً
يَسْمُهَا الكَلْبُ فَيَعِطُسُ .

وتقول الأطباءُ : إِنَّ اللبنَ إِذَا سُخِّنَ بالنارِ وَسِيطَ ^(٧) يَعُودُ مِنْ عِيدَانِ شَجَرِ التَّيْنِ

رَابٍ مِنْ سَاعَتِهِ . وقالوا : وَإِنْ أَرَادَ صاحِبُهُ أَلَّا يَرُوبَ وَإِنْ كَانَ فِيهِ رُوبَةٌ جَعَلَ فِيهِ

شَيْئًا مِنَ الحَبَقِ ، وَهُوَ الفُؤْدُجُ النُّهْرِيُّ ، فَإِنَّهُ يَبْقَى كَهَيْئَتِهِ .

(١) تصبح : أكل شيئًا قليلًا يتعلل به . (٢) كذا في الأصل ولعلها «لوزات» أو «تمرات» .

(٣) الإبل الأوارك : التي تأكل الأراك . (٤) الماء النَمِيرُ : الناجع في الرى ، وقيل :

الماء النَمِيرُ : الكثير . واللبنُ الفَطِيرُ : الطرى القريب العهد من الحلب . (٥) هذا مثل ذكره

الميداني وقال : الرِثْيَةُ : اللبنُ الحامضُ يَخْلَطُ بالحلوى ، وَتَفْتَأُ الغَضْبُ أى تكسره وتذهب . وأصله أَنَّ رجلاً

نَزَلَ بِقَوْمٍ وَكَانَ سَاخِطًا عَلَيْهِمْ وَكَانَ مَعَ سِخْطِهِ جَائِعًا فَسَقَوْهُ الرِثْيَةَ فَسَكَنَ غَضَبَهُ . (٦) الخلاصة : انظر

والسويق يلقي في السمن . (٧) سيط : حرّك . (٨) في الأصل : «فإن» .

(٩) الفؤدج : تبت ، معزب عن يوذيتة .

أخبار من أخبار العرب في ما كلهم ومشاربهم

المعلّي الرّبيعيّ قال : مكثت ثلاثاً لا أذوق طعاماً ولا أشرب فيهنّ شراباً ،
فدعوت الله تعالى ، وإذا دعا العبد الله بقلب صادق كانت معه من الله عينٌ بصيرةٌ ،
فدفعْتُ إلى ذئبين في جفٍّ^(١) ، فرميتُهما فقتلتُهما ، ثم أتيتُ جَفْرًا فيه ماء فاستقيتُ ، ثم
أتيتُهما وإذا هما على مهيديتي^(٢) ، وإذا لهما نخفةٌ — يعني شبة الزفير — فاشتويتُ
وأخذتُ^(٣) وأذهنت .

قال ابن قُرْفَة (شيخ من سليم) : أضافني رجل من الأعراب بخاءني بِقِدْرِ^(٤)
جماع ضخمٍ ليس فيها شيء من طعام إلا قَطَعُ لحم ، فاذا بَضْعَةٌ تَمَّتْ في فمي ، وبَضْعَةٌ
كأنها بَضَعُ ساقٍ ، وبضعة كأنها شحم زخمٍ^(٥) ، فقلت : ما هذا ؟ فقال : إني رجل صياد ،
جمعتُ بين ذئبٍ وظبيٍّ وضَبَعُ .

قال مدني لأعرابي : ما تأكلون وما تدعون ؟ قال : نأكل ما دَبَّ ودَرَج
إلا أم حُبِينٍ ، فقال المدني : ليهنّي أم حُبِينٍ العافية^(٦) .

- (١) الجفْر : البئر الواسعة التي لم تطو ، وقيل : هي التي طوى بعضها ولم يطو بعض . (٢) على مهيديتيما : على حالهما التي كانا عليهما ، يقال : هو على مهيديته ومهيدته ، بالهمز وعدمه ، حكاة ثعلب وقال : لا مكبر لها . وقد ذكرها صاحب اللسان والقاموس في مادتي (هدى) و(هدأ) . (٣) احتذيت : اتخذت نعلا . (٤) قدر جماع وجامعة : عظيمة ، وقيل : هي التي تجمع الجزور . (٥) تَمَّتْ : تمتد وتقطط . (٦) زخم : كره حيث الراحة . (٧) بجاء مهمل مضمومة وباء موحدة مخففة : دويصة قيل : هي ضرب من العطاء ، وقيل : هي أعرض من العطاء ، وتيل : هي أنثى الحرباء . وقيل غير ذلك ، وهي منته الريح تنحاماها الأعراب فلا يأكلونها لنتها ، ويقال لها : حبيبة معرفة بلا ألف ولام وإنما سميت بذلك لكبر بطنها ، من الحبن الذي هو الشق في البطن . تقول : فلان به حبن فهو أحبن أي مستسق ، فسميت بذلك لشبهها بالمستسق . (٨) في الأصل : «لبن» قال شارح القاموس في مادة هنا : تقول العرب في الدعاء : ليهنك الفارس بجزم الهمة وليهنك الفارس بباء ساكنة ، ولا يجوز ليهنك كما تقول العامة : أي لأن الباء بدل من الهمة ، ثم قال : وقد ورد في صحيح البخاري في حديث توبة كعب بن مالك : يقولون : ليهنك توبة الله عليك . راجع شرح القاموس (مادة هنا) .

قعد على مائدة الفضل بن يحيى رجل من بنى هلال بن عامر، فذكروا الضَّبَّ
ومن يأكله، فأفرط الفضل في ذمّه وتابعه القوم، فغاض الهلالي ما سمع منهم،
ولم يكن على المائدة عربى غيره، ثم لم يلبث أن أتى الفضل بصحفة فيها فراخ
الزناير، فلم يشك الأعرابي أنها ذبّان البيوت، فقال حين خرج :

وعِلج يعاف الضبَّ لؤماً وبطنَةً * وبعض إدام العِلج هامٌ ذبّاب
ولو أنّ ملكاً في الملائكة أمّة * لقالوا لقد أوتيت فصل خطاب

وقال أبو الهندي (رجل من العرب) :

أكلت الضبابَ فما عَفْتُها * وإني لأشهى قديد الغنم^(٤)
ولحم الخروف حنيذاً وقد * أثبتُ به فاتراً في السّم^(٥)
فأما البهط^(٦) وحيثانكم * فما زلتُ منها كثير السقم^(٧)
وقد نلتُ منها كما نلتُم * فلم أر فيها كضب هريم

- (١) قال الدميري في حياة الحيوان (ج ٢ ص ١٢) في الكلام على الزنبر : « وفراخ الزناير
تؤخذ من أوكارها وتغلى في الزيت ويطرح عليها سذاب وكراويا وتؤكل » وذكر خاصة لذلك .
(٢) كذا في كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٦ ص ٢٨) « وقد وردت فيه هذه الحكاية وهي لا تختلف
في المعنى عما ورد في الأصل . وفي الأصل : « وعِلج يعاف الضب واللوم بطنه » (٣) كذا
ورد في اللسان (مادّى عرب وبهط) منسوباً إليه بعض هذه الأبيات ، وقد عقد له المؤلف ترجمة
في كتابه الشعر والشعراء (ص ٤٢٩) وفي الأصل : « أبو هند » (٤) القديد : اللحم
الملوح المحفف في الشمس . (٥) حنيذاً : مشوى . (٦) كذا في الدميري (ج ٢ ص ٩٣)
والحيوان للجاحظ ، وقد فسره الدميري بماء الأسنان وهو غير واضح ، والظاهر أنه بمعنى البرد كما هو معناه
اللقوى . وفي الأصل : « السّم » وهو تحريف . (٧) قال في اللسان : « البهط : كلمة سندية وهي
الأرز يطبخ بالبن والسمن خاصة بلا ماء ، واستعملته العرب بالهاء فقالت : بهطة طيبة » .

ولافي البيوض كبيض الدجاج * وبيض الدجاج شفاء القرم^(٢)
وممكن الضباب طعام العريب^(٤) * ولا تشتهيه نفوس العجم^(٣)
وقال بعض الأعراب :

وأنت لو ذقت الكشي^(٥) بالأجاذ * لما تركت الضب يعدو بالواد

ونزل رجل من العرب برجل من الأعراب فقدم اليه جرادا، فقال :

لحي الله بيتنا صمئي بعد هجمة * اليه دجوجي من الليل مظلم
فأبصرت شيخا قاعدا بفنايه * هو العنز إلا أنه يتكلم
أتانا ببرقان^(٦) الدبي في إنائه * ولم يك برقان الدبي لي مطعم
فقلت له غيب إناءك واعتزل^(٧) * فهل ذاق هذا، لا أبالك، مسلم

وقال بعض العباسيين :

ليت شعري متى تحب بي النا * قة نحو العذيب فالصنين^(٩)
محسبا زكرة^(١١) وخبر رقاق^(١٢) * وجيننا وقطعة من نون^(١٠)

- (١) كذا في حياة الحيوان للدميري وكتاب الحيوان للمجاهد . وفي الأصل : « وبيض الجراد » .
- (٢) كذا في حياة الحيوان للدميري وكتاب الحيوان للمجاهد . والقرم (يفتح القاف والراء) : شدة الشهوة الى اللحم . وفي الأصل « الشقم » وهو تحريف . (٣) الممكن (يفتح الميم وإسكان الكاف) وبالنون في آخره : بيض الضبة . (٤) العريب : تصغير العرب ، قال في اللسان مادة عرب : صفرهم تعظيما كما قال : أنا جدي لها المحكك وعذيقها المرجب . وفي الأصل « العريب » بالعين المعجمة وهو تحريف . (٥) الكشي : جمع كشبة (ضم الكاف وإسكان الشين) وهي أصل ذنب الضب . (٦) البرقان : جمع برقانة وهي الجرادة المتلونة . والندى : الجراد ، أي أتنانا بالمتلون من الجراد .
- (٧) في الأصل : « فناك » . (٨) ذكر هذا الشعر بالخزء الثاني من كتاب الأغاني (طبع دار الكتب المصرية ص ٣٤٨) منسوب الى حنين بن بلوع الحيرى ، ولم يذكر أبو الفرج أنه أدرك الدولة العباسية . (٩) العذيب : ماء لبنى تميم ، وهو أول ماء يلقى الانسان بالبادية اذا سار من قادية الكوفة يريد مكة . (١٠) الصنين : بلد كان بظاهر الكوفة من منازل المنتذر وبه شهر ومزارع . ورواية الأغاني في هذا الشطر : « بين السدير والصنين » وفي اللسان : « بين العذيب فالصنين » بفاء العطف وهو ما اخترناه . وفي الأصل : « في الصنين » . وفي هذا الشعر السناد وهو ، كما فسره ابن سيده ، مخالفة بين الحركات التي تلى الأرداف في الروى . (١١) يقال : أحقب الزكرة واحتقبها اذا احتملها خلفه . (١٢) الزكرة بالزاي : زق يجعل فيه شراب أو خل . (١٣) الجين تصغير الجين المأكول . والنون : الحوت .

وقال بعض الأعراب :

أقول له يوماً وقد راح صُحْبَتِي * تُرَى أبتغي من صَيْدِهِ وَأَخَاتِلُهُ
فلما التَقْتُ كَفَى عَلَى فَضِيلِ ذَيْلِهِ * وشالت شِمَالِي زَايِلَ الضَّبِّ بَاطِلُهُ^(٢)
فأصبحَ مَحْنُودًا نَضِيجًا وَأَصْبَحْتُ * تَمَشِّي عَلَى الْقِيزَانِ حَوْلًا حَلَالُهُ^(٣)
شَدِيدَ أَصْفَرَارِ الْكُشَيْتَيْنِ كَأَنَّمَا * تَطَلَّى بَوْرِسَ بَطْنِهِ وَشَوَا كَلُهُ^(٤)
فذلك أَشْهَى عِنْدَنَا مِنْ نَتَاجِكُمْ * لَحَى اللَّهُ شَارِيَهُ وَقُبِّحَ آكِكُهُ^(٥)
^(٦)

وبنو أسيد تُعَيَّرُ بِأَكْلِ الْكَلَابِ، قال الفرزدق :

إِذَا أَسِيدِي جَاعَ يَوْمًا بِلَدَةٍ * وَكَانَ سَمِيًّا كَلْبُهُ فَهُوَ آكِكُهُ

(١٠)

وَتُعَيَّرُ أَيْضًا بِأَكْلِ لَحُومِ النَّاسِ، كما قال الشاعر :

إِذَا مَا ضِفَّتْ لَيْلًا فَفَقْعَسِيًّا * فَلَا تَأْكُلْ لَهُ أَبَدًا طَعَامًا

فَإِنَّ اللَّحْمَ إِنْسَانٌ فَدَعُهُ ■ وَخَيْرُ الزَّادِ مَا مَنَعَ الْحَرَامَا

(١) في الأصل : « وأخطره » والقافية في الشعر اللام * وقد ورد هذا الشطر في كتاب الحيوان للجاحظ

(ج ٦ ص ٢٧ طبع مصر) :

* وبالله أبغى صيده وأخاتله *

(٢) كذا في كتاب الحيوان، وشالت : ارتفعت . وفي الأصل : « نالت » . (٣) الشوا.

المحذ الذي قد أُلْقِيَتْ فوقه الحجارة الموضوعة بالنار حتى ينشوى انشواء شديدا فيترى تحتها .

(٤) القيزان : جمع قوز (بالفتح) وهو الكشيبي الصغير من الرمل تشبه به أرداف النساء . (٥) كذا

في كتاب الحيوان . والكشية : شحمة بطن الضب أو أصل ذنبه ، وفي الأساس أنها شحمة مستطيلة في جنبه .

وفي الأصل : « الكشيتين » . (٦) الورس : صبغ أصفر يصبغ به . (٧) الشواكل :

جمع شاكلة وهي الخاصرة . (٨) كذا في كتاب الحيوان . وفي الأصل : « كذلك » بالكاف .

(٩) في الأصل « نيا حكم » بالنون والياء . والحاء المهملة وهو تحريف ، والتصويب عن كتاب الحيوان للجاحظ .

(١٠) نسب هذا الشعر في كتاب البخل للجاحظ (ص ٢٦٢ طبع أوروبا) إلى معروف الديري .

قال رجل : كنت بالبادية فرأيت ناساً حول نارٍ، فسألتُ عنهم فقالوا : صادوا
حيات فهم يَشْتَوْنَهَا وَيَأْكُلُونَهَا، فَأَتَيْتُهُمْ فرأيت رجلاً منهم قد أخرج حيةً من الجمرِ
إِياها كُلُّهَا فامْتَمَتْ عَلَيْهِ، فجعل يمدّها كما يُمدُّ عَصِيبٌ، لَمْ يَنْضَجْ، فلما صرفتُ بصري عنه
حتى لَبِجَ بِهِ فَاتٌ، فسألت عن شأنه فقيل لى : لَجَلَّ عَلَيْهَا قَبْلَ أَنْ تَنْضَجَ وتعمل
فِي سُمِّهَا النَّارُ.

قال رجل من الأعراب لولده : اشترُوا لِي لَحْمًا، فَأَشْتَرَوْهُ فطبخه حتى
تَهَرَّى، وأكل منه حتى انتهت نفسه، وَشَرَعَتْ إِلَيْهِ عَيُونُ وَلَدِهِ فَقَالَ : مَا أَنَا
بِمُطْعِمِهِ أَحَدًا مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ أَحْسَنَ وَصَفَ أَكْلِهِ؛ فَقَالَ الْكَبِيرُ مِنْهُمْ : آكَلَهُ يَا أَبْتَ
حتى لَا أَدْعِي لِلذِّيقِ فِيهِ مَقِيلًا؛ قَالَ : لَسْتُ بِصَاحِبِهِ . فَقَالَ الْآخَرُ : آكَلَهُ حتى
لَا يُدْرَى أَلْعَامِيَهُ هُوَ أَمْ لِعَامٍ أَوَّلُ؛ قَالَ : لَسْتُ بِصَاحِبِهِ . فَقَالَ الْأَصْغَرُ : أَدَقَّهُ
يَا أَبْتَ دَقًّا وَأَجْعَلْ إِدَامَهُ الْمَغْخَ؛ قَالَ : أَنْتَ صَاحِبُهُ، هُوَ لَكَ .

بيننا أعرابي يسير وهو يُوضِعُ بَعِيرَهُ إِذْ سَقَطَ بَعِيرُهُ فَتَحَرَّهَ وَأَكَلَهُ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ :
إِنَّ السَّعِيدَ مِنْ يَمُوتُ بِجَمَلِهِ * يَشْبَعُ لَحْمًا وَيَقِلَّ عَمَلُهُ

ومرَّ رجلٌ من سُلُولِ بَغْتِيانٍ يَشْرَبُونَ فَشَرِبَ مَعَهُمْ؛ فَلَمَّا أَخَذَ مِنْهُ الشَّرَابَ قَامَ
إِلَى بَعِيرِهِ فَتَحَرَّهَ، وَقَالَ :

عَلَّانِي إِنَّمَا الدُّنْيَا عِلَلٌ * وَدَعَانِي مِنْ مَلَامٍ وَعَدَلٌ
وَأَنْشَأَ مَا أَغْبَرَ مِنْ قَدْرِيكَمَا * وَأَسْقِيَانِي أَبْعَدَ اللَّهِ الْجَمَلُ

(١) يقال : لبج بالرجل ولبط به إذا صرع . (٢) يوضع بغيره : يعديه ويجمله على

العدو الخبيث . (٣) نسل اللحم (من بابي ضرب ونضر) وأنشله : أخرجه من القدر بيده من

غير المرفقة .

آداب الأكل والطعام

عن أبي هريرة قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : "الْأَكْلُ فِي السُّوقِ دَنَاءٌ"^(١). وعن عبد الرحمن بن عِرَالٍ قال : بلغني أنه من غسل يده قبل الطعام كان في سَعَةِ من الرِّزْقِ حتى يموت .

عن الحسن أنه قال : الوُضوءُ قبل الطعام يَنْفِي الفقرَ وبعده يَنْفِي الِئْمَ^(٢) .

وعنه قال : قيل لِسَمُرَةَ بنِ جُنْدَبٍ : إِنْ أَبَاكَ أَكَلَ طَعَامًا كَادَ يَقْتُلُهُ ، قال : لو مات ما صَلَّيْتُ عليه .

وعن شُرَحْبِيلِ بنِ مسلم قال : قال أبو الدرداء : يَبْسُ العَوْنُ على الدِّينِ قَلْبٌ نَحِيبٌ ، وَبَطْنٌ رَغِيبٌ ، وَنَعْظٌ شَدِيدٌ^(٣) .

أَكَلَ الجَارُودُ معَ عَمْرٍ طَعَامًا ، ثم قال : يَا جَارِيَةُ هَاتِ الدَّسْتُورَ^(٤) ، فقال عمر : امسحْ بِأَسْتِكَ أَوْ ذَر .

قال جعفر : كُنَّا نَأْتِي فَرَقْدَا السَّبِيخِيَّ وَنَحْنُ شَبِيهَةٌ فِعْلَمَنَا^(٥) : إِنْ مِنْ وِرَائِكُمْ زَمَانًا شَدِيدًا ، فَشَدُّوا الْأَزْرَ على أَنْصَافِ الْبَطُونِ ، وَصَغَّرُوا اللَّقْمَ ، وَشَدَّدُوا الْمَضْغَ ،

(١) الِئْم : ما دون الكجائر من الذنوب ، وفي التنزيل العزيز : (الذين يحبون كجائر الإثم والفواحش إلا الِئْم) يعني الذنوب الصغائر . (٢) نحيب : جباب كأنه مترع الفسود .

(٣) بطن رغيب : واسع الجوف ، وهو كناية عن كثرة الأكل وشدة النهم . (٤) هو بشر ابن عمرو بن حنبل بن المعل من بني عبد القيس العبدى الصحابي ، والجارود لقبه ومعناه المشعوم ، لأنه فر بإبله الجرد (التي أصابها الجرد) إلى أخواله من بني شيبان ، ففشا ذلك الداء في إبلهم فأهلكها . وقد على النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه أحاديث . وقتل في خلافة عمر بأرض فارس سنة إحدى وعشرين .

(٥) الدستورد : ثوب أحمر يضرب إلى صفرة حسنة . وهو مركب من "دست" بمعنى ثوب ، و"ورد" بمعنى أحمر ضارب إلى الصفرة ، كما في القاموس وشرحه (مادق دست و ورد) ، ولعله يقصد هنا المذشفة .

(٦) شبيهة : جمع شاب .

وَمُصُّوا الْمَاءَ مَصًّا . وَإِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلَا يُحَلِّنْ لِزَارِهِ فَتَسِعَ أَمْعَاؤُهُ . وَإِذَا جَلَسَ أَحَدُكُمْ لِيَأْكُلَ فَلْيَقْعُدْ عَلَى أَلْيَتَيْهِ ، وَلْيَلْزِقْ بَطْنَهُ بِفَخْذَيْهِ ، وَإِذَا فَرَّغَ فَلَا يَقْعُدْ وَلْيَجِئْ وَلْيَذْهَبْ ، وَآخِثُمُوا فَإِنَّ مِنْ رَائِكُمْ زَمَانًا شَدِيدًا .

وعن عبد الله بن أبي أوفى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " سَأَقِي الْقَوْمَ آخِرَهُمْ شُرْبًا " .

وعن الجارود بن أبي سبرة قال : قال لي بلال بن أبي بردة : أَنَحْضِرُ طَعَامَ هَذَا الشَّيْخِ — يَعْنِي عَبْدَ الْأَعْلَى بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ — ؟ فَقُلْتُ : إِيَّاهُ وَاللَّهِ ؟ فَقَالَ : حَدَّثَنِي عَنْهُ . فَقُلْتُ : نَأْتِيهِ وَكَانَ سَكِينًا ، إِنْ حَدَّثَنَا أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ، وَإِنْ حَدَّثَنَا أَحْسَنَ الْإِسْتِمَاعِ ، فَإِذَا حَضَرَ الْغَدَاءُ جَاءَ خَبَازُهُ فَنَثَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ ؟ فَيَقُولُ : مَا عِنْدَكَ ؟ فَيَقُولُ : بَطَّةٌ بَكْذَا ، وَدَجَاجَةٌ بَكْذَا وَكَذَا . قَالَ : وَمَا يُرِيدُ بِذَاكَ ؟ قُلْتُ : كَيْ يَحْبِسُ كُلُّ إِنْسَانٍ نَفْسَهُ إِلَى مَا يَشْتَهِي ، فَإِذَا وَضَعَ الْخَوَانُ خَوْيَ تَخْوِيَةِ الظِّلِيمِ ^(٦) فَمَالَهُ إِلَّا مَوْضِعُ مُتَكَبِّهِ فَيَجِدُ وَيَهْزُلُ ، حَتَّى إِذَا رَأَاهُمْ قَدْ فَتَرُوا وَكَلُّوا أَكَلَ مَعَهُمْ أَكْلَ الْجَائِعِ الْمَقْرُورِ ^(٧) حَتَّى يُنْشِطَهُمْ بِأَكْلِهِ .

وكان يقال : إِذَا أَجْتَمَعَ لِلطَّعَامِ أَرْبَعُ كَلَلٍ : أَنْ يَكُونَ حَلَالًا ، وَأَنْ تَكُنْ عَلَيْهِ الْأَيْدِي ، وَأَنْ يُفْتَحَ بِاسْمِ اللَّهِ ، وَيُحْتَمَّ بِحَمْدِ اللَّهِ .

- (١) في الأصل : « فتشيع » ، وهو تحريف . (٢) احتموا : امتنعوا عن الطعام ، وفي الأصل : « احتفوا » . (٣) إياها (بالنصب) : معناه الكف ، وقد يرد للتصديق والرضا كما هنا ، ومنه حديث ابن الزبير لما قيل له : يَأْبَنُ ذَاتُ النِّطَاقَيْنِ ؟ فَقَالَ : إِيَّاهُ وَالْإِلَهَ ، أَيْ صَدَقَتْ وَرَضِيَتْ بِذَلِكَ . (٤) سَكِينًا : كثير السكوت قليل الكلام . (٥) في الأصل : « يخني » والتصويب عن العقد الفريد (ج ١ ص ٢٨٦) . (٦) خوى الرجل : فزع ما بين عضديه وجنبه . (٧) كذا في كتاب التاج للباحظ (ص ٢٠ طبع بولاق) وكتاب البخلاء له أيضا (ص ١٩٤ طبع أوروبا) . والقائم : ذكر الطعام . وفي الأصل : « تخوية الطين » وهو تحريف . (٨) المقرور : الذي أصابه القهر وهو البرد .

وكان يُقَالُ : سَمُوا إِذَا أَكَلْتُمْ وَدَنُوا وَسَمْتُوا ^(١) .

قال أَرْوِزُ لِصَاحِبِي طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ : إِنِّي سَلَّطْتُكَ عَلَى الْمَعِيشَةِ ، وَأَشْرَكْتُكَ فِي الْحَيَاةِ ، وَجَعَلْتُكَ أَمِينًا عَلَى نَفْسِي ، وَوَلَّيْتُكَ مِنْ طَعَامِي وَشَرَابِي مَا التَّوَسَّعَ فِيهِ مُرُوءَةً وَالتَّضَيَّقَ فِيهِ دَنَاءَةً ؛ فَأَجْعَلُهُ فِي فَضْلِهِ عَلَى مَا سِوَاهُ كَفَضْلِي عَلَى مَنْ سِوَايَ ، وَفِي كَثْرَتِهِ ككَثْرَةِ مَنْ مَعِيَ عَلَى مَنْ مَعَ غَيْرِي . وَلَا يَشْهَدَنَّ طَعَامِي الَّذِي آكَلُ عَيْنٌ تَرَاهُ وَلَا نَفْسٌ تُحِسُّهُ وَلَا يَدٌ تَدَاوُلُهُ خِلَا نَفْسًا وَاحِدَةً ؛ وَإِنَّمَا أَفْرَدْتُهُ بِذَلِكَ لِتَسْتَحْكِمَ الْحِجَّةَ فِيهِ عَلَى مَنْ أَضَاعَ ، وَتَنْقَطَعَ الشُّبْهَةُ فِيهِ عَمَّنْ غَفَلَ ، وَلَأَجْعَلَ صَاحِبَ ذَلِكَ رَهْنًا بِدَمِ نَفْسِهِ إِنْ هُوَ قَصَرَ فِي صُنْعِهِ أَوْ وَقَعَ بِغَائِلَةٍ .

الأصمعيّ قال حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ صَالِحٍ : أَنَّهُ كَانَ لَهُ جَآمٌ مِنْ حَبِّ رُمَانٍ مَدْقُوقٍ يَسْفُفُ مِنْهُ بَيْنَ كُلِّ لَوْنَيْنِ مِلْعَقَةً حَتَّى يَعْرِفَ اخْتِلَافَ الْأَلْوَانِ . ١٠

وفِيهَا أَجَازَ لَنَا عُمَرُو بْنُ بَجْرٍ مِنْ كِتَابِهِ قَالَ : كَانَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الثَّوْرِيُّ يَقْعُدُ ^(٢) أَبْنَاهُ مَعَهُ عَلَى خِوَانِهِ يَوْمَ الرَّأْسِ ، ثُمَّ يَقُولُ : إِيَّاكَ وَنَهْمُ الصَّبِيَّانِ وَأَخْلَاقُ النِّوَائِحِ ، وَ[دَعِ عَنْكَ] ^(٥) خَبْطُ الْمَلَّاحِينَ وَالْفَعْلَةِ ، وَنَهَشُ الْأَعْرَابِ وَالْمِهْنَةِ ، وَكُلُّ مَنْ بَيْنَ يَدَيْكَ ؛ فَإِنَّ حَظَّكَ الَّذِي وَقَعَ وَصَارَ إِلَيْكَ . وَاعْلَمْ أَنَّهُ إِذَا كَانَ فِي الطَّعَامِ شَيْءٌ طَرِيفٌ أَوْ لُقْمَةٌ كَرِيمَةٌ أَوْ بَضْعَةٌ شَهِيَّةٌ ^(٦) ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ لِلشَّيْخِ الْمُعْظَمِ وَالصَّبِيِّ الْمَدْلَلِ ، وَلَسْتَ ١٥

(١) دَنُوا : كَلُوا عَمَّا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا يَلِيكُمْ وَمَا دَنَا وَقَرَّبَ مِنْكُمْ . وَسَمْتُوا : أَمْرٌ مِنَ التَّسْمِيَةِ وَهُوَ الدِّعَاءُ بِالْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ . (انظر اللسان ما دَقِيَ سَمْتُ وَدَنَا) . (٢) كَذَا فِي الْأَصْلِ وَكُتِبَ بِالْخَلَاءِ لِلْمُحَافَظِ (ص ١١٥) ؛ وَفِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ «أَبُو عَمَّانُ الثَّوْرِيُّ» . (٣) وَرَدَ فِي كِتَابِ الْبَخْلَاءِ : أَنَّ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ هَذَا كَانَ يُعْجِبُ بِالرُّؤُوسِ وَيُحَمِّدُهَا وَيُصَفِّهَا وَكَانَ يُسَمِّي الرَّأْسَ عَرَسًا . فَلَعَلَّ الْمَقْصُودَ مِنْ قَوْلِهِ «يَوْمَ الرَّأْسِ» ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي يُجْتَمِعُ لَهُ فِيهِ هَذَا النَّوعُ مِنَ الطَّعَامِ . (٤) كَذَا فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ ■ وَفِي الْأَصْلِ «وَنَهْمُ السُّلْطَانِ» . (٥) الزِّيَادَةُ عَنْ كِتَابِ الْبَخْلَاءِ (ص ١١٧) (٦) الْبَضْعَةُ (بِفَتْحِ الْبَاءِ وَتَكْسِيرِ) : الْقِطْعَةُ مِنَ اللَّحْمِ .

واحدا منهما. وأنت قد تأتى الدعوات، وتُجيب الولايم، وتدخل منازل الإخوان،
وعهدك باللحم قريب، وإخوانك أشد قرما إليه منك، وإنما هو رأس واحد، فلا
عليك أن تتجافى عن بعض وتُصيب بعضا. وأنا بعد أكره لك الموالاة بين اللحم،
فإن الله يُغضُّ أهل البيت اللّحمين^(٣).

وكان يقال: مُدِينُ اللحم كمدِينِ الخمر.

ورأى رجل رجلا يأكل لحما، فقال: لحمٌ يا كل لحما، أف هذا عملا! .

وكان عمرُ يقول: لِمَا كَمْ وهذه المجازر، فإن لها ضراوة كضراوة الخمر.

يا بُنَى عَوْدَ نَفْسِكَ الأثرة^(٤) ومجاهدة الهوى والشهوة، ولا تنهش نهش السباع،

ولا تَحْضِمَ حَضَمَ البراذين، ولا تُدْمِنَ الأكلَ إدمانَ النعاج، ولا تَلْقَمَ لَقَمَ الجمال،

فإن الله تعالى جعلك إنسانا وفضلك، فلا تجعل نفسك بهيمة ولا سبعا. وأحذر

سرعة الكِطْطَةِ وسَرَفِ البِطْنَةِ^(٥).

قال بعض الحكماء: إذا كنت بطينا فَعَدَّ نفسك من الزمى. وقال الأعشى:

... .. والبِطْنَةُ مِمَّا تُسَفِّهُ الأَحْلَامَا^(٦)

وأعلم أن الشَّبعَ داعية البَشَمِ، وأن البَشَمَ داعية السَّقَمِ، وأن السَّقَمَ داعية الموت،

فمن مات بهذه المِيتَةِ فقد مات مِيتَةً لثِيمَةً، وهو مع هذا قاتل نفسه، وقاتل نفسه

الأُمُّ من قاتل غيره.

(١) قرم الرجل الى اللحم قرما: اشتدت شهوته اليه. (٢) كذا في كتاب البخله للمحافظ

(ص ١١٧) طبع أوربا، وفي الأصل «بد» وهو تحريف. (٣) اللّحمين: جمع لحم ككتف

وهو الأكل اللحم القرم اليه. (٤) الضراوة بالشئ: الولع به. (٥) الأثرة (بالضم):

المكرمة لأنها تؤثر أى تذكر ويأثرها قرن عن قرن. (٦) الكِطْطَةُ: الامتلاء من الطعام.

٢٠ (٧) هذا بعض بيت أورده اللسان في مادة «بطن» والبيت:

يا بُنَى المنذر بن عبدان والبِطْنَةُ مِمَّا تُسَفِّهُ الأَحْلَامَا

وفي الأصل «والبطنة يوما تسفه الأَحْلَامَا».

يا بَنِيَّ، والله ما أَدَّى حَقَّ الرُّكُوعِ والسُّجُودِ ذَوِ كِبَظَةٍ، ولا خَشَعِ لَهِ ذَوِ بَطْنَةٍ،
وَالصُّوْمُ مَصِصَةٌ، وَالوَجَبَاتُ عَيْشُ الصَّالِحِينَ ^(١).

أَيُّ بَنِيَّ، لَأُمْرٍ مَا طَالَتْ أَعْمَارُ الْهِنْدِ، وَصَحَّتْ أَبْدَانُ الْأَعْرَابِ، فَلِلَّهِ دَرُّ الْحَارِثِ
ابْنِ كَلْدَةَ حَيْثُ يَزْعُمُ أَنَّ الدَّوَاءَ هُوَ الْأَزْمُ، وَأَنَّ الدَّاءَ إِدْخَالُ الطَّعَامِ إِثْرَ الطَّعَامِ ^(٢).

أَيُّ بَنِيَّ، لَمْ صَفَّتْ أَذْهَانُ الْأَعْرَابِ، وَصَحَّتْ أَبْدَانُ الرُّهْبَانِ، مَعَ طَوْلِ
الْإِقَامَةِ فِي الصَّوَامِعِ حَتَّى لَمْ تَعْرِفِ النَّفِيرَ وَلَا وَجَعَ الْمَفَاصِلِ وَلَا الْأَوْرَامِ، إِلَّا لَقْلَقَةُ
الرَّزْءِ وَخَفْصَةُ الزَّادِ ^(٣). وَكَيْفَ لَا تَرْغَبُ فِي تَدْيِيرِ يَجْمَعُ لَكَ صِحَّةَ الْبَدَنِ، وَذِكَاةَ الذَّهْنِ،
وَصَلَاحَ الْمَعْيِ، وَكَثْرَةَ الْمَالِ، وَالْقُرْبَ مِنْ عَيْشِ الْمَلَائِكَةِ ! ^(٤) ^(٥).

أَيُّ بَنِيَّ، لَمْ صَارَ الضَّبُّ أَطْوَلَ شَيْءَ دَمَاءٍ إِلَّا لِأَنَّهُ يَتَبَلَّغُ بِالنَّسِيمِ ^(٦)، وَلَمْ يَقُلِ
الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ الصُّوْمَ وَجَاءَ إِلَّا لِيَجْعَلَهُ حِجَازًا دُونَ الشَّهَوَاتِ ^(٧). إِنْهُمْ
تَأْدِيبُ اللَّهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَقْصِدْ بِهِ إِلَّا إِلَى مِثْلِكَ ^(٨) ^(٩).

أَيُّ بَنِيَّ، قَدْ بَلَغَتْ تَسْعِينَ عَامًا مَا نَقَضَ لِي سَنٌ، وَلَا أَنْتَشِرَ لِي عَصَبٌ ^(١٠)،
وَلَا عَرَفْتُ ذَيْنِ أَنْفٍ ^(١١)، وَلَا سَيَّلَانَ عَيْنٍ، وَلَا سَلَسَ بُولٍ، مَا لَذَلِكَ عِلَّةٌ إِلَّا التَّخْفِيفُ

(١) الوجبات : جمع وجبة وهي الأكلة في اليوم والليلة . (٢) الأزْم : ألا تدخل طعاما على

طعام . (٣) النقرس كزبرج : داء يأخذ في الرجل . (٤) الرزء : ما يصيبه الإنسان من الطعام . ١٥

(٥) المعى (بالمد والقصر والقصر أشهر) : المصارين . وفي الأصل « المعاد » وهو تحريك .

(٦) الدماء : بقية النفس والحركة ، والمراد : أطول شيء حياة . وفي العقد الفريد « أطول عمرا » .

(٧) كذا بالعقد الفريد . وفي الأصل : « زعم » . (٨) نص الحديث كما في الجامع

الصفير : « عليكم بالباة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » والوجاء ، كما في النهاية لابن الأثير ،

أن ترضأ ثنيا الفحل رضا شديدا يذهب شهوة الجماع وينزل في قطعه منزلة الخصى . (٩) حجازا : ٢٠

مانعا وحائلا . وفي العقد الفريد « حجابا » . (١٠) نفص قلق وتحرك . وانتشر العصب :

انتفخ . (١١) كذا في العقد الفريد ، والذنين والذنان : المخاط الرقيق يسيل من الأنف

وفي الأصل : « ذنين أذن » .

من الزاد . فإن كنت تحب الحياة فهذه سبيل الحياة ، وإن كنت تريد الموت فلا يبعد الله إلا من ظلم نفسه .

وقال أبو تهشل^(١) : كانت لي ابنة تجلس معي على المائدة فتبرز كفاً كأنها طلعة ، في ذراع كأنه جُمارة ، فلا تقع عينها على أكلة نقيصة إلا خصتني بها ، فزوجتها وصرت أجلس معي على المائدة أبنا لي فيبرز كفاً كأنها كُرْنافة^(٢) ، في ذراع كأنه كربة ، فوالله ما إن تسبق عيني إلى لقمة طيبة إلا سبقت يده اليها .

وقال بعضهم : غلبت بطنتي فطنتي .

قال عمرو بن العاص لمعاوية يوم تحكّم الحُكّان : أكثروا الطعام ، فوالله ما بطن قوم قط إلا فقدوا بعض عقولهم . وما مضت عزيمة رجل بات بطينا .

وكان يقال : أقلل طعاماً تتجدد مناماً .

الأصمعيّ قال : كان يقال : ليس لشبعة خير من جوعة تحفيها .

دعا عبد الملك بن مروان إلى الغداء رجلاً فقال : ما في فضل ، فقال عبد الملك : ما أقبح بالرجل أن يأكل حتى لا يبقى فيه فضل ! فقال : يا أمير المؤمنين ، عندي مستراد ، ولكن أكره أن أصير إلى الحال التي آستقبحها أمير المؤمنين .

وقال لشيخ : ما أحسن أكلك ؟ قال : عملي منذ ستين سنة .

وقال الحسن : إن ابن آدم أسير الجوع ، صريع الشبع .

وسأل عبد الملك أبا الزعيرة فقال : هل آتجت قط ؟ قال لا ، قال : وكيف

ذاك ؟ قال : لأننا إذا طبخنا أنضجنا ، وإذا مَضَغنا دَقَقنا ، ولا نَكْظُ المعدة ولا نَحْمِلُها .

(١) نسب هذه الحكاية ابن خلكان (ج ١ ص ٤٥٦) لأبي الحسن . (٢) الكرنافة : واحدة الكرناف (بالكسر وبضم) وهو أصول الكرب التي تبقى في جذع النخلة بعد قطع السعف . (٣) البطنة : الكظلة وهي امتلاء البطن من الطعام ، ومن أمثالهم : «البطنة تذهب القطة» . (٤) كذا في الأصل . وفي العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٧) «أبا المغور» وقد ورد هذا الاسم في الطبري (ص ٧٩١ ، ٨٣٧ من القسم الثاني طبع أوروبا) هكذا : «أبا الزعيرة» وفي ابن الأثير (ج ٤ ص ٢٤٩ طبع أوروبا) «أبا الزعيرية» . (٥) كذا في العقد الفريد ، ولا نكظ المعدة : لا نملؤها . وفي الأصل : «لا نكب» .

وقال الأحنف : جنبوا مجلسنا ذكر النساء والطعام، فإنى أبغض الرجل أن يكون وصافا لبطنه وفرجه، وإن من المروءة أن يترك الرجل الطعام وهو يشتهي .
الأصمعي قال : بلغنى أن أقواما لبسوا المطارف العتاق، والعمام الرقاق، وأوسعوا دورهم، وضيقوا قبورهم، وأسمنوا دوابهم، وهزلوا دينهم، طعام أحدهم غضب، وخادمه سُخَّرَ، يتكئ على شماله، ويأكل من غير ماله؛ حتى إذا أدركته الكسفة قال : يا جارية هاتى حاطوماً وبيلك ! وهل تحطم إلا دينك ! أين مساكينك ! أين يتمالك ! أين ما أمرك الله به ! أين أين ! .

قال بعض الحكماء : مدار صلاح الأمور فى أربع : الطعام لا يؤكل إلا على شهوة، والمرأة لا تنظر إلا إلى زوجها، والملك لا يصلحه إلا الطاعة، والرعية لا يصلحها إلا العدل .
وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مَنْ أَكَلَ مِنْ سَقَطِ المائدة عاش فى سعة وعوفي فى ولده وولد ولده من الخلق" .

وقيل لأعرابي : أتحسين أن تأكل الرأس ؟ قال : نعم، أنخص عينيه . وأصحى، خذيه . وأفك لحية ، وأرعى بالدماع إلى من هو أحوج منى إليه . وكانوا يكرهون أكل الدماغ ؛ ولذلك يقول قائلهم : أنا من قبيلة تُبْقِ المخ فى الجماجم .
دعبل قال : يا بُحَى، لا تأكل آية الشاة لأنها طبق الأست وقريب من الجواهر .
قال بعض الشعراء :

إذا لم أرى إلا لآكل أكلة * فلا رفعت يمنى يدي طعامى

فما أكلة إن نلتها بغنيمة * ولا جوعة إن جعتها بغرام

(١) الحاطوم : الحاضوم وهو كل دواء يهضم الطعام . (٢) بخص عينه : أغارها .
(٣) يقال : سحيت أسنجا إذا قشرته . (٤) ومنه قول الشاعر :

ولا يسرق الكلب السروق نعالنا * ولا تنفق المخ الذى بالجماجم

وفسره صاحب اللسان فقال : إنه يمدح قوما بأنهم لا يلبسون من النعال إلا المدبوغة والكلب لا يأكلها وبأنهم لا يستخرجون ما فى الجماجم لأن العرب تعبر بأكل الدماغ كأنه عندهم شره ونهم .
(٥) الجواهر : جمع جاعرة وهى الدبر .

عبد الملك بن حمير عن عمه عن الأصمعي قال : لا تخرج يا بُنَيَّ من منزلك حتى تأخذ حِلْمَكَ . ^(١) يعني حتى تُتَغَدَّى . وقال هلال بن جشم ^(٢) :

وإن قرابَ البطن يكفيك مَلْؤُهُ * ويكفيك سَوَاءُ الأُمُورِ اجْتِنَابُهَا

وقرأت في الآيين ^(٣) : أن رجلا من خدم دار الملكة أوصى ابنه فقال :

إذا أكلت فضم شَفَتَيْكَ ، ولا تَلْقُتَنِ يَمِينًا وَشِمَالًا . ولا تَتَّخِذَنَّ خِلَالَكَ قَصَبًا .

ولا تَلْقَمَنَّ بِسَكِّينَ أَبَدًا ، وإذا كان في يدك سَكِّينَ وأردتَ التَّقَامَا فَضَعْهُمَا عَلَى

مَائِدَتِكَ ثُمَّ اَلْتِمِمْ . ولا تجلس فوق مَنْ هو أَسَنُّ مِنْكَ وأرفعُ مَنْزِلَةً . ولا تَتَحَلَّلَ بِعُودِ

آس . ولا تَمْسَحَ بِثِيَابِ بَدَنِكَ . ولا تُرِيقَ ماءً وَأَنْتَ قَائِمٌ . ولا تَتَحَفَّرَ أَرْضًا بِأَظْفَارِكَ .

ولا تجلس على حائط أو باب أو تكتب عليهما فَتُلْعَنَ ، ولا تَسْتَرْحَ عَلَى أُسْكُفَةٍ ^(٤)

فَتُجْهَلَ ، ولا تَسْتَنْجِ بِمَدْرَ فَيُورِثَكَ الْبُؤَاسِيرُ ، ولا تَمْتَحِطْ حَيْثُ يُسْمَعُ امْتِخَاطُكَ ،

ولا تَبْصُقَ فِي الأَمَاكِنِ الْمُنْظَفَةِ .

وأجلس معاوية على مَائِدَتِهِ رجلا يَأْكُلُهُ ، فَأَبْصَرَ فِي لَقْمَتِهِ شَعْرَةً ، فَقَالَ : خُذْ

الشَّعْرَةَ مِنْ لَقْمَتِكَ ؛ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : وَإِنَّكَ لَتَرَاعِنِي مُرَاعَاةً مَنْ يُبْصِرُ الشَّعْرَةَ

فِي لُقْمَتِي ! وَاللَّهِ لَا أَكُلْتُ مَعَكَ أَبَدًا ! ثُمَّ خَرَجَ الْأَعْرَابِيُّ وَهُوَ يَقُولُ :

وَلَمْ تَوُتْ خَيْرًا مِنْ زِيَارَةِ بَاخِلٍ * يُلَاحِظُ أَطْرَافَ الْأَكِيلِ عَلَى عَمْدٍ

وكان سعيد بن جبير إذا فرغ من طعامه قال : اللَّهُمَّ أَشْبِعْ وَأَرْوِثْ فَهَيْتُنَا ،

وَأَكْثَرْتَ وَأَطْبَعْتَ فِزْدَنَا .

(١) الحِلْمُ : العقل ، وفسر أخذ الحِلْمَ بِالْغِذَاءِ ، لِأَنَّ الشَّيْءَ قَوَامُ الْعَقْلِ . وفي الْأَصْلِ : « جَلَمَكَ بِالْحِلْمِ » .

(٢) تَقَدَّمَ هَذَا الْبَيْتُ فِي بَابِ الْقَنَاعَةِ وَالِاسْتِعْفَافِ (ص ١٨٤ من هذا المجلد) ضمن أبيات منسوبة

لبشار بن بشر . وفي كتاب البخلاء لِلْمُحَافِظِ (ص ٢٦٦) وَكِتَابِ الْخِرَافِ لَهُ أَيْضًا (ج ١ ص ١٩٣) نُسِبَتْ

هَذِهِ الْأَبْيَاتُ نَفْسَهَا إِلَى هَلَالِ بْنِ خُثَيْمٍ . (٣) فِي تَعْلِيلَاتِ كِتَابِ النَّجَاحِ لِلْمُحَافِظِ (ص ١٩ طبع بولاق) :

الْأَيُّونُ : كَلِمَةٌ فَارْسِيَّةٌ عَرَبِيهَا الْعَرَبُ وَاسْتَعْمَلُوهَا وَمَعْنَاهَا الْقَانُونُ وَالْعَادَةُ . (٤) الْأُسْكُفَةُ :

عَتَبَةُ الْبَابِ . (٥) الْمَدْرُ : التُّرَابُ الْمُنْتَدِبُ . (٦) كَذَا فِي الْأَصْلِ وَكِتَابُ الْبَخْلَاءِ لِلْمُحَافِظِ

(ص ٧٤) . وفي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ٣ ص ٣٢٥) : « هَشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ » .

الجوع والصوم

قيل لبعض الحكماء : أى الطعام أطيب ؟ قال : الجوع أعلم .

وكان يقال : نعم الإدام الجوع ، ما ألقىت إليه قبلة .

قال لقمان لابنه : يا بني ، كل أطيب الطعام ، وتم على أوطأ الفراش . يقول :

أكثر الصيام ، وأطول بالليل القيام .

اشتاق أعرابي بالبصرة الى البادية فقال :

أقول بالمصير لما ساءني شبيبي * ألا سبيل إلى أرض بها جوع

ألا سبيل إلى أرض بها عرس * جوع يصدع منه الرأس برقوع^(٢)

وقال آخر :

وعادة الجوع فأعلم عصمة وغنى * وقد يزيدك جوعاً عادة الشبع^(٣)

العتبي قال : قلت لرجل من أهل البادية : يا أخي ، إني لأعجب من [أن] فقهاءكم

أظرف من فقهاءنا ، وعوامكم أظرف من عوامنا ، ومجانينكم أظرف من مجانينا ،

قال : وما تدري لم ذاك ؟ قلت لا ، قال : [من] الجوع ، ألا ترى أن العود إنما

صفا صوته لخلق جوفه ! .

وقيل لبعض حكماء الروم^(٥) : أى وقت الطعام فيه أطيب وأفضل ؟ قال : أما

لمن قدر فإذا جاع ، وأما لمن لم يقدر فإذا وجد .

(١) كذا بالأصل ، ولعله « غرث » (بالغين المعجمة والثاء المثلثة) بمعنى الجوع ليناسب المقام .

(٢) جوع برقوع (بضم الباء وفتحها) : شديد ، ومثل البرقوع البركوع والبرقوع (بفتح الباء الموحدة

وضمها في الأول وفتح الباء المثناة في الثاني) والخشور والخشور . (٣) في الأصل : « وعنا » .

(٤) رويت هذه الحكاية في العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٦) والزوائد المذكورة هنا عنه .

(٥) في العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٧) « برز جهر » وهو من حكماء الفرس .

وَنَظَرَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى قَوْمٍ يَلْتَمِسُونَ هَلَالَ شَهْرِ رَمَضَانَ، فَقَالَ: أَمَّا وَاللَّهِ لَئِنْ أَثَرْتُمُوهُ لَتَمْسُكُنَّ مِنْهُ بِذُنَابِي عَيْشٍ أَغْبَرُ^(١).

وَقِيلَ لِآخَرٍ: أَلَا تَصُومُ الْبَيْضَ مِنْ شَعْبَانَ! فَقَالَ: بَيْنَ يَدَيْهَا ثَلَاثُونَ كَأَنَّهَا الْقَبَاطِيُّ^(٢).

وَقِيلَ لِمُدْنِيٍّ: بِمِ تَسْجَرُ اللَّيْلَةَ؟ فَقَالَ: بِالْيَأْسِ مِنْ فُطُورِ الْقَابِلَةِ.

الرِّيَاشِيُّ قَالَ: قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ: اشْرَبْ، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْرَبُ عَلَى نِيْلَةٍ^(٣). وَقَالَ:

إِذَا لَمْ يَكُنْ قَبْلَ النَّبِيذِ تَرِيدَةً * مُبَقَّلَةً صَفْرَاءُ شَحْمٍ جَمِيعُهَا

فَإِنَّ نَبِيذَ الصَّرْفِ إِنْ كَانَ وَحْدَهُ * عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ أَوْجَعَ الْكِبَدَ جُوعُهَا

قَدِيمَ أَعْرَابِيٍّ عَلَى ابْنِ عَمٍّ لَهُ بِالْحَضَرِ، فَأَدْرَكَهُ شَهْرُ رَمَضَانَ؛ فَقِيلَ لَهُ: أَبَا عَمْرٍو

لَقَدْ أَتَاكَ شَهْرُ رَمَضَانَ؛ قَالَ: وَمَا شَهْرُ رَمَضَانَ؟ قَالُوا: الْإِمْسَاكُ عَنِ الطَّعَامِ؛

قَالَ: أِبَاللَّيْلِ أَمْ بِالنَّهَارِ؟ قَالُوا: لَا، بَلْ بِالنَّهَارِ؛ قَالَ: أَفَيَرْضَوْنَ بَدَلًا مِنَ الشَّهْرِ؟

قَالُوا: لَا؛ قَالَ: فَإِنْ لَمْ أُصُمْ فَعَلُوا مَاذَا؟ قَالُوا: تُضْرَبُ وَتُجَبَسُ، فَصَامُ أَيَّامًا فَلَمْ

يَصْبِرْ، فَارْتَحَلَ عَنْهُمْ وَجَعَلَ يَقُولُ:

يَقُولُ بَنُو عَمِّي وَقَدْ زُرْتُ مِضْرَهُمْ * تَهَيَّأْ أَبَا عَمْرٍو لِشَهْرِ صِيَامِ

فَقُلْتُ لَهُمْ هَاتُوا جِرَابِي وَمِزْوَدِي * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ فَاذْهَبُوا بِسَلَامِ

فَبَادَرْتُ أَرْضًا لَيْسَ فِيهَا مُسَيِّطَرٌ * عَلَى وَلَا مَنَاعُ أَكْلِ طَعَامِ

(١) قد صححنا هذه الجملة عن الجزء الحادى عشر من كتاب تذكرة ابن حمدون (ص ١١١) وقد وردت

في الأصل محرفة هكذا: «لتمكن منه أذناى عيش أغبر» (٢) القباطى: ثياب بيض من كان

كانت تنسج بمصر، شبه بها أيام رمضان (٣) الثملة: البقية القليلة من الطعام أو الشراب

وأدرك أعرابياً شهر رمضان فلم يصُمْ ؛ فعذّته امرأته في الصوم ، فزجرها وأنشأ يقول :

أَتَأْمُرُنِي بِالصَّوْمِ لَا دَرَّ دَرُّهَا * وفي القبر صومٌ يا أُمِّمَ طَوِيلٌ

دعا عبد الله بن الزبير الحسين فخر وأصحابه ، فاكلوا ولم يأكل ؛ فقيّل له :
 أَلَا تَأْكُلُ ! فقال : لَأَنِّي صَائِمٌ ، ولكن تُحَفِّة الصائِم ؛ قيل : وما هي ؟ قال : الدَّهْنُ
 والمِجْمَر .

أخبار من أخبار الأكلة

الأصمعيّ قال : قال رجلٌ : أَحِبُّ أَنْ أُرْزَقَ ضَرْسًا طَحُونًا ، وَمِعْدَةً هَضُومًا ،
 وَسُرْمًا شُورًا ^(١) .

١٠ عن إسحاق بن عبد الله قال : سمعتُ أنس بن مالك يقول : رأيتُ عمرَ يُلقَى
 إليه الصاعُ من التمر فبأكله حتى حَشَفَه .

وقال بعضُ الشعراء :

هَمْ الْكَرِيمُ كَرِيمُ الْفِعْلِ يَفْعَلُهُ * وَهَمْ سَعِيدٌ بِمَا يُلْقَى إِلَى الْمِعْدَةِ

١٥ وقيل لرجلٍ رُئي سَمِينًا : مَا أَسْمَنَكَ ؟ قال : أَكَلِي الْحَارَّ ، وَشَرَبِي الْقَارَّ ، وَأَتَكَلَّى ^(٢)
 عَلَى شِمَالِي ، وَأَكَلِي مِنْ غَيْرِ مَالِي .

وقيل لآخر : مَا أَسْمَنَكَ ؟ قال : قِلَّةُ الْفِكْرَةِ ، وَطَوَّلُ الدَّعَةِ ، وَالنَّوْمُ
 عَلَى الْكِظَةِ ^(٣) .

(١) كذا في اللسان مادة (سرم) ، والسرم الثور ؛ الكثير القُدْف للثفل من المني . وفي الأصل :
 "وسرماً مثاقاً" . (٢) في الأصل «وأتكلّى» اللام . (٣) الكظة : شيء يعترى الانسان

٢٠ عند الامتلاء من الطعام .

قال المجاجُ للفضبان بن القبعثري في حبسه : ما أَسْمَنُكَ ؟ قال : القيدُ والدَّعةُ ،
وَمَنْ كَانَ فِي ضِيَاةِ الْأَمِيرِ فَقَدْ سَمِنَ .

وقال آخرُ لرجل رآه سمينا : أَرَى عَلَيْكَ قَطِيفَةً مِنْ نَسِجِ أَضْرَاسِكَ .

وقيل لآخر : إِنَّكَ لَحَسَنُ الشَّحْمَةِ لَيْنِ الْبَشَرَةِ ؛ فقال : أَكُلُ لُبَّابَ الْبَرِّ بِصَغَارِ
الْمَغْزِ ، وَأُدْهِنُ بَدْهِنِ الْبَنْفَسِجِ ، وَالْبُسُّ الْكَثَّانُ .

قيل لِمَيْسَرَةِ الْأَكُولِ وَأَنَا أَسْمَعُ : كَمْ تَأْكُلُ فِي كُلِّ يَوْمٍ ؟ قال : مِنْ مَالِي
أَوْ مِنْ مَالِ غَيْرِي ؟ قَالُوا : مِنْ مَالِكَ ؛ قال : دُونَانٍ ؛ قَالُوا : فَمِنْ مَالِ غَيْرِكَ ؟ قال :
أَخْزِ وَأَطْرَحْ .

والعرب تقول : « الْعَاشِيَةُ تَهْبِجُ الْآبِيَةَ »^(٢) . يريدون أَنَّ الَّذِي لَا يَسْتَهِي أَنْ
يَأْكُلَ ، إِذَا نَظَرَ إِلَى مَنْ يَأْكُلُ هَاجَهُ ذَلِكَ عَلَى الْأَكْلِ .

قال جرير :

وَبَنُو الْهَجِيمِ تَخِيفَةٌ^(٣) أَحْلَامُهُمْ * نَطَّ^(٤) اللَّحْيَ مُتَشَابِهُوا الْأُلْوَانَ
لَوْ يَسْمَعُونَ بِأَكَلَةٍ أَوْ شَرِيَةٍ * بُعْمَانُ أَصْبَحَ جَمْعُهُمْ بُعْمَانِ
مُتَابِطِينَ^(٥) بَيْنَهُمْ وَبَنَاتِهِمْ * صَعَرَ^(٦) الْأَنْوَفَ لِيَرْجَحَ كُلَّ دُخَانٍ

- ١٥ (١) دونان : كلمة فارسية ومعناها رغيفان . وفي العقد الفريد : « مكوك » والمكوك : مكيال ذكرت
في مقداره عدة أقوال . (٢) العاشية : التي ترضى بالمشي من المواشي وغيرها . والآية : التي
لا تريد العشاء . أي إذا رأت الآية الإبل العواشي تبعها فرعت معها . (٣) في الأصل :
« وبنو الهجين » بالنون وهو تحريف ، والصواب من القاموس وديوان جرير (النسخة المخطوطة
المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١ أدب ش) . وروى هذا الشطر في الديوان هكذا :
- ٢٠ * إن الهجيم قبيلة مخسوسة * (٤) نط : جمع أنط ، والأنط : قليل شعر
الحية . (٥) في الديوان : « متوآكين » . (٦) كذا في الديوان ، وصعر الأنوف :
ميلها ، من الصعرو وهو الميل . وفي الأصل : « صعب الأنوف » وهو تحريف .

فَعَدَّ رَجُلٌ عَلَى مَائِدَةِ الْمُغِيرَةِ ، وَكَانَ مِنْهُمُومًا ، وَجَعَلَ يَنْهَشُ وَيَتَعَرَّقُ ؛ فَقَالَ
الْمُغِيرَةُ : نَاولُوهُ سِكِّينًا ؛ فَقَالَ الرَّجُلُ : كُلُّ أَمْرِي سِكِّينُهُ فِي رَأْسِهِ .

وَقِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : مَا لَكُمْ تَأْكُلُونَ اللَّحْمَ وَتَدْعُونَ الثَّرِيدَ ؟ فَقَالَ : لِأَنَّ اللَّحْمَ ظَاعِنٌ
وَالثَّرِيدَ بَاقٍ .

وَقِيلَ لِآخَرٍ : مَا تُسَمِّنُونَ الْمَرْقَ ؟ قَالَ : السَّيِّخِينَ ؛ قَالَ : فَإِذَا بَرَدَ ؟ قَالَ :
لَا نَدَعُهُ يَبْرُدُ .

قَالَ أَبُو الْيَقْظَانِ : كَانَ هِلَالُ بْنُ أَسْعَرَ التَّمِيمِيِّ ، مِنْ بَنِي دَارِمِ بْنِ مَازِينَ ،
شَدِيدًا أَكْوَلًا ؛ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ أَكَلَ جَمَلًا إِلَّا مَا حَمَلَ عَلَى ظَهْرِهِ مِنْهُ . وَأَكَلَ مَرَّةً
فَصِيْلًا ، وَأَكَلَتْ أَمْرَأَتُهُ فِصِيْلًا ، فَلَمَّا ضَاجَعَهَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْهَا ؛ فَقَالَتْ : كَيْفَ تَصِلُ
إِلَى وَبَيْنَنَا بَعِيرَانِ !

الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : دَعَا عَبَادُ بْنُ أَخْضَرَ هِلَالَ بْنَ أَسْعَرَ إِلَى وَلِيمَةٍ ، فَأَكَلَ مَعَ النَّاسِ
حَتَّى فَرَّغُوا ، ثُمَّ أَكَلَ ثَلَاثَ جِفَانٍ تُصْنَعُ كُلُّ جَفْنَةٍ لِعَشْرَةِ أَنْفُسٍ ؛ فَقَالَ لَهُ :
أَشْبَعْتَ ؟ قَالَ لَا ؛ فَأَتَوْهُ بِكُلِّ خَبِيزٍ فِي الْبَيْتِ فَلَمْ يَشْبَعْ ، فَبَعَثُوا إِلَى الْخَيْرَانِ ؛ فَلَمَّا
أَخْتَلَفَتْ أَلْوَانُ الْخَبِيزِ عَلِمَ أَنَّهُ قَدْ أَضْرَبَهُمْ فَأَمْسَكَ ؛ فَقَالُوا : هَلْ لَكَ فِي تَمْرِ شَهْرِيزِ
وَلَبَنِ ؟ فَأَتَوْهُ بِهِ فَأَكَلَ مِنْهُ قَوَاصِرَ ؛ فَقَالُوا لَهُ : أَشْبَعْتَ ؟ قَالَ : لَا ؛ قَالُوا : فَهَلْ لَكَ
فِي السَّوِيْقِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ فَأَتَوْهُ بِجَرَابٍ صَخِيمٍ مَمْلُوءٍ ؛ فَقَالَ : هَلْ عِنْدَكُمْ نَبِيذٌ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ؛
قَالَ : أَعِنْدَكُمْ تَوْرٌ تَغْتَسِلُونَ فِيهِ مِنَ الْجَنَابَةِ ؟ فَأَتَى بِهِ فَغَسَلَهُ وَصَبَّ السَّوِيْقَ فِيهِ
وَصَبَّ عَلَيْهِ النَّبِيذَ ، فَمَا زَالَ يَفْعَلُ ذَلِكَ حَتَّى فَنِيَ .

(١) الشَّهْرِيْزِ (بَكْسَرِ الشَّيْنِ الْمُعْجَمَةِ وَقَدْ تَضَمَّ وَبِالسَّيْنِ الْمُهْمَلَةِ أَيْضًا) : ضَرْبٌ مِنَ التَّرِّ ، وَفِيهِ وَجْهَانِ
الْإِتْبَاعِ وَالْإِضَافَةِ . (٢) الْقَوَاصِرُ : جَمْعُ قَوْصَرَةٍ (بِخَفِيفِ الرَّاءِ وَتَشْدِيدِهَا) : وَءَاءٌ لِلثَّمَرِ مِنْ قَصَبٍ .
(٣) التَّوْرُ : إِنَاءٌ مِنْ تَحَاسٍ أَوْ حَجَرٍ .

الشَّمْرَدُلُ وَكُلُّ آلِ عمرو بن العاص قال : قَدِمَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الطَّائِفَ
 وَقَدْ عُرِفَتْ شَجَاعَتُهُ^(١) ، فَدَخَلَ هُوَ وَعَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ^(٢) [وَأَيُّوبُ ابْنُهُ بَسْتَانًا لِعَمْرٍو ؛
 قَالَ : بَخَالٌ فِي الْبَسْتَانِ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ] : نَاهِيكَ بِمَا لَكُمْ هَذَا [مَالًا]^(٣) لَوْلَا جِرَارٌ فِيهِ ! فَقُلْتُ :
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّمَا لَيْسَتْ بِجِرَارٍ وَلَكِنَّمَا جُرْبُ الزَّيْبِ ؛ بَخَاءٌ حَتَّى أُلْقِيَ صَدْرُهُ
 عَلَى غُصْنٍ ، ثُمَّ قَالَ : وَيْلَكَ يَا شَمْرَدُلُ ! أَمَا عِنْدَكَ شَيْءٌ تُطْعِمُنِي ؟ قُلْتُ : بَلَى وَاللَّهِ !
 إِنْ عِنْدِي بَلَدِيًّا تَغْدُو عَلَيْهِ بَقَرَةٌ وَتَرَوْحُ أُخْرَى ؛ قَالَ : أَعْجَلْ بِهِ ؛ فَأَتَيْتُهُ بِهِ كَأَنَّهُ
 عُسْكَةٌ^(٤) ، وَتَشَمَّرَ فَأَكَلَ وَلَمْ يَذْعُ أَبْنَاهُ وَلَا عَمْرَ حَتَّى أَبْقَى نَخْدًا . فَقَالَ : يَا أَبَا حَفِصٍ
 هَلُمَّ ؛ قَالَ : إِنِّي صَائِمٌ ؛ ثُمَّ قَالَ : وَيْلَكَ يَا شَمْرَدُلُ ! أَمَا عِنْدَكَ شَيْءٌ ؟ فَقُلْتُ :
 بَلَى وَاللَّهِ ! دَجَاجَاتٌ سِتُّ كَأَنَّ رِثْلَانِ^(٥) النَّعَامِ ، فَأَتَيْتُهُ بِهِنَّ ، فَكَانَ يَأْخُذُ رِجْلَ
 الدَّجَاجَةِ حَتَّى يُعْرِى عَظْمَهَا ثُمَّ يُلْقِيهَا [بِفِيهِ] حَتَّى أَتَى عَلَيْهِنَّ . ثُمَّ قَالَ : وَيْلَكَ !
 أَمَا عِنْدَكَ شَيْءٌ ؟ فَقُلْتُ : بَلَى وَاللَّهِ ! إِنْ عِنْدِي لِحَرِيرَةٌ كَقُرَاضَةِ الذَّهَبِ ، فَقَالَ :
 أَعْجَلْ بِهَا ؛ فَأَتَيْتُهُ بِعَسٍّ يَغِيبُ فِيهِ الرَّأْسُ ، بِفَعْلٍ يَتَلَقَّمُهَا بِيَدِهِ وَيَشْرَبُ ، فَلَمَّا فَرَّغَ
 تَجَشَّأَ كَأَنَّهُ صَاحٍ فِي جُبٍّ ؛ ثُمَّ قَالَ : يَا غَلَامُ ، أَفَرَعْتَ مِنْ غَدَائِنَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ :
 وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : نَيْفٌ وَثَمَانُونَ قِدْرًا ؛ قَالَ : فَأَتَيْتُ بِهَا قِدْرًا قِدْرًا ؛ فَأَتَاهُ بِهَا وَبَقِنَاجٍ عَلَيْهِ^(٦)

- ١٥ (١) كَذَا بِالْأَصْلِ ، وَسِيَاقُ الْكَلَامِ يَا بَاهَا ، وَلَعَلَّهَا مُحَرَّفَةٌ عَنْ كَلِمَةٍ تَدُلُّ عَلَى مَعْنَى الْجَشَعِ وَالنِّهَمِ .
 (٢) التَّكَلُّفُ مِنَ الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ٢ ص ٣٣٢) . (٣) الْعَكَّةُ : وَعَاءُ السَّمَنِ وَهِيَ أَصْغَرُ
 مِنَ الْقَرْبَةِ . (٤) الرِّثْلَانِ : أَوْلَادُ النَّعَامِ ، وَاحِدُهَا رَأْلٌ . (٥) كَذَا فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ ■
 وَالْحَرِيرَةُ : ضَرْبٌ مِنَ الطَّعَامِ يَتَّخَذُ مِنَ الدَّقِيقِ يَطْبَخُ بِلَبْنٍ أَوْ دَسَمٍ « وَفِي الْأَصْلِ « لَنْبِيذَةٌ » . وَفِي الْمُسْتَطَرَفِ
 وَنَهَايَةِ الْأَرْبِ (ج ٣ : ص ٣٥٣) « سَوِيقٌ » . (٦) الْعَسَّ (بِالضَّمِّ) : الْقَدْحُ الْكَبِيرُ .
 ٢٠ (٧) يَتَلَقَّمُهَا مِنْ تَلَقُّمِ الشَّيْءِ : أَكَلُهُ بِسُرْعَةٍ . وَفِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ : « يَقْلَعُهَا بِيَدِهِ » . وَفِي الْأَصْلِ :
 « يَتَلَكَّمُ » وَالسَّكَمُ فِي كِتَابِ اللَّفَّةِ : الضَّرْبُ بِالْيَدِ مَجْمُوعَةٌ ، وَلَعَلَّ مَا أَثْبَتْنَاهُ أَنْسَبُ بِالْمَقَامِ . (٨) الْقِنَاجُ
 (بِالْكَسْرِ) : إِنَاءٌ مِنْ عَسْبِ النَّخْلِ يُوَضَعُ فِيهِ الطَّعَامُ .

رُقَاقٌ ؛ فَاكْثُرْ مَا أَكَلَ مِنْ قَدِيرٍ ثَلَاثُ لُقَمٍ وَأَقْلُ مَا أَكَلَ لُقْمَةً ، ثُمَّ مَسَحَ يَدَهُ وَاسْتَأْذَنَ عَلَى فِرَاشِهِ ، وَأَذِنَ لِلنَّاسِ وَوَضِعَتْ الْخَوَانَاتُ^(١) بِفَعْلٍ يَأْكُلُ مَعَ النَّاسِ .

الْخَطَّابِيُّ عَنْ الدَّيْرَانِيِّ أَنَّهُ قَالَ : إِنِّي لِأَعْرِفُ الطَّعَامَ الَّذِي يَأْكُلُهُ سُلَيْمَانُ ؛ قَالَ : لَمَّا اسْتُخْلِفَ سُلَيْمَانُ قَالَ لِي : لَا تَقْطَعْ عَنِّي الطَّافَكَ الَّتِي كُنْتَ تُلَطِّفُنِي بِهَا قَبْلَ أَنْ اسْتُخْلِفَ ؛ فَأَتَيْتُهُ بِزَيْنِيلَيْنِ أَحَدُهُمَا بَيْضٌ وَالْآخَرُ دِينَ ؛ فَقَالَ : لَقَمْنِيهِ ، بِفَعْلٍ أَقْشَرُ الْبَيْضَةِ وَأَقْرَبُهَا بِالْتِينَةِ حَتَّى أَكَلَ الزَّيْنِيلَيْنِ .

الْعُتْبِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ عُيَيْدُ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ يَأْكُلُ كُلَّ يَوْمٍ أَرْبَعَ جَرَادِقَ^(٢) أَصْبَهَانِيَّةٍ وَجُبْنًا قَبْلَ غَدَائِهِ .

وَعَنْ سَلَمِ بْنِ قُتَيْبَةَ قَالَ : عَدَدْتُ لِلْحَبَاجِ أَرْبَعًا وَثَمَانِينَ لُقْمَةً فِي كُلِّ لُقْمَةٍ رَغِيفٌ مِنْ خَبْزِ الْمَاءِ فِيهِ مِلَّةٌ كَقَهِّ سَمَكٍ طَرِيٍّ^(٣) .

وَكَانَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ ابْنٌ أَكُولٌ ؛ فَقَالَ لَهُ [مَعَاوِيَةُ]^(٤) : مَا فَعَلَ ابْنُكَ التَّلْقَامَةُ؟ قَالَ : أَعْتَلَّ ؛ قَالَ : مِثْلُهُ لَا يَعْدَمُ عِلَّةً^(٥) .

أَكَلَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيُّ وَأَقْعَدَ مَعَهُ أَعْرَابِيًّا فَرَأَى لَهُ لَقْمًا مُنْكَرًا ؛ فَقَالَ لَهُ : مَا اسْمُكَ؟ قَالَ : لُقْمَانُ ؛ قَالَ : صَدَقَ أَهْلُكَ ، إِنَّكَ لُقْمَانُ .

وُلِدَ لِابْنِ أَبِي لَيْلَى غُلَامٌ فَعَمِلَ الْأَخْيَصَةَ بِالْجَبْرِانِ ، فَلَمَّا أَكَلُوا قَامَ مُسَاوِرُ الْوَزَائِقِ فَقَالَ :

مَنْ لَا يُدَسِّمُ بِالْثَرِيدِ سِبَالَنَا * بَعْدَ الثَّرِيدِ فَلَا هَنَاءُ الْفَارِسِ^(٦)

- (١) كَذَا فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ٢ ص ٣٣٢) . وَفِي الْأَصْلِ : « فَوَضِعَتْ الْخَوَانُ » .
(٢) الْجَرَادِقُ جَمْعُ جَرْدَقٍ ، وَالْجَرْدَقُ وَالْجَرْدَقَةُ (بِالدَّالِ الْمُهْمَلَةِ) وَالْجَرْدَقُ (بِالدَّالِ الْمَعْجَمَةِ) : الرَغِيفُ فَارِسِيَّةٌ مُعَرَّبَةٌ . (٣) كَذَا بِالْأَصْلِ . (٤) التَّحَكُّمَةُ عَنْ كِتَابِ الْبُخْلَاءِ لِلْبَاحِظِ (ص ١٦٥) طَبَعَ أَوْرَبَا) وَقَدْ ذَكَرْتُ فِي هَذِهِ الْحِكَايَةِ بِأَوْضَحِّ مَا فِي الْأَصْلِ فَرَاغَهُ . (٥) التَّلْقَامَةُ : الْعَظِيمُ اللَّقْمِ . (٦) وَالسِّبَالُ : جَمْعُ سِبَلَةٍ وَهِيَ مَجْتَمِعُ الشَّارِبِينَ وَمَقْدَمُ الْحَيَّةِ .

وقال العجيف في أمه :^(١)

باليتمأ أمنا شالت نعامتها * إتما الى جنة إتما الى نار^(٢)

ليست بشبي وبان أسكتها هجرأ * ولا يرأ ولو حلت بذي قار^(٣)

تلهم الوسق مشدودا أشظته * كاتما وجهها قد طلى بالقار^(٤)

خرقاء في الخير لا تهدي لوجهته * وهي صناع الأذى في الأهل والجار^(٥)

رأى أبو الحارث جميز سلة بين يدي رجل من الملوك ، فقال له : جعيت فذاك ،

أى شئ في تلك السلة ؟ فقال : بظئر أمك ، قال : فأعصني به .

قيل للحارثي : لم لا تؤاكل الناس ؟ فقال : لو لم أترك مؤاكلتهم إلا لزوعي

عن الأسوارى لتركها ، ما ظنكم برجل نهش بضعة لحم بقر فأنقلع ضرسه وهو لا يدري .^(٦)

وكان إذا أكل ذهب عقله وبحظت عيناه وسكر وسدر وتربد وجهه وغضب ولم^(٧)

يسمع ولم يبصر ، فلما رأيته وما يعتريه ويعتري الطعام منه صرت لا آذن له إلا ونحن

نأكل الجوز والتمر والباقي ، ولم يقباني قط وأنا آكل تمرأ إلا أستقنه سقا وزدا به^(٨)

(١) نسب هذا الشعر في شرح ديوان الحماسة (طبعة أوروبا ص ٨١٠) الى شخص اسمه « سعد » .

ونسب في شرح شواهد المغني (٦٧ طبعة مصر) الى من اسمه سعد بن قرين سيار ويلقب بالنجيت الحدرى .

(٢) في ديوان الحماسة واللسان والمغني : « أتما الى جنة إتما الى نار » . (٣) هجر : مدينة

بالبحرين مشهورة بكثرة التمر . (٤) ذوقار : ماء لكرين وائل قريب من الكوفة .

(٥) كذا في الحماسة ، والأشظلة : جمع شظاظ وهو خشبة عفاء تدخل في عروة الجواقي . وفي الأصل

« أسربه » وهو تحريف . (٦) كذا في ديوان الحماسة ، وفي الأصل « مطلق بالقار » .

(٧) كذا في شرح شواهد المغني (ص ٦٧ طبعة مصر) ، وفي الأصل : « وفي اصطناع الأذى » . وهو تحريف .

(٨) في كتاب البخله لملاحظ (ص ٨٢ طبعة أوروبا) : « ... لو لم أترك مؤاكله الناس

وإطعامهم إلا لسوء رعة على الأسوارى لتركته ، وما ظنكم ... الخ ... » . ولعل الصواب : إلا لشره

على الأسوارى أو نحو ذلك . وفي الأصل هنا : « إلا لزوعي عن الأسواق » ، والظاهر أن كلمة

« الأسواق » هنا محرفة عن « الأسوارى » وهو الشخص الذي يتحدث عنه في هذا الحديث .

(٩) في كتاب البخله : « نهش بضعة لحم بقر فأنقلع ضرسه » . (١٠) جعيت : عظميت

مقلتها ونشأت . (١١) سيد الرجل : تحير . (١٢) تربد وجهه : تغير .

(١٣) زدا به : رمى به . وفي كتاب البخله « وزدا به ذروا » .

زُدُّوْا، وَلَا وَجَدَهُ كَنِيْزًا إِلَّا وَتَنَآوَلَ الْقِطْعَةَ مِنْهُ بِكُمُجْمَةٍ الشَّوْرِ كَدَمَهَا كَدَمًا ^(٢)، وَنَهَشَهَا
طُولًا وَعَرَضًا، وَرَفَعًا وَخَفَضًا، حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيْهَا، ثُمَّ لَا يَقَعُ عَضُّهُ إِلَّا عَلَى الْأَنْصَافِ
وَالْأَثْلَاثِ، وَلَا رَمَى بَنَوَاتٍ قَطَّ، وَلَا نَزَعَ قِيعًا ^(٣)، وَلَا نَفَى عَنْهُ قِشْرًا، وَلَا قَتَشَهُ مَخَافَةً
السُّوسِ وَالْدُّودِ .

وقال بعض الشعراء :

تَبَيَّتْ تُدْهِدُهُ الْقَرْآنَ حَوْلِي ^(٤) ■ كَأَنَّكَ عِنْدَ رَأْسِي عُمْرُبَانُ ^(٥)
فَلَوْ أَطْعَمْتَنِي حَمَلًا سَمِينًا * شَكَرْتُكَ وَالطَّعَامُ لَهُ مَكَانُ

وقال بعض الأعراب :

وإِنْ طَعَامًا ضَمَّ كَفَى وَكَفَّهَا ■ لَعَمْرُكَ عِنْدِي فِي الْحَيَاةِ مَبَارَكُ
فَمَنْ أَجْلَهَا أَسْتَوْعِبُ الزَّادَ كُلَّهُ ■ وَمَنْ أَجْلَهَا أَهْوَى يَدِي قَادَارِكُ

وقال آخر :

عَرِيضُ الْبِطَانِ جَدِيدُ الْخَوَانِ ^(٦) ■ قَرِيبُ الْمَرَاثِ مِنَ الْمَرْتَعِ ^(٧)
فَنِصْفُ النَّهَارِ لِكَرْيَاسِهِ ^(٨) ■ وَنِصْفُ لِمَا كُلُّهُ أَجْمَعُ
الْأَصْمَعِي قَالَ : قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : مَا يُعْجِبُكَ مِنْ هَذَا الْقَنْدِ ؟ قَالَ : يُعْجِبُنِي
خَضُّهُ وَبَرْدُهُ . قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : الْخَضْدُ : الْمَضْغُ وَالْأَكْلُ الشَّدِيدُ .

(١) الكنيز : التمر يجعل في قواصر الشتاء . (٢) كدمه كدما : عضه بأدنى فيه .
(٣) القمع (بكسر ففتح وبالكسر) : ما التصق بأسفل القمرة ونحوها حول علاقتها . (٤) تدهده :
تدحرج . (٥) القَرْآن (كشداد) : القارورة . (٦) كذا في البيان والتبيين ، وأصل البطان :
حزام القتب الذي يجعل تحت بطن الدابة ، ولعله يريد به كبر بطنه ؛ وفي الأصل : « الخوان » .
(٧) المراث بفتح الميم : مكان الروث . (٨) كذا في البيان والتبيين . وفي الأصل « بتر ياسة »
وهو تحريق ، والكرياس : الكنيف الذي يكون مشرفا على سطح بقناة إلى الأرض . (٩) القند :
عسل قصب السكر إذا جمد . وقد ورد في اللسان : « قيل لأعرابي - وكانت معجبا بالقضاء - :
ما يعجبك منه ؟ قال : خضده » .

قال خالد بن صفوان يوما لجاريته : يا جارية ، أطعمينا جبنا ، فإنه يُشهى الطعام ويبيح المعدة ، وهو يُعَدُّ من حمض العرب . قالت : ما عندنا منه شيء . قال : لأعلمك إنه والله ، ما علمتُ ، ايقَدَح في الأسنان ويستولى على البطن ، وأنه من طعام أهل الذمة .

كان يقال : اذا كثرت المقدرة ، ذهبت الشهوة .

وقال بعض الظرفاء :

زرعنا فلما سلم الله زرعنا * وأوفى عليه منجلٌ بحصاد
بَلِينَا بِكَوْفٍ حَلِيفٍ مَجَاعَةٍ ■ أَضَرَّ عَلَيْنَا مِنْ دَبِيٍّ وَجَرَادٍ^(١)

عن نافع عن ابن عمر قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : ” مَنْ دَخَلَ عَلَى
غَيْرِ دَعْوَةٍ دَخَلَ سَارِقًا وَخَرَجَ مُغِيرًا ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ “ .
عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ” إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ بِخَاءٍ مَعَ
الرَّسُولِ فَإِنَّ ذَلِكَ لَهُ إِذْنٌ “ . وعن مجاهد : أن ابن عمر كان إذا دُعِيَ إِلَى طَعَامٍ وَهُوَ
صَائِمٌ يَجِيبُ ، وَكَانَ يَهَيِّئُ اللَّقْمَةَ بِيَدِهِ ثُمَّ يَقُولُ : كُلُوا بِاسْمِ اللَّهِ فَإِنِّي صَائِمٌ . وعن
أسماء بنت رُقَيْدٍ قَالَتْ : دَخَلْنَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَتَى بِطَعَامٍ فَعَرَضَ عَلَيْنَا
فَقُلْنَا : لَا نَشْتَهِيهِ ، فَقَالَ : ” لَا تَجْعَلَنَّ كَذِبًا وَجُوعًا “ .

دعا رجل علي بن أبي طالب رضوان الله عليه الى طعام ، فقال : نأتيك على
أَلَّا تُتَكَلَّفَ مَا لَيْسَ عِنْدَكَ ، وَلَا تَتَذَخَّرَ عَنَّا مَا عِنْدَكَ .

وكان يقول : شر الإخوان مَنْ تُكَلَّفُ لَهُ .

دعا رجل رجلا الى الغداء ثم قال له : هذه بِكَرْزِيَاةٌ وَلَمْ نَسْتَعِدِدْ ، فَلَعَلَّ تَقْصِيرًا
فِيهَا أَحَبُّ بَلُوغَةٍ ، فَقَالَ الْآخَرُ : حَرِّصْكَ عَلَى كِرَامَتِي يَكْفِيكَ مَوْوَنَةُ التَّكَلُّفِ .

(١) الدبي : الجراد قبل أن يطير .

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي^(١) : أتاني الزبير بن دحان يوما فسأله أن يقيم عندي، فقال : قد أرسل إلى الفضل بن الربيع وليس يمكنني التخلف عنه ؛ فقلت له :

أقم يا أبا العوام ويحك شرب * ونله مع اللاهين يوما ونطرب
إذا ما رأيت اليوم قد جاء خيرُه * نخذه بشكر وأترك الفضل يغضب
وقال بعض المحدثين :

نحن قوم متى دُعينا أجبنا * ومتى نُلْس يدُعنا العطفيل
ونقل علنا دُعينا فغيبنا * وأنا فلم يجهدا الرسول

كان طُفيلُ العرائس الذي يُنسب إليه الطُّفيلِيُّونَ يوصي أصحابه فيقول لأحدهم :
إذا دخلت عرسا فلا تُلَفَّتْ تُلَفَّتَ المريب، وتخير المجالس، وأجد ثيابك، وأعمل
على أنها العقدة التي تَشْغَلُ . وإن [كان] العرس كثير الزحام فُرْ وأنه . ولا تنظر
في عيون أهل المرأة ولا عيون أهل الرجل ، فيظن هؤلاء أنك من هؤلاء وهؤلاء أنك
من هؤلاء . وإن كان البواب غليظا وقاحا فأبدأ به ومُرّه وأنه من غير أن تُعَنَّفَ
عليه ، وعليك بكلام بين النصيحة والإدلال .

عرض رجل على ربة الغداء؛ فقال : إن أقسمت علي وإلا فدعني .
ومن أشعار الطُّفيليين :

دعوت نفسي حين لم تدعني * فالحمْدُ لي لا لك في الدعوة
وقلتُ ذا أحسن من موعِدٍ * إخلافه يدعو إلى جَفْوهِ^(٣)

(١) كذا في الأغاني (ج ٥ ص ٧٨ طبع بولاق) ، وفي الأصل : "يزيد بن دحان" وهو تحريف .
(٢) التكلّة عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٣٧) . (٣) كذا في نهاية الأرب . وفي العقد الفريد : مخافه . وفي الأصل : « أخلفه » .

وقال آخر :

إذا جاء ضيفٌ جاء للضيف ضيفٌ * فأودى بما تُقرى الضيوف الضيافُ^(١)

وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي :

نعم الصديقُ صديقٌ لا يكلفني * ذبح الدجاج ولا شئَ الفساريج^(٢)

يرضى بلونين من كشك ومن عدس * وإن تشهى فزيتون بطسوج^(٣)

كان سعيد بن أسعد الأنصاري إمام الجامع بالبصرة طفيلياً، فإذا كانت وليمة سبق الناس إليها، فرما بسط معهم البُسْطَ وخدم . ف قيل له في ذلك فقال : إني أبادر برد الماء، وصفو القدور، وتشاط الخباز، وخلاء المكان، وغفلة الذبان، وجفاف المنديل .

وقيل لبعض الطفيليين : كم أثنان في آئين قال : أربعة أرغفة .

باب الضيافة وأخبار البخلاء على الطعام

عن المقدام أبي كريمة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "أيما مسلم ضافه قوم فأصبح الضيف محروما كان له على كل مسلم نصره حتى يأخذ بقرى ليلته من زرعه وماله" .

- ١٥ (١) الضيفن : الطفيلي . (٢) في العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٤١) : « وقال إبراهيم الموصلي في طفيلي كان يصعبه » . (٣) في العقد الفريد : « نعم النديم نديم الخ » . (٤) الطسوج : مقدار من الوزن مقداره جتان من الدائق ، والدائق أربعة طساسيج . وأراد بالطسوج والدائق نسبتها من الدرهم لأن الدينار لأن الدرهم ستة دوانيق وثمان وأربعون حبة فيكون طسوج الدرهم جبتين ودانقه ثمان حبات (راجع شرح القاموس) . (٥) هو المقدام بن معد يكرب وكنيته أبو كريمة . وفي الأصل : « المقدام بن أبي كريمة » وهو خطأ . (٦) رواية الجامع الصغير : "أيما رجل ضاف قوما فأصبح الضيف محروما فان نصره حق على كل مسلم الخ" .

روى ^(١) ابنُ العَجَلانِ عن أبيه قال : قال أبو هريرة : إذا نزلتَ برجل ولم يَقْرَكَ
فقاتِلْهُ . عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ^(٢) «الخيرُ أسرعُ ^(٣) إلى مُطْعِمِ
الطَّعامِ من الشُّفْرِ في سَنامِ البعير» ^(٤) .

داود قال : قلت للحسن : إنك تُتَفِقُ من هذه الأطعمة وتكثر ، قال : ليس
في الطعام سَرْفٌ . وقال الثوري : ليس في الطعام ولا في النساء سَرْفٌ .

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ^(١) «إِنَّ مِنَ السُّنَنِ أَنْ
يَمْشِيَ الرَّجُلُ مَعَ ضَيْفِهِ إِلَى بَابِ الدَّارِ» .

عن عبد الرحمن بن عباس قال : رأيتُ ابنَ عباس في وليمة فأكل وألقى للخباز
درهما .

الأصمعي قال : سُئِلَ أَقْرَى أَهْلِ الْإِمَامَةِ لِلضَّيْفِ : كيف ضبِطَتمُ الْقِرَى ؟ قال :
بأننا لا نَتَكَلَّفُ ما ليس عندنا .

عن بعض النُّسَّاك قال : قد أعياني أن أُزِيلَ على رجل يَعْلَمُ أَنِّي لَسْتُ آكُلُ
من رزقه شيئاً .

(١) في الأصل : « رُوِيَتْ بِنِ الْعَاجِ » وهو تحريف ، إذ أن هذا العلم لم يرد إلا ضمن الشعراء ولم
توجد له مناسبة بين رواية الحديث . ولعل ما أثبتناه أنسب لأنه ورد في تهذيب التهذيب : أن العجلان
روى عنه أبوه وروى هو عن أبي هريرة . (٢) كذا في الجامع الصغير والإنافة فيما جاء
في الصدقة والضيفة لأبن حجر الهيتمي . وفي الأصل : « انحروا سُرْعَ » وهو تحريف .

(٣) في الجامع الصغير : « إلى البيت الذي ينشئ » وفي الإنافة : « إلى البيت الذي يؤكل فيه » .
(٤) في الأصل : « السفرة » بالسین المهملة وما أثبتناه عن الجامع الصغير . والشفرة (بالفتح) :
السكين العظيمة المربضة .

عن عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : ضَلَّ رَجُلٌ صَائِمٌ فِي عَامِ سَنَةٍ ، فَابْتَلَى بِرَجُلٍ عِنْدَ فِطْرِهِ وَقَدْ أَتَى بِقُرْصَيْنِ فَأَلْقَى إِلَيْهِ أَحَدَهُمَا ، ثُمَّ قَالَ : مَا هَذَا بِمُشْبِعِهِ وَلَا بِمُشْبِعِي ، وَلَأَنْ يَشْبَعَ وَاحِدٌ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَجُوعَ اثْنَانِ ، وَأَلْقَى إِلَيْهِ الْآخَرَ . فَلَمَّا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ أَتَاهُ آتٌ فَقَالَ : سَلِّ ، فَقَالَ : أَسْأَلُ الْمَغْفِرَةَ ، قَالَ : قَدْ فُعِلَ ذَلِكَ بِكَ ، قَالَ : فَإِنِّي أَسْأَلُ أَنْ يُغَاثَ النَّاسُ .

عَنِ الْحَسَنِ : أَنَّ رَجُلًا جَهَدَهُ الْجُوعُ ، فَفَظِنَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَعْيَانِ ، فَلَمَّا أَمْسَى أَتَى بِهِ رَحْلَهُ ، فَقَالَ لِأَمْرَأَتِهِ : هَلْ لَكَ أَنْ تَطْوِيَ لَيْلَتَنَا هَذِهِ لَضَيْفِنَا ؟ قَالَتْ : نَعَمْ . قَالَ : فَإِذَا قَدِمَتِ الطَّعَامُ فَادْنِي إِلَى السَّرَاجِ كَأَنَّكَ تُصَلِّحِيهِ فَأُطْفِئُهُ ، فَفَعَلْتُ وَجَاءَتْ بِرَيْدَةٍ كَأَنَّهَا قِطَاةٌ فَوَضَعْتُهَا بَيْنَ أَيْدِيهِمَا ، ثُمَّ دَنَتْ إِلَى السَّرَاجِ كَأَنَّهَا تُصَلِّحُهُ فَأُطْفِئُهُ .
بِفَعْلِ الْأَنْصَارِيِّ يَضَعُ يَدَهُ فِي الْقَصْعَةِ ثُمَّ يَرْفَعُهَا خَالِيَةً ، فَأُطْلِعُ عَلَى ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ الْأَنْصَارِيُّ صَلَّى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْفَجْرَ ، فَلَمَّا سَلَّمَ أَقْبَلَ عَلَى الْأَنْصَارِيِّ وَقَالَ : "أَنْتَ صَاحِبُ الْكَلَامِ اللَّيْلَةِ" ، فَفَزِعَ الْأَنْصَارِيُّ وَقَالَ : أَيْ كَلَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : كَذَا وَكَذَا : قَوْلُهُ لِأَمْرَأَتِهِ ، قَالَ : كَانَ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : "فَوَاللَّهِ لَقَدْ عَجِبَ اللَّهُ مِنْ صُنْعِكَ اللَّيْلَةَ" .

الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : كَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِ بَرِيدٌ قَالَ : هَلْ رَأَيْتَ فِي النَّاسِ الْعُرْسَاتِ ؟ يَعْنِي الْخِصْبَ لِلْمُسْلِمِينَ .

وَقِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ كَانَ فِي مَجَاسٍ : فِيمَ كُنْتُمْ ؟ قَالَ : كُنَّا فِي قَدَرٍ تَفُورُ ، وَكَأَيْسٍ تَدُورُ ، وَغِنَاءٍ يَصُورُ ، وَحَدِيثٍ لَا يَخُورُ .

(١) فِي الْأَصْلِ : «صَائِمًا» . (٢) رَحْلُهُ : مَنَزَلُهُ . (٣) يَصُورُ : بَصُورَتُهُ .

(٤) لَا يَخُورُ : لَا يَضَعُفُ .

(١) بلغني أن محمد [بن خالد] بن يزيد بن معاوية كان نازلاً بحلب على الهيثم بن يزيد التنوخي^(٢)، فبعث إلى ضيف له من عُدرة فقال: حَدَّثَ أبا عبد الله ما رأيت في حاضرة المسلمين من أعاجيب الأعراس؛ قال: نعم، رأيتُ أموراً مُعْجِبة: منها أني رأيتُ قرية عاصم^(٣) ابن بكر الهلالي، فإذا أنا بدُورٍ متباعدة، وإذا أخصاصٌ مُنظَّمٌ بعضها إلى بعض، وإذا بها ناسٌ كثيرٌ مُقْبِلون ومُدْبِرون وعليهم ثيابٌ حَكُوا بها ألوان الزَّهر، فقلتُ لنفسِي: هذا أحدُ العيدين الأضحى أو الفِطْرِ؛ ثم رجعتُ إلى ما عَزَبَ عني من عَقْلٍ، فقلتُ: خرجتُ من أهلي في عَقِبِ صَفَرٍ وقد مضى العيدان قبل ذلك؛ فبينما أنا واقِفٌ ومُتَعَجِّبٌ أناني رجلٌ فأخذ بيدي [فأَدْخَلَنِي دَاراً قَوْرَاءَ]^(٥) وأَدْخَلَنِي بيتاً قد نُجِدَ في وجهه فُرْشٌ قد مُهِّدَتْ وعليها شَابٌ ينال فروعُ شعره كَتِفَيْهِ، والناسُ حوله سِمَاطَانِ^(٦)؛ فقلتُ في نفسِي: هذا الأمير الذي يُحَكِّي لنا جلوسه وجُلوس الناس حوله، فقلتُ وأنا مائِلٌ بين يديه: السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته؛ فحَسَدَ رجلٌ بيدي وقال: أجلس فإن هذا ليس بالأمير؛ فقلتُ: ومن هو؟ قال: عَمْرُوسُ؛ قلتُ: وَأَتَكَلَّ أُمَاهُ! رَبُّ عَمْرُوسٍ رَأَيْتُ بِالْبَادِيَةِ أَهْوَنُ عَلَى أَصْحَابِهِ مِنْ هَنِ أُمِّهِ؛ فلم أَلْبَثُ إِذْ دَخَلَتْ الرِّجَالُ عَلَيْهَا هَنَاتٌ مَدْقُورَاتٌ مِنْ خَشَبٍ وَقُضْبَانٍ، أَمَّا مَا خَفِيَ فَيُحْمَلُ حَمَلًا، وَأَمَّا مَا تُقْلُ فَيُدْخَرُجُ، فَوُضِعَتْ أَمَامَنَا وَتَحَلَّقَ الْقَوْمُ حَلَقًا حَلَقًا، ثُمَّ أَتَيْنَا بِخَرْقٍ بَيْضِ

(١) التكملة عن كتاب الأغاني (ج ١٢ ص ٣٥ طبع بولاق)؛ وقد ورد فيه هذا الخبر بتوسع عما هنا وذكر اسم الأعرابي الذي رواد وأفرد له ترجمة خاصة، وهو ناهض بن ثومة بن نصيب وكان شاعراً بدوياً فصيحاً من شعراء الدولة العباسية. وذكر أنه كان بدوياً جافياً كأنه من الوحش طيب الحديث، يقدم البصرة فيكتب عنه شعره وتؤخذ عنه اللغة، روى عنه الراشعي وأبو سراقه ودماذ وغيرهم من رواة البصرة. وقد وردت في الأصل كلمات محرفة صححتها عن الأغاني ونهنا عليها في مواضعها. (٢) في الأغاني: «التنخي». وفي العقد الفريد: «الهيثم بن عدي». (٣) في الأغاني: «فررت بقرية يقال لها قرية بكر بن عبد الله الهلالي». وفي العقد الفريد: «قرية بكر بن عاصم الهلالي». (٤) في الأغاني: «خرجت من أهلي في بادية البصرة في صفر». (٥) الزيادة عن الأغاني: وقوراء: واسعة. (٦) سِمَاطَانِ: صفان.

- فَأَلْقَيْتُ بَيْنَ أَيْدِينَا، فَظَنَنْتُهَا شَيْبًا وَهَمَمْتُ عِنْدَهَا أَنْ أَسَالَ الْقَوْمَ خِرْقًا أَقْطَعُ مِنْهَا قَيْصًا،^(١)
وَذَلِكَ أَنِّي رَأَيْتُ نَسْجًا مُتَلَا حِكًا لَا تَبِينُ لَهُ سَدَى وَلَا لَحْمَةٌ، فَلَمَّا بَسَطَ الْقَوْمُ أَيْدِيَهُمْ^(٢)
إِذَا هُوَ يَمْرُوقٌ سَرِيعًا وَإِذَا هُوَ [فِي مَا زَعَمُوا] صِنْفٌ مِنَ الْخَبْزِ لَا أَعْرِفُهُ. ثُمَّ أَتَيْنَا بِطَعَامٍ^(٣)
كَثِيرٍ مِنْ حَلِوٍ وَحَامِضٍ وَحَارٍّ وَبَارِدٍ، فَأَكْثَرْتُ مِنْهُ وَأَنَا لَا أَعْرِفُ مَا فِي عَقْبِهِ مِنْ
التَّخَمِّ وَالْبَشَمِ. ثُمَّ أَتَيْنَا بِشَرَابٍ أَحْمَرٍ فِي عِيسَاسٍ، فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَيْهِ قُلْتُ: لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ،^(٤)
أَخَافُ أَنْ يَقْتُلَنِي. وَكَانَ فِي جَانِبِي رَجُلٌ نَاصِحٌ لِي — أَحْسَنَ اللَّهُ جَزَاءَهُ — كَانَ
يَنْصَحُ لِي مِنْ بَيْنِ أَهْلِ الْمَجْلِسِ، فَقَالَ: يَا أَعْرَابِي، إِنَّكَ قَدْ أَكْثَرْتَ مِنَ الطَّعَامِ،
وَإِنْ شَرِبْتَ الْمَاءَ أَنْتَفَخَ بَطْنُكَ — فَلَمَّا ذَكَرَ الْبَطْنَ تَذَكَّرْتُ شَيْئًا كَانَ أَوْصَانِي بِهِ^(٥)
[أَبِي وَ] الْأَشْيَاخِ [مَنْ أَهْلِي]: قَالُوا: لَا تَزَالُ حَيًّا مَا دَامَ شَدِيدًا (بَعْنَى الْبَطْنِ) فَإِذَا
أَخْتَلَفَ فَاوِصٌ — فَلَمْ أَزَلْ أَتَدَاوَى بِهِ وَلَا أَمَلُّ مِنْ شَرْبِهِ، فَتَدَاخَلَنِي — نَالِكَ الْخَيْرِ —
صَلَفٌ لَا أَعْرِفُهُ [مَنْ نَفْسِي، وَبِكَاءٍ لَا أَعْرِفُ سَبَبَهُ وَلَا عَهْدَ لِي بِمِثْلِهِ، وَأَقْتَدَارُ^(٦)
عَلَى أَمْرٍ أَظُنُّ مَعَهُ أَنِّي لَوْ أَرَدْتُ نَيْلَ السَّقْفِ لَبَلَّغْتُهُ وَلَوْ شَأَوْتُ الْأَسَدَ لَقَتَلْتُهُ،
وَجَعَلْتُ أَلْتَفْتُ إِلَى الرَّجُلِ النَّاصِحِ لِي فَتَحَدَّثَنِي نَفْسِي] يَهْتَمُّ أَسْنَانَهُ وَهَشَمَ أَنْفَهُ، وَأَهْمُّ
أَحْيَانًا بَانَ أَقُولُ لَهُ: يَا بَنَ الزَّانِيَةِ، فَيَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ هَجَمَ عَلَيْنَا شَيَاطِينُ أَرْبَعَةٍ:

- ١٥ (١) كَذَا فِي الْأَغَانِي. وَفِي الْأَصْلِ: «فَأَلْقَيْتُ عَلَيْهَا فَهَمَمْتُ الْخ». (٢) مُتَلَا حِكًا: مُتَدَاخِلًا بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ تَدَاخُلًا شَدِيدًا. (٣) زِيَادَةٌ عَنْ كِتَابِ الْأَغَانِي. (٤) كَذَا فِي الْعَقْدِ الْقَرِيدِ (ج ٢ ص ١٢٦)، وَالْعِيسَاسُ: جَمْعُ عُسٍّ بِالضَّمِّ وَهُوَ الْقَدَحُ الْكَبِيرُ. وَفِي الْأَصْلِ: «عِيسَافٌ»، وَالْعِيسَافُ: الْقَدَحُ الضَّخِيمُ، وَلَمْ يَرِدْ هَذَا الْجَمْعُ فِي كِتَابِ اللُّغَةِ وَالْوَارِدُ فِيهَا عُسُوفٌ. (٥) كَذَا فِي الْأَغَانِي. وَفِي الْأَصْلِ: «خَلْفٌ» وَهُوَ تَحْرِيفٌ. (٦) الْعِبَارَةُ الْمَحْصُورَةُ مَا بَيْنَ الْمَرْبَعَيْنِ وَوَرَدَتْ فِي الْأَغَانِي. وَفِي الْأَصْلِ: «لَا أَعْرِفُهُ وَبَقِيَ فِي نَفْسِي لَا عَهْدَ لِي بِهِ وَأَشْكَلُ عَلَى أَمْرِي، وَكَانَتْ أَلِي جَانِبِي الرَّجُلُ النَّاصِحُ لِي» بِجَعَلْتُ نَفْسِي تَحَدَّثَنِي الْخ.»

أحدهم قد علّق في عنقه جعبةً فارسيةً مُسَنَّجَةً^(١) الطرفين دقيقة الوسط قد شُيِّحَتْ^(٢)
 بالخيوط شَبَحًا منكرا، وقد أُلْبِسَتْ قطعةً فروكاَنهم يخافون عليها القُرْ . ثم بدر الثاني
 فاستخرج من كُتْمِه هَنَةً [سوداء]^(٣) كَفَيْشَلَةَ الحمار فوضع طرفها في فيه فضرط فيها فاستَمَّ^(٤)
 بها أمرهم، ثم حَسَبَ على حِجْرَةٍ فيها فاستخرج منها صوتا ملأنا مشاكلا بعضه بعضا
 [كأنه — علم الله — ينطق] . ثم بدر الثالث عليه قميص وسخ وقد غرق شعره بالذهن^(٥)
 معه مرأتان بفعل يَمْرَى إحداهما على الأخرى مَرِيَا . ثم بدر الرابع عليه قميص قصير
 وسراويل قصير وخُفَّان أجذمان لاساقين لهما، بفعل يَقْفِز كأنه يَثْب على ظهور
 العقارب ، ثم التبط بالأرض، فقلت : معتوه وربّ الكعبة ! ثم ما بَرَح مكانه
 حتى كان أغبط القوم عندي ، ورأيت الناس يحذفونه بالدرهم حذفا منكرا . ثم
 أرسلت اليها النساء أن أمتعنونا من هوكم ، فبعثوا بهم إليهن وبقيت الأصوات
 تدور في آذاننا . وكان معنا في البيت شاب لا أبه له ، فعَلَّت الأصوات له بالدعاء،
 نفرج بقاء بخشبة عينها في صدرها فيها خَوِيطَاتُ أربعة ، فاستخرج من جنبها عودا
 فوضعه على أذنه ، ثم زم الخيوط الظاهرة ، فلما أحكمها وعَرَكَ آذانها حرّكها بخشبة
 في يده ، فنطقت وربّ الكعبة ! وأذاهي أحسن قينة رأيتها قَطُّ^(٥) ، [وغنى عليها]^(٣) فاستخفني

١٥ (١) التشنج : التقيض « وفي الأغاني : « مسنجة » بالسین المهملة » ومعناه : مخططة ، وكلا المعنيين
 هنا غير واضح ، وفي العقد الفريد (ج ٢ ص ١٢٦) : مفتحة الطرفين . ولعل صواب الكلمة « متنفخة
 الطرفين » لوضوح المعنى بها ولبطابق وصف الوسط بالدقة . والظاهر أن الأعراي يصف بهذا الوصف
 الآلة المعروفة عندنا الآن بالكمنجا . (٢) كذا في الأغاني . وشبعت : شدت . وفي الأصل :
 « قد سبحت بالخيوط سبحا منكرا » . وفي العقد الفريد : « شبكت » . (٣) زيادة في الأغاني .
 (٤) يريد : حرك أصابعه على ثقب هذه الهنة ، وهي المزمار ، كما يصنع الحاسب حين يعد بأصابعه .
 ٢٠ وعبرة الأغاني : « ثم حرك أصابعه ... الخ » . (٥) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « قشة »
 وهو تحريف .

في مجلسي حتى قمتُ بجلستُ بين يديه، فقلت: بأبي أنت وأمي! ما هذه الدابة؟ [فلستُ
أعرفها] للأعراب وما خالقتُ إلا حديثاً! فقال: يا أعرابي، هذا البربط الذي
سمعتُ به، فقلت: بأبي أنت وأمي! فما هذا الخيط الأسفل؟ قال: زير؛ قلت: فما
الذي يليه؟ قال: منى؛ قلت: فالثالث؟ قال: المثلث؛ قلت: فالرابع؟ قال:
البم؛ قلت: آمنتُ بالله أولاً وبالبم ثانياً.

وقال الحريري:

أضاحك ضيفي قبل إنزال رحله * ويُخَصَّبُ عندي والمحلَّ جديب
وما الخصبُ للأضياف أن يكثر القرى * ولكنا وجهُ الكريم خَصِيبُ
وقال أروطة بن سُهَيْب:

وإني لقوَّامٌ إلى الضيف مَوْهناً * إذا أغدِفَ السَّترَ البخيلُ المَوَاحِلُ
دعا فأجابته كلابٌ كثيرةٌ * على ثقيةٍ مِنِّي بما أنا فاعِلُ
وما دون ضيفي من تِلَادٍ تحوزُهُ * لي النفسُ إلا أن تُصانَ الحلالُ
آخر: (٥)

إذا نزل الأضيافُ كان عَذُوراً * على الأهلِ حتى تَسْتَقِلَّ مَرَاجلُهُ
يقول: يُسَوَّى خُلُقُهُ حتى يُطْعِمَ أضيافَهُ، لإعجاله إياهم ولخوف تقصير

يكون منهم.

- (١) كذا في الأغاني. وفي الأصل «الداية». (٢) زيادة عن كتاب الأغاني.
(٣) كذا في الأغاني. وفي الأصل: «فأهذه الخيوط السفلى». (٤) المواكل: العاجز
الذي بكل أمره إلى غيره ويتكل عليه. (٥) الشعر لزنب بنت الطرية ترى أخاها يزيد وقيل إنه
لغيرها. (راجع الشعر في الأغاني ج ٧ ص ١٢٣). (٦) العذور: السبي الخلق القليل الصبر.
فما بر يده ويهم به.

(١)
وقال دُحَيْل :

وإني لعبد الضيف من غير ذلة * وما في إلاتك من شمة العبد

وقال آخر :

لخافي لحاف الضيف والبيت بيته * ولم يُلْهِنِي عنه الغزال المقنع^(٣)
أُحَدِّثُهُ، إن الحديث من القرى * وتعلم نفسي أنه سوف يهجع

وقال الفرزدق في العذافر :

أعمرك ما الأرزاق يوم اكتيالها * بأكثر خيراً من خوان عذافر^(٤)
ولو ضافه الدجال يلتمس القرى * وحلّ على خبازه بالعساكر
بعثة ياجوج وماجوج كلهم * لأشبعهم يوماً غداء العذافر^(٥)

وقال مسكين الدارمي :

ناري ونار الجار واحدة * وإليه قبلي تُزَلُّ القدر
ما ضرَّ جاراً لي أجاوره * ألا يكون ليابه ستر

ضاف رجل من كلب أبا الرمكاء الكلبي، ومع الرجل فضلة من حنطة،
فراحت معزى [أبي] الرمكاء، غلب وشرب، ثم حلب وسقى أبته، ثم حلب وسقى

(١) ذكر أبو الفرج في الأغاني هذا البيت ضمن أبيات منسوبة إلى قيس بن عاصم المقرئ (انظر الأغاني
في ترجمته ج ١٢ ص ١٥٠ طبع بولاق)، وكذلك رواه المبرد في الكامل له أيضاً (ص ٣٣٤ - ٣٣٥
طبع أوربا) وقد رواه :

وإني لعبد الضيف ما دام ثاوربا * وما من خلالي غيرها شمة العبد

وفي شرح الحماسة (ص ٥٢٥) أنه للفتح الكندي من أبيات مفتوحة الروى . (٢) هو عتبة بن
بجبر وقيل مسكين الدارمي، انظر شرح أشعار الحماسة (ص ٧٥٠ طبع أوربا) وص ٢٢٣ من المجلد الثاني
من هذا الكتاب . (٣) يريد بالغزال المقنع أمراًته . (٤) كذا في كتاب البغلاء للباحظ
(ص ٢٤٩ طبع أوربا) . وفي الأصل : «حين اتكلنا» . (٥) في كتاب البغلاء «شهر» .

أمرأته؛ فقال الرجل : ^(١) أَلَا تَسْقُونَ ضَيْفَكُمْ ؟ فقال أبو الرّمكاء : ما فيها فضل ؛ فاستخرج الرجل ما في عِجْهِ من طعام وقال : هل من رَحَى ؟ فأسرعوا بها نحوه ، فطحن وعجن وأوقد خبزته وأخرجها فنفضها ، فاذا رسول أبي الرّمكاء يقول : يقول ^(٢) لك أبو الرّمكاء : لا عهد لنا بالخبز؛ فقال الرجل : ما فيها فضل ، ثم أكل وارتحل ، وقال :

بات أبو الرّمكاء لم يَسْقِ ضَيْفَهُ * من المحض ما يطوى عليه فيرقُدُ
فقلتُ الى حنّانة فوق أختها * وناير وباتتْ وهي توري وتوقدُ
فلما نفضتُ الخبز بالعودِ أقبلت * رسائل تشكو الجوع والحى سهدُ ^(٣)
وقال أبو الرّمكاء بالخبز عهدُه * قديمٌ له حولٌ كريبٌ مُطَرَّدُ ^(٤)
فقلتُ أَلَا لا فضلَ فيها لباخلٍ * ولا مَطْمَعٌ حتى يلوح لنا القُدُ
فبات أبو الرّمكاء من فرطِ ريحها * يئنّ كما أن السليمُ المُسَهَّدُ

ذكر أعرابي قوما فقال : ألفوا من الصلاة الأذان ، مخافة أن تسمعه الأذان ، فيَهْلَ عليهم الضيفان .

وقال بعضهم في ذلك :

أقاموا الدّيدبانَ على يقاعٍ * وقالوا لا تَنَمَ للدّيدبانِ
فإن أبصرتُ شخصا من بعيدٍ * فصَفَّقْ بالبنانِ على البنانِ
تراهم خشيةَ الأضيافِ خُرسًا * يُصَلُّون الصلاة بلا أذانِ

(١) العجم : ما يسط من الثياب ويجعل به المتاع . (٢) في الأصل : « قال » .

(٣) في الأصل : « شكى » . (٤) كريب : مكروب اشتد عليه الغم .

وقال زياد الأعجم :

وَتَكْنَمُ كَلْبَ الْحَيِّ مِنْ خَشْيَةِ الْقَرَى * وَقَدْرَكَ كَالْعَدْرَاءِ مِنْ دُونِهَا سِتْرُ

وقال آخر :

وَإِنِّي لِأَجْفُو الضَّيْفَ مِنْ غَيْرِ عُسْرَةٍ * مَخَافَةَ أَنْ يَضُرِّي بَنِي فَيْعُودُ

وقال آخر :

أَعَدَدْتُ لِلضَّيْفَانِ كَلْبًا ضَارِيًا * عِنْدِي وَفَضْلَ هِرَاوَةٍ مِنْ أَرْزَنِ

وَمَعَاذِرًا كَذِبًا وَوَجْهًا بَاسِرًا * مُتَشَكِّيًا عَضَّ الزَّمَانِ الْأَرْزَنِ

رَأَى رَجُلٌ الْحُطَيْتَةَ وَبِيَدِهِ عَصَا، فَقَالَ : مَا هَذِهِ ؟ قَالَ : تَجْعَرَاءُ مِنْ سَلَمٍ ،

قَالَ : إِنِّي ضَيْفٌ ، قَالَ : لِلضَّيْفَانِ أَعَدَدْتُهَا .

وقال آخر :

وَأُبْغِضُ الضَّيْفَ مَا بِي جُلُّ مَا كَلِهَ * إِلَّا تَتَفَخَّهَ حَوْلِي إِذَا قَعَدَا

مَا زَالَ يَنْفُخُ جَنْبِيهِ وَحَبَّوْتَهُ * حَتَّى أَقُولَ لَعَلَّ الضَّيْفَ قَدْ وَلَدَا

وقال حميد الأرقط يذكر ضيفًا :

إِذَا مَا أَتَانَا وَارِدُ الْمَصِيرِ مُرْمِلًا * تَأْتُوبُ نَارِي أَصْفَرُ الْعَقْلِ قَافِلُ

فَقُلْتُ لِعَبْدِي أَتَعْجَلُ بِعَشَائِهِ * وَخَيْرُ عَشَاءِ الضَّيْفِ مَا هُوَ عَاجِلُ

- (١) كعم الكلب : شذّ فاه بالكعام لئلا ينبج فيه الأضياف . (٢) في اللسان : « ونارك » .
 (٣) يضرى بنا : يولع بنا ويعتاد . (٤) الأرن : شجر صلب تتخذ منه العصي . (٥) الزمان
 الأرن : الشديد الكلب . (٦) هو حميد الأرقط كما في العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٦) . (٧) رواه
 في العقد : « لا أبغض » . (٨) كذا في العقد الفريد . وفي الأصل « ينفخ كنفه » .
 (٩) المرملة : الذي نقد زاده . (١٠) تأوب : جاء أول الليل و يقال : تأوبه وتأويه على المعاقبة
 إذا أتاه ليلا . (١١) كذا في الأصل . (١٢) القافل : اليابس الجلد وقيل : اليابس اليد .

فقال وقد ألقى المَرَّاسِيَّ لِلْقَرَى * أَيْنَ لِي مَا الْجَحَّاجُ بِالنَّاسِ فاعِل
فقلت لَعَمْرِي ما لهذا طَرَقْتَنَا * فكلُّ ودِعِ الأَخْبَارَ ما أنت آكلُ
تُجَهِّزُ كَفَاهُ فيحْدُرُ حَلْقُهُ * إلى الزَّوْرِ ما ضُمَّتْ عَلَيْهِ الأَنَامِلُ^(١)
أَنَا وَلَمْ يَعِدْهُ سَحْبَانُ وائِل * بَيَانًا وَعِلْمًا بِالَّذِي هُوَ قَائِلُ
فما زال مِنْهُ اللَّقْمُ حَتَّى كَانَهُ * مِنَ الْعَيِّ لَمَّا أَنْ تَكَلَّمَ بِاقِلُ^(٢)

وقال أيضا في نحو ذلك :

وَمُرْمِلِينَ عَلَى الْأَفْتَابِ بِرَهْمٍ * حَقَائِبَ وَعِبَاءً فِيهِ بَعْرِينَ^(٤)
مُقَدِّمِينَ أُنُوفًا فِي عَصَائِبِهِمْ * هُجْنَاءَ، أَلَا جُدِعَتْ تِلْكَ الْعِرَانِينَ
يُسْطَرُونَ لَنَا الْأَخْبَارَ إِذْ نَزَلُوا * وَكُلُّ مَا سَطَرُوا لِلْقِمِّ تَمْكِينُ
بَاتُوا وَجَلَّتْنَا الصَّهْبَاءُ بَيْنَهُمْ^(٥) * كَأَنَّ أَظْفَارَهُمْ فِيهَا سَكَكِينَ
فَأَصْبَحُوا وَالنَّوَى عَلَى مُعْرَسِهِمْ^(٦) * وَلَيْسَ كُلُّ النَّوَى تُلْقَى الْمَسَاكِينَ

(١) في الأصل : «إليه» ، وورد هذا البيت في اللسان مادة بقل ■ بقل ■ :

تدبَّل كِفَاهُ وَيَحْدُرُ حَلْقُهُ ■ إلى البطن ما ضمت عليه الأَنَامِلُ

وقال : التدييل ■ تعظيم اللقمة عند الأكل . (٢) سحبان : اسم رجل من ربيعة من بني بكر بن

وائِل ■ كان لستا بليغا يضرب به المثل في البيان والفصاحة . (٣) باقل : اسم رجل من ربيعة يضرب

به المثل في العي . قال الليث : بلغ من عي باقل أنه كان اشترى ظبيا بأحد عشر درهما ، فقيل له : بك

أشتريت الظبي ؟ ففتح كفيه وفزق أصابعه وأخرج لسانه — يشير بذلك إلى أحد عشر — فانقلت الظبي

وذهب ؛ فضربوا به المثل في العي . (٤) كذا بالأصل . (٥) كذا في كتاب سيبويه

(ج ١ ص ٣٥ طبع بولاق) . والجملة : ففة التمر تختف من سعف النخل وليقه ، فلذلك وصفها بالصبة .

وفي الأصل : «باتوا وجلتنا المهرزين بينهم» . ولعله محزف عن : * باتوا وجلتنا المهرزين بينهم ■ والمهرزين

(بالسين المهملة والشين المعجمة) ■ ضرب من التمر . (٦) يعني لما أصبحوا ظهر على معرسمهم —

وهو موضع نزولهم آخر الليل — نوى التمر وعلاه لكثرة ، على أنهم لحاجتهم لم يلقوا الا بعضه ؛ وهذا إشارة

إلى كثرة ما قدمه لهم منه وكثرة أكلهم له .

وقال أيضا في نحو ذلك :

وعاوَ عَوَى والليلُ مُسْتَحِلْسُ النَّدى * وقد صَجَعَتْ للغورِ تَالِيَةُ النِّجَمِ^(١)
فَسَلَّمَ تَسْلِيمَ الصَّدِيقِ ولم يَكُنْ * صَدِيقًا لَنَا إِلَّا لِيَأْنَسَ^(٢) بِاللَّقَمِ
فَقَلَّتْ لَهُ وَالنَّارُ تَأْخُذُ صَدْرَهُ * لَقَمْتَ لِسَمْتٍ^(٣) أَمْ سَرَيْتَ عَلَى عِلِمِ

وقال بعض الرُّجَّاز :

بَرَّحَ بِالْعَيْنَيْنِ خُطَابُ^(٤) الْكُتُبِ * يَقُولُ إِنِّي خَاطَبٌ وَقَدْ كَذَبَ
* وَإِنَّمَا يَطْلُبُ عُسًا مِنْ حَلَبَ *

وقال آخر :

إِنِّي لَمِثْلُكُمْ مِنْ سَوْءِ فَعْلِكُمْ * إِنْ زَرْتُمْ أَبَدًا إِلَّا مَعِيَ زَادِي

وقال حمادُ تَجَرَّدَ :

حُرَيْثُ أَبُو الصَّلْتِ ذُو خَبْرَةٍ * بِمَا يُصْلِحُ الْمِعْدَةَ الْفَاسِدَةَ
تَخَوَّفَ تُحْمَةً أَضْيَافِهِ * فَعَوَّدَهُمْ أَكْلَةً وَاحِدَةً

عن قَتَادَةَ قَالَ : قَالَ زِيَادُ لَغِيلَانَ بْنِ خَرْشَةَ : أَحِبُّ أَنْ تُحَدِّثَنِي عَنِ الْعَرَبِ
وَجُهْدِهَا وَضَنْكِ عَيْشِهَا ، لِنَحْمَدَ اللَّهَ عَلَى النِّعْمَةِ الَّتِي أَصْبَحْنَا بِهَا ، فَقَالَ غِيلَانُ : حَدِّثَنِي

١٥ (١) مستحلس الندى متراكبه يعلو بعضه بعضا لكثرة . وضجعت للغور : مالت للغيب . وتالية النجم : إحدى تاليات النجوم وهي أواخرها . (٢) في الأصل : «التأيس» وما أثبتناه هو المناسب للسياق . (٣) السمت : السير على الطريق بالظن ، وقيل هو السير بالحدس والظن على غير طريق . (٤) خطاب : كثير التصرف في الخطبة . والكُتُب : جمع كُتْبَةٍ (بالضم) . والكُتْبَةُ من الماء واللبن : القليل منه ؛ بمعنى أن الرجل يجيء بعلة الخطبة وإنما يريد القرى . قال ابن الأعرابي : يقال للرجل إذا جاء يطلب القرى بعلة الخطبة : إنه ليخطب كُتْبَةً . وفي الأصل «خطاب» بالحاء المهملة وهو تحريف . والعس (بالضم) : القدح الكبير ، وفي الأصل : «وقسا من حلب» وهو تحريف (انظر اللسان مادتي خطب وكُتِبَ) .

٢٠

عمى قال : توالى على العرب سنون تسع في الجاهلية حطمت كل شىء ، فخرجت
على بكرى لى في العرب . فمكثت سبعا لا أطمع شيئا إلا ما ينال منه بعيرى أو من
حشرات الأرض ، حتى دفعت في اليوم السابع إلى حواء عظيم ، فإذا بيت بجحش عن
الحى ، فلبث إليه فخرجت إلى امرأة طواله حسانة ، فقالت : من ؟ قلت : طارق ليل^(١)
يلتمس القرى ، فقالت : لو كان عندنا شىء لآثرناك به ، والدال على الخير كفاعله ، يحس
هذه البيوت ثم أنظر إلى أعظمها ، فإن يك في شىء منها خير فقيه ، ففعلت حتى دفعت
إليه ، فرحب به وقال : من ؟ قلت : طارق ليل يلتمس القرى ، فقال : يا فلان ،
فأجابه ، فقال : هل عندك طعام ؟ فقال لا ، فوالله ما وقر في أذنى شىء كان أشد
منه . قال : فهل عندك شراب ؟ قال لا ، ثم تأوه فقال : بل قد بقينا في ضرع^(٢)
الفلاة شيئا لطارق إن طرقتك ، قال : فأت به ، فأتى العطن فابتعتها . فحدثني عمى أنه
شهد فتح أصهبان وثسترومهرجان وكور الأهواز وفارس وجاهه عند السلطان
وكثرة ماله وولده ، قال : فما سمعت شيئا قط كان أشد من شخب تيك الناقة^(٣)
في تلك العلبة ، حتى إذا ملاها [و] فاضت من جوانبها وأرتفعت عاها شمكة بحمة^(٤)
الشيخ ، أقبل بها يهوى نحوى ، فعتربعود أو حجر ، فسقطت العلبة من يده ، فحدثني

- ١٥ (١) الحواء (بالحاء المهملة) : مجتمع البيوت . (٢) بجحش : نحى وأبعد عن البيوت .
(٣) طواله (بالضم) : طويلة القامة . وحسانه (بالضم وتشديد السين) : حسناء الصورة ، وهما وصفان
تمدح بهما المرأة . (٤) حس هذه البيوت : تعرف أحوالها .
(٥) فلان وفلانة بغير الألف واللام كناية عن أسماء الآدميين ، والفلان والفلانة بالتعريف بهما
كناية عن غير الآدميين ، تقول العرب : ركبت الفلان وحلبت الفلانة . وفي الأصل : « الفلانية » بزيادة
ياء النسبة . (٦) قال الليث : عطن الإبل ومعطها : مناخها حول وريدها ، فأما في مكان آخر
٢٠ فراح وماوى . (٧) كذا بالأصل ، ولم نوفق إلى تحقيقها ، وسباق الكلام يقتضى أن يكون هنا
ما يدل على الرغبة التي تملو اللبن وقت حلبه .

أنه أُصِيبَ بأبيه وأمه وولده وأهل بيته فما أُصِيبَ بمصيبةٍ أعظمَ من ذهاب العُلة. فلما رأى ذلك ربُّ البيت خرج شاهراً سيفه فبعثَ الإبلَ ثم نظر إلى أعظمها سناً ودفع إليه مُدِيَّةً وقال : يا عبد الله أَصْطَلِ واحْتَمِلْ . قال : فجعلت أهوى بالبضعة إلى النار فإذا بلغت إناها أكلتها^(١)، ثم مسحْتُ ما في يدي من إهالتها على جلدِي وقد كان حَقْلَ على عظمي حتَّى كأنه شَنٌّ، ثم شَرِبْتُ شُرْبَةً ماءٍ وَحَرَرْتُ مَغْشِيًّا على^(٢) فما أَفْقُتُ إلى السَّحَرِ . وقطع زيادُ الحديث وقال : لا عليك ألا تخبرنا بأكثر من هذا، فمن المتزول به ؟ قلت : أبو عليٍّ عامرُ بنُ الطُّفَيْلِ .

قال بعض الشعراء يهجو قوما :

وتراهم قبل الغداء لضيْفِهِمْ * يَتَخَلَّلُونَ صُبابَةً لِلزَّادِ

وقال آخر^(٣) :

اسْتَبَقَ وَدَّ أَبِي الْمُقَا * تِلْ حِينَ تَأْكُلُ مِنْ طَعَامِهِ
سَيَّانٍ كَسَّرَ رَغِيفَهُ * أَوْ كَسَّرَ عَظِيمَ مِنْ عِظَامِهِ
فتراه من خوف آلِ الزَّيْدِ * تِلْ بِهِ يَرْوَعُ فِي مَنَامِهِ
فإذا مررت ببابه * فأحفظ رَغِيفَكَ مِنْ غَلَامِهِ

وقال آخر^(٤) :

صَدَّقَ أَلَيْتَهُ إِنْ قَالَ مَجْتَهِدًا * لَا وَالرَّغِيفِ، فَذَلِكَ الْبُرْمَنُ قَسِمَةٌ
قَدْ كَانَ يُعْجِبُنِي لَوْ أَنَّ غَيْرَتَهُ^(٥) * عَلَى جَرَادِقِهِ كَانَتْ عَلَى حُرْمَةٍ
إِنْ رَمَتْ قَتْلَهُ فَأَقْتُلْكَ بِجُبْرَتِهِ^(٦) * فَإِنْ مَوْقِعُهَا مِنْ لَحْمِهِ وَدَمِهِ

(١) إناها : نضجها . والاهالة : الشحم المذاب وكل ما اؤتدم به من الأدهان . (٢) حَقْلَ (كفتح وعلم وعنى) : يس . (٣) في نهاية الأرب (ج ٣ ص ٣١٨ طبعة أولى) نسب هذا الشعر لدعبل . (٤) هو أبو تمام ، (أنظر ديوانه : باب الهجاء ، قافية الميم) . (٥) كذا في العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٩) . وفي الأصل : « لو كان » . (٦) الجرادق : جمع الجرذوق بالفتح والذال المعجمة كالجرذوق بالذال المهملة وكلاهما معناه الرغيف فارسيٌّ « معزب » كرده « بالكاف . (٧) في الديوان ونهاية الأرب (ج ٢ ص ٣١٨ طبعة أولى) : « وإن هممت به فافتك بخبزته » .

قلت لرجل كان يأكل مع أبي دُلْف : كيف كان طعامه ؟ قال : كان على مائدته رغيفان بينهما نُقْرَةٌ جَوْزِيَّةٌ ، وقال :

أَبُو دُلْفٍ يُضَيِّعُ أَلْفَ أَلْفٍ * وَيَضْرِبُ بِالْحُسَامِ عَلَى الرَّغِيفِ

أَبُو دُلْفٍ لِمَطْبَخِهِ قُتَارٌ^(١) * وَلَكِنْ دُونَهُ ضَرْبُ السَّيُوفِ

وقال أبو الشَّمَقْمَقِ^(٢) :

رَأَيْتُ الْخَبْزَ عِزٌّ لَدَيْكَ حَتَّى * حَسِبْتُ الْخَبْزَ فِي جَوْ السَّحَابِ

وَمَا رَوْحُنَا لِتَدْبِّ عَنَا * وَلَكِنْ خِفَتَ مَرَزِيَّةَ الدُّبَابِ

وقال دَعِيلٌ :

إِنَّ مَنْ ضَنَّ بِالْكَنِيفِ عَلَى الْضِي * يَفِ بِغَيْرِ الْكَنِيفِ كَيْفَ يَجُودُ !

مَا رَأَيْنَا وَلَا سَمِعْنَا بِمَحْشٍ^(٣) * قَبْلَ هَذَا لِأَبِيهِ إِقْلِيدُ^(٤)

إِنْ يَكُنْ فِي الْكَنِيفِ شَيْءٌ تَخْبَأُ^(٥) * هُ فَعِنْدِي إِنْ شِئْتَ فِيهِ مَزِيدُ

ولهذا الشعر قصة قد ذكرتها في باب الشعراء .

قال أبو محمد : سُويُّ الجعفر بن سليمان الهاشمي دَجَاجٌ فَقِيْدٌ نَحْدُ مِنْ^(٦)

دَجَاجِيَّةٌ ، فَأَمَرَ فَنُودِي فِي دَارِهِ : مَنْ هَذَا الَّذِي تَعَاطَى فَعَقَرَ ! وَاتَّهَ لَا أَخْزِي فِي هَذَا

التَّنُورِ شَهْرًا أَوْ يُرَدُّ ! فَقَالَ ابْنُهُ الْأَكْبَرُ : أَنْؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السَّفَهَاءُ مِنَّا ! .

(١) اقتار : الدخان . (٢) أبو الشَّمَقْمَقِ هو مروان بن محمد الشاعر ، قال هذا الشعر

يعيب به طعام جعفر بن أبي زهير وكان ضيفا عنده . انظر كتاب البخل للباحظ (طبع أو ربا ص ٧٧) .

(٣) الحش (بثلاث الحاء) : البستان ويكنى به عن بيت الخلاء لما كان من عاداتهم التغوط

في البساتين ، والجمع حشان . والافليد : المفتاح . (٤) كذا في الأصل والشعر والشعراء

(ص ٥٤١ طبع أوروبا) ، ولعله : « تخيه » . (٥) ذكر المؤلف هذه القصة في كتابه الشعر والشعراء

وهي أن دعيلا كان ضيفا لرجل فقام لحاجته فوجد باب الكنيف مغلقا فلم يهيا فتعه حتى أعجبه الأمر .

(٦) كذا في غرر الخصاص (ص ٢٩٨ طبع بولاق) وفي سياقي قريبا وهو الصواب . لأنه هو

المعروف بالبخل . وفي الأصل : « أبو جعفر » .

(١)
قال بعض الشعراء :

يا تارك البيت على الضيف * وهارباً منه من الخوف
ضيفك قد جاء بخبز له * فارجع فكن ضيفاً على الضيف^(٢)

(٣)
وقال أبو نواس :

خبر إسماعيل كلوش * ي إذا ما شقَّ يرقاً
عجا من أثر الصند * عة فيه كيف يخفى
إن رقاءك هذا * أحذق الأمة كفاً
فلماذا قابِل بالنص * ف من الجردق نصفاً
مثل ما جاء من آلت * ور ما غادر حرقاً
أحكم الصنعة حتى * لا يرى موضع إشفى^(٣)
وله في الماء أيضاً * عمل أبداع ظرفاً
مزجه العذب بماء الـ * يتر كى يزداد ضعفاً
فهو لا يشرب منه * مثل ما يشرب صرفاً^(٤)

(١) قال هذا الشعر رجل من أئمة في مروان بن أبي حفصة الشاعر * وكان قد نزل عليه ضيفاً ، فأخلى مروان له المنزل وهرب منه مخافة أن يلزمه فراه في هذه الليلة * فخرج الضيف واشترى ما احتاج إليه ثم رجع وكتب إليه بهذا الشعر . انظر المستطرف للابشيبي (ج ١ ص ٢٠٦) (٢) كذا في العقد والمستعارف ، وفي الأصل "ضيفن" بالنون .

(٣) قال هذا الشعر في إسماعيل بن نوح تحت بعد أن نصب إسماعيل في صحن داره طارمة (بيت من خشب كالقبة ، مغرب) واصططح فيها أربعين يوماً ومعه جماعة منهم أبو نواس ، فبلغت ثقته أربعين ألف درهم ؟ ثم قال أبو نواس بعد ذلك هذا الشعر . (٤) انظر هذه الأبيات مع التعليق عليها في (ج ٢ ص ٣٧) من هذا الكتاب .

عن عبد العزيز بن عمران قال : نزلتُ بِبَيْتٍ [أَبْن] هَرْمَةٌ فَقُلْتُ : آنَحُوا لَنَا
بَحْرُورًا ؛ قَالَتْ : وَاللَّهِ مَا هِيَ عِنْدُنَا ؛ قُلْتُ : فَبِقَرَّةٍ ، قَالَتْ لَا ؛ قُلْتُ : فَشَاةٌ ، قَالَتْ
لَا ؛ قُلْتُ : فَدَجَاجَةٌ ، قَالَتْ لَا ؛ قُلْتُ : فَأَيْنَ قَوْلُ أَبِيكَ :

لَا أُمْتِيعُ الْعُودَ بِالْفِصَالِ وَلَا * أُبْتَسِعُ إِلَّا قَرْيَةَ الْأَجَلِ

قَالَتْ : ذَلِكَ أَنفَاهَا . فَبَلَغَ أَبْنُ هَرْمَةَ مَا قَالَتْ ، قَالَ : أَشْهَدُ أَنَّهَا أَبْلَقِي ، وَأَشْهَدُ
أَنْ دَارِي لَهَا دُونَ الذَّكَوَرِ مِنْ أَوْلَادِي .

قال ابن أبي فتن :

لَا أَشْتُمُ الضَّيْفَ وَلَكِنِّي * أَدْعُو لَهُ بِالْقُرْبِ مِنْ طَوِّقِ

بِقُرْبِ مَنْ * إِنْ زَارَهُ زَائِرٌ * مَاتَ إِلَى الْخَبْرِ مِنَ الشَّوْقِ

دَخَلَ عَلَى ابْنِ رَجُلٍ مِنَ الْأَشْرَافِ دَاخِلٌ وَبَيْنَ يَدَيْهِ قَرَارِيحٌ ، فَطَطَّى الطَّبَقَ بِيَمِينِهِ يَلَهُ
وَأَدْخَلَ رَأْسَهُ فِي جَيْبِهِ وَقَالَ لِلدَّخَالِ عَلَيْهِ : كُنْ فِي الْحَجَرَةِ الْأُخْرَى حَتَّى أَفْرُغَ مِنْ
بَحْرُورِي .

وَفِيمَا أَجَازَ لَنَا عَمْرُو بْنُ بَحْرِ مِنْ كُتُبِهِ قَالَ : دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى رَجُلٍ قَدْ تَغَدَّى
مَعَ قَوْمٍ وَلَمْ تُرْفَعْ الْمَائِدَةُ قَالَ لَهُمْ : كُلُّوْا وَأَجْهِزُوا عَلَى الْجُرْحَى . يَرِيدُ : كُلُّوْا مَا كُسِرَ
وَنِيلَ مِنْهُ وَلَا تَعْرِضُوا إِلَى الصَّحِيحِ .

١٥

(١) العود : الحديثات التاج من الطباء والإبل والخيل ، واحدها عائد مثل حائل وحول . والفصال :
جمع فصيل وهو ولد الذقة إذا فصل عن أمه . يريد أنه لكرمه لا يمتع العود بأولادها بل يذبحها لضيوفه
الكثيرين . وفي الأصل وردت هذه الجملة كذلك : « لَا أُمْتِيعُ الْعُودَ بِالْفِصَالِ » وهو تحريف . والصحيح عن
أماي القالي (ج ٣ ص ١١٠ طبع دار الكتب المصرية) . (٢) في الأصل : « وَأَجِيرُوا »
وهو تحريف وما أثبتناه عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٤) . وقد وردت هذه الحكاية فيه بأوضح مما هنا .
ونصها « قَالَ : وَدَخَلَتْ عَلَيْهِ (يَرِيدُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ يَحْيَى بْنِ خَالِدِ بْنِ أُمَيَّةٍ) يَوْمًا وَالْمَائِدَةُ مَوْضُوعَةٌ وَالْقَوْمُ
بِأَكْلُونِ وَقَدْ رَفَعَ بَعْضُهُمْ يَدَهُ فَدَدَتْ يَدِي لِأَكْلِ فَقَالَ أَجْهِزْ عَلَى الْجُرْحَى وَلَا تَعْرِضْ لِلْأَصْحَاءِ »

٢٠

قال : وقال لقوم يؤاكلونه : يزعمون أن خبزي صغار ! أى ابن زانية يأكل من هذا رغيفين ! . قال : ويقول لرائره إذا أطل عنده المكث : تغديت اليوم ؟ فإن قال نعم ، قال : لولا أنك تغديت لغديتك بطعام طيب . وإن قال لا ، قال : لو كنت تغديت لسقيتك خمسة أقداح . فلا يكون له على الوجهين لا قليل ولا كثير .

وحكى عن أبي نؤاس أنه قال : قلت لرجل من أهل خراسان ^(١) : لم تأكل وحدك ؟ قال : ليس عليّ في هذا الموضع سؤال ، إنما السؤال على من أكل مع الجماعة ، لأن ذلك تكلف وأكلى وحدي هو الأكل الأصلي .

وكذا عند داود بن أبي داود بواسط أيام ولايته كسكر ، فأنته من البصرة مدايا ، وكان فيها زقاق دوشاب ^(٢) ، فقسمها بيننا ، فكلنا أخذ ما أعطي ، غير الحزامي ، فأنكرنا ذلك وقلنا : إنما يجوز الحزامي من الإعطاء وهو عدوه ، فأما الأخذ فهو ضالته وأمنيته ، فإنه لو أعطى أفاعي سجستان ، وثعابين مصر ، وجرارات الأهواز لأخذها ، إذ كان اسم الأخذ واقعا عليها ، فسألناه عن سبب ذلك ، فتعسر قليلا ثم باح بسرّه وقال : وضيعته أضعاف ربحه ، وأخذته من أسباب الإدبار ، قلت : أول وضاعه احتمال ثقل السكر ، قال :

(١) كذا في البخلاء ، وفي الأصل : « منهم » انظر هذه الحكاية فيه ص ٢٦ . (٢) كذا في البخلاء . (ص ٢٦) . وفي الأصل : « من » . (٣) كسكر : كورة من كور بغداد وقصبتها واسط ، وهي مشهورة بالقراريح العسكرية . (٤) كذا في الأصل ، والدوشاب : نبيذ التمر معرب ، قال ابن المعتز : لا تخلط الدوشاب في قلع * بصفاء ماء طيب البرد

وقال ابن الرومي :

علني أحمد من الدوشاب * شربة بغضت قناع الشباب

وفي كتاب البخلاء أنها زقاق دبس ، والدبس : غسل التمر وعصارته من غير طبخ . وقال السمعاني : إنه الدبس بالعربية (انظر شفاء الغليل للنفاجي) . (٥) جرارات الأهواز : عقاربها القتالة . (٦) وضيعته : خسارته وغرمه .

- هذا لم يخطر ببالي قط، ولكن أول ذلك كراء الحمال، فإذا صار إلى المنزل صار سببا لطلب العصيدة والأرزة والسندفود،^(١) فإن بعته فراراً من هذا البلاء صيرتموني شهرة^(٢)، وإن أنا حبسته ذهب في العصائد وأشباهها، وجذب ذلك شراء السمن، ثم جذب السمن غيره، وصار هذا الدوشاب علينا أضر من العيال؛ وإن أنا جعلته نبيذاً أحتجت إلى كراء القدور وإلى شراء الحب^(٣) وإلى شراء الماء وإلى كراء من يؤقد تحته؛ فإن وليت ذلك الخادم أسود ثوبها وغرمتنا ثمن الأشنان^(٤) والصابون، وأزدادت في الطعم على قدر الزيادة في العمل؛ فإن فسدت ذهبت النفقة باطلاً ولم تستخلف منها عوضاً بوجه من الوجوه،^(٥) لأن خل الداذي^(٦) يخضب اللحم ويغير الطعم ويسود المرقة ولا يصلح [إلا] للاصطباغ^(٧). وإن سليم - وأعوذ بالله - وجاد وصفا لم نجد بدءاً من شربه ولم تطب أنفسنا بتركه؛ فإن قعدت في البيت أشربه لم يمكن ذلك إلا بترك
- ١٠

(١) كذا في الأصل « وفي البخلاء (ص ٦٧) : « السندفود » ولم نوفق إلى معرفته .
(٢) الشهرة : ظهور الشيء في شئ . (٣) الحب بالضم : البصرة . (٤) الأشنان : الحمض الذي تنسل به الأيدي . (٥) كذا في البخلاء ، وفي الأصل : « ولم يخلف منها بوجه من الوجوه » . (٦) في القاموس وشرحه (مادة « دوذ » بمهملة فعجمة) : الداذي : شراب الفساق وهو الخمر ، وهو على صيغة المنسوب وليس بنسب . ثم قال في مادة « دوذ » بمعجمتين : والداذي : نبت له عنقود مستطيل وحب على شكل حب الشعير يوضع منه مقدار رطل في الفرق (ميكال) فتعقب رائحته ويجود إسكاه ، قال الشاعر :

شربنا من الداذي حتى كأننا * ملوك لنا بر العراقين والبحر
فلما انحلت شمس النهار رأيتنا * تولى الغنى عنا وعادونا الفقر

ثم قال شارح القاموس : « ولذا حكم الخذاق باتحاده مع الذي قبله ، وكلاهما غير عربي ولا معروف » .
واقصر في اللسان على « الداذي » بمهملة فعجمة وذكر البيت . (٧) التكلمة عن البخلاء .
(٨) كذا في البخلاء . وفي الأصل : « للاصطناع » .

٢٠

سَلَفُ الْفَارِسِيِّ الْمُعَسَّلِ ، وَالْدَّجَاجِ الْمُسَمَّنِ ، وَجِدَاءُ كَسَكْرٍ وَفَاكْهَةُ الْجَبَلِ وَالنَّقْلُ الْهَشَّ
وَالرَّيْحَانُ الْفَضَّ ، عِنْدَ مَنْ لَا يَغِيضُ مَالَهُ ، وَلَا تَقْطِعُ مَادَّتَهُ ، وَعِنْدَ مَنْ لَا يُبَالِي عَلَى
أَيِّ قُطْرِيَةٍ سَقَطَ ، مَعَ فَوْتِ الْحَدِيثِ الْمُؤَنَسِ وَالسَّمَاعِ الْحَسَنِ ، وَعَلَى أَنِّي إِنْ جَلَسْتُ
فِي الْبَيْتِ أَشْرَبَهُ لَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنْ وَاحِدٍ ، وَذَلِكَ الْوَاحِدُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ لَحْمٍ بِدْرَهَمٍ ،
وَنَقْلٍ بَطْسُوجٍ ، وَرَيْحَانٍ بِقِرَاطٍ . وَمَنْ أَزَارَ لِلْقَدَرِ وَحَطَّ لِلْوُقُودِ ، وَهَذَا كُلُّهُ غُرْمٌ
وَشَوْمٌ وَحِرْمَانٌ وَحُرْفَةٌ وَخُرُوجٌ مِنَ الْعَادَةِ الْحَسَنَةِ . فَإِنْ كَانَ النَّدِيمُ غَيْرَ مُوَافِقٍ فَأَهْلُ
السِّجْنِ أَحْسَنُ حَالًا مِنِّي ، وَإِنْ كَانَ مُوَافِقًا فَقَدْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَى مَالِي بِهِ بَابًا مِنْ
التَّلَفِ ، لِأَنَّهُ حِينَئِذٍ يَسِيرُ فِي مَالِي كَسِيرِي فِي مَالِ غَيْرِي مِمَّنْ هُوَ فَوْقَ . فَإِذَا عَلِمَ
الصَّدِيقُ أَنَّ عِنْدِي دَاذِيًا أَوْ نَبِيذًا دَقَّ عَلَى الْبَابِ دَقَّ الْمِدْلِ ، فَإِنْ حَجَّيْنَاهُ فَبَلَاءٌ ،
وَإِنْ أَدْخَلْنَاهُ فَشَقَاءٌ . وَإِنْ بَدَأَ لِي فِي اسْتِحْسَانِ حَدِيثِ النَّاسِ كَمَا يَسْتَحْسِنُهُ
[مَنِي] مَنْ أَكُونُ عِنْدَهُ ، فَقَدْ شَارَكْتُ الْمُسْرِفِينَ ، وَفَارَقْتُ إِخْوَانِي الصَّالِحِينَ ،
وَصِرْتُ مِنْ إِخْوَانِ الشَّيَاطِينِ ، وَاللَّهُ تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ يَقُولُ : ﴿ إِنَّ الْمُبْدِرِينَ
كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ﴾ ، فَإِذَا صِرْتُ كَذَلِكَ فَقَدْ ذَهَبَ كَسْبِي مِنْ مَالِ غَيْرِي ،
وَصَارَ غَيْرِي يَكْتَسِبُ مِنِّي ، وَأَنَا لَوْ أَبْتَلَيْتُ بِأَحَدِهِمَا لَمْ أَقُمْ بِهِ فَكَيْفَ إِذَا أَبْتَلَيْتُ
بِأَنْ أُعْطِيَ وَلَا أَخُذَ ، وَبِأَنْ أُؤْكَلَ وَلَا أَكُلَ ! أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخِذْلَانِ بَعْدَ
الْعِصْمَةِ ، وَمِنَ الْخَوَرِ بَعْدَ الْكَوَرِ ، وَلَوْ كَانَ هَذَا فِي الْحَدَاثَةِ كَانَ أَهْوَنَ . هَذَا

(١) كَسَكْرٍ: تقدم في تعريفها في صفحة ٢٥٠ من هذا الجزء، أنها مشهورة بالفراريج العسكرية،
وللها مشهورة أيضا بمجدها . (٢) القَطَرُ: الناحية . (٣) كَذَا فِي الْبِخْلَاءِ: فِي الْأَصْلِ «
قَرَبَ» . (٤) الطُّسُوجُ: رِبْعُ الدَّائِقِ . انظر الكلام عليه في الحاشية رقم ... ص ... من
هذا الجزء . (٥) الحُرْفَةُ: الْحِرْمَانُ . (٦) كَذَا فِي الْبِخْلَاءِ: فِي الْأَصْلِ: «رَأْسًا» .
(٧) التَّكَلُّمُ عَنِ الْبِخْلَاءِ . (٨) الْخَوَرُ: النِّقْصَانُ . وَالْكَوَرُ: الزِّيَادَةُ وَمِنَهُ الْحَدِيثُ:
«نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخَوَرِ بَعْدَ الْكَوَرِ» . (٩) كَذَا فِي الْبِخْلَاءِ: فِي الْأَصْلِ: «أَحْسَنَ» .

الدُّشَاب دَسِيسٌ من الحُرْفَةِ، وَكَيْدٌ من الشَّيْطَانِ، وَخُدْعَةٌ من الحُسُودِ، وَهُوَ الحَلَاوَةُ
الَّتِي تُعَقَّبُ المَرَارَةَ. مَا أَخَوْفَنِي أَنْ يَكُونَ أَبُو سَلِيمَانَ قَدْ مَلَّنِي فَهُوَ يَحْتَالُ لِي الحِيلَ!

- وَحِكِي عن الحَارِثِيِّ أَنَّهُ قَالَ : الوَحْدَةُ خَيْرٌ مِنْ جَلِيسِ السَّوِّءِ، وَجَلِيسُ السَّوِّءِ
خَيْرٌ مِنْ أَكْلِ السَّوِّءِ؛ لِأَنَّ كُلَّ أَكِلٍ جَلِيسٌ وَلَيْسَ كُلُّ جَلِيسٍ أَكِيلًا؛ فَإِنْ كَانَ لَا بَدَّ
مِنَ الْمُتَوَاكَلَةِ وَلَا بَدَّ مِنَ المِشَارَكَةِ فَعَنْ لَا يَسْتَأْثِرَ عَلَى المُلُخِّ، وَلَا يَنْتَهَزِ بَيْضَةَ البَقِيلَةِ؛
وَلَا يَلْتَقِمَ كَيْدَ الدَّجَاجِ، وَلَا يُبَادِرَ إِلَى دِمَاحِ السَّلَاةِ، وَلَا يَخْتَنِفُ كُلِّيَّةَ الجَدَى،
وَلَا يَزْدَرِدُ قَانِصَةَ الكُرْكِيِّ، وَلَا يَنْتَرِعَ شَاكِلَةَ الحَمَلِ، وَلَا يَتْلَعُ سُرَّةَ السَّمَكِ، وَلَا
يَعْرِضُ لَعْيُونَ الرُّعُوسِ، وَلَا يَسْتَوِي عَلَى صَدُورِ الدَّرَاجِ، وَلَا يَسَاقِ إِلَى أَسْقَاطِ
الْفِرَاحِ، وَلَا يَتَنَاوَلُ إِلَّا [مَا] بَيْنَ يَدَيْهِ، وَلَا يَلَاظُ مَا بَيْنَ يَدَيْ غَيْرِهِ، وَلَا يَمْتَحِنُ
الإِخْوَانَ بِالْأُمُورِ الثَّمِينَةِ، وَلَا يَنْتَهِكُ أَسْتَارَ النَّاسِ بِأَنْ يَشْتَهِيَ مَا عَسَى أَلَّا يَكُونَ
مَوْجُودًا؛ فَكَيْفَ تَصْلُحَ الدُّنْيَا وَيَطِيبَ العَيْشُ بِنِهَا إِذَا رَأَى جُرُورِيَّةَ التَّقَطُّ
الْأَكْبَادَ وَالْأَسْمَةَ، وَإِذَا عَايَنَ بَقْرِيَّةً أَسْتَوَى عَلَى العِرَاقِ وَالْقِطْنَةِ، وَإِنْ عَايَنَ بَطْنَ

- (١) كَذَا فِي البَخْلَاءِ، وَقَدْ أَوْرَدَهَا الْحَمَّيُّ فِي كِتَابِهِ « مَا يَقُولُ عَلَيْهِ فِي المِضَافِ وَالمِضَافِ إِلَيْهِ »
فَقَالَ : « بَيْضَةُ البَقِيلَةِ تَذَكَّرُ فِي عَيُونِ الأَطْعِمَةِ وَلَا تَسْتَحْسِنُ المِبَادِرَةَ إِلَيْهَا » . وَفِي الأَصْلِ : « الْبَيْضَةُ
المَقَايَةِ » . (٢) السَّلَاةُ : وَاحِدَةُ السَّلَاةِ، وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ الطَّيْرِ أَغْبَرُ طَوِيلَ الرِّجْلَيْنِ . ١٥
(٣) الكُرْكِيُّ : طَائِرٌ يَقْرُبُ مِنَ الإِزْوَاجِ الذَّنْبِ رَمَادِي اللَّوْنِ فِي خَدِّهِ لَمَعَاتُ سَوْدٍ يَأْوِي إِلَى المَاءِ
أَحْيَانًا . (٤) الشَّاكِلَةُ : المُخَاصِرَةُ . (٥) الدَّرَاجُ كَرْمَانٌ : طَائِرٌ جَمِيلُ المَنْظَرِ مَلَوْنٌ
الرِّيشَ، يَطْلُقُ عَلَى الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى . (٦) التَّكْمَلَةُ عَنِ البَخْلَاءِ . (٧) كَذَا فِي البَخْلَاءِ،
وَيُظْهَرُ أَنَّهَا ضَرْبٌ مِنَ الطَّعَامِ يَنْسَبُ إِلَى الجُرُورِ وَهُوَ وَاحِدُ الإِبِلِ يَقَعُ عَلَى الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى . وَفِي الأَصْلِ :
« جَزْرِيَّةٌ » وَالجَزْرَةُ : الشَّاةُ السَّمِينَةُ أَوْ مَا يَذْبَحُ مِنَ الشَّاءِ، وَذَكَرُ الأَسْنَةِ فِي الكَلَامِ بِأَبَاهَا . ٢٠
(٨) العِرَاقُ : مَا دُونَ السَّرَةِ مِنَ الحَشَا مُعْتَرِضًا بِالبَطْنِ . (٩) القِطْنَةُ : مِثْلُ الرَّمَانَةِ تَكُونُ عَلَى
الْكُرْشِ وَهِيَ ذَاتُ الأَطْبَاقِ، وَالعَامَةُ تَسْمِيهَا الرَّمَانَةُ .

سَمَكَةً أَخْتَرَقَ كُلَّ شَيْءٍ فِيهِ، وَإِنْ أَتَوْا بِجَنْبِ شَوَاءٍ آكَنَسَحَ مَا عَلَيْهِ، وَلَا يَرْحَمُ ذَا سِنَّ
لَضَعْفِهِ، وَلَا يَرِيقُ عَلَى حَدَثِ لِحْدَةٍ شَهْوَتِهِ، وَلَا يَنْظُرُ لِلْعِيَالِ، وَلَا يُبَالِي كَيْفَ دَارَتْ
الْحَالُ . وَأَشَدُّ مِنْ كُلِّ مَا وَصَفْنَا أَنْ الطَّبَاحَ رُبَّمَا أَتَى بِاللَّوْنِ الظَّرِيفِ الظَّرِيفِ ،
وَالْعَادَةُ فِي مِثْلِ ذَلِكَ اللَّوْنِ أَنْ يَكُونَ لَطِيفَ الشَّخْصِ صَغِيرَ الْجَمِّ ، فَيَقْدِّمُهُ حَارًّا
مُتَمَتِّعًا، وَرُبَّمَا كَانَ مِنْ جَوْهَرٍ بَطْنِيٍّ الْفُتُورِ، وَأَصْحَابُنَا فِي سَهْوَةِ آزْدِرَادِ الْحَارِّ عَلَيْهِمْ
فِي طِبَائِعِ النَّعَامِ، وَأَنَا فِي شِدَّةِ الْحَارِّ [عَلَى] (٢) فِي طِبَاعِ السَّبَاعِ ، فَإِنْ نَظَرْتُ إِلَى أَنْ
يُمْكِنُ أَتَوْا عَلَى آخِرِهِ ، وَإِنْ أَنَا بَادَرْتُ مَخَافَةَ الْقَوْتِ وَأَرَدْتُ أَنْ أَشَارِكَهُمْ فِي بَعْضِهِ
لَمْ أَمِنْ ضَرَرِهِ ؛ وَالْحَارُّ رُبَّمَا قَتَلَ وَرُبَّمَا أَعْقَمَ وَرُبَّمَا أَبَالَ الدَّمَ . قَالَ : وَعُوتِبَ عَلَى
تَرْكِهِ إِطْعَامَ النَّاسِ مَعَهُ وَهُوَ يَتَخَذُ فَيْسَكًا كَثِيرًا، فَقَالَ : أَنْتُمْ لِهَذَا أَتْرَكْتُمْ مَنِي، فَإِنْ زَعَمْتُمْ أَنِّي
أَكْثَرُ مَا لَا وَأَعْدُّ عُدَّةً، فَلَيْسَ بَيْنَ حَالِي وَحَالِكُمْ مِنَ التَّفَاوُتِ أَنْ أُطْعِمَ أَبَدًا وَتَأْكُلُوا
أَبَدًا ، فَإِذَا أَتَيْتُمْ مِنْ أَمْوَالِكُمْ مِنَ الْبَدَلِ عَلَى قَدَرِ احْتِمَالِكُمْ ، عَلِمْتُ أَنَّكُمْ الْخَيْرَ أَرَدْتُمْ،
وَالِي تَرْيِينِي ذَهَبْتُمْ، وَإِلَّا فَإِنَّكُمْ إِنَّمَا تَحْلُبُونَ حَلَبًا لَكُمْ شَطْرُهُ .
قَالَ : كَانَ أَبُو ثُمَامَةَ أَفْطَرَ نَاسًا وَفَتَحَ بَابَهُ فَكَثُرَ عَلَيْهِ النَّاسُ ، فَقَالَ : إِنْ اللَّهَ
لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ، وَكُلُّكُمْ وَاجِبُ الْحَقِّ ، وَلَوْ اسْتَطَعْنَا أَنْ نَعْمَكُم بِالْبَرِّ كُنْتُمْ فِيهِ
سَوَاءً وَلَمْ يَكُنْ بَعْضُكُمْ أَوْلَى بِهِ مِنْ بَعْضٍ ؛ كَذَلِكَ أَنْتُمْ إِذَا عَجَزْنَا أَوْ بَدَا لَنَا ، فَلَيْسَ
بَعْضُكُمْ أَحَقُّ بِالْحِرْمَانِ وَالْإِعْتِذَارِ إِلَيْهِ مِنْ بَعْضٍ ، وَمَتَى قَرَّبْتُ بَعْضَكُمْ وَفَتَحْتُ بَابِي
لَهُمْ وَبَاعَدْتُ الْآخَرِينَ، لَمْ يَكُنْ فِي إِدْخَالِ الْبَعْضِ عَذْرًا ، وَلَا فِي مَنَعِ الْآخَرِينَ حُجَّةً ؛
فَأَنْصَرَفُوا وَلَمْ يَعُودُوا .

(١) كَذَا فِي الْبُخْلَاءِ . فِي الْأَصْلِ : «عَمَّا» وَهُوَ تَحْرِيْفٌ . (٢) كَذَا فِي الْبُخْلَاءِ . فِي الْأَصْلِ :
«فِي» . (٣) التَّكَلُّفُ عَنِ الْبُخْلَاءِ . (٤) نَظَرْتُ : انْتَبَهَرْتُ . (٥) كَذَا فِي الْبُخْلَاءِ .
فِي الْأَصْلِ : «أَشَارَكَ» . (٦) كَذَا فِي الْأَصْلِ ، وَفِي الْبُخْلَاءِ : «وَالِي تَرْيِينِي» .
(٧) فِي كِتَابِ الْبُخْلَاءِ (ص ٢١٥) : «ثُمَامَةُ» . (٨) فِي الْأَصْلِ : «وَيَفْتَحُ» .

قال : وكان محمد بن أبي المؤمل يقول : قاتل الله رجلاً كُتِبَ نُوا كُلُّهُمْ ، ما رأيتُ قَصْصَةً رُفِعت من بين أيديهم إلا وفيها فضلٌ ، وكانوا يعلمون أن إحصارَ الجَدَى إنما هو شيء من آيين الموائد الرقيقة ، وإنما جعل كالقافية والخلاتمة والعلامة لليسر والفراغ ، ولم يُحْضَر للتفريق والتخريب ، وأن أهله لو أرادوا به سوءاً لَقَدَّمُوهُ لتقع الحدة به ؛ ولذلك قال أبو الحارث جَمِيزٌ حين رآه لا يَمَسُّ : هذا المدفوعُ عنه .

ولقد كانوا يَتَحَمَّوْنَ بيضة البقيلة ، ويدْعُها كُلُّ واحد لصاحبه ، وأنت اليوم إذا أردت أن تُتَمِّعَ عينيك بنظرة واحدة منها ومن بيضة السَّلَاة ^(٥) لم تَقْدِرْ على ذلك .
وكان يقول : الآدام أعداء الخبز ، وأعداها له المالح ؛ فلولا أن الله أعان عليها بالماء وطلي آكله له لَأَتَى على الحرث والنسل .

وكان يقول : ما بال الرجل إذا قال : أَسْقِنِي ماءً أَتَاهُ بِقَلَّةٍ على قدر الرِّى أو أصغر ، وإذا قال : أَطْعِمْنِي شَيْئاً أو هات لفلان طعاماً ، أَتَاهُ من الخبز بما يَقْضِلُ عن

(١) كذا في البخلاء ، والآيين : العادة ، وأصل معناه السياسة المسيرة بين فرقة عظيمة ، أعجمى عربيه المولدون . قال مهياري قصيدة له :

يجمع الخريت حولاً أمره * وهو لم يأخذ لها آيينها

(راجع شفاء الغليل) وفي الأصل : « أنس الموائد » . (٢) في البخلاء : « كالعاقبة »
(٣) كذا في البخلاء . وفي الأصل : « كالعلاوة للبشر » وهو تحريف . (٤) في الأصل والبخلاء : « جَمِيز » بالنون في آخره . وورد في القاموس وشرحه في مادة (ج م ن) : « أبو الحارث جَمِيزٌ كَقَبِيطِ المديني ، هكذا ضبطه المحدثون بالنون » وهو صاحب النوادر والمزاج ، والصواب بالزاي المعجمة في آخره . أشهد أبو بكر بن مقسم :

٢٠ إن أبا الحارث جَمِيزاً * قد أوتى الحكمة والميزا

وقد أهمله المصنف (مؤلف القاموس) في حرف الزاي ونهنا عليه هناك « اه . ولذا رجحنا ذكره بالزاي المعجمة في جميع المواضع التي ورد فيها . (٥) تقدم تفسيرها قريباً . (٦) كذا في البخلاء ، وفي الأصل : « وكان يقال » .

الجماعة، والطعام والشراب أخوان . أما إنه لولا رخص الماء وغلاء الخبز لما
كَلَبُوا على الخبز وزَهَدُوا في الماء؛ والناس أشدَّ شيء تعظيماً للأكل إذا كثر ثمنه
وكان قليلاً في منبته وعُنصره . هذا الخبز الصافي والباقيلاء الأخضر أطيب من كَثْرَى
خُرَّاسَانَ والموز البُسْتَانِي، وهذا الباذِنجَان أطيب من الكَكَاة، ولكنهم لِقَصْرِ هَمِّهم
وأذهانهم في التقليد والعادة لا يشتهون إلا على قدر الثمن .

وكان يقول : لو شرب الناس الماء على طعامهم لما أَمْتَحُوا . وذلك أن الرجل
لا يَعْرِف مِقْدَارَ ما أكل حتى يَنَالَ من الماء شيئاً، لأنه ربما كان شعبان وهو
لا يَدْرِي . وفي قول الناس : ماء دِجْلَة أَمْرَأ من ماء الفُرَات، وماء مِهْرَان أَمْرَأ من
ماء [نهر] بَلَخ^(٣)، وفي قول العرب : هذا ماء يَمِيرُ يَصْلُحُ عليه [المال] دليلٌ على أن
الماء يُمِرُّ؛ حتى قالوا : إن الماء الذي يكون عليه التَّفَاطَات أَمْرَأ من الماء
الذي تكون عليه القِيَارَات . فعليكم بشرب الماء على الغداء [فإن ذلك أَمْرَأ]^(٥) .

قال وكان الثَّوْرِي يَقُول لِعِيَالِه : لا تُلْقُوا نوى التمر والرُّطْبَ وتَعُوذُوا بِآبِلَاعِه،
فإن النوى يَعْقِدُ الشَّحْمَ في البطن، وَيُدْفِئُ الكُلَيْتَيْنِ بِذلك الشَّحْمِ؛ واعتبروا ذلك
بِيطُونِ الصَّفَايَا وَجَمِيعِ ما يَعْطِفُ النَّوى . والله لو حَلَمْتُ أَنْفُسَكُمْ على قَضَمِ الشَّعِيرِ
وَأَعْتَسَلَفِ الْقَتَّ لَوَجَدْتُمُوهَا سَرِيعَةَ الْقَبُولِ، وقد يأكل الناسُ الْقَتَّ قَدَّاحَا^(٨)،

(١) الباقيلاء (بخفيف اللام ممدودا وتشديدها مقصورا) : القول الواحدة بهاء أو الواحد
والجمع سواء . (٢) مهران : نهر عظيم بقدر دجلة تجري فيه السفن . (٣) التكلة عن البخلاء
(ص ١٠٤) . ونهر بلخ هو جيحون . (٤) كذا بالأصل وكتاب البخلاء . (٥) الزيادة
عن كتاب البخلاء . (٦) الصفايا : جمع صفي ، والصفي : الناقة الغزيرة اللبن وكذلك الشاة .
(٧) القت : حب برى يأكله أهل البرية عام التحط بعد دقه وطبخه . (٨) قداحا : رطباً قبل
أن يجفف .

وَالشَّعِيرَ قَرِيكًا، وَنَوَى الْبُسْرَ الْأَخْضَرَ، وَنَوَى الْعَجْوَةَ، وَإِنَّمَا بَقِيَتْ عَلَيْكُمْ الْآنَ عَقَبَةٌ، أَنَا أَقْدِرُ أَنْ أَبْتَلَعَ النَّوَى وَأُعْلِفَهُ الشَّاءَ، وَلَكِنِّي أَقُولُ هَذَا بِالنَّظَرِ لَكُمْ.

وَكَانَ يَقُولُ لَهُمْ: كُلُوا الْبَاقِلَاءَ بِقَشُورِهِ، فَإِنَّ الْبَاقِلَاءَ يَقُولُ: مِنْ أَكَلَنِي بِقَشُورِي فَقَدْ أَكَلَنِي، وَمَنْ لَمْ يَأْكَلَنِي بِقَشُورِي فَأَنَا أَكَلُهُ، فَمَا حَاجَتُكُمْ [إِلَى] أَنْ تُصَيِّرُوا طَعَامًا لَطْعَامَكُمْ، وَأَكَلًا لِمَا جُعِلَ أَكَلًا لَكُمْ.

قَالَ: وَحُمَ هُوَ وَعِيَالُهُ فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى أَكْلِ الْخَبْزِ، فَرِجَ أَقْوَاتَهُمْ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ؛ فَفَرِجَ وَقَالَ: لَوْ كَانَ فِي مِثْلِي سَوْقُ الْأَهْوَازِ وَنَظَاةُ خَيْبَرَ رَجُوتُ أَنْ أَسْتَفْضِلَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مِائَةَ دِينَارٍ.

قَالَ: وَودَّعَا مُوسَى بْنُ جَنَاحٍ جَمَاعَةً مِنْ حِيرَانِهِ لِيَقْطُرُوا عِنْدَهُ [فِي شَهْرِ رَمَضَانَ]،^(٣) فَلَمَّا وُضِعَتِ الْمَائِدَةُ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: لَا تَعْجَلُوا، فَإِنَّ الْعَجَلَةَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ. ثُمَّ وَقَفَ وَقَفَةً ثُمَّ قَالَ: وَكَيْفَ لَا تَعْجَلُونَ وَاللَّهِ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾. اسْمَعُوا مَا أَقُولُ لَكُمْ، فَإِنَّ فِيهِ حَسَنَ الْمَوْاكَِلَةِ وَالتَّبَعْدَ مِنَ الْأَثَرَةِ، وَالْعَاقِبَةَ الرَّشِيدَةَ، وَالسَّيْرَةَ الْمَحْمُودَةَ: إِذَا مَدَّ أَحَدُكُمْ يَدَهُ لِيَسْتَقِيَ مَاءً فَأَمْسَكُوا أَيْدِيَكُمْ حَتَّى يَقْرُغَ، فَإِنَّكُمْ تَجْمَعُونَ عَلَيْهِ خِصَالًا: مِنْهَا أَنْكُمْ تَنْغَصُّونَ عَلَيْهِ فِي شَرْبِهِ، وَمِنْهَا أَنَّهُ إِذَا أَرَادَ اللَّحَاقَ بِكُمْ فَلَعَلَّهُ يَتَسَرَّعُ إِلَى لُقْمَةٍ حَازَةٍ فَيَمُوتُ، وَأَدْنَى ذَلِكَ أَنْ تَبْعَثُوهُ عَلَى الْحِرْصِ

(١) كَذَا فِي الْبُهْلَاءِ. وَفِي الْأَصْلِ: «أَنْ أَقْدِرُ أَنْ أَبْيَعَ النَّوَى». (٢) كَذَا فِي الْبُهْلَاءِ. وَيُرِيدُ بِسَوْقِ الْأَهْوَازِ: كَوْرَهَا وَهِيَ كَثِيرَةُ الْحَمَى وَوَجْوهُ أَهْلِهَا مُصْفَرَّةٌ مَغْبِرَةٌ. وَنَظَاةُ خَيْبَرَ: قَصْبَتُهَا وَهِيَ مَشْهُورَةٌ بِالْحَمَى أَيْضًا. قَدَّمَ أَعْرَابِيَّ خَيْبَرَ فَقَالَ:

قُلْتُ لِحَمَى خَيْبَرَ اسْتَعْدَى * هَاكَ عِيَالِي فَاجْهَدِي وَجَدِي

وَبَاكَرِي بِصَالِبٍ وَوَرَدَ * أَعَانَكَ اللَّهُ عَلَى ذَا الْجَنَدِ

لَحْمٍ وَمَاتَ وَبَقِيَ عِيَالُهُ. وَفِي الْأَصْلِ: «مِظْلَةٌ خَيْبَرَ». (٣) التَّكَلُّفُ عَنْ كِتَابِ الْبُهْلَاءِ.

وعلى عِظَم اللَّقْمِ . ولهذا قال بعضهم وقد قيل له : لم تبدأ بأكل اللحم ؟ قال : لأنَّ
اللَّحْمَ طَاعَنٌ وَالثَّرِيدُ مَقِيمٌ . وأنا وإن كان الطعام طعاعى فإنى كذلك أفعل ؛ فإذا رأيتم
فعل يخالف قولى فلا طاعة لى عليكم . قال بعضهم : فربما نسي بعضنا ففدَّ يده
وصاحبه يشرب ، فيقول له : يدك يا ناسي ، ولولا شيء لقلت لك : يا متغافل .
قال : فأنا بأرزية لو شاء أحدنا أن يعدَّ حباتها لعدّها ، لتفرقها وقليتها ، وهى مقدار
نصف سُكَّرَجَةٍ ^(٢) فوقعت فى فمى قطعة ^(١) ، وكنت الى جنبه ، فسمع صوتا حين
مَضغْتُها ، فقال : آجرش يا أبا كعب .

قال : وكنا نسمع باللثيم الراضع ، وهو الذى يرضع الحَلَبَ ^(٤) فلا يحلبه فى الإناء
لئلا يُسمع صوتُ الحَلَبِ - وقال بعضهم : لئلا يضيع من اللبن شيء - ثم رأيتُ
أبا سعيد المدائنى قد صنع أعظم من ذلك : ارتضع من دَنِّ خَلٍّ حتى قَنِيَ ولم يخرج
منه شيء .

قال : وكان الكِنْدِيُّ لا يزال يقول للساكن من سُكَّاتنا ^(٥) - [وربما قال]
للجار - إن فى دارى امرأة بها حَبْلٌ ، والوَخِمَى ربما أسقطت من ريج القِدر الطيبة ،
فإذا طبختم فَرَّدُوا شهوتها بغرفة أو بلعة فإن النفس يردُّها اليسير ، وإن لم تفعل
ذلك وأسقطت فعليك غيرة ^(٦) : عبد أو أمة .

(١) فى الأصل : «حبها» بالإفراد . (٢) السكجة : الصفحة .

(٣) فى الأصل : «وكذا نسمع» . (٤) الحلب (بالتحريك) : اللبن . (٥) التكملة عن

كتاب البهلاء للمباحظ (ص ٨٣ طبع أوربا) . (٦) الغرة : البياض الذى يكون فى وجه الفرس ،

والمراد بالغرة هنا العبد الأبيض أو الأمة البيضاء . ومضى غرة لبياضه ، فلا يقبل فى الدية عبد أسود ولا جارية

سوداء ، وليس ذلك شرطا عند الفقهاء . وإنما الغرة عندهم ما بلغ ثمنه نصف عشر الدية من العبد والإماء .

وقال بعضهم : نزلنا داراً بالكراء للكيندي على شروط ، فكان في شرطه على السكان أن يكون له روث الدابة ، وبعر الشاة ، ونشوار العلوقة ، وألا يخرجوا عظما ولا يخرجوا كئاسة ، وأن يكون له نوى التمر ، وقشور الرمان ، والغرفة من كل قدر تطبخ للخبلى في بيته ، وكان في ذلك يتنزل عليهم ، فكانوا لطيبه وإفراط بخله يحملون ذلك .

وقال دُعيل : أفنا يوما عند سهل بن هارون ، فاطلنا الحديث حتى أضطره الجوع إلى أن دعا بغدائه ، فأثني بصحفة عذمية فيها مرق لحم ديك عيس هيرم ليس قبلها ولا بعدها غيرها ، لا تحز فيه السكين ، ولا تؤثر فيه الأضراس ، فأطلع في القصعة وقلب بصره فيها ، فأخذ قطعة خبز يابس فقلب بها جميع ما في الصحفة ففقد الرأس ، فبقي مطرقا ساعة ، ثم رفع رأسه الى الغلام وقال : أين الرأس ؟ قال : رميتُ به ، قال : ولم ؟ قال : ما ظننتُ أنك تأكله [ولا تسأل عنه] ! قال : ولأى شيء ظننتُ ذلك ؟ فوالله إني لأمُت من يرى برجله فكيف من يرى برأسه ! والرأسُ رئيس ، وفيه الحواس الخمس ، ومنه يصيح الديك ، ولولا صوته ما أريد ، وفيه عُرفه الذي يتبرك به ، وفيه عينه التي يضرب بها المثل فيقال : « شراب كعين الديك » ، وديماغه عجب لوجع الكلى ، ولن ترى عظما قط أهش من عظم رأسه ؛ فإن كان من نبل أنك لا تأكله فإن عندنا من يأكله . أو ما علمت أنه خير من طرف الجناح ومن الساق ومن العنق ! . انظر أين هو . قال : لا والله لا أدري أين هو ، رميتُ به ؛ قال : لكنى أدري أنك رميت به في بطنك ، والله حسبك .

(١) النشوار : ما يتبقى من علف الدابة . (٢) يتنزل عليهم : ينزل عليهم ويقرعهم .

(٣) عذمية : قديمة . (٤) العامى : الذى أسن حتى جف وصلب .

(٥) لا تحز : لا تقطع . وفي الأصل : « لا تحجز » . (٦) الزيادة عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٤)

(٧) تقول العرب في أمثالها : « أصفى من عين الديك » .

وحكى عن رجل أنه قال : مررت ببعض طُرُقَات الكوفة ، فإذا رجل يُحَاصِم جَاراً له ، فقلت : ما بالكما تختصمان ؟ فقال [أحدهما ^(١)] : لا والله إلا أن صديقاً لى زارنى فأشهى على رأسا ، فاشتريته وتغدينا به وأخذت عظامه فوضعتها على باب دارى أتجمل بها عند جيرانى ، فجاء هذا فأخذها وتركها على باب داره يؤهم أنه اشتراه .

قال : وتناول رجل من بين يدى أمير من الأمراء بيضة وهو معه ، فقال : خذها فإنها بيضة العقر ، ولم يأذن له بعد ذلك .

قال : وقدمت مائدة لرجل عليها أرغفة على عدد الرؤوس ورغيف زائد يوضع على الصحاف ، فلما أنفذ القوم خبزهم التفت الى رجل الى جانبه فقال : اكسر هذا الرغيف وفرقه بينهم ، فتغافل ، فأعاد عليه ، فقال : يبتلى على يد غيرى .

قال المدائنى : كان للمغيرة بن عبد الله الثقفى وهو على الكوفة جدى يوضع على مائدته بعد الطعام لا يمسسه هو ولا غيره ، فقدم أعرابى يوماً فأكل لحمه وتعرق عظامه ، فقال ، يا هذا ، أطلب هذا البائس بذحل ؟ ! هل نطحتك أمه ! قال : وأبيك إنك لشقيق عليه ! هل أرضعتك أمه !

قال المدائنى : كان لزياد بن عبد الله الحارثى جدى لا يمسسه [أحد ^(٨)] ، فعشى فى شهر رمضان قوماً فيهم أشعب ، فعرض أشعب يوماً للجدى من بين القوم ،

(١) الكلمة عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٥) . (٢) جاءت هذه العبارة فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٥) ضمن الحكاية التى سبقتها المدائنى بعد عن المغيرة بن عبد الله الثقفى والأعرابي الذى قدم عليه . (٣) بيضة العقر : بيضة يبيضها الديك مرة واحدة ثم لا يعود . يضرب مثلاً لمن يصنع الصنعة ثم لا يعاودها . راجع اللسان مادة « بيض » . (٤) تعرق العظم : أخذ ما عليه من اللحم .

(٥) الذحل : التأثر . (٦) فى الأصل : « إنه لشقيق » .

(٧) فى الأصل : « قال » وكتب فى هامش الأصل الفتوغرافى : « لعله كان » وهو الصواب .

(٨) الزيادة عن كتاب البخلاء (ص ١٦٢ طبع أوروبا) .

فقال زياد حين رُفِعت المائدة : أَمَا لأهل السجن إمامٌ يصلِّي بهم ؟ قالوا : لا ؛ قال : فَلْيُصَلِّ بهم أشعب ؛ قال أشعب : أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ أيها الأمير ؟ قال : وما هو ؟ قال : لا آكل لحم جدى أبدا .

قال : وكان المغيرة بن عبد الله "ثُمَّقِي" يَا كُلِّ وَأَصْحَابَهُ تَمْرًا فَانْطَفَأَ الْمِرَاجُ ، وَكَانُوا يُلْقَوْنَ النَّوَى فِي طَسْتٍ ، فَسَمِعَ صَوْتُ نَوَاتِينَ ؛ فَقَالَ : مَنْ ذَا يَلْعَبُ بِالْكَعْبَتَيْنِ ؟^(١)

قال الأعشى^(٢) :

تَيْتُونَ فِي الْمَشْقَى مِلَاءً بِطُونَكُمْ * وَجَارَاتُكُمْ سُغْبٌ يَتَنَّ نَحْمَائِصًا

وقال آخر^(٣) :

١٠ وَضِيفَ عَمْرٍو وَعَمْرُو سَاهِرَانِ مَعَا * فَذَاكَ مِنْ كَطْطَةِ وَالضِّيفِ مِنْ جَوْعٍ

وقال آخر :

وَجِيرَةٌ لَا تَرَى فِي النَّاسِ مِثْلَهُمْ * إِذَا يَكُونُ لَهُمْ عِيدٌ وَإِفْطَارُ
إِنْ يُوقِدُوا يَوْسَعُونَا مِنْ دُخَانِهِمْ * وَلَيْسَ يَبْلُغُنَا مَا تُضْجِعُ النَّارُ

وقال سَمَاعَةُ بْنُ أَشْوَل :

١٥ نَزَلْنَا بِسَهْمِهِمُ وَالسَّمَاءُ تَلْفُنَا * لَحَى اللَّهُ سَهْمًا مَا أَدَقُّ وَالْأَمَّا
فَلَمَّا رَأَيْنَا أَنَّهُ عَاتِمُ الْقُرَى^(٥) * بِخَيْلٍ ذَكْرُنَا لَيْلَةَ الْهَضْبِ كَرْدَمًا

(١) الكعبة والكعب : العظم الذي تلعب به الصبيان .

(٢) هوميون بن قيس ، قال هذا الشعر يهجو علقمة بن علاثة .

(٣) هو بشار كما في نهاية الأرب (ج ٣ ص ٣٢٠ طبعة أولى) ، ورواية البيت فيه :

٢٠ وَضِيفَ عَمْرٍو وَعَمْرُو يَسْهَرَانِ مَعَا * عَمْرُو لِبَطْنَتِهِ وَالضِّيفِ لِلْجَوْعِ

(٤) في الأصل : « لم تر » . (٥) عاتم القرى : بطيته .

فَقُمْنَا وَحَمَلْنَا عَلَى الْآيْنِ وَالْوَجَى * جَلَالًا بِأَوْصَالِ الرَّدِيفَيْنِ مِرْجَا^(١)
 يَدُقُ خِرَاطِيمَ الْقِنَانِ كَأَنَّمَا * يَدُقُ بَصَوَانِ الْجَلَامِيدِ حَنَمًا^(٢)
 بَحْنًا وَقَدْ بَاضَ الْكَرَى فِي عَيُونِنَا * قَتَّى مِنْ عَيُونِ الْمُفْرِقَيْنِ مَسَلَمًا^(٣)
 تَنَاحَ إِلَيْهِ هَجْمَةٌ وَأَتَكِيَّةٌ * رَعَتْ بِالْجَوَاءِ الْبَقْلَ حَوْلًا مَجْرَمًا^(٤)
 كَأَنَّ بِأَحْقِيهَا إِذَا مَا تَنَعَّمَتْ * مَرَادًا سَقَا فِيهِ الْمُرُودُ مَعْصَمًا^(٥)
 قَبَاتَ رَفِيقٍ بَعْدَ مَا سَاءَ ظَنُّهُ * بِمَنْزِلَةٍ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ مُكْرَمًا^(٦)
 وَلَوْ أَنَّهُمَا لَمْ يَدْفَعِ الْعَيْسَ زُمَهَا * رَأَى بَعْضُهَا مِنْ بَعْضِ أَنْسَاءِهَا دَمًا^(٧)

وقال حميد الأرقط :

وَمُسْتَنَبِحٌ بَعْدَ الْهَدُوءِ وَقَدْ جَرَتْ * لَهُ حَرْجَفٌ نَجَاءٌ وَلِلَّيْلِ عَاتِمٌ^(٨)
 رَفَعْتُ لَهُ مَخْلُوطَةً فَاهْتَدَى بِهَا * يَشْتَبُ لَهَا ضَوْءٌ مِنَ النَّارِ جَاحِمٌ^(٩)
 فَاطْعَمْتُهُ حَتَّى غَدَا وَكَأَنَّمَا * تَنَازَعَهُ فِي أَخْدَعِيهِ الْمَحَاجِمُ^(١٠)

(١) الجلال : الجبل الضخم . (٢) المرحم : المضطرب العدو ، وفي الأصل : «مرحما» .

(٣) في الأصل : «تدق» . (٤) الحنم : الخنزير بأنواعه ؛ قال سالم بن دارة :

وقد أوغلت في السير حتى كأنما * يكسر فيض بينهن وحنم

والفيض : قشرة البيضة العليا اليابسة . وكتب في الأصل الفتوغرافي أمام كلمة الحنم : «الحصيد» ولعله من

معاني الكلمة . (٥) في الأصل : «المفرقين» ، ولعله : «من عيوب المفرقين مسلما» ، ويريد مدحه

بأنه سالم من عيوب المفرقين الذين أفسدوا ما عملوا من صالح بما ارتكبه من أثم . (٦) الهجمة من

الابل : أوتها الأربعون إلى ما زادت ، وفيها أقوال غير ذلك . (٧) هكذا بالأصل ولعلها «وائلة» .

(٨) الجواء : الواسع من الأودية ، وربما أريد به موضع بعينه . (٩) في الأصل : «النقل» .

(١٠) مجرما : تاما ، وفي الأصل : «محزما» . (١١) أحق : جمع حق وهو الخصر .

(١٢) المزاد : جمع مزادة وهي الراوية والقربة التي يستق فيها . (١٣) معصا : مشدودا بالعصام

وهو رباط القربة . (١٤) أنساء : جمع نساء وهو عرق من الورك إلى الكعب . وفي الأصل :

«أنسابها» . (١٥) في الأصل : «ومنتيح» . (١٦) كذا بالأصل ولعلها «مخبوطة»

وهي الشجرة التي تفض عنها ورقها . (١٧) في الأصل «تناعه» .

(١) (٢) كَرْمَهُانَ يَفْطُو الْمَشَى لَوْ جُعِلَتْ لَهُ * رَعَايَا الْجَمَى لَمْ يَلْتَفِتْ وَهُوَ قَائِمٌ
حَرِيصٌ عَلَى التَّسْلِيمِ لَوْ يَسْتَطِيعُهُ * فَلَمْ يَسْتَطِعْ لَمَّا غَدَا وَهُوَ عَائِمٌ^(٣)
وَقَالَ الْأَعَشَى^(٤) :

إِذَا حَلَّتْ مَعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرِو ■ عَلَى الْأَطْوَاءِ خَنَقَتِ الْكَلَابَا

(٥)
وَقَالَ آخَرُ :

أَيَّابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ وَأَيَّابْنَ مَالِكٍ * وَيَأْبَنَةَ ذِي الْبُرْدَيْنِ وَالْفَرَسِ الْوَرْدِ
إِذَا مَا عَمِلَتْ الزَّادَ فَالْتَمِسِي لَهُ * أَكِيلاً فَإِنِّي غَيْرُ آكِلِهِ وَحَدِي^(٦)
بَعِيداً قَصِيّاً أَوْ قَرِيْباً فَإِنِّي * أَخَافُ مَذَقَاتِ الْأَحَادِيثِ مِنْ بَعْدِي^(٧)
وَكَيْفَ يُسَيِّغُ الْمَرْءُ زَاداً وَجَارَهُ * خَفِيفُ الْمَعَى بَادِي الْخَصَاصَةِ وَالْجَهْدِ
وَلَمْ يَمُوتْ خَيْرٌ مِنْ زِيَارَةِ بَاخِلٍ * يُلَاحِظُ أَطْرَافَ الْأَكِيلِ عَلَى عَمْدِ
وَقَالَ مُرَّةُ بْنُ مُحَكَّانَ السَّعْدِيُّ :

فَقُلْتُ لَمَّا غَدَوْتُ أَوْصِي قَعِيدَتَا * غَدَى بَنِيكَ فَلَنْ تَلْقِيَهُمْ حَقْباً^(٨)
أُدْعَى أَبَاهُمْ وَلَمْ أَقْرِفْ بِأَمِّهِمْ * وَقَدْ هَجَعْتُ وَلَمْ أَعْرِفْ لَهُمْ نَسَباً

- (١) الزمهان : الحران . (٢) فطا الدابة يفظوها : ساقها سوفاشديدا .
(٣) كذا بالأصل ، ولعلها « صائم » كما يقتضيه السياق . (٤) هو أعشى بنى تغلب كما في كتاب
الحيوان للجاحظ (ج ١ ص ١٩٤) . (٥) هو حاتم الطائي يخاطب امرأته ماوية بنت عبد الله
وعنى بذى البردين عامر بن أحيمر بن بهدلة . (٦) رواية أشعار الحماسة :
إِذَا مَا صَنَعْتُ ... * ... فَإِنِّي لَسْتُ ...
(٧) روى هذا الشطر في أشعار الحماسة :
* أَخَا طَارِقاً أَوْ جَارِ بَيْتِ فَإِنِّي ■
(٨) رواية الشعر والشعراء للزُّلْفِ (ص ٤٣٢) : « فَلَنْ تَلْقِيَهُمْ » .

وقال حماد عجرد :

زرتُ أمراً في بيته مرة * له حياة وله خير
يكره أن يُتخِمَ إخوانه * إن أذى التُّخمة محذور
ويستهي أن يُؤجروا عنده * بالصوم والصائم مأجور

وقال بعض المحدثين :

أبو نوح نزلت عليه يوماً * فقداني برائحة الطعام
وجاء بلحيم لا شيء سمين^(١) * فقدّمه على طبق الكلام
فلما أن رفعت يدي سقاني * مداً بعد ذاك بلا مدام
فكان كمن سقى الظمان آلاً * وكنت كمن تغدّى في المنام

وقال عروة بن الورد :

إني أمرؤ عافٍ إنائي شركه * وأنت أمرؤ عافٍ إنائك واحد
أتهزأ مني أن سميت وأن ترى * بجسمي مسّ الحقّ والحقّ جاهد^(٢)
أقسم جسمي في جسوم كثيرة * وأحسوقراح المساء والماء بارد

(١) رواية العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٨) :

وقدم بيننا لحماً سمينا ■ فقدّمه على طبق الكلام

فلما أن رفعت يدي سقاني * كؤوساً حشوها ريح المدام

(٢) في أشعار الحماسة (ص ٧٢٣ طبع أوربا) : « بوجهي شحوب الحق » .

باب القُدور والجفان

ذكر الفرزدق عقبه بن جبار المنقري وقدره فقال :

لو أن قدرًا بكت من طول محبستها * على الحفوف بكت قدر ابن جبار^(١)
ما مسها دسم مذكُفٌ معيشتها * ولا رأت بعد نار القين من نار

وقال :

كأن تطلع الترغيب فيها * عذارٍ يطلعن إلى عذار^(٢)^(٣)

وقال الكمي :

كأن الغطامط من غليها * أراجز أسلم تهجو غفارا^(٤)

وقال آخر :

وقدر جحوف الليل أحشمت غليها * ترى الفيل فيها طافيا لم يفصل^(٥)

وقال ابن الزبير يمدح أسماء بن خارجة :

ترى البازل البخقي فوق خوانه * مقطعة أعضاؤه ومفاصله^(٦)

(١) كذا في ديوانه المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢ ش أدب (ص ٣٩) . والحفوف :

قلة الدسم . وفي الأصل : « الجفون » وهو تحريف .

(٢) هذا البيت من أبيات يمدح بها أبا السمحاء سخيم بن عامر أحد بني عمرو ، ومطلعها :

سألنا عن أبي السمحاء حتى * آتينا خير مطروق لسارى

(٣) كذا في ديوانه المخطوط المحفوظ بدار الكتب . والترغيب : السنام المقطع شطائب مستطيلة .

وفي الأصل : « الترغيب » بالعين المعجمة وهو تحريف . (٤) الغطامط (بضم الغين المعجمة) : صوت

الغليان ، ويقال : تنفطمت القدر إذا اشتد غليانها . وأسلم وغفار : قبيلتان كانت بينهما مهاجرة .

(٥) هو ميسرة أبو الدرداء ، كما في كتاب البخله للباحظ (ص ٢٤٨ طبع أوربا) . (٦) كذا

في كتاب البخله . وفي الأصل : « اجشمت » وهو تحريف . وأحش القدر : أشبع وقودها .

(٧) هو عبد الله بن الزبير الأسدي كما في الأغاني (ج ١٣ ص ٣٥ ، ٤٢ طبع بولاق) .

وقال الرقاشي :

لنا من عطاء الله دَهْمَاءٌ جَوْنَةٌ * تناولُ بعد الأقربين الأفاضِلَا
 جعلتُ أَلَاً وَالرَّجَامَ وَطِخْفَةً * لها فاستَقَّت فوقهنَّ الأثافِيَا
 مؤدِّيَّةٌ عنا حقوقَ مجيد * إذا ما أتاَنَا يابسُ الجنبِ طاوِيَا
 أنى أبْنُ بسيرٍ كى يُنَفِّسَ كَرْبَهُ * إذا لم يَرَحْ وافى مع الصبحِ غادِيَا
 فأجابه ابنُ يسير :

وثرَمَاءٌ ثَلَمَاءُ النواحى ولا يرى * بها أحدٌ عَيَا سِوى ذاكِ بادِيَا
 إذا انْقَاصَ منها بعضُها لم يَجِدْ لها * رَعُوبَا لما قد كان منها مُدَانِيَا
 وإن حاولوا أن يَشْعَبُوهَا فإنها * على الشَّعْبِ لا تَرْدَادُ إلا تداعِيَا
 معوَّذةُ الإِرجالِ لم توفِ مَرَقَبَا * ولم تَمْتَطِ الجَوْنُ الثلاثُ الأثافِيَا

- (١) الدهماء : القدر . وجونة : سوداء . (٢) في الأصل « تناول » بالياء المشناة .
 (٣) ألال (وزان حمام ويروى بكسر همزة) : اسم جبل يعرفات . والرجام : جبل طويل أحمر تزل به
 جيش أبي بكر رضى الله عنه يريدون عمات أيام الردة . وطخفة (بكسر الطاء وبفتح) : جبل .
 (٤) في كتاب البخلاء للباحظ (ص ٢٥٠) : « بائس الحال » . (٥) كذا في كتاب البخلاء ،
 وقد ورد هذا البيت في الأصل محرفاً هكذا :

أنا ابنُ بَشِيرٍ أن تنفَسَ كَرْبَهُ ■ إذا لم يَرَحْ وافا من الصبحِ عادِيَا

- (٦) كذا في كتاب البخلاء . وهو محمد بن يسير البسيري كما في الكامل للبُرد (ص ٢٣٢ = ٢٣٣ طبع
 أوروبا) وطبقات الشعراء للزُّلف (ص ٥٦٠ طبع أوروبا) ، وفي الأصل : « ابنُ بَشِيرٍ » .
 (٧) كذا في كتاب البخلاء . وفي الأصل : « سلما » وهو تحريف . والثرماء : من كسرت ثنيثها ، شبه
 بها القدر التي تكسرت أطرافها من كثرة الاستعمال . والثلماء : المكسورة النواحي . (٨) انقاص :
 انشق . (٩) في الأصل : « وانها » بالواو . (١٠) معوذة : ممنوعة ، والإرجال : مصدر
 أرجله إذا جعله يمشى ، ولعله يريد أن هذه القدر لا تنقل لضخامتها . وفي كتاب البخلاء : « معوذة
 الأرحال » . (١١) في الأصل : « ولم يمتط » .

ولا أَجْتَرَعْتُ من نحو مكة شُقَّةً * إلينا ولا جازت بها العيسُ وادياً
ولكنها في أصلها مَوْصِلِيَّةٌ * مجاورةٌ قِيضاً من البحر جارياً
أَتَنَّا تُرْجِيها المِجَادِيْفُ نَحْوَنَا * وتُعَقِبُ فيما بين ذاك المَزَادِيَا^(٤)
يقول لِمَنْ هَذِي القُدُورُ التي أرى * تَهِيلُ عليها الرِّيحُ تُرباً وسافياً
فقالوا ولَنْ يَخْفَى على كل ناظرٍ * قُدُورُ رَقَاشٍ إِنْ تَأْمَلُ دَانِيَا^(٥)
فقلت متى باللحمِ عهدُ قُدُورِكُمْ * فقالوا إذا ما لم يَكُنْ عَوَارِيَا
من آخَى إلى آخَى وإلا فإنها * تكون بَنَسَجِ العنكبوت كماها
فلما آسْتَبَانَ الجَهْدُ لِي في وجوهم * وشكواهم أَدخَلْتُهُمْ في عِيَالِيَا
يُنَادِي بَعْضُ بَعْضُهُمْ عند طَلْعِي * أَلَا أَنْشُرُوا هَذَا الْيَسِيرِي جَائِيَا

وقال أبو نُوَّاس :

ودَهَمَا^(٦) تُنْفِيها رَقَاشٌ إذا شَتَّتْ * مُرَكَّبَةُ الآذَانِ أُمُّ عِيَالٍ^(٧)
يَغْصُ بِحَيْرُومِ البَعُوضَةِ صدرها * وتُزِيلُها عَفْوَاً بغيرِ جِعَالٍ^(٨)

(١) اجترعت : قطعت . وفي الأصل : « اجترعت » بالراء .

(٢) في الأصل : « غيضا » بالغين المعجمة . (٣) كذا في كتاب البخل .

وفي الأصل : « تجزينا » وهو خطأ . (٤) المزادى : جمع مزادة ، والمزادة : الحفيرة

يرى الصبيان فيها النوى . (٥) رواية البخل : « راثيا » .

(٦) الدهم : السوداء من القدور . وتنفيها : تجعل لها أثافي . وفي ديوانه (ص ١٧٦ طبع مصر) :

« ترسيها » من قولهم : قدر راسية لا تبرح مكانها ولا يطاق تحويلها . (٧) أم عيال : تقوتهم

وتقوم بحاجتهم . (٨) في الأصل : تغص بحيزون وهو تحريف . وقد ورد هذا الشعر

في ديوانه (ص ١٧٧ طبع مصر هكذا) :

يغص بحيزوم الجراداة صدرها * وينضج ما فيها آتقاد ذبال

وتقلي بذكر النار من غير حرها * وينزلها الطاهى بغير جمال

والجمال بالكسر : خرقة تنزل بها القدر .

ولو جنتها ملأى عَيْطًا مُجَزَّلًا ^(١) . لأُخرجت ما فيها بعودٍ خلال
 هي القِدْرُ قَدَّرَ الشَّيْخُ بَكْرُ بْنُ وائِلٍ * رَبيعُ التَّسَامَى عامَ كُلِّ هُرْإِلٍ ^(٢)

وقال أيضا :

رَأَيْتُ قُدُورَ النَّاسِ سُودًا مِنَ الصَّلَى ^(٣) * وَقَدَّرَ الرَّقَاشِيَّينَ زَهْرَاءَ كَالْبَدْرِ
 ولو جنتها ملأى عَيْطًا مُجَزَّلًا * لأُخرجت ما فيها على طَرْفِ الظُّفْرِ
 يَنْبُتُهَا ^(٤) لَلْعُتْفَى بِفَنَائِهِمْ * ثَلَاثُ كُحَطِّ النَّاءِ ^(٥) مِنْ نَقَطِ الْخَبْرِ
 تَرْوُحٌ عَلَى حَتَّى الرَّبَابِ وَدَارِمٍ ^(٦) * وَسَعْدٌ وَتَعْرُوهَا قَرَا ضِبَّةُ الْفِزْرِ
 وَلِلْحَتَّى عَمَرُو نَفْحَةً مِنْ سِجَالِهَا * وَتَغْلِبُ ^(٧) وَالْبَيْضُ اللَّهَامِيمُ مِنْ بَكْرِ
 إِذَا مَا يُنَادَى بِالرَّحِيلِ سَعَى بِهَا * أُمَامُهُمُ الْحَوِيُّ مِنْ وَلَدِ الدَّرِّ

وقال أبو عبيدة : كان لعبد الله بن جُدعان جَفَنَةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا الْقَائِمُ وَالرَّاكِبُ .
 وذكر غيره أنه وقع فيها صبي فغريق .

(١) العَيْط : اللحم الطري . ومجزل : مقطع .

(٢) كذا في الديوان وكتاب البخلاء . وفي الأصل : « منيع » .

(٣) في البخلاء (ص ٢٥١) : « سودا على الصل » . والصل : النار . (٤) كذا في البخلاء .

(ص ٢٥١) : وفي الأصل : « بينها للعنقى بفنائهم » . (٥) كذا في كتاب البخلاء . وفي الأصل

« نخط » وهو تحريف . (٦) الزباب ودارم وسعد والفرز : أسماء قبائل . والقراضة : اللصوص

والفقراء ، واحده قرصاب أو قرضوب . (٧) كذا في كتاب البخلاء . والهاميم من الخيل :

جيادها ، ولهاميم الإبل : غزارها ، ولهاميم الناس : أشياخهم . وفي الأصل : « اللهايم من فكر »
 وهو تحريف .

(١)
وقال الأشعر :

(٢)
وأنت مَلِيخٌ كلحم الحُوار * فلا أنتَ حُلُوٌ ولا أنتَ مُرٌّ
وقد علم الضيف والطارقون * بأنك للضيف جوعٌ وقُرٌّ

(٣)
سأل يحيى بن خالد أبا الحارث جُمَيَّزًا عن طعام رجلٍ ، فقال : أما مائدته فمقنة
وأما صحافه فمقنورةٌ من حَبِّ الخَشَاشِ ، وبين الرغيف والرغيف نقرة جوزة ، وبين
اللون واللون قُتْرَةٌ نَيِّ . قال : فمن يحضرها ؟ قال : الكرام الكاتبون . قال : فيأكل
معه أحدٌ ؟ قال : نعم ، الذباب . قال : فلهذا ثوبُك مخرقٌ ولا يَكْسُوكَ وأنتَ معه
وبقائه ؟ ! قال أبو الحارث : جُعِلَتْ فِدَاؤُكَ ، والله لو ملك بيتًا من بغداد إلى الكوفة
مملوءا إبراءً ، في كل إبرة خيط ، ثم جاءه جبريل وميكائيل معهما يعقوبُ يَضْمَنانِ
عنه إبرةً يَخِيطُ بها قيصَ يوسف الذي قُتِدَ من دُبرٍ ، ما أعطاهم .

وقال بعضهم :

(٥)
ولو عليك أتكالي في الغداء أذا * لكنتُ أولَ مدفونٍ من الجوع

(١) هو الأشعر الرقبان الشاعر ، واسمه عمرو بن حارثة أسدى جاهلي ، قال هذا الشعر يخاطب به رجلا
اسمه رضوان (انظر اللسان وشرح القاموس مادة مسخ) وقد ورد هذان البيتان فيهما ضمن شعر له مع اختلاف
في بعض الكلمات وهو :

بحسبك في القوم أن يعلموا * بأنك فيهم غنى مضرٌ
وقد علم المعشر الطارقوك * بأنك للضيف جوعٌ وقُرٌّ
إذا ما انتدى القوم لم تأتهم * كأنك قد ولدتك الحمر
مسيخٌ مليخٌ كلحم الحُوار * فلا أنتَ حُلُوٌ ولا أنتَ مُرٌّ

(٢) المليخ : الذي لا طعم له ، وخص به بعضهم لحم الحوار (وهو ولد الناقة) حين يترل من بطن أمه .
(٣) يلاحظ هنا أن صدر كلام جُمَيَّزٍ في حاجة إلى الوضوح لغموض عبارته . (٤) لذا بالأصل .
والذي في العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٤) : « أما مائدته فغنية » بالغين والياء المثناة من تحت والياء
الموحدة . (٥) في العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٥) : « مقتول » .

سياسة الأبدان بما يصلحها من الطعام وغيره

قال الحجاج لتياذوق متطببه: ^(١) صِف لي صفةً آخُذُ بها [في نفسى] ولا أعدوها،
قال تياذوق: لا تتزوج من النساء إلا شابة، ولا تأكل من اللحم إلا فتية،
ولا تأكله حتى يُنعم طبخه، ولا تشرب دواءً إلا من علة، ولا تأكل من الفاكهة
إلا نضيجها، ولا تأكل طعاماً إلا أجدت مضغه، وكل ما أحببت من الطعام
وأشرب عليه، وإذا شربت فلا تأكل عليه شيئاً، ولا تحبس الغائط والبول،
وإذا أكلت بالنهار فتم، وإذا أكلت بالليل فتمش ولو مائة خطوة ^(٢).

روى عبد العزيز بن عمران عن الحلبي بن حيان الأشجعي قال حدثني أبي
عن شيوخ من أشجع قال: سألنا يهود خير: بم صحتهم بخير؟ قالوا: بشرب
الخمر، وأكل الفوم، وسكون اليقاع، وتجنب بطون الأودية، والخروج من خير
عند طلوع الفجر وسقوطه ^(٣).

قال الحجاج للحكم بن المنذر بن الجارود: أخبرني عن صفاء لونك وغلظ
قصرتك، ^(٤) أشرب اللبن فهو منه؟ قال: لا؛ قال: ولم؟ قال: لأنه منقنة منقخة.
قال: فما شربك؟ ^(٥) قال: نبيذ الدقل في الصيف ونبيذ العسل في الشتاء.

- ١٥ (١) كذا في تاريخ الحكاء للقفطي (ص ١٠٥ طبع أوروبا) وطبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة
(ج ١ ص ١٢١)، وكان طبيباً مشهوراً في صدر الإسلام والدولة الأموية واختص بالحجاج بن يوسف
فكان يثق به ويعتمد عليه في مداواته. وهذا الاسم ذكر مرة في الأصل «بياذوق» ومرة أخرى «بياذوق»،
وفي العقد الفريد «يتادون». وكله تحريف. (٢) في طبقات الأطباء: «نحسين خطوة».
(٣) في العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٧): «عند طلوع النجم وعند سقوطه». (٤) القصرة: أصل العنق إذا غلظ. وفي الأصل: «... عن صفاء لونك وقصر غلظ قصرتك». (٥) الدقل
٢٠ (بالبحر بك): أردأ التمر وضرب من النخل تمره صغير الحرم كبير النوى.

قال عبد الملك لأعرابي : إنك حسن الكدنة^(١)، قال : إني أدني رجلي في الشتاء، وأغفل غاشية الغم، وآكل كل عند الشهوة .

عن علي رضي الله عنه أنه قال : من ابتدأ غذاءه بالملح أذهب الله عنه سبعين نوعاً من البلاء . ومن أكل كل يوم سبع تمرات تحوّل قتل كل داء في بطنه . ومن أكل كل يوم إحدى وعشرين زبينة حمراء لم يرقى بدنه شيئا يكرهه . واللحم ينبت اللحم . والثريد طعام العرب . ولحم البقر داء ، ولبنها شفاء ، وسمها دواء . والشحم يخرج مثليه من داء . ولم تستشف الناس بشيء أفضل من الرطب . والسّمك يذيب الجسد ، وقراءة القرآن والسواك يذهب البلغم . ومن أراد البقاء — ولا بقاء — فليأكل العدا ، وليقلل غشيان النساء ، ويخفف الرداء ، وليلبس الحذاء . قيل : وما خفة الرداء في البقاء ؟ قال : قلة الدين .

قيل لرجل : إنك لحسن السحنة ، فقال : آكل لباب البر بصغار المعز ، وأدهن بحام البنفسج ، وألبس الكتان^(٣) .

ويقال : ثلاثة أشياء تورث الهزال : شرب الماء على الريق ، والنوم على غير وطاء ، وكثرة الكلام برفع الصوت .

ويقال : أربع خصال يهد من العمر وربما قتلن : دخول الحمام على يظنة ، والمجامعة على الامتلاء ، وأكل القديد الجاف^(٥) ، وشرب الماء البارد على الريق ، وقيل : ومجامعة العجوز .

(١) الكدنة (بالكسر وقد يضم) : غلط الجعم وكثرة اللحم . وفي الأصل : «الكدية» بالياء المشناة من تحت ، وهو تحريف . (٢) كذا في الأصل ، والعبارة غير واضحة ، ولعلها محرفة . (٣) كذا بالأصل ، ولعلها «بحم البنفسج» واللحم : ما أذيت إهالته ، والمراد به دهن البنفسج وهو زيت الذي يستخرج منه . (٤) هي من نضائح تياذوق الطيب للحجاج كما في طبقات الأطباء ، ونسبها صاحب العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٧) لبز رجهر . (٥) القديد : اللحم المجفف ، وقيل ما قطع منه طولاً .

وفي الحديث : ^(١) "ثلاثة أشياء تُورث النسيان أكل التفاح الحامض وسُور الفأرة ونَبْدُ القملة". وفي حديث آخر ^(٢) "والجمامة في النقرة والبَوْل في الماء الراكد".
ويقال : أربعة أشياء تقصِد إلى العقل بالإفساد : الإكثار من البصل ، والباقلَاء ، والجماع ، والخمار .

وقال النظام : ثلاثة أشياء تُخْلِقُ العقل وتُفْسِدُ الذَّهْنَ : طولُ النَّظَرِ في المِرْآةِ ، والاستغراب في الضَّحِكِ ، ودوام النَّظَرِ إلى البحر .
وكان يقال : عَشَاءُ اللَّيْلِ يُورِثُ العِشَاءَ ^(٣) .
ويروى في الحديث : "تَرَكُ العِشَاءَ مَهْرَمَةً" . والعرب تقول : ترك العِشَاءَ يذهب بلحم الأَلَيْتَيْنِ ^(٤) .

باب الحِمِيَّة

قال الحارث بن كَلْدَةَ طبيب العرب : الدواء هو الأَزم . يعني الحِمِيَّة .
قال آخر : الحِمِيَّة إحدى العِلَّتَيْنِ .
وقيل لجالينوس : إنك تُقَلِّ من الطعام ؛ قال : غرضي من الطعام أن آكُلَ لأَحْيَا ، وغرضي غيري من الطعام أن يَحْيَا لِيَأْكُلَ .

(١) ورد هذا الحديث في كتاب حياة الحيوان للدميري (ج ٢ ص ٣١١) هكذا : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ست خصال تورث النسيان ، أكل سور الفأر وإلقاء القملة وهي حية والبول في الماء الراكد وقطع القطار ومضغ العلك وأكل التفاح الحامض » . (٢) النقرة : الوهدة في القفا . (٣) العِشَاء : أن يسوء بصر الإنسان أو هو العمى ، أو أن يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل . (٤) قال أبو زيد : منى الآية ألبان كما تقول هما خصيان وواحدة خصية وقد ورد ألبان في شعر عنترة :

متى ما تلقى فردين ترحف ■ روائف ألبنيك وتستطارا

(٥) ردو هذا الخبر في المقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٦) منسوباً لأبقراط .

وقال العمى^(١) : مَنْ أَحْتَمَىٰ فَهُوَ عَلَىٰ يَقِينٍ مِنَ الْمَكْرُوهِ ، وَفِي شَكٍّ مَّا يَأْمُلُ مِنَ الْعَافِيَةِ .
 وكان يقال : ليس الطيب من حمى الملك ومنعه الشهوات ، إنما الطيب
 من خلّاه وما يُريد وساس بدّنه .

وقال بعض الشعراء :

وَرُبَّتْ حَزِيمٌ كَانَ لِلْسَّقِيمِ عِلَّةٌ • وَعِلَّةُ بُرِّ الدَّاءِ خَبْطُ الْمُغْفَلِ

ويقال : الحمية للصحيح ضارة كما أنها للعليل نافعة .

وفي الحديث : أت رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى صهييا يأكل تمرًا وبه
 رمد^(٢) ، فقال له : "أنا كل التمر وبك رمد" ، فقال : يا رسول الله ، إنما أمضغ بهذه .

إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن جدّه قال : قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم "لَا تُكْرِهُوا مَرْضَاكُمْ عَلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فَإِنَّ اللَّهَ يُطْعِمُهُمْ وَيَسْقِيهِمْ" .

باب شرب الدواء

قال عبد الله بن بكر السهمي : حدثنا بعض أصحابنا يرفعه إلى النبي صلى الله
 عليه وسلم قال : "مَنْ آسَقَلَ بِدَائِهِ فَلَا يَتَدَاوَىٰ فَإِنَّهُ رُبَّ دَوَاءٍ يُورِثُ الدَّاءَ" .

- (١) هو عتبة بن مكرم (بضم أوله وإسكان الكاف وفتح المهملة) أبو عبد الملك البصري الحافظ مات
 سنة أربعين ومائتين . (انظر الخلاصة في أسماء الرجال) . (٢) يريد أنه يمضغ بناحية العين التي
 لا رمدها . ونص الحديث في الجزء السابع من شرح الزرقاني على المواهب : «وفي سنن ابن ماجه عن صهيب
 قال : قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم وبين يديه خبز وتمر ، فقال : «أدن وكل» فأخذت تمرا فأكلت »
 فقال : «تأكل تمرا وبك رمد» فقلت : يا رسول الله أمضغ من الناحية الأخرى ، فتبسم رسول الله
 صلى الله عليه وسلم : أي لأنه إن كان يضره أكل التمر لم يفده المضغ من ناحية العين التي لا رمدها .
 (٣) كذا بالأصل ، ولعل هذه الكلمة زيادة من النسخ ، لأن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف روى
 عن أبيه «وجده مات مقتولا في الجاهلية ، كما في كتاب المعارف لابن قتيبة» فلم تكن له رواية عن النبي
 صلى الله عليه وسلم .

وكانت الحكماء تقول : إياك وشرب الدواء ما حملت صحتك داءك .
وقالوا : مثل شرب الدواء مثل الصابون للثوب يُنقىه ، ولكنه يُخْلَقُه وَيُئْلِيه .
عن يزيد بن الأصم قال : لقيت ^(١) [طبيب] كسرى شبيخاً [كبيراً] ^(١) قد أوثق ^(٢)
حاجبيه بخرقه ، وسأته عن دواء المشي ، قال : سهم يرمى به في جوفك أخطأ أو أصاب .
قال أبقرط : الدواء من فوق ، والدواء من تحت ، والدواء لا فوق ولا تحت .
وفسره المفسر فقال : من كان دأؤه في بطنه فوق سُرته سقى الدواء ، ومن كان
دأؤه تحت سُرته حقن ، ومن لم يكن به داء لا من فوق ولا من تحت لم يسق
الدواء ، فإن الدواء إذا لم يجد داء يعمل فيه وجد الصحة فعمل فيها .
قال أبو القظان : كان عبد العزى بن عبد المطالب يشتكى عينه وهو مطريق
أبداً ، وكان يقول : ما يعني بأس ، ولكن كان أخى الحارث إذا اشتكت عينه يقول :
أكلوا عين عبد العزى معي فإمر من يكحلني معه ليرضيه بذلك فأمرض عيني .
قال ابن أحر حين شفى بطنه :
شربت الشكاغى ^(٦) وألتدت ألدّة ^(٧) ■ وأقبلت أفواه العروق المكأوى
شربنا ودأويننا وما كان ضارنا * إذا الله حمّ المرء أن لا تدأوى ^(٨)
وفي الحديث : "دأوا مرضاكم بالصدقة وحصنوا أموالكم بالزكاة وأستقبلوا ^(٩)
أنواع البلاء بالداء" .

(١) التكلة عن أسد الغابة . (٢) المثنى : الإسهال ودأؤه المثنى وهو المسهل .
(٣) في الأصل : « أم » . (٤) هو أبو طب . (٥) فعل الفاعل « أبي » أو نحوه
من له ولاية الأمر عليه . (٦) الشكاغى : من دق النبات وهي دققة العيدان صغيرة خضراء
يتداوى بها الناس . قال سيويه : هو واحد وجمع ، وقال غيره : الواحدة منها شكاغة . وألتدت ألدّة
من قوهم التّد الرجل إذا ابتلع اللدود وهو ماسق في أحد شق الفم ، جمعه ألدّة . (٧) أقبل المكواة
الداء : جعلها قبائله . (٨) كذا في الشعر والشعراء ص ٢٠٨ وفي الأصل : « لما » .
(٩) في الجامع الصغير : ■ واستعينوا على حمل البلاء بالداء والتضرع » .

الْحَدَّثُ وَالْحُقْنَةُ وَالتَّخْمَةُ

عن وَهْبٍ قَالَ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ : إِنْ طَوَّلَ الْجُلُوسُ عَلَى الْخِلَاءِ يَرْفَعُ الْحَرَارَةَ إِلَى الرَّأْسِ ، وَيُورِثُ الْبَاسُورَ وَيَجْعَلُ^(١) لَكَ الْكَبِدَ ، فَاجْلِسْ هُوَيْنً وَقِمْ هُوَيْنً . فَكَتَبْتُ حِكْمَتَهُ عَلَى بَابِ الْحَشِّ^(٢) .

- وكان يقال : إِذَا خَرَجَ الطَّعَامُ قَبْلَ سِتِّ سَاعَاتٍ فَهُوَ مَكْرُوهٌ ، وَإِذَا بَقِيَ أَكْثَرُ مِنْ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ سَاعَةً فَهُوَ مَرَضٌ .

وَكَانَ أَبُو دُفَافَةَ الْبَاهِلِيُّ أَشْتَكَى ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ الْأَطْبَاءُ بِالْحُقْنَةِ فَأَمْتَنَعَ ، فَأَنْشَأَ أَعْرَابِيٌّ يَقُولُ :

- لَقَدْ سَرَّنِي — وَاللَّهُ وَقَّاكَ شَرَّهَا — * نِفَارُكَ مِنْهَا إِذْ أَتَاكَ يَقْوَدُهَا
كَفَى سَوْءَةً أَلَّا تَرَالَ^(٣) مُجَبِّيًا * عَلَى شَكْوَةٍ^(٤) وَقَرَاءَ فِي أَسْنِكَ عُوْدُهَا ١٠

وَأَشَارُوا عَلَى عُمَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ بِالْحُقْنَةِ فَتَفَحَّشَهَا ، فَقَالُوا : إِنَّمَا يَتَوَلَّاهَا مِنْكَ الطَّيِّبُ ، فَقَالَ : أَنَا بِالصَّاحِبِ آتُسُ .

قَالَ الْمَدَائِنِيُّ : سَأَلَ الْمَجَّاجُ جِاسَاءَهُ : مَا أَذْهَبُ الْأَشْيَاءَ لِلْإِعْيَاءِ ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : أَكْلُ التَّمْرِ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الْحَمَامُ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : التَّمْرِينُ^(٥) .

- وَقَالَ فَيْرُوزٌ : أَذْهَبُ الْأَشْيَاءَ لِلْإِعْيَاءِ قَضَاءُ الْحَاجَةِ . ١٥

(١) تَجْعَلُ مِنْ وَجَعٍ يُوْجَعُ (بِقَلْبِ الْوَاوِ يَاءُ) إِذَا مَرَضَ وَتَأَلَّمَ . (٢) الْحَشِّ : الْبِسْتَانِ وَقِيلَ : النَّظْلُ الْمُجْتَمِعُ ، وَيَكْنَى بِهِ عَنْ بَيْتِ الْخِلَاءِ لِأَنَّهُ كَانَ مِنْ عَادَتِهِمُ التَّغَوُّطُ فِي الْبَسَاتِينِ .
(٣) مُجَبِّيًا : مُنْجِبًا عَلَى وَجْهِهِ ، وَفِي الْأَصْلِ : « مُجَبِّيًا » . (٤) الشَّكْوَةُ : وَعَاءٌ مِنْ جِلْدٍ .
(٥) التَّمْرِينُ : التَّدْهِينُ . وَفَرَاءٌ : مَلَايٌ .

وحدثني بعض الأطباء أن رجلاً شرب خبث الحديد المعجون فبقى في جوفه ،
فأشدد عليه وجعه ، فسحقت له قطعة من المغناطيس وسقي إياه ، فتعلق بالخبث
ونخرج مع الغائط .

قال : وقال تياذوق طيب الحجاج للحجاج : إن اللحم على اللحم يقتل السباع^(١)
في البرية . ثم قال لي جعفر : قالت جارية لنا : كان لي ظبي فمتر بعجين قد هيئ^(٢)
للخشكان ، فأكل منه حفص - والحفص : الحبط وانتفاخ البطن - فسليخ^(٣)
فوجد قد شرب بالدم . وقال يونس (طيب لنا) : هكذا يصاب الإنسان
إذا لبس .

الأصمعي : قال بعض الأعراب : اللهم إني أسألك ميتة كميته أي خارجة ، أكل^(٤)
بدجاً ، وشرب معسلاً ، ونام في الشمس ، فلقى الله شعبان ريان دفان .^(٥)

وقال آخر من الأعراب : اللهم أجعل التخمّة دائي وداء عيالي .

قال ابن شبابه مولى بني أسد : من بال ولم يضطر كتبت أسنّه من الكاظمين
الغيظ .

(١) في الأصل «دياذوق» وقد صححناه فيما مر . أنظر صفحة ٢٧٠ حاشية رقم ١

(٢) الخشكان كلمة فارسية ومعناها « الخيز الجاف » أو هي ضرب من الحلوى . ١٥

(٣) في الأصل : « يصيب » . (٤) البدج : الحمل . (٥) المعسل :

شراب معمول بالمسل ومنه قول الشاعر :

إذا أخذت مسواكها منحت به * رضاها كطعم الزنجبيل المعسل

باب القي

عن جعفر بن سليمان أنه قال لإنسان أكل يقي^(١) إذا أكل : لا تفعل ، فإن
المعدة تضيض^(٢) إلى القي كما تضيض الدابة إلى العلف ، فلا يَنْضِج الطعام .
وأخذ مزبد شارباً فاستنكه^(٣) ، فأقي به الوالي فاستنكهوه ، فقالوا نكهته لا تنبي^(٤)
عنه ، قال مزبد : إن لم أقي نبيذا فمن يضمن لي عشاء .
رئى الجمال يأكل فقيل له : ما تأكل ؟ قال : قي كلب في خف خنزير^(٥) .

النكهة

سئل تياذوق عن البحر فقال : دواؤه الزبيب يمجن بسعتر ثم يؤكل أسبوعين
أو ثلاثة . جرب فذهب .
وتقول الروم في الكرفس : إنه يطيب الفم ويذهب البحر ، ويحتاج إلى أكله
من يشاهد السلطان ومحافل الناس وكان أكثر كلامه السرار^(٦) .
قالت الأطباء : الجزر المشوي والخبز المقلوب بالزيت أو بالسمن إذا مضغ
ورمي بثقله^(٧) قاطع لرائحة البصل من الفم . والفوم^(٨) إن أكله آكل فأحب أن يقطع
رائحته مضغ ورق الزيتون الطري وتمضمض بعده بالخل .

- ١٥ (١) في الأصل : « ليق » . (٢) تضيض : تذب . (٣) استنكه : شم ريح
فه ، وأمره أن ينكه ليعلم أشارب هو أم غير شارب . (٤) في الأصل : « قالوا » .
(٥) القحف : ما انفلق من الجمجمة فإن أى انفصل ، ولا يدعى خفا حتى يبين أو ينكسر منه شيء .
(٦) السعتر : نبت طيب الرائحة عرف زهره أبيض إلى الغرة . (٧) السرار : المساواة .
(٨) الثقل : ما سفل من كل شيء وهو خثارته . (٩) الفوم : الثوم .

(١) والسعد قاطع لرائحة النبيذ من الفم . وحَبَّ الأترج مطيب للنكهة . والبخر لا يكاد يكون في الملاحين لأكلهم الملاح .

وقرأت في الآيين : أن رئيس الحرم أمر جوارى الملك ألا يأكلن الثوم والبصل والكراث واللفاح (٣) والحمص الرطب والمشمش ؛ فإنه يُورث البخر .

باب المياه والأشربة

قالت الأطباء : معرفة خفة الماء بأن يكون سريع الغليان ويكون سريع البرد . وأحمد المياه ما كان قبالة المشرق ومجره مجرى الشمال ومروءه على الطين الأحمر وعلى الرمل . قالوا : وما يصفى من الماء الكدر فيصفو سريعاً أن يلقى فيه قطع من خشب الساج (٤) أو قطع من أجر جديد .

قال بعض المحدثين :

يمنع أمه بالشمال * وماؤها البارد الزلال

(٥) يصيح فيها وقايتونا = يجرى به الثلج في مثال

(١) السعد نبات له أصل تحت الأرض أسود طيب الرائحة . وفي الأصل : « السعد » .

(٢) في الأصل : « لأكلهم الملاحين » ولم نجد له معنى مناسباً ، فلعلها محرفة عما أثبتناه . والملاح :

ضرب من نبات الحمض أو حمضة مثل القلام فيه حمرة . (٣) اللقاح : نبات يقطى

أصفر شبيه بالباذنجان . (٤) الساج : شجر يعظم جداً لا ينبت إلا ببلاد الهند ، وخشب أسود

رزين لا تكاد الأرض تبليه . (٥) كذا بالأصل ، ولم نعتز على هذين البيتين ولم نوفق

إلى تصويهما .

وقال صاحب الفلاحة : من أراد أن يعذب له الماء الزعاق^(١) جعله في قدر جديدة من خرف وغطى فاها بأسمال^(٢) ثم أوقد تحتها حتى تغلى ويحصل فيها نصف ذلك الماء ثم صفاه وتركه ، فانه يجده شروباً^(٣) .

وقالوا : ماء دجلة يقطع شهوة الرجال ويذهب بصهيل الخيل ونشاطها ، ومن لم يأكل الدسم عليه أنحل عظمه وييسر جلده ، وهو مع هذا أهضم للطعام من غيره من المياه وأسرعها برداً .

قال : والنيل يستقبل الشمال وينضب في وقت زيادة الأودية ويزيد في وقت نقصانها . وزيادة أوله وآخره معها ، ولا تكون التماسيح إلا فيه ، قال الشاعر :

أضمرت للنيل هجراناً ومقلية * إذ قيل لى إنما التماسيح في النيل

فمن رأى النيل رأى العين من كسب^(٤) ■ فما أرى النيل إلا في البواقيـل
والسقنقور أيضاً لا يخرج إلا منه^(٥) .

- (١) الزعاق : المر الغليظ . (٢) أسمال : جمع سمح وهو الخرقعة البيضاء . وفي الأصل : « سمحال » ولم يرد هذا في جمع سمح وإنما جمعه أسمال وسحول وسمح . (٣) الشروب : الماء دون العذب يصلح للشرب مع بعض كراهة . (٤) البواقيـل — كما في معجم البلدان (ج ٤ ص ٨٦٨ طبع أوروبا) — : كيزان يشرب منها أهل مصر . وقد روى في شفاء الغليل وزهر الآداب (ج ٢ ص ١٨٠ طبع المطبعة الرحمانية) : « البراقيل » بالراء وفسره الخفاجي بأنه جمع برقال وقال إنه كوز من الزجاج . ولم نجد هذين البيتين في ديوان أبي نواس وهو الذي نسب له البيتان . (٥) السقنقور كما في خطط المقرئ (ج ١ ص ٦٦) : صنف يتوالد من السمك والتمساح فلا يشاكل السمك لأن له يدين ورجلين ■ ولا يشاكل التمساح لأن ذنبه أجرد أملس عريض غير مضرس ■ وذنب التمساح يخيف مضرس . وذكره ابن البيطار فقال : هو شديد الشبه بالورل يوجد بالرمال التي تلي نيل مصر في نواحي صعيدها وهو مما يسعى في البر ويدخل في الماء — يعني النيل — ولهذا قيل له الورل المائي لشبهه به ولدخوله في الماء .

وروى في الحديث عن الضحك بن مراحيم أنه قال قَذَفَ الْفُرَاتُ فِي الْمَدِّ رُمَانَةً^(١)
كأنها البعير المبارك، وتحدث أهل الكتاب أنها من الجنة .

وقال ابن ما سويه : ينبغي للساء الغليظ الذي ليس يعذب أن يطبخ حتى
يذهب منه نصفه، ثم يطرح فيه السويق أو الطين الأحمر فانه يلطفه ويذهب غائلته
ويُعْذِبُهُ وَيَمْنَعُ كَدْرَهُ .

قالت الأطباء : الْفُقَاعُ الْمُتَخَذُ مِنْ دَقِيقِ الشَّعِيرِ نَافِعٌ مِنَ الْجُدَامِ . وَالْجُلَابِ^(٢)
قَاطِعٌ لِكَثْرَةِ دَمِ الْخِيضِ ، . وَالسَّكَنْجِينُ^(٤) نَافِعٌ مِنَ الذُّبْحَةِ إِذَا كَانَتْ مِنْ حَرَارَةٍ ،
يُسْرَبُ وَيَتَغَرَّغَرُّ بِهِ .

باب اللُّجَانِ وما شاكلها

قالت الأطباء : لَحْمُ الْمَاعِزِ يُورِثُ الْهَمَّ ، وَيُحْزِنُ السُّودَاءَ ، وَيُورِثُ النِّسيَانَ ،
وَيَحْبِلُ الْأَوْلَادَ ، وَيُفْسِدُ الدَّمَ ، وَهُوَ ضَارٌّ لِمَنْ سَكَنَ الْبِلَادَ الْبَارِدَةَ . وَأَمَّا اللُّجَانُ
مَاخِصٌّ مِنَ الْمَعَزِ . وَالضَّأْنُ نَافِعٌ مِنَ الْمِرَّةِ السُّودَاءِ ، إِلَّا أَنْ الْمَرُورِينَ الَّذِينَ يُضَرَّعُونَ ،
إِذَا أَكَلُوا لَحْمَ الضَّأْنِ أَشْتَدَّ بِهِمْ ذَلِكَ حَتَّى يُضَرَّعُوا فِي غَيْرِ أَوَانِ الصَّرْعِ . وَأَوَانُ الصَّرْعِ
الْأَهْلَةُ وَأَنْصَافُ الشُّهُورِ .

(١) في معجم البلدان لياقوت (ج ٣ ص ٨٦١) : « وما يروى عن السدي ، والله أعلم بحقه من باطله ،
قال : مد الفرات في زمن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، فألقى رمانة قطعت الجسر من عظمها » فأخذت
فكان فيها كُرْحَبٌ « فأمر المسلمين أن يقتسموها بينهم وكانوا يرونها من الجنة . وهذا باطل لأن فواكه الجنة
لم توجد في الدنيا . ولو لم أر هذا الخبر في عدة مواضع من كتب العلماء ما استجرت كتابته » اهـ .

(٢) الْفُقَاعُ : شراب يتخذ من الشعير ، سمي بذلك لما يعلوه من الزيد . (٣) الْجُلَابُ : باللام
مشددة ومخففة : العسل أو السكر ، عقد بوزنه أو أكثر من ماء الورد . (٤) السكنجين : شراب من
خل وعسل ، ويراد به كل حلوى حامض . (٥) المِرَّةُ السوداء : خلط من أخلاط البدن .

(١) قال الشاعر :

كَأَنَّ الْقَوْمَ عَشُّوا لَحْمَ ضَائٍ * فَهَمَّ نَعِجُونَ قَدْ مَالَتْ طُلَاهِمُ
قَالُوا : وَاللَّحْمِ أَقَلُّ الطَّعَامِ تَجْوَأُ . وَلَحْمُ الدَّجَاجِ الْهَرِمِ شَرُّ اللَّحْمَانِ وَأَغْلَظُهَا .
وَالْبَيْضُ إِنْ سُلِقَ بِالْحَلِّ ثُمَّ أُكِلَ بِالسَّمَقِ وَحَبُّ الرِّمَانِ الْمُفَلَّقِ وَالْمَلْحُ وَالْمُرِّيُّ
عَقْلُ الطَّبِيعَةِ .

وَالزُّبْدُ إِنْ طُلِيَ عَلَى مَنَابِتِ أَسْنَانِ الْبُطْلِ كَانَ مُعِينًا عَلَى نَبَاتِهَا وَطُلُوعِهَا ، وَالْمَخُ
وَالدَّمَاعُ يَفْعَلَانِ ذَلِكَ .

مَضَارُّ الْأَطْعَمَةِ وَمَنَافِعُهَا

الْكَمَاءُ وَالْفَطْرُ — (٦) (٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَلَيْهِمْ
وَهُمْ يَذْكُرُونَ الْكَمَاءَ وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ جُدْرِي الْأَرْضِ ، فَقَالَ : « الْكَمَاءُ مِنَ الْمَنِّ (٨)
وَمَاوَاهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ وَالْعَجْوَةُ مِنَ الْجَنَّةِ وَهِيَ شِفَاءٌ مِنَ السَّقَمِ » .

- (١) هو غيلان بن عقبة العدوي المعروف بذي الرمة . (٢) كذا في اللسان (مادة نعيم) «
ونعجون : ثقل أكل لحم الضأن على قلوبهم ، يريد أنهم قد اتخفوا من كثرة أكلهم الدسم فالت طلاهم
(أعناقهم) ، وفي الأصل « نعجون » بالياء الموحدة وهو تحريف . (٣) النجور : ما يخرج
من البطن من ريج أو غائط . (٤) الساق : (بالتشديد) من شجر القفاف والحيال وله ثمرة حامض
عناقيد فيها حب صفار يطبخ « وهو شديد الحمة . (٥) المرى : يعمل عمل الملح إلا أنه أقوى منه
وأطلف . وفي مفردات ابن البيطار : « وليس يوافق البيض وخاصة المسلوق منه أصحاب المعدة الضعيفة
فإن اضطرا إلى إدمان أكله فليؤكل بالملح والفلفل والمرى » . وفي الأصل : « والملح المشوي » وهو تحريف .
(٦) الكم : نبات مستدير كالقلعاس لا ساق له ولا عرق ، لونه إلى الغبرة والسواد ، يوجد في الربيع
تحت الأرض . وهو عديم الطعم وأنواعه كثيرة يؤكل نيئا ومطبوخا . (٧) الفطر : ضرب من
الكماء قتال . (٨) شبهت الكماء بالجدرى « وهو الحب الذي يظهر في جسد الصبي ، لظهورها
من بطن الأرض كما يظهر الجدرى من باطن الجلد ، ويراد بذلك ذمها (انظر النهاية لابن الأثير) .
(٩) معنى الحديث أن الكماء شيء أثبتته الله من غير سعي ولا مؤونة من أحد ، وهو بمنزلة المن الذي كان
ينزل على بني إسرائيل .

الأصمعي عن بعض مشايخه قال : ثلاثة أشياء رُبَّمَا صرَعَتْ أهل البيت عن
آحرهم : الجرادُ، ولحوم الإبل، والفُطر .

وتقول الأطباء : إن أردأَ الفُطْرِ ما نَبَتَ تحت ظلال الشجر، وأردأه كله ما كان
في ظل شجر الزيتون فإنه قتال .

قالوا : والكُثْرَى إذا طُبِخَ مع الفُطْرِ أذهب ضرره .

قالوا : والفُطْرُ يُورِثُ الذَّبْحَةَ ^(١) .

قديم أعرابي المِصْرَ فأكل فُطْرًا، فأصابته ذُبْحَةٌ، فقبل له : إن الطيب بعث
أن يُحَلَّبَ في فيك، فقال : ما زلت أسمع بالثَّيْمِ الرَّاضِعِ ^(٢) ولا والله لا أكونه، قالوا :
فتموت إذا، قال : وإن مت .

وتقول الأطباء : إن أكل آكل الفُطْرَ فَأَضْرَبَهُ، سُقِيَ الكُرْبُ المعصورَ وسُقِيَ
من ثَمَرِ الدَّجَاجِ وزن درهمين مع خَلٍّ وعسلٍ مطبوخٍ وقِيَّ به .

قالوا : والكَمَاةُ تُورِثُ وجع القولنج ^(٣) والسَّكَنَةِ والفالجَ ووجع المِعْدَةِ .

قالوا : والذباب لا يَقْرَبُ قَدْرًا فيه كَمَاةٌ .

ومن أراد آتخاذَ الكَمَاةِ اليابسةَ جعلها في الطين الحُرَّ يومًا وليلةً ثم غسلها
وأستعملها .

بلغني عن قتي من أهل الكتاب أنه قال : كنا في طريق مكة بالخَزِيمَةِ ^(٤)، فأثانا
أعرابي بكَمَاةٍ في كِسَاءٍ قَدَرًا ما أطاق، فقلنا : يكَمُ الكَمَاةُ ؟ قال : بدرهمين ،

(١) الذبحة : داء يأخذ في الحلق وربما قتل . (٢) سيد ذكر المؤلف أنه الذي يرضع الحلب

فلا يحابه في الأنا، لئلا يسمع صوت الحلب، وقال بعضهم : لئلا يضيع من اللبن شيء .

(٣) القولنج : مرض معوي مؤلم يعسر معه خروج الفضل والريح، والفالج : الشلل .

(٤) الخزيمية : منزل من منازل الحاج بعد الثعلبية بالكوفة وقبل الأجر . وقال قوم : بينه وبين الثعلبية

أثنان وثلاثون ميلا، وقيل : إنه : " الخزيمية " بالخاء المهملة .

فاشتريناها منه ودفعنا الثمن إليه ، فلما نهض قال له بعضنا : « في آسيت المغبون ^(١) عود » ، قال : بل عودان ، وضرب الأرض برجله ، فاذا نحن على الكفاة .

قال بعض الشعراء :

جَنَيْتُهَا تَمَلًّا كَفَّ الْجَانِي ■ سوداء تما قد سَقَى السَّوَانِي ^(٢)

* كَأَنَّهَا مَدَهُونَةٌ بِالْبَانِ ^(٣) *

وهذه صفة أجود الكفاة وأقلها أذى .

البصل والثوم

دخل داخل على نصر بن سيار وحوله بنون له صغار ، فقال : هل تدرون ما ولدى هؤلاء ؟ هؤلاء بنو البصل ، وكان يأكله نيئاً ومشوياً ومطبوخاً .

- والأطباء تقول في البصل : إنه يشهى الى الطعام إن أُكِلَ مشوياً أو نيئاً ، ويشهى الى الجماع . وإن دُقَّ وشمَّ عطسَ وشهى الطعام . وإن أكتحل بمائه مع العسل جلا البصر . وإن وُضِعَ مع الملح والسذاب ^(٤) على عضة الكلب الذى ليس بكليب نفع . والإكثار منه يفسد العقل . والمسلوقة منه يدر البول والدمعة .

- (١) مثل يضرب لمن غبن . (٢) السواني : جمع سانية وهى ما يسقى عليه الزرع والحيوان من بعير وغيره . (٣) البان : شجر يسمو ويطول فى استواء مثل نبات الأثل ، وورقه هذب كهذب الأثل ، وخشبه خوار رخو خفيف ، وقضبانة سمجة خضر ، وهذب ينبت فى القصب ، وهو طويل أخضر شديد الخضرة ، وممرته تشبه قرون اللوبيا إلا أن خضرتها شديدة وفيها حبه ، وإذا انتهى انفتق وانتثر ، حبه أبيض أغبر مثل الفستق ومنه يستخرج دهن البان . (راجع مفردات ابن البيطار) . (٤) السذاب : بقل يشترق فروعا تطلع من ساق له قصيرة تشعب عليه شعب مثل الأغصان ، ويحمل فى أطراف أغصانه رهوسا تتفتح عن ورد صفار الورق أصفر ، وإذا انتثر سقط منه الحب ، وله طابع وخواص مذكورة فى كتب الطب .

العصافير إن أكلت بالزنجبيل والبصل هيجت شهوة الجماع وأكثر
المني.

عن طارق بن شهاب قال : بعث سليمان النبي عليه السلام بعض عفاريت^٥
وبعث معه رجلاً وقال : رُدّه إلىّ وأنظر إلى صنيعه . فمرّ على أهل بيت يكون
فضحك ، ودخل إلى السوق ونظر إلى الناس فرفع رأسه إلى السماء وهزّه ، ونظر
إلى الثوم وهو يُكّال [كِلا] والفلفل [وهو] يُوزن وزناً ، فضحك . فلما رده إلى
سليمان عليه السلام وأخبره بما جرى منه ، قال : لم ضحكك من أهل البيت ؟
ولم هزّرت رأسك حين نظرت إلى السوق ؟ ولم ضحكك من الثوم والفلفل ؟
قال : أما أهل البيت فإن الله أدخل ميثم الجنة وهم يكون عليه ، ونظرت إلى
الناس في السوق والملائكة من فوق رؤوسهم ، والناس يملئون والملائكة سراعاً يكتبون ،
فهمزرت رأسي ، ونظرت إلى الثوم وهو شفاء يُكّال كِلا ، وإلى الفلفل وهو داء يُوزن
وزناً . وعن وهب : أن سليمان عليه السلام قال : مم كنت تضحك ؟ قال إني مررت
برجل يشتري خفين ويقول لصاحبهما : شرطي عليك أن ألبسهما عشرين
لا يتخترقان ، فعجبت كيف شرط أمله ونسي أجله . ومررت بعجوز دهرية تتكهن^(٢)
وتخبر الناس بما لا يعلمون ، والذي سخر لك الريح وأذل لك الحق وعبدك الشياطين ،
إني لأعلم في بيتها تحت فراشها مغمورة فيها فناطير من ذهب وفضة وهي لا تدرى^(٣)
ما تحتها ، وقد ماتت هزلاً وجوعاً وحاجة . ومررت بأخرى دهرية تطلب وكان بها^(٤)

(١) في قصص الأنبياء (ص ٢٤٣ طبع بولاق) : « أن سليمان عليه السلام دعا صغراً الجنى لئلا
الجواهر من غير تصويت ، فأقبل مسرعاً مع الرسل حتى دخل على سليمان ، فسأل سليمان رسله عما أحدث
صغراً في طريقه ، فقالوا : يا نبي الله إنه كان يضحك في بعض الأحيان من الناس ، فقال له سليمان ... الخ »
وقد ورد في الحكاية تقديم وتأخير مع اختلاف في بعض الألفاظ . (٢) الدهرية (بضم الدال) : هي التي
أتى عليها الدهر وطال عمرها . (٣) المغمورة : الحفيرة تحت الأرض . (٤) الهزل : الضعف .

مرّة داءً، فأكلت البصل فصادت منه برءاً، فظننت أنه حسم داءها وشفأها، فهي تصفه للناس من كل داء. وقد كانت في ظهرها ريح حبست منذ زمان فأكلت الثوم أحداً وعشرين يوماً فشفيت منه؛ فعجبت لها كيف تدع أن تصفه. ومررت برجل على شاطئ نهر يستقي منه في قلة له ومعه بغلة، فلما سقى البغلة ملأ القلة وربط البغلة بأذن القلة وذهب لبعض حاجته، فتقرت البغلة وكسرت القلة؛ فجعل يلعن الشيطان، وبرأ عقله ونسي فعله. ومررت بقوم يذكرون الله فاجتهدوا ونصبوا وآتبلوا، فلما أظلت الرحمة ملّ رجل منهم ققام، وجاء آخر لم ينصب معهم فجلس بجاسه، فزلت الرحمة فدخل فيها معهم وحرّمها الأول؛ فعجبت من سعادة هذا وشقاوة هذا.

وتقول الأطباء: إن الثوم إذا شوي بالنار ووضع على الصّرس المأكول ودلكت به الأسنان التي يعرض فيها الوجع من الرطوبة والريح، أذهب ما فيها بإذن الله من الوجع.

قال: وهو ينفع من العطش الحادث من البلغم، ويقوم مقام الترياق في تسع الهوام، والأمراض الباردة.

وتقول الروم في الثوم: إنه دواء لمن أصابه وجع السقي في بطنه. وإن أكله من ظهر [فيه] حرة من شرى أو غيره أبرأه. وإن دق الثوم يابساً فأغلى بسمن ولبن ثم جعله من يشتكى ضرسه في فيه سحناً فأمسكه ساعة، ذهب وجع ضرسه؛ وهو نافع لمن أجتوى.

(١) وردت هذه الجملة في الأصل محوطة هكذا: «جهازمان».

(٢) يعرض: يظهر. (٣) السق: ماء أصفر يقع في البطن وهو المعروف في الطب بالاستسقاء أو الصفار. وفي الأصل: «السقي». (٤) زيادة يقتضها السياق. (٥) الشرى: بثور بعضها صفار وبعضها كجار حكاكة مكربة مائلة إلى الحمرة مائية. (٦) أجتوى بالجم: من الجوى وهو داء السل أوداء، يأخذ في الصدر أو هو كل داء يأخذ في الباطن لا يستمر معه الطعام.

الكراث

قالت الأطباء : الكراث النَّبَاطِيّ إذا أُدْمِنَ كانت فيه أحلامٌ رديئةٌ ، وولَدَ بُحَارًا في الرأس رديئًا . وإن صُبَّ في مائه خلٌّ ودُقَّاقٌ كُنْدُرٌ^(١) وَاسْتُعِطَ به سَكَنَ الصَّدَاعَ . وإن سُلِقَ أو طَحِنَ وأَكِلَ أو صُمِدَ به البواسيرُ العارضةُ من الرطوبة نفعَ منها .

وماءُ الكراث إذا خُلِطَ بمثله من ألبانِ النساءِ ودُهْنِ الوردِ والكُنْدُرِ وَحُلَّ به عينٌ من أصابته غشاوةٌ في عينه فلم يُبْصِرْ ليلًا نفعه . وأكلُ البصلِ نافعٌ لذلك أيضًا .

الكُرْبُ والقَنْبِيطُ

قالوا : الكُرْبُ مُعِينٌ على الإِكْرَارِ من النَبِيذِ إذا أِكِلَ ، وهو مُدِرٌّ للبول .

وقالت الروم : بين الكُرْبِ والكَرَمِ عداوةٌ ، ولا يكاد يَصْلُحُ الكَرَمُ والكُرْبُ إذا تجاورا . قالت الأطباء : إن آحتملت [المرأة]^(٢) زَرَ الكُرْبِ بعد الحيض أسهلَ المَنِيِّ وأفسده ولم يكن معه حملٌ ، وشربُ مائه مع الشَّيْحِ الأَرْمَنِ غيرَ المطبوخِ أو ماءِ الثَّمَسِ المُنْقَعِ مُخْرَجٌ لِحَبِّ القَرْعِ^(٣) من البطن . والقُسْطُ^(٤) أيضًا خاصَّةٌ زَرُهُ يَفْسِدُ المَنِيُّ إذا آحتملته المرأة بعد طهرها ، ومقدارُ ما يُحْتَمَلُ وزنُ درهمين .

وتقول الروم : الكُرْبُ إن طُبِخَ وَخُلِطَ مائه بالحنْدَقُوقِ وسُقِيَ المرأةُ التي تَأَخَّرَ حَيْضُهَا حاضمت حينها .

(١) الكندر : ضرب من العلك وهو اللبان الذكر .

(٢) زيادة يقتضها السياق . (٣) حب القرع : اسم درد يكون في البطن .

(٤) القسط : عود هندي يتداوى به . (٥) الحندقوق : بقلة وحشية كالقث الرطب (شجر ينبت في السهول والآكام وله حب كالخص) وقيل هو الهبيد ، والهبيد :

الحنظل « نبطي » معرب ويقال لها بالعربية : الذرق .

قالوا : وإذا خلط ماء الكُرْب بالبنج^(١) كان نافعاً للسعال .

قال أبو محمد : شكوتُ الى حنين الطيب علة كنتُ أجدُها في حلق لا أكاد أبتلعُ معها ريقاً ، فقال : هي بينة في عينك . فتغرَّغَر بعقيد العنب مع خمير ثلاثة أيام في كل يوم ثلاث مرات ، ففعلتُ ذلك يوماً واحداً فذهب .

قالوا : وإذا دُقَّ الكُرْب وخلصط به شئ من زاج الأسا كفة وشئ من خل ، فأوجف ذلك بالخطمي^(٣) ، ثم طلى به برص أو جرب نفع باذن الله تعالى .^(٤)

السلمج والفجل^(٥)

تقول الأطباء في الفجل : إنه مهيج للجماع زائد في المنى ، ويزره نافع من السموم قالوا : والفجل هاضم للطعام ، فإن أكل زره بعسل كان دواء من السعال والفواق ، وإذا شيدخت قطعة بفجل فطرحت على عقرب ماتت ، وماؤه ويزره للسموم بمنزلة الترياق . وإذا طلى أحد يده بمائه ثم قبض على حية أو غيرها من الهوام لم يضار ذلك

(١) البنج : هو الشيكران بالعربية . وهو نبت له قضبان غلاظ وورق عراض صالحة الطول مشقة الأطراف الى السواد . عليها زغب وعلى القضبان ثمر شبيه بالجلثار مملوء بزر شبيه بزر الخشخاش (ابن البيطار ج ١ ص ١١٧) .

(٢) الزاج : الشب النجاني ، وجاء في مفردات ابن البيطار أن الزاج العراقي هو المعروف بزاج الأسا كفة . (٣) أوجف : حرك . (٤) في الأصل كالخطمي . والخطمي نبات ينفع الأمراض الصدرية . (٥) السلمج : يلاحظ هنا أنه لم يتكلم عنه في هذا الباب من هذا الكتاب ، وربما كان ذلك عن نقص في النسخ . ونحن ننقل هنا باختصار ما قيل عنه في كتاب الجامع لابن البيطار إتماماً للفائدة قال : السلمج ، وقد تعجم سميته ، هو اللفت . ويزر هذا النبات مهيج شهوة الجماع لأنه يولد رياحاً نافخة وأصله نافع عسر الانهضام ويزيد في المنى وقلوب ورقه تتركب مطبوخة فتدبر البول ، ويزره يستعمل في أخلاط بعض الأدوية المعجونة النافعة من لسع ذوات السموم ، وإذا عمل السلمج بالماء والملح كان أقل لغذائه إذا أكل ، غير أنه يحرك شهوة الطعام . (٦) كذا في مفردات ابن البيطار . وفي الأصل « وإذا شدح والرطب فطرح » وهو تحريف .

الموضع. قالوا : وإن دُقَّ بزُرهِ مع الكُنْدُرِ وطُلِيَ به البَهَقُ الأسودُ في الحمامِ أذهبهُ .
وإن شُرِبَ ماءٌ ورقِهِ نَفَعَ من الأَرْقَانِ^(١) الحَادِثِ من الطَّحَالِ .

البَاذِنْجَان

قالوا : والبَاذِنْجَانُ مُكَلِّفٌ^(٢) للوجهِ يُورِثُ دَاءَ السَّرَطَانِ والأَوْرَامَ الصُّلْبَةَ . وحدثني
أبي عن أبي الحَارِثِ جُمَيْزٍ أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ فِي البَاذِنْجَانِ : لَا آكُلُهُ ، لَوْنِ العَقْرَبِ
وَشَبْهِ المِحْجَمَةِ^(٣) . قِيلَ لَهُ : فَقَدْ رَأَيْتَكَ تَأْكُلُهُ عَلَى خِوَانٍ فَلَايَ ! قَالَ : كَانَ مَيْتَةً وَأَنَا
مُضْطَّرٌّ .

الخِيَارِ والقِثَاءِ

قالوا : شَمُّ الخِيَارِ نَافِعٌ لِمَنْ أَصَابَهُ الغَشْيُ^(٤) من الحَرَارَةِ . وَيَزُرُّ القِثَاءُ إِذَا شَرِبَهُ
مَنْ بِهِ حُمَّى^(٥) الأَسَى نَفْعُهُ . وَإِنْ أَصَابَتْ رَضِيْعًا حُمَّى فَالزَّقَتْ بِهِ خِيَارَتَيْنِ تَمْسَانِ جِلْدَهُ
إِحْدَاهُمَا عَنْ يَمِينِهِ وَالْأُخْرَى عَنْ شِمَالِهِ ، أَقْلَعَتِ الحُمَّى عَنْهُ .

السِّنَق

قالوا : والسِّنَقُ إِنْ دُقَّ مَعَ أَصْلِهِ وَعُصِرَ مَأْوُهُ وَغُسِلَ بِهِ الرَّأْسُ ذَهَبَ بِالأُتْرَبَةِ
وَأَطَالَ الشَّعْرَ .

١٥ (١) الأَرْقَانُ : لغة في اليرقان وهو ، كما في اللسان والقاموس وشرحه ، داء يصيب الناس يصفر منه
الجسد ، وفي الأصل « الأرقال » باللام وهو تحريف . (٢) مكلف : مغير للوجه بحمرة كدرة
تعلوه تسمى الكلف وتعرف بالتمش . (٣) المحجمة : فارورة الجحام .
(٤) الغشي بالغشغ ويضم : تعطل أكثر القوى المحركة والحساسة لضعف القلب من الجوع أو الروع .
(٥) كذا بالأصل . ولعله « الأسر » وهو احتباس البول .

الهلْيُون^(١)

قالوا : والهلْيُون مُدِرٌّ للبول ، نافع من القولنج .

الْقَرْع

قالوا : إذا شوى القرع بالنار ثم عُصِرَ خُيِّلَ من مائه في أُذُنٍ من آسْتَكَى أَذُنُهُ نفعه . وإن دُهِنَتْ منابت شعر اللحية بدهن القرع المُرِّ ، وقِثَاءِ الحِمَارِ مُدَابًّا فِيهِ شَيْخٌ أَرْمَنِيٌّ أَسْرَعَ فِيهَا نَبَاتُ الشَّعْرِ .

البَقُول

قالوا : والجَرْجِيرُ زَائِدٌ فِي الْبَاهِ وَالْإِنْعَاطِ مُدِرٌّ للبول . وتذكر الروم أن من أكل الجرجير ثم ضُرِبَ بالسَّيَاطِ هَوَّنَ عَلَيْهِ بَعْضُ ذَلِكَ الْجَلْدِ . قالوا : وهو ينفع من ذَفَرِ الْإِيطِينَ إِذَا أُكِلَ عَلَى الرِّيقِ وَطُلِيَ الْإِيطَانُ بِمَائِهِ . وتزعم الروم أن ماءه ينفع من عَضَةِ ابْنِ عَرَسٍ^(٤) .

وقال بعض الأطباء : إن ذُرَّ بَزْرُ الْجَرْجِيرِ مَدْقُوقًا فِي الْبَيْضِ وَحُشِيَ كَانَ ذَلِكَ زَائِدًا فِي الْبَاهِ وَالْإِنْعَاطِ زِيَادَةً بَيِّنَةً . قال أبو حاتم عن الْقَحْدَمِيِّ قَالَ : أَكَلَهُ أَعْرَابِيٌّ فَأَنْعَظَ شَهْرًا ، فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ يَفْخَرُ بِهِ :

(١) الهليون : نبت ورقه كورق الشبث ولاشوك له البتة وله بزر مدور أخضر ثم يسود ويحمر (مفردات ابن البيطار، ج ٤ ص ١٩٥) . (٢) قثاء الحمار : نوع برى من أنواع القثاء . وفي الأصل «قثاء الخيار» وهو تحريف . (٣) الذفر : رائحة الإبطين الكريهة . (٤) كذا في نهاية الأرب للتوحيدي في باب الخضراوات والبقول ومفردات ابن البيطار في اسم الجرجير . وفي الأصل وردت هذه اللفظة هكذا «عضة ابن مقرر» وهو تحريف .

ومنا التيمى الذى قام آيَّره * ثلاثين يوماً ثم زادهم عشراً^(١)

قالوا : والسذاب قاطع لشهوة الجماع . وقالت الروم : إن أكلت امرأة حامل أربعة مثاقيل كل يوم بماء سُخْنٍ أو نبيذ خمسة عشر يوماً أسقطت ولدها . وقال بعض الشعراء :

كم نعمة للسذاب * جلييلة في الرقاب
الناس عنها غفول * إلا ذوى الألباب
فالحمد لله شكراً * لولا مكان السذاب
لغيب الأرض نسل^(٢) ال * مغنيات القحاب

قالوا : والبقلة الحقاء إذا مضغت أذهبت الطرش ، وإذا أكلت أذهبت شهوة الجماع . والروم تقول : إن نظر ناظر عند رؤية الهلال إلى الهندباء^(٣) خلف بابه القمر ألا يأكل هندباء ولا لحم فرس ، سلم في كل شهر يحلف فيه من وجع الضرس .

قالت الأطباء : الخس إذا أكل على الريق نافع لتغيير الماء ومن يتأذى باحتلام . وإذا شرب بزره بماء بارد [قطع شهوة الجماع]^(٤) .

(١) كذا بالأصل ولم نجد هذا البيت في ديوان الفرزدق . ولعله أجرى الأيام مجرى العاقل أو لعلها « ثم قد زادها عشراً » أو « ثم أتبعها عشراً » أو نحو ذلك . (٢) تقدم شرح هذه الكلمة في ص ٢٨٣ من هذا المجلد . (٣) تمام الكلام يحتاج إلى أن يكون بعد كلمة « مثاقيل » من « السذاب » أو « من بزر السذاب » . (٤) في الأصل : « تغيب الأرض » . (٥) يقال : بقلة الحقاء بالاضافة على تأرييل بقلة الحبة الحقاء « والبقلة الحقاء بالعت » . قال ابن سيده : هي التي تسمى العامة الرجلة . (٦) الهندباء : صنفان برى وبستاني والأول أعرض ورقاً من الثاني « والبستاني صنفان : أحدهما قريب الشبه من الخس عريض الورق والآخر أدق ورقاً منه وفي طعمه مرارة (مفردات ابن البيطار ج ٤ ص ١٩٨) . (٧) الكلمة عن ابن البيطار في كلامه على الخس .

قالوا : **والخردل** إن أكثر من أكله أورت ضعفا في البصر، وهو مكثر
لبن مُدِرٌّ للبول، وهو نافع من الصرع. وإن أكتحل بمائه بعد أن يُغلى عليه
ويُصفى جلا البصر الضعيف من الرطوبة. وتزعم الروم أن ماءه يصلح للأطفال
من الحمى إذا أصابتهم. وهو يُفسد الدهن ويورث النسيان ويضعف البصر.

قالت الأطباء : **النعناع** يُسكن القيء، وينفع من الفواق الحادث من البلغم
إذا شرب مع الثمام^(١).

وتقول الروم : **الحبق** الذي على شطوط الأنهار نافع للرمم إذا دق ونخل
وأكتحل به، وإن مضغه ماضغاً ووضع على عينه نفعه.

وأما **الفوذنج** النهرى^(٣) — [فإنه] يُدِّر الطمث^(٤). وإن أخذ من الفوذنج الجبل
أوقية وطبخ بنصف رطل من ماء حتى يبق الثلث ويشرب، سهل السوداء.

وقالت الأطباء : **الحندقوق** يورث وجع الحلق، ويذهب بصره من
يأكل بعده الكزبرة الرطبة والبقلة الحمقاء والهندباء.

والطرخون يؤكل مع الكرفس^(٦).

قالوا : **والراسن** ينفع من قطار البول إذا كان من برد، ويقوى المثانة^(٧).

- (١) النعام : نبت ورقه كالسذاب، له بزر كالريحان، عطرى قوى الرائحة سمي بذلك لسطوع
رائحته. (٢) الحبق : نبات طيب الرائحة. (٣) الفوذنج : نبت، معرب عن
بودينه، ويقال فيه : فوذنج (باهمال الدال وضم الأول والرابع). وأجناسه ثلاثة : برى ونهرى وجبلى
ولكل منها أوصاف وخواص تجددها مفصلة في مفردات ابن البيطار. (٤) الطمث : دم الحيض.
(٥) تقدم شرح هذه الكلمة في ص ٢٨٦ من هذا المجلد. (٦) قال ابن البيطار : الطرخون :
بقلة معروفة عند أهل الشام وهى قليلة الوجود بمصر. وقال أبو حنيفة : ورقه طوال دقاق.
(٧) الراسن : نبات يشبه الزنجبيل.

قالوا : ^(١) وَالْكُشُوثُ يَذْهَبُ بِالْأَرْقَانِ .

قالوا : وَعِنَبُ الثَّعْلَبِ قَاطِعٌ لِدَمِ الْحَيْضِ إِنْ شُرِبَ أَوْ أَحْتَمِلَ .

وقالوا : ^(٢) الْكَرْفَسُ إِذَا طُبِخَ وَشُرِبَ كَانَ دَوَاءً مِنْ وَجَعِ الْكُلَيْتَيْنِ وَمِنِ الْأُسْرِ ^(٣) .

باب الحبوب والبزور

تقول الأطباء في حَبِّ الْفُلْفُلِ : إِذَا خُلِطَ بِالسَّمْسِمِ وَنُجِنَ بِعَسَلِ الطَّبْرَزْدِ ^(٤)

يَزِيدُ فِي الْجَمَاعِ .

والعرب تزعم أن الحبة الخضراء وشرب ألبان الإبل عليها تبعث الشهوة .

قال جرير :

أَجْعُنُ ^(٥) قَدْ لَاقَيْتَ عِمْرَانَ شَارِبًا ^(٦) ■ عَلَى الْحَبَّةِ الْخَضْرَاءِ أَلْبَانَ إِيْلَ ^(٧)

وَالْحِمَصُ زَائِدٌ فِي الْجَمَاعِ ، مُكَثِّرٌ لِلنِّتَى ، مُحَسِّنٌ لِلْوَنِّ ، زَائِدٌ فِي لَبَنِ الْمُرْضِعِ ، يُدْرُ

دَمَ الْحَيْضِ ، وَإِنْ خُلِطَ بِالْبَاقِلَاءِ أَسْمَنَ .

(١) الكشوث (بالفتح وهي أفصح لغاته) قال ابن البيطار : هو شئ يتعلق بالنبات مثل الخيوط

يشرب من ماء النبات الذي يتعلق به ولا أصل له في الأرض ولا ورق ، لكن في أطراف فروعه ثمر

لطاف وهو يسمو في الشجر وتشتبك فروعه ■ ويكثر في الكروم الرطاب ■ وكثيرا ما يفسد النبات ... الخ .

(٢) الكرفس ■ (يفتح أوله وثانيه وسكون ثالثه) : ثبت معروف وهو من أحر البقول عظيم المنافع .

(٣) الأسر : احتباس البول . (٤) الطبرزد : السكر الأبيض . (٥) جعثن : اسم

أمرأة وهي أخت الفرزدق . (٦) كذا في لسان العرب مادة « أول » وفي الأصل : « ساريا »

بالسين والياء وهو تحريف . (٧) الإيل (بكسر الهمزة وفتح الياء المشددة) : جمع إيل (يفتح

الألف وكسر الياء المشددة) (وهو الذكر من الأوعال) . واختير الجمع هاهنا على الأفراد مع أن بكليهما يترن

الشعر ، « جمع ألبان » ، إذ لو كان واحدا لقال لبن إيل (انظر اللسان مادة أول) .

الأصمعي قال : قلت لأبن أبي عطار : بلغني أنَّ أباك كان ذا منزلة من
أبن سيرين ، فما حَفِظَتْ عنه ؟ قال قال أبي : قال لي ابن سيرين : يا أبا عطار ،
إن سَوِيقَ العَدَسِ بارد وهو يَفْعُ الدَّم .

قالت الأطباء : إنَّ الخَرْدَلَ نافعٌ من حُمَّى الرَّيْعِ^(١) والحُمَيَّاتِ المتقادمة ووجع
الأرحام ويَجْفَفُ^(٢) ... من البلغم ، ويُثَرِّلُ الرطوبةَ من الرأس ، وإن أُكِلَ مع السَّلَقِ
المسلوق نفع من الصَّرْعِ ، وإن طُلِيَ البَرَصُ به زال .

وقالت الأطباء : الحُرْفُ يُخْرِجُ حَبَّ القَرَعِ من البطن ، وينفع من عِرْقِ النَّسَا
ووجع الورك . وإن مَخَّنَ بالماء الحارَّ وشَرِبَ منه وزنُ أربعة دراهم أو خمسة
أسهل الطبيعة ونفع من القولنج .

وقال رجل من قُدماء الأطباء في الباقلاء^(٤) : إنه إذا أُدْمِنَ أَكَلُ البَصْرِ ، وأحال
الأحلام أضغاثًا لا يُنتَفَعُ بها ولا يجد عابرُ الرؤيا إلى تأويلها سبيلًا .

ودهن الشَّاهدَانِجِ^(٥) نافعٌ لوجع الأذن العارض من البرد والعِلَلِ المتقادمة منها .

(١) حمى الربيع هي التي تأتي في اليوم الرابع ، وذلك أن يومًا ويترك يومين لا يحم ويحم
في اليوم الرابع . (٢) لم تثبت مكان هذه النقطة في الأصل فقد وقعت في أول الصفحة ولم تظهر
بالنصير . وفي مفردات ابن البيطار في الكلام على خواص الخردل أنه « يجفف اللسان الثقيل من
البلغم » . (٣) الحرف (بالضم) حب الرشاد . (٤) أنظر شرحه في ص ٢٥٦
من هذا الجزء . (٥) الشاهدانج (ويقال فيه شاهدانك وشاهدانق وشهدانج بغير ألف بعد
الشين) القنب (بكسر القاف وتشديد النون مفتوحة) وهو نبات ذو قضبان طويلة فارغة متن الراحمة
وله حب مستدير يؤكل ويؤخذ منه حبال قوية .

باب الفاكهة

عن مَعْمَر بن نُحْمٍ عن جَدِّته قالت : سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول : إذا أكلتم الرَّمَانَ فكلوه بِشَحْمِهِ فإنه دِباغٌ لِلْعِدَّةِ ، وذلك يومَ الجمعة على المنبر .

الأصمعي : قيل لأعرابي : لِمَ تُبَغِضُ الرَّمَانَ ؟ قال : لأنه مَبْخَرَةٌ مَجْفَرَةٌ (١) مَجْمَعَةٌ .

قال : وقال يحيى بن خالد : شَيْئَانِ يُورِثَانِ الْقَمَلَ : التَّيْنُ الْيَابِسُ إذا أُكِلَ ، وَبَخَارُ اللَّبَانِ إذا جُجِرَ بِهِ .

وقالت الأَطْبَاءُ : ورقُ الخوخِ وأقماعه إن دُقَّ وعُصِرَ وشُربَ أسهلُ حَبِّ الْقَرَعِ والدَّيْدَانِ والحَيَاتِ المتوَلِّدةِ في البطنِ ، وإن صُبَّ ماءُ ورقه في الأذُنِ أَمَاتِ الدَّيْدَانَ فيها ، وإن تَدُلَّكَ بورقه بعد النُّورَةِ قطع رِيحَهَا .

وَحِمَاضُ الْأَثَرِجِ (٢) إن لُطِخَ بِهِ الْكَكْفُ وَالْقُوبُ أَذْهَبَهُ . وَحَبُّ الْأَثَرِجِ نَافِعٌ مِنَ السَّمُومِ (٣) .

(١) مبخرة : مظنة للبخر وهو تغير ريح الفم . ومجفرة أى أنه يذهب شهوة الجماع . ومجمعة : يريد ينس الطبيعة أى أنه مظنة لذلك ، ومنه حديث عمر رضي الله عنه : « وإياكم ونومة الغداة فاتها مبخرة مجفرة » . (انظر اللسان والقاموس مواد بحر وجفر وجعر) . (٢) النورة (بضم النون) : حجر الكلس ، ثم غلبت على أخلاط تضاف الى الكلس من زرينخ وغيره ، وتستعمل لإزالة الشعر . قيل عربية وقيل معربة ، قال الشاعر :

فابعث عليهم سنة قاشوره * تحتلق المال كخلق النسوره

وسنة قاشورة : مجدبة تقشر كل شيء . (انظر المصباح المنير مادة نور) . (٣) حاض الأثرج : ما في جوفه ، قال ابن البيطار في مفرداته نقلا عن أبي حنيفة الدينوري : الأثرج كثير بأرض العرب وهو مما يفسرس غرسا ولا يكون برى ، وأخبرني بعض الأعراب أن شجرته تبقى عشرين سنة تحمل وحملها مرة واحدة في السنة ، وورقها مثل ورق الجوز وهو طيب الرائحة ، فقاحه شبيه بنور الزرجس إلا أنه ألطف منه .

وورق الثَّفَاحِ الغُضِّ إن دُقَّ بالرفق أيامًا خمسةً أو ستةً ثم صُمِدَ به الوَشْمُ

قلعه من غير أن يقرَحَ موضعه .

عن الزُّهْرِيِّ قال : حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال : " مِنْ بَاتَ فِي بَطْنِهِ جَزْرَةٌ أَوْ جَزْرَتَانِ أَوْ ثَلَاثٌ أَمِنَ الْقَوْلَنْجَ ^(١) وَالدَّبِيلَةَ ^(٢) " .

وَالْفُسْتُقُ : إن دُقَّ وشرب بالمطبوخ الشديد نفع من لسع الهَوَامِّ .

وَاللِّفَاحُ ^(٣) : سَمٌّ ، وَرَبْمَا قَتَلَ آكَلَهُ . وَتُدْفَعُ مَضَرَّتُهُ بِالْقِيِّ بِالشَّرَابِ وَالْعَسَلِ

وَالْإِسْمَالِ وَشَمِّ الْقُلْفَلِ ^(٤) وَالْخَرْدَلِ وَالْجَنْدَبَادَسْتِرِ وَالسَّدَابِ وَالتَّعَطُّسِ .

قال وَحَدَّثَنِي شَيْخٌ مِنَ الدَّهَاقِيِّينَ عَالِمٌ بِأَيَّامِ الْعَجَمِ : أَنَّ بُزْرَ جَمْهَرٍ قَالَ لِأَهْلِ

الْحِمِيسِ : سَلُوا الْمَلِكَ أَنْ يَرْزُقَكُمْ مَكَانَ الْأُدَمِ الْأُتْرُجِّ ، لِيَكُونَ الْقَشْرُ لَطِيبَكُم ، وَلِحْمَتُهُ

لِفَاكِهَتِكُمْ ، وَالْحَمَاضُ لِصَبَاغِكُمْ ، وَالْحَبُّ لِدُهْنِكُمْ . فَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ مَا عُرِفَتْ بِهِ

حِكْمَتُهُ .

(١) الدبيلة (وزان جهينة) : خراج ودقل كبير . تظهر في الجوف فتقتل صاحبها غالبا .

(٢) اللقاح (وزان رمان) : ثمر اليبروج ، وهو أصفر طيب الرائحة فيه حب شبه حب الكمثرى . واليبروج

صنفان : أحدهما يعرف بالأنثى ولونه إلى السواد ويقال له ريوفس أى الخس لأن في ورقه مشاكلة لورق

الخس إلا أنه أدق من ورقه وأصفر ، وهو زهم ثقيل الرائحة ينسبط على وجه الأرض وليس له ساق . والآخر

يعرف بالذكور له ورق بيض ملس كبار عراض شبيهة بورق السلق ولونه كالزعفران . طيب الرائحة مع ثقل .

وتأكله الرعاة فيعرض لها يسير سبات وليس له ساق أيضا ، واللقاح أيضا : نوع من البطيخ صغير جسمه

مخطط ورائحته طيبة الشم . (٣) في ابن البيطار في الكلام على اليبروج أن ضرر اللقاح يعالج بأكل

القلقل وشرب الجندبادستر والسذاب والخردل . (٤) كذا في مفردات ابن البيطار . وفي الأصل :

« الجندبادستر »

باب مصالح الطعام

قال رئيس من رؤساء الطبّاحين : العجينُ يُمَلِّكُ . وفي الحديث المرفوع :
 « أَمْلِكُوا الْعَجِينَ فَإِنَّهُ أَحَدُ الرَّيْعِينَ »^(١) .

السَّوِيقُ : يُغَسَّلُ بِالماءِ الحارِّ مرَّاتٍ ثمَّ بِالباردِ ويشرب .

والمِلْحُ : يَتَقَبَّلُ بِهِ الطَّبِيخُ .

وَالخَلُّ : يُنَضِّجُ العَدَسَ وَيُصْلِحُهُ لِلأَكْلِ .

البَاقِلِيُّ : يُنَقَّعُ ثُمَّ يُطْبَخُ . وَلَا يُؤْكَلُ مِنَ الفَاكِهَةِ إِلَّا مَا نَضِجَ عَلَى شَجَرِهِ ،
 وَيُلْقَى ثَقْلُهُ وَنَجْمُهُ^(٢) ، وَيؤْكَلُ عَلَى رِيقِ النَّفْسِ .

وَالعِنَبُ : يُقَطَفُ وَيُمَهَّلُ أَيَّامًا ثُمَّ يُؤْكَلُ . وَلَا يُؤْكَلُ مِنَ القِنَبِ^(٣) إِلَّا لُبُّهُ .
 وَلَا يُؤْكَلُ مِنَ الرَّأْسِ إِلَّا أَسْنَانُهُ وَعِوْنُهُ^(٤) .

الباذِنِجَانُ : يَشَقُّ وَيُحْشَى بِالْمِلْحِ ، وَيَتْرَكَ سَاعَةً فِي الْمَاءِ الْبَارِدِ ، ثُمَّ يَصَبُّ
 عَنْهُ وَيَعَادُ إِلَى الْمَاءِ مَرَارًا ، ثُمَّ يُسَلَقُ بَعْدَ ذَلِكَ .

الْكَبَرُ : يُؤْكَلُ بِالخَلِّ بَعْدَ غَسْلِهِ بِالماءِ مِنَ الْخَلِّ .

الزَّيْتُونُ : يُؤْكَلُ وَسَطُ الطَّعَامِ وَيُصَبُّ فِي الْخَلِّ .

(١) ملك العجين وأملكه : عجنه فأنعم عجنه وأجاده . والرَّيْعُ : الزيادة . أراد أن خبره يزيد بما يحتمله
 من الماء بخودة العجين . (٢) نجمه : نواه . (٣) القنب : نبات منتن الرائحة له حب
 مستدير يؤكل ، وفي الأصل « القند » وهو صكر القصب ولا لب له والتحرّيف فيه ظاهر . (٤) كذا
 في الأصل ، ويحتمل أن يكون « لسانه » .

- ويؤكل من الأشتُرْغَازِ خَلَهُ ولا يُعرض لجسمة .
 والكَمَاءُ : تُصَفُّ وَيُقَشَّرُ عَنْهَا قِشْرُهَا ، وَتُسَلَّقُ بِالْمَاءِ وَالْمِلْحِ ثُمَّ تُسْتَعْمَلُ
 بِالسَّعْتِ وَالْفُلْفُلِ ، وَتُقَلَّى بِالزَّيْتِ الرَّكَائِي^(٣) ، وكذلك القُطْرُ .
 السِّلَقُ والكُرْبُ : يُسَلَقَانِ بِالْمَاءِ وَالْمِلْحِ ، وَيَصَبُّ مَاءُهُمَا ثُمَّ يُسْتَعْمَلَانِ .
 والبَقُولُ : تَمْسَحُ ثُمَّ تَوَكَّلُ وَلَا تُغْسَلُ بِالْمَاءِ .
 وَأَخَذَ التَّمُورَ الْهَيْرُونَ . وَأَخَذَ البُسُورَ الْجَيْسِرَانُ^(٥) . وَمَا أَصْفَرُ أَحْمَدُ مِمَّا اسْوَدَّ .
 وَخَيْرُ السَّمَكِ الشَّبُوطُ^(٦) وَالبَنَانِيُّ وَالْمِيَّاحُ . وَلَا يَأْكُلُ السَّمَكُ الطَّرِيَّ إِلَّا حَارًّا
 بِالْخَرْدَلِ فِي الشِّتَاءِ ، وَفِي الصَّيْفِ بِالْخَلِّ وَبِالْأَبَازِيرِ . وَأَقْلَ السَّمَكِ أَذَى الْمَقْمُورِ^(٧) .
 وَشَرُّ السَّمَكِ كِبَارُهُ السَّمَارِيسُ^(٨) . وَخَيْرُ السَّمَارِيسِ الْبَيْضُ ، [وَأَكْلُهَا] خَيْرٌ مِنْ أَكْلِ
 الْحُمْرِ ، وَشَرُّهَا السَّوْدُ .

١٠

- (١) الاشتُرْغَازُ : ثَوْبٌ لَهُ بِالْفَارِسِيَّةِ شَوْكُ الْجَمَالِ ، وَهُوَ نَبَاتٌ حَرِيفٌ رَخْوٌ وَلَيْسَ لَهُ صَمِغٌ وَهُوَ طَوِيلُ الشَّوْكِ تَرَعَاهُ الْإِبِلُ . (٢) السَّعْتُ : نَبَاتٌ طَيِّبُ الرَّائِحَةِ حَرِيفٌ زَهْرُهُ أَبْيَضٌ إِلَى الْغَيَرَةِ ■ وَيُقَالُ لَهُ الصَّعْتُ بِالصَّادِ وَهِيَ اللَّفْظَةُ الْجَيِّدَةُ ، وَالْعَامَّةُ تُبَدِّلُ السِّينَ زَايَا . (٣) كَذَا فِي مَفْرَدَاتِ ابْنِ الْبَيْطَارِ فِي الْكَلَامِ عَلَى خَوَاصِّ الْكَمَاءِ . وَقَدْ نَقَلَ يَاقُوتُ أَنَّ هَذَا الزَّيْتَ مَنْسُوبٌ إِلَى الرَّاكِبِيَّةِ وَهُوَ مَوْضِعٌ عَلَى عَشْرَةِ أَمْيَالٍ مِنَ الْمَدِينَةِ ، ثُمَّ قَالَ : وَأَرَاهُ وَهْمًا لِأَنَّ تِلْكَ النَّوَاحِيَ قَلِيلَةُ الزَّيْتِ إِنَّمَا يَجْلِبُ إِلَيْهَا مِنَ الشَّامِ عَلَى الرَّاكِبِ فَهُوَ مَنْسُوبٌ إِلَيْهَا . (٤) الْهَيْرُونَ : الْبَرِّيُّ مِنَ التَّمْرِ وَالرُّطْبِ . (٥) الْجَيْسِرَانُ : جَنْسٌ مِنَ الْخَرْدَلِ النَّخْلِ مَعْرَبٌ ■ وَفِي الْأَصْلِ «جَيْسَوَانٌ» وَهُوَ تَحْرِيفٌ . (٦) الشَّبُوطُ (بِفَتْحِ الشِّينِ وَتَضَمُّنِ الْيَاءِ الْمَشْدُودَةِ) : ضَرْبٌ مِنَ السَّمَكِ دَقِيقُ الذَّنْبِ عَرِيضُ الْوَسْطِ صَغِيرُ الرَّأْسِ لَيْنُ الْمَسِّ . (٧) الْمَقْمُورُ : الْحَامِضُ الْمَنْقُوعُ فِي الْخَلِّ أَوْ الْمَاءِ وَالْمِلْحِ . (٨) السَّمَارِيسُ : صَنْفٌ مِنَ السَّمَكِ ، رَأْسُ الْمَلُوحِ مِنْهُ إِذَا أَحْرَقَ فَلَحَ الْهَمُّ الرَّائِدُ فِي الْقُرُوحِ وَمَنْعُ الْقُرُوحِ الْخَيْشَةُ مِنْ أَنَّ تَدْمِيَ فِي الْبَدَنِ ، وَ يَقْلَعُ النَّاقِلُ (رَاجِعُ مَفْرَدَاتِ ابْنِ الْبَيْطَارِ) . وَفِي الْأَصْلِ : «سَمَارِيسٌ» وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَأَصْلُ الْجُمْلَةِ فِي الْأَصْلِ هَكَذَا «وَشَرُّ السَّمَكِ كِبَارُهُ السَّمَارِيسُ الْبَيْضُ وَخَيْرُ السَّمَارِيسِ الْبَيْضُ... الخ... وَالسِّيَاقُ يَقْضِي بِحَذْفِ «الْبَيْضِ» الْأَوَّلِيِّ . (٩) زِيَادَةُ يَتَضَاهَا السِّيَاقُ .

٢٠

وخَيْرُ الْبَيْضِ بَيْضُ الشَّوَابِ مِنَ الدَّجَاجِ، وَلَا خَيْرَ فِي بَيْضِ الْهَرَمَةِ . وَأَخْفَ
الْبَيْضِ الرِّقِيقُ، وَأَثْقَلُهُ الْبَيْضُ الصَّلْبُ .

وَلَا يُعَرَّضُ مِنَ الرَّأْسِ لِلدَّمَاعِ وَلَا لِللِّسَانِ، وَلَا الْفَلَصَمَةِ وَلَا الْخَرَّاطِيمِ ^(١) .
وَلَحْمُ الْعُنُقِ خَفِيفٌ سَرِيعُ الْإِنْهَضَامِ . وَفِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ : " الْعُنُقُ هَادِيَةٌ ^(٢)
الشَّاةِ وَهِيَ أَعْدُوها مِنَ الْأَذَى " .

وَالْفُقَّاعُ ^(٣) : يُشْرَبُ قَبْلَ الطَّعَامِ وَلَا يُشْرَبُ بَعْدَهُ .

وَاللَّبَنُ ^(٣) : لَا يُؤْكَلُ وَلَا يُشْرَبُ إِلَّا بَعْدَ وَضْعِ الشَّاةِ بِشَهْرِ وَنَحْوِهِ .

وَالْبَاقَلِيُّ ^(٤) : يُؤْكَلُ بَعْدَهُ الْفُؤَذَنُجُ فَإِنَّهُ يَذْهَبُ بِنَفْسَتِهِ .

اللُّؤَبِيَاءُ ^(٥) : يُؤْكَلُ بَعْدَهُ الْخَرْدَلُ الرُّطْبُ ، وَيُشْرَبُ بَعْدَهُ مَاءُ الرُّمَّانِ
وَالسَّكَنْجَبِينَ الْمَعْمُولَ بِالسَّكْرِ .

الْهَرِيْسَةُ ^(٦) : تُؤْكَلُ بِالْفُلْفُلِ الْكَثِيرِ وَالْمُرِّيِّ وَلَا يُجْعَلُ فِيهَا السَّمْنُ ^(٧) .

وَالْمُضِيرَةُ ^(٨) : تُطَبَّخُ بِالْفُؤَذَنُجِ وَالسَّدَابِ وَالكَرْفَسِ .

(١) الفلصمة : رأس الخلقوم بشواربه (عروق في الحلق) وحرقدته (عقدة الحلق) . (٢) الهادية

من كل شيء : أوله . (٣) تقدم تفسيره في صفحة ٢٨٠ من هذا المجلد . (٤) اللؤبياء (بالمد

والقصر، ويقال أيضا اللؤباء، وهو مذكر) نبات معروف . (٥) السكنجبين : شراب من خل ورسول ،

ويراد به كل حلو وحامض ، وهو معرب . (٦) الهريسة : طعام يعمل من الحب المدقوق واللحم .

(٧) المرى : الذي يؤتد به ، والعامّة تخففه نسبة إلى المرارة ، ويسمى الكاخي ، وهو عند الأطباء من

الأدوية القديمة ، وأجوده المتخذ من دقيق الشعير . وقد ذكر خواصه ابن البيطار في مفرداته ودأوده

في تذكرته . فراجعهما . (٨) المضيرة : اللحم المطبوخ باللبن المضاف إلى الحامض . كان أبو هريرة

تعبه المضيرة فيا كلها مع معاوية ، فإذا حضرت الصلاة صلى خلف على كرم الله وجهه ، فإذا قيل له في ذلك

قال : مضيرة معاوية أدمم والصلاة خلف على أفضل ؛ ففعل له شيخ المضيرة . (راجع مطالع البدور) .

الزَّيْتُ الرَّكَّابِيَّ : إِذَا خُلِطَ بِالْخَلِّ أَوْ أُغْلِيَ عَلَى النَّارِ ثُمَّ رُفِعَتْ رُغْوَتُهُ عَادَ كَالْمَغْسُولِ . وَفِي الْحَدِيثِ : أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : عَلَيْكُمْ بِالزَّيْتِ ، فَإِنْ خَفْتُمْ ضَرَرَهُ فَأَخْنُوهُ بِالْمَاءِ فَإِنَّهُ يَصِيرُ كَالسَّمَنِ .

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ^(١) «عَلَيْكُمْ بِالشَّجَرَةِ الَّتِي نَادَى اللَّهُ مِنْهَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ زَيْتِ الزَّيْتُونِ أَذْهَبُوا بِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءٌ مِنَ الْبَاسُورِ» .

الْخَرْدَلُ : يُعْجَنُ بِالْخَلِّ وَيُغْسَلُ بِالْمَاءِ وَرَمَادِ الْبَلُّوطِ أَوْ رَمَادِ الْكَرَمِ مِرَارًا بَعْدَ أَنْ يَنْعَمَ دَقُّهُ وَتُخَلَّهْ ، ثُمَّ يُغْسَلُ بِالْمَاءِ الْقَرَّاحِ وَيُرَشَّ بِالْمَاءِ حَتَّى تَخْرُجَ رُغْوَتُهُ وَيَكْثُرُ خَلُّهُ ، وَيُخَلَطُ مَعَهُ اللَّوْزُ الْحُلُوزُ أَوْ مَاءُ الرِّمَانِ الْحَامِضِ وَمَاءُ الزَّرْبِيبِ .

[صورة ما جاء بخاتمة الجزء التاسع من النسخة الخطية التي نقل عنها الأصل .]
الفتوغرافي] .

تَمَّ كِتَابُ الطَّعَامِ وَهُوَ الْكِتَابُ التَّاسِعُ مِنْ عَيُونِ الْأَخْبَارِ لِأَبْنِ قَتَيْبَةَ ، وَيَتْلُوهُ فِي الْكِتَابِ الْعَاشِرِ كِتَابُ النِّسَاءِ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَصَلَاتُهُ عَلَى خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ .

وَكُتِبَ الْفَقِيرُ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ الْجَزْرِيِّ
الْوَاعِظِ ، فِي شَهْرِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ هَجْرِيَّةٍ .

نَجَزَ كِتَابُ الطَّعَامِ وَيَتْلُوهُ فِي الْجُزْءِ الْعَاشِرِ كِتَابُ النِّسَاءِ .

(١) وَرَدَ هَذَا الْحَدِيثُ فِي الْكَشَافِ لِلزُّنْجَشَرِيِّ (ج ٢ ص ٨٣ طبع مصر) وَالْجَامِعُ الصَّغِيرُ هَكَذَا : «عَلَيْكُمْ بِهَذِهِ الشَّجَرَةِ الْمُبَارَكَةِ زَيْتِ الزَّيْتُونِ فَتَدَاوُوا بِهِ فَإِنَّهُ مَصْحَةٌ مِنَ الْبَاسُورِ» .

جاء بعد خاتمة الجزء التاسع من النسخة الخطية التي نقل عنها الأصل الفتوغرافي ما يأتي :

قال الأصمعي : دخلتُ على هارون الرشيد وبين يديه بَدْرَةٌ ، فقال : يا أصمعي ، إن حدثتني بحديث في العَجْزِ فاصحكتني وهبتك هذه البدره ؛ فقال : نعم يا أمير المؤمنين ؛ بينا أنا في صحاري الأعراب في يوم شديد البرد والريح وإذا بأعرابي قاعد على أجمة وهو عُرْيَان ، قد احتملت الريح كساءه ، فألقته على الأجمة ؛ فقلت له : يا أعرابي ؛ ما أجلسك هاهنا على هذه الحالة ؟ فقال : جارية وعدتها يقال لها سَنَمي ، أنا منتظر لها ؛ فقلت : وما يمتك من أخذ كسائك ؟ فقال : العَجْزُ يوقفني عن أخذه ، فقلت له : فهل قلت في سَنَمي شيئا ؟ فقال : نعم ؛ فقلت : أسميني لله أبوك ! فقال : لا أسمعك حتى تأخذ كسائي وتلقيه علي ؛ قال : فأخذته فألقيته عليه ، فأنشأ يقول :

لعل الله أن يأتي بسلمي ■ فيبسطها ويلقيني عليها

ويأتي بعد ذاك سحابٌ مُزِين * تطهرنا ولا نسعى إليها

فضحك الرشيد حتى استلقى على ظهره ، وقال : أعطوه البدره ، فأخذها الأصمعي

وانصرف . ١٥

(١) كذا بالأصل ، وأوقفه يوقفه لغة رديئة ، والفصحى : «وقفته» بغير الهمزة .

(٢) السحاب : الغيم ، وهو اسم جنس جمعي ولذلك يوصف بالمفرد مراعاة للفظه كقوله تعالى :

«والسحاب المسخر بين السماء والأرض» وبالجمع مراعاة لمعناه كقوله تعالى : «وينشئ السحاب النقال»

ويعامل الفعل معه معاملته مع أمثاله من أشباه الجموع فتقول : أفرغ السحاب ماءه ؛ وأفرغت السحاب

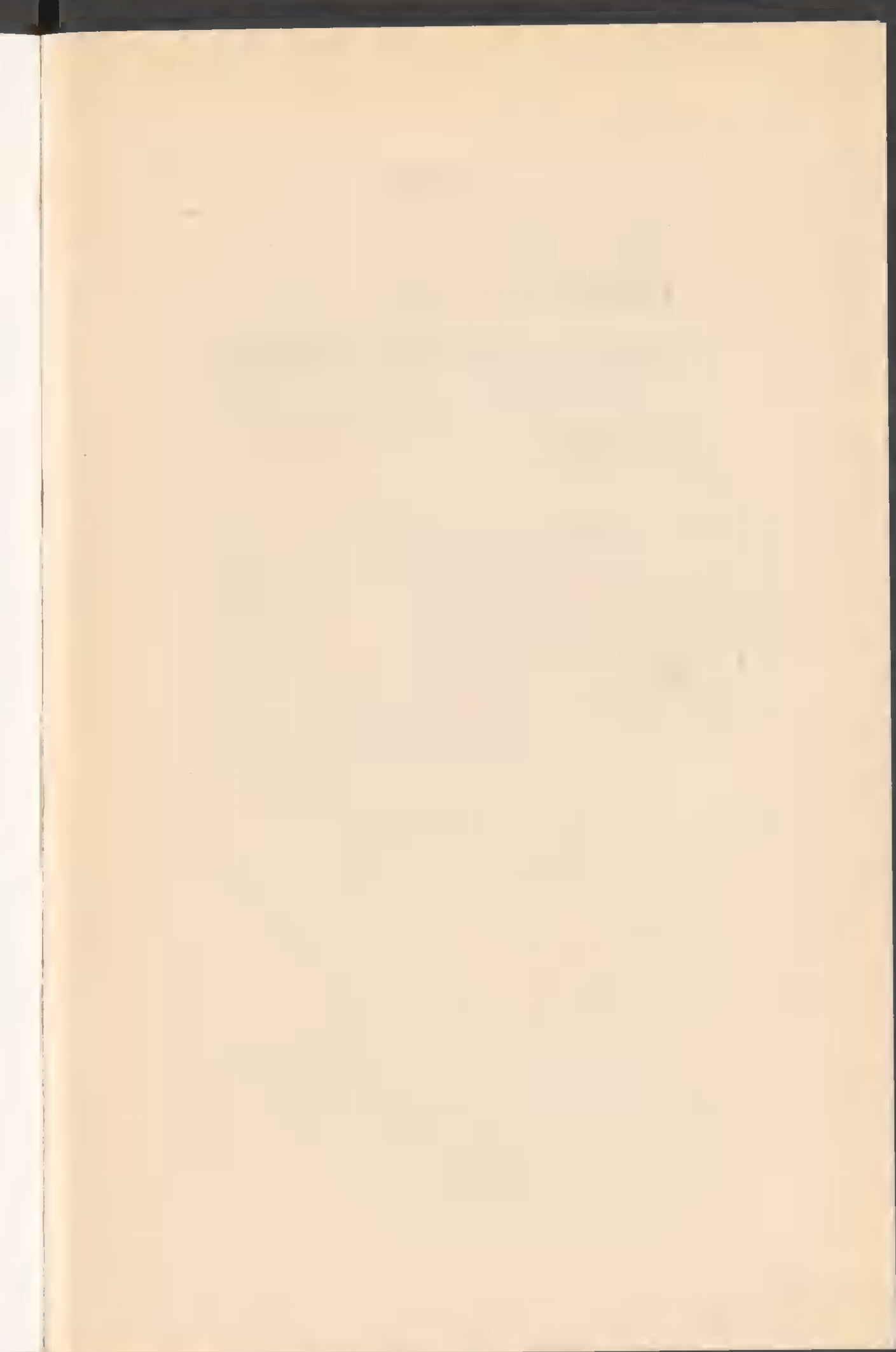
ماءها . ولذلك قال : تطهرنا على الوصف بالجمع . ٢٠

(١) وَيُرْوَى أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ زَيْدٍ لَمَّا وَلِيَ الْمَدِينَةَ قَالَ لِابْنِ هَرْمَةَ : إِنِّي لَسْتُ كَمَنْ
بَاعَكَ دِينَهُ رَجَاءَ مَذْحِكٍ أَوْ خَوْفَ ذَمِّكَ ، فَقَدْ رَزَقَنِي اللَّهُ بُولَادَةَ نَبِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ
الْمَأْدَحِ وَجَنَّبَنِي الْمَقَابِجَ ، وَإِنَّ مِنْ حَقِّهِ عَلَيَّ أَلَّا أُغْضِيَ عَلَى تَقْصِيرٍ فِي حَقِّ رَبِّهِ . وَأَنَا
أُسَيِّمُ لَنْ أُنَيْتُ بِكَ سَكَرَانَ لِأَضْرِبَنَّكَ حَدًّا لِلْخَمْرِ وَحَدًّا لِلسُّكْرِ ، وَلَا أُزِيدَنَّ الْمَوْضِعَ
حُرْمَتِكَ بِي . فَلَئِنْ تَرَكْتُكَ لَهَا اللَّهُ تُعَنَّ عَلَيْهِ ، وَلَا تَدْعُهَا لِلنَّاسِ فَتُوَكَّلَ إِلَيْهِمْ ، فَهَنْضُ
ابْنِ هَرْمَةَ وَهُوَ يَقُولُ :

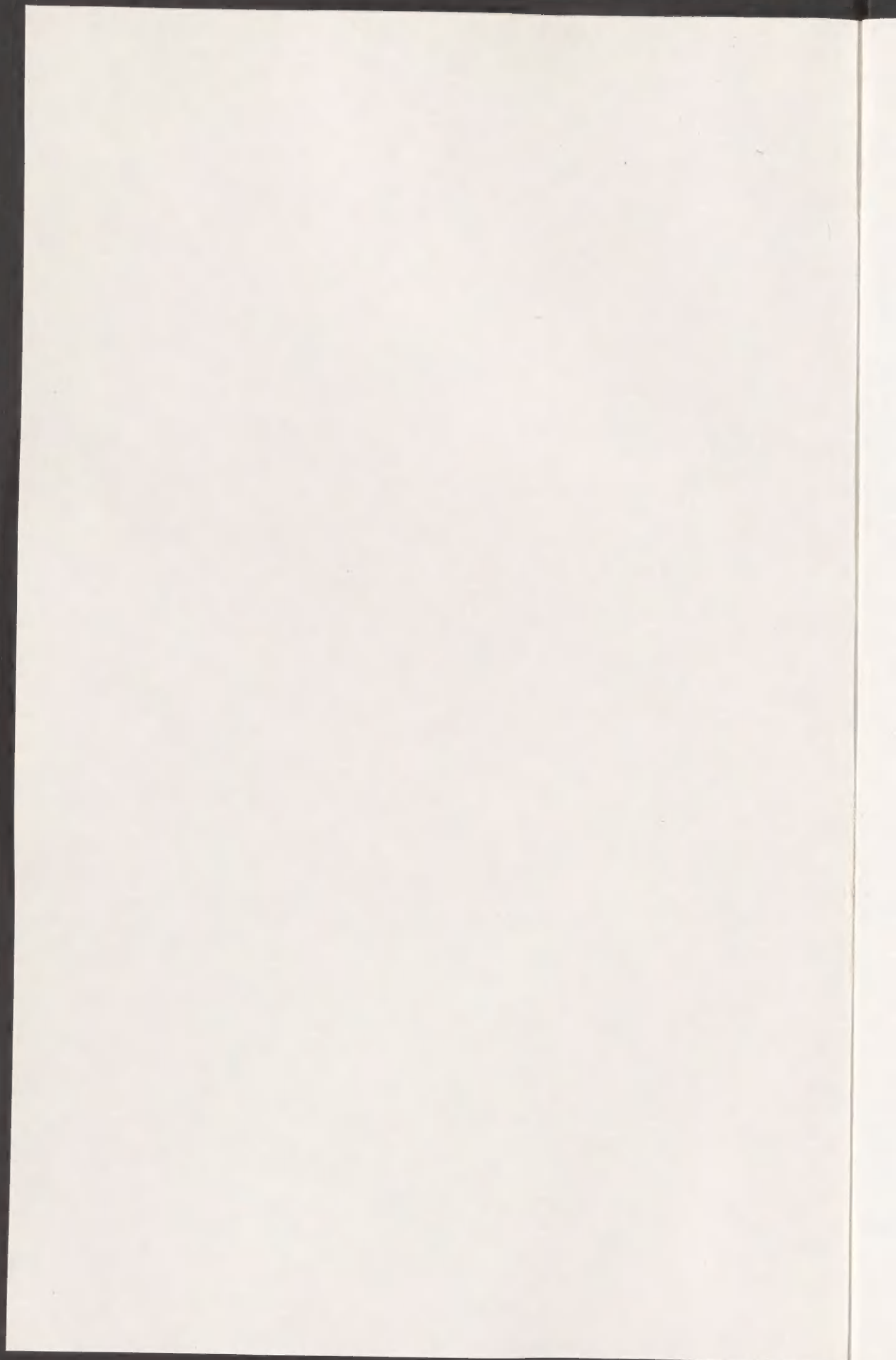
نَهَانِي ابْنُ الرَّسُولِ عَنِ الْمُدَامِ * وَأَذَبَنِي بِأَدَابِ السِّكْرَامِ
وَقَالَ لِي أَصْطَبِرْ عَنْهَا وَدَعْنَهَا * نَخُوفِ اللَّهِ لَا خَوْفَ الْأَنَامِ
وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَنْهَا وَحَبِّي * لَهَا حُبٌّ تَمَكَّنَ فِي عِظَامِي
أَرَى طَيْبَ الْحَالِ عَلَى خُبْنَا * وَطَيْبَ النَّفْسِ فِي خُبْنِ الْحَرَامِ

ذَكَرَ هَذَا الْخَبْرَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدُ فِي كِتَابِ الْكَامِلِ .

(١) كَذَا فِي الْكَامِلِ لِلْمُبَرِّدِ (طَبْعُ لَيْبَرِج ص ١٣٨) وَفِي الْأَصْلِ «مَنْ» .











**Elmer Holmes
Bobst Library**

**New York
University**

**Gaston Wiet
Collection**

